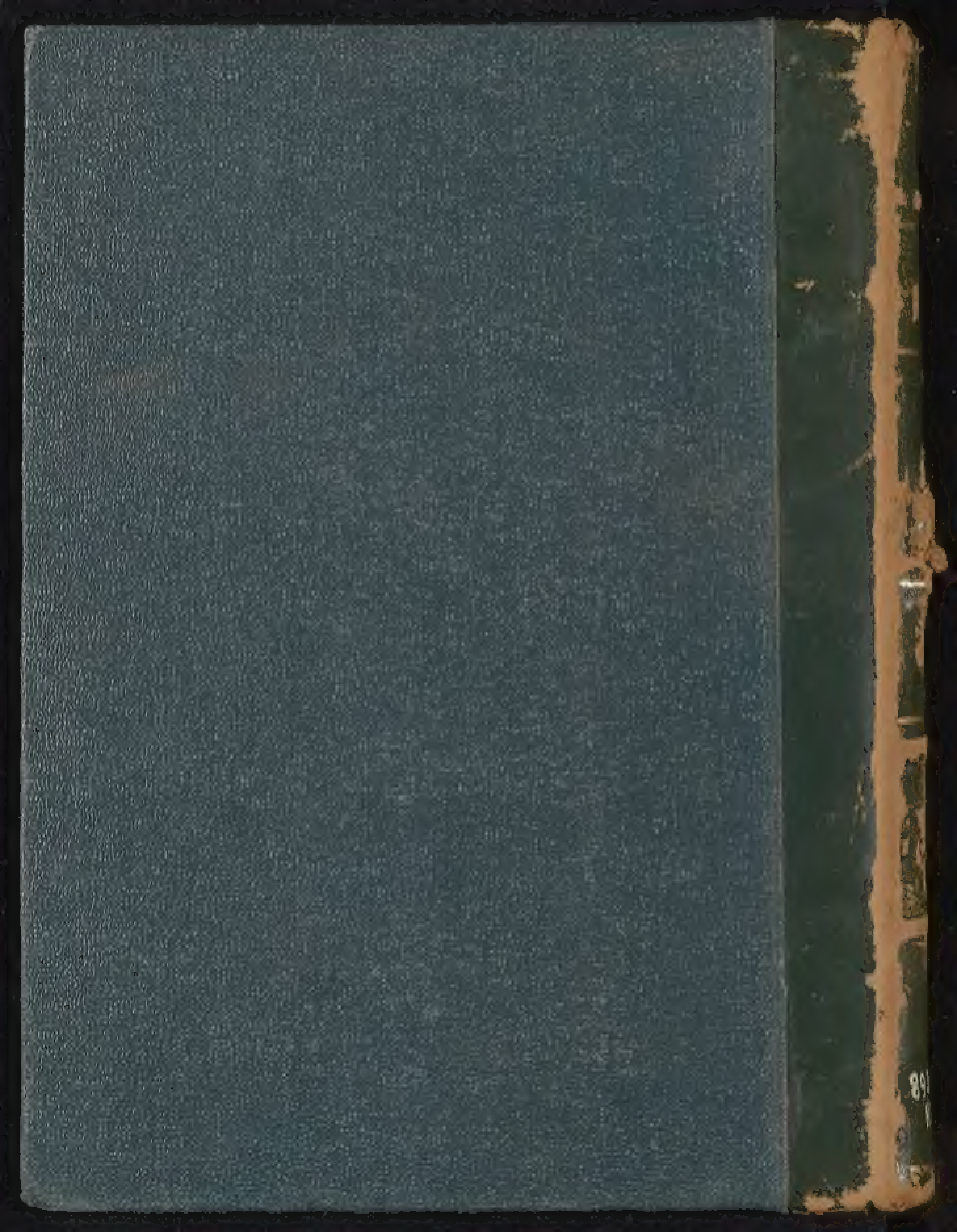

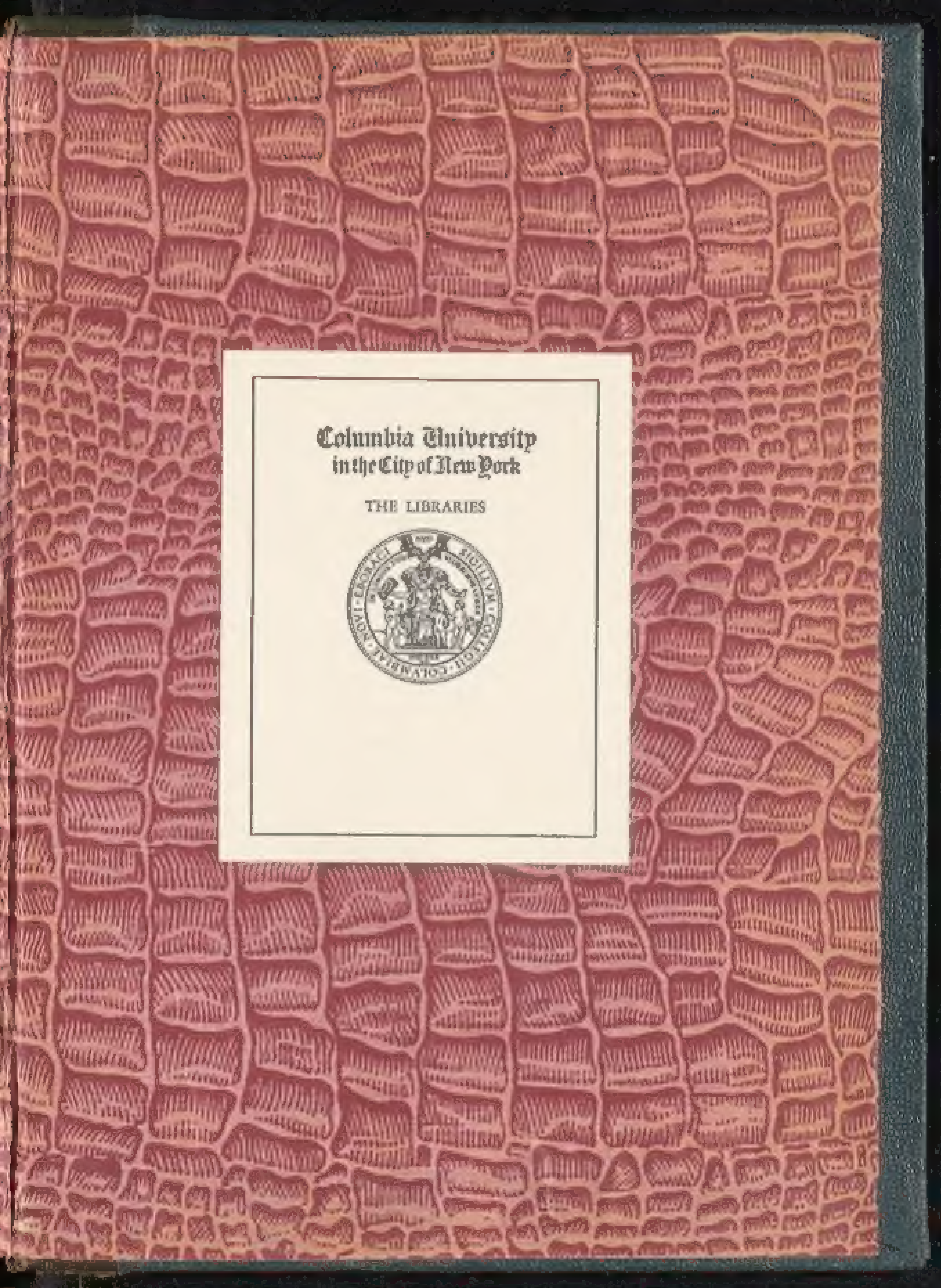
Columbia University
in the City of New York
THE LIBRARIES

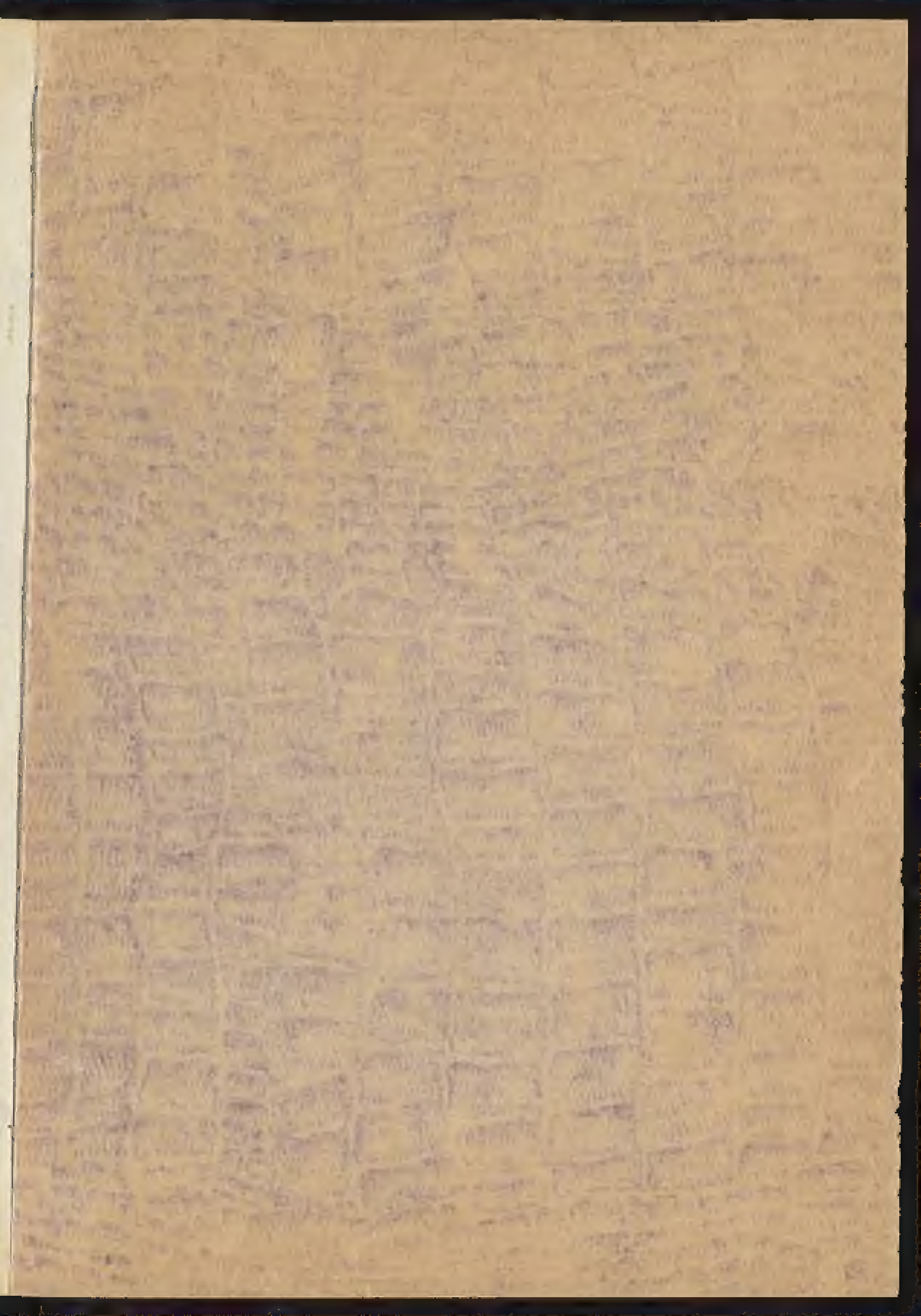

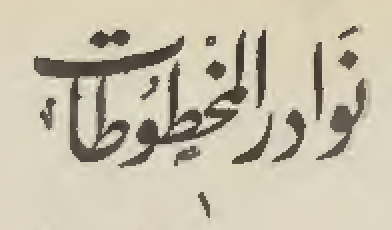

بتحقيق
عبد السلام هارون
الأستاذ المساعد بجامعة فؤاد
كلية دار العلوم

المجموعة الأولى

١ — الرسالة المصرية، لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى المتوفى سنة ٥٢٨

٢ — كتاب المردفات من قريش، لأبى الحسن على بن محمد المدائنى المتوفى سنة ٢٢٥

٣ — كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء، صنعة محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥

٤ — تحفة الأبيه، فيمن نسب إلى غير أبيه، لمجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادى المتوفى سنة ٨١٧

[الطبعة الأولى]

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م

893.78
H26
v.1

30357F

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

هـذه المكتبة العربية التى كانت منار الثقافة الإنسانية دهراً طويلا ، ولا تزال تشع من نورها وضيائها على جنبات الدنيا ، وتتغلغل تغلغلا عميقاً فى زوايا الحضارات على شتى أصولها . هـذه المكتبة لم تلق بعد ما تستوجب من عناية ، ولا ما تستحق من خدمة واجبة . وكنت ولا أزال أتحدث بجهد إخواننا فى العلم المستشرقين ، الذين بادروا إلى إنقاذ الكنز فكان لهم بذلك فضل التنبيه .

وكان مما صنع الله لهذه الكنوز أن قيَّض لإثارتها ، ونفض غبارها ، طائفةً ممن نصبوا أنفسهم لهذا العمل المجهد الشاق ، يبغون بذلك الإسهامَ فى نشر العلم ، وفى بيان أمجاد الغابرين من الأجداد ، وتوطيد الصلة بين علمهم الأصيل ومعارفنا المستحدثة . وأذكر فى طليعة هؤلاء الناشرين الرجل العبقرى المرحوم « السيد محمد أمين الخانجى » ، الذى أمد المكتبة العربية بعدد هائل من المطبوعات العربية التى لو لم تمتد يده إليها لبقيت إلى الآن مطمورة فى النسيان . وأذكر معه العلامة المحقق الجليل المغفور له « أحمد زكى باشا » ، وهو أول عربى أشاع أساليب النشر الحديثة ونظم الطبع الجديدة فى كتبنا هذه العربية ؛ فلهما من الله الرحمة والجزاء لقاء ماقدما من فضل عظيم .

وإنه لما يثلج الصدر أن تتجه جامعاتنا المصرية اتجاهاً جديداً إزاء طلابها المتقدمين للإجازات العلمية الفائقة . إذ توجههم إلى أن يقدموا مع رسالاتهم العلمية تحقيقاً لمخطوط يمت بصلة إلى موضوع الرسالة ، وعسى أن يأتى اليوم الذى يكون فيه هذا الأمر ضريبة علمية لابد من أدائها .

وكان مما صنع لى الله أن ألقيت نفسى فى أطراف ميدان النشر العلمى أكافح فيه والسلاح ضعيف ، فما أزال أجمع سلاحاً إلى سلاح ، وأقتحم الصعاب إثر

36 357 F1
SEP 17 1959

الصعاب ، وإنا فيما بين ذلك أستلهم الله العون والتوفيق ، فيمدنى بسَيْب منه وفيض كريم ، وكلما ظننت أنى قد رويت غلة النفس زاد مابى من ظمأ إلى مزاولة هذا الجهاد الصادق .

وقد رأيت أن همة الناشرين المحققين تتجه فى أغلب ماتتجه إلى المخطوطات ذات الشهرة الظاهرة ، وإلى ما جلَّ مقداره من كتب السلف ، مُغْفلين فى أكثر الأمر هذه الرسائل الصغيرة . وقديماً كان الناس كذلك ، إنما يروقهم مايملأ أبصارهم، ومايروعهم بجسامته وعِظَمه ، ورب أسد هَزَبر فى أثواب رجل نحيف!

فصحَّ منى العزم على أن أكشف عن طائفة من هذه الكتب الصغيرة غطاءها ، وأقدم منها إلى جمهرة الباحثين مادة نادرة . وأن أجعل هذا فى مجموعات متتالية متسلسلة الأرقام والصفحات . وستكون من كل أربع مجموعات مجلد يقع فى نحو خمسمائة صفحة ، تنتهى بفهرس عام لما فيها من الرسائل .

هذا . وليس يفوتنى أن أذكر أن هذا العمل قد لقى منذ اللحظة الأولى فى التفكير فيه ، ترحيباً بالغاً من رجال العلم ، ووجدت فاتحة معاونة جميلة من الأصدقاء النُبُر ، إذ تكرم الأخ العلامة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع المكى فبادر بإرسال مخطوط نادر نفيس نسخه بقلمه مقابلا على أصله ، هو « كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار ، وما فيها من المياه » لعرام بن الأصبغ السُّلَمىّ . وسيظهر إن شاء الله فى المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات .

وإنى إذ أسجل لهذا الصديق شكراً عظيما على ما أسدى — لمرتقب إن أجد لهذا العمل التعاونى صدًى عند من تضم مكتباتهم أمثال هذه الكتب الصغيرة النادرة .

والله أسأل العونَ ، ولزام الصواب ، وصالحَ التوفيق .

القاهرة فى ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ عبد السلام محمد هارون

الرسالة المصرية

لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى

٤٧٠ — ٥٢٨

مقـــدمة

نزح كثيرون من رجال الأندلس إلى الشرق طلباً للعلم أو المال أو الجاه ، أو رغبةً فى أداء فريضة الحج ، وكان من أولئك النازحين إلى مصر رجلٌ جَمَع إلى الأدب الحكمة ، وإلى الطب التنجيمَ والموسيقى والرياضةَ والبراعة فى علم الحِيَل . هذا الرجل هو أبو الصَّلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت ، المولود فى مدينة دانية ، من بلاد الأندلس سنة ٤٧٠ هـ .

قدِمَ أبو الصلت إلى الإسكندرية ومعه أمُّه — فيما روى ابن خلّكان — سنة ٤٨٩ ، أى فى أيام الخليفة الفاطمى المستنصر بالله أبى تميم معدّ بن الظاهر بالله علىّ بن الحاكم بأمر الله ؛ ووزيرُه إذ ذاك والقائمُ بأمر دولته الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى الأرمنى .

وكان يأمُل أبو الصلت من وراء رحلته هذه بسطةً فى العيش ، وثراءً من المال ، كما أشار إلى ذلك فى صدر رسالته . ويبدو أنه ظل دهراً خاملا يتحيَّن الفرص ، إلى أن أتيح له أن يتَّصل بأحد المقرَّبين إلى الوزير الأفضل[1] ، فى أيام الخليفة الآمر[2] ، وذلك الرجل هو تاج المعالى مختار[3] ، فخدمه بصناعتَى الطبّ

---

(١) بدأت وزارة الأفضل للمستنصر الفاطمى سنة ٤٨٧ بعد وفاة أبيه بدر الجمالى ، ثم وزر للمستعلى بالله أحمد سنة ٤٨٨ ، ثم للآمر بأحكام الله سنة ٤٩٦ . وقد استبد بهؤلاء الخلفاء جميعاً إلى أن تمكن منه الآمر ودبر مقتله ، فقتل سنة ٥١٥ . النجوم الزاهرة (٥ : ٢٢٢) .

(٢) هو الآمر بأحكام الله منصور بن المستعلى بالله أحمد بن المستنصر بالله . ولد فى سنة ٤٩٠ واستخلف وله خمس سنين ، وقتل سنة ٥٢٤ . انظر النجوم الزاهرة (٥ : ١٧) والخطط المقريزية عند ذكر « الجامع الأقمر » .

(٣) معجم الأدباء (٧ : ٥٤) .

والتنجيم ، فأعجب به ، ووصفه بحضرة الأفضل وأثنى عليه ، وكان كاتب الأفضل ينفس عليه ذلك ، ويخشى بأس تاج المعالي ، وحدث أن تتابعت من تاج المعالي السقطات فأدى ذلك إلى أن يقبض عليه الأفضل ويعتقله ، فيجد كاتب الأفضل الفرصة سانحة للقضاء على أبي الصلت ، فيختلق له ما يدفع الأفضل إلى أن يلقي به في سجن المعونة[1] بمصر ، مدة ثلاث سنين وشهر[2] ، بعد الذي دبج فيه من المدائح والشعر[3]

ويروي ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء ، أن دخول أبي الصلت إلى مصر كان في حدود سنة ٥١٠ هـ ، وأنه حبس في الإسكندرية في خلافة الآمر بأحكام الله ووزارة الأفضل[4] فإن صحت هذه الرواية كانت سنداً في أن أبا الصلت ورد مرة أخرى بعد وفاة [illegible] في صحبته أبي الطاهر يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس[5] المتوفى سنة ٥٠٩ ، وهي سنة خروجه من مصر

---

(١) ذكر المقريزي هذا السجن عند ذكر الدار المأمونية [illegible] ابن المأمون البطائحي . قال : « وكان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة » . ثم قال : « وهو [illegible] ووضع سجناً مدة الدولة الفاطمية ، ومدة دولة بني أيوب ، [illegible] ثم عمره الملك المنصور قلاوون قيسارية أسكن فيها [illegible] في سنة ٦٨٠ » . وقال : « وكان حبس المعونة هذا يحبس فيه أرباب الجرائم ... وأما الأمراء والأعيان فيحبسون بخزانة البنود » . والدار المأمونية هي المعروفة بالمدرسة السيوفية .

(٢) وقد روى المقري في نفح الطيب (١ : ٥٣٢ ليدن) رواية عنه : أن عمر أبي الصلت ٦٠ سنة ، منها ٢٠ في أشبيلية ، و ٢٠ في أفريقية عند ملوكها الصنهاجيين ، و ٢٠ في مصر محبوساً في خزانة [illegible]

(٣) انظر بعضها عند ابن أبي أصيبعة (٢ : ٥٣ ، ٥٦) .

(٤) ذكر ابن أبي أصيبعة سبب حبسه في الإسكندرية : أن الأفضل طلب إليه أن يعمل حيلة في رفع مركب غارق في البحر ، فاجتهد أبو الصلت ، ومكنه حتى قارب النجاح [illegible] ، فهبط المركب في قعر البحر ، بعد ما [illegible] خسائر فادحة ، فحبسه الأفضل لذلك .

(٥) ملك أبو الطاهر يحيى بن تميم المغرب سنة ٥٠١ واستقر في ملكه إلى أن توفي سنة ٥٠٩ . انظر تاريخ طرابلس الغرب لابن غلبون (ص ٣٩ — ٤٠) .

ضاق أبو الصلت ذرعا بمصر ، وما لقى فيها من الخيبة والعنت . قال القفطى[1] :

« ودخل مصر فى أيام أفضلها فلم ينل منه إفضالا ، وقصده للنّيل فلم يجد لديه نوالا » . فحينئذ شد رحاله إلى المغرب فى سنة ٥٠٦ ، واستماد صلته بحضرة أبى الطاهر يحيى بن تميم بن باديس ، الذى وضع له هـذه « الرسالة المصرية » يصف له فيها ما عاينه فى مصر وما عاناه ، وتناول فى هذه الرسالة القيمة :

١ — الوصف البلدانى للديار المصرية ونيلها .

٢ — ثم أخذ فى تصوير حال ربوعها ومعايبها تارة بالشعر وأخرى بالنثر .

٣ — وعقّب على ذلك بالكلام فى سكانها وأجناسهم ومذاهبهم وأخلاقهم وعقائدهم ، منذ عهد الفراعنة إلى ظهور الإسلام .

٤ — وتحدث بعد ذلك عما تحتوى به من الآثار العجيبة ، كالهرمين والبرابى .

٥ — وذكر عواصم مصر فى القديم والحديث .

٦ — وقدامى العلماء من اليونان والروم ، مستطرداً بذلك إلى ندرة من لقيه بمصر من المشتغلين بالعلم والحكمة والطب .

٧ — وعجب من جهل من لقى بها من الأطباء ، ونوه بفضل بعض الأطباء البارعين .

٨ — وتحدث فى ولوع المصريين بأحكام النجوم وكثرة استعمالهم لها ، وأورد فى ذلك نوادر وطرائف .

٩ — ثم عرّج على ذكر من لقيه بها من الأدباء والظرفاء .

فهذه الرسالة تضرب بأسباب إلى علوم وفنون شتى ، وتعدّ اليوم كما عدت

(١) انظر إخبار العلماء للقفطى (ص ٥٧) طبع السعادة .

بالأمس ، وثيقة يرجع إليها السودانى ، والمؤرخ ، وباحث الآثار ، والاجتماعى ، والحكيم ، والطبيب ، والمنجم ، والأديب .

***

هذه الرسالة الصغيرةُ الحجم العظيمة القدر كانت متعارَفة متداوَلةً بين كبار العلماء والمؤرخين ، ثم أصبحت نادرةً مجهولة ، إلى أن تمكّن المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا — طيب الله ثراه — من اقتنائها فى مكتبته الخاصة ، وهى برقم ٦٠١ أدب . وعلى هذه النسخة الوحيدة فى العالم — كما يتضح من مراجعة فهارس بروكلمان [١] — أعتمدُ فى نشر هذه الرسالة الفريدة ، التى أورد طرفاً منها ياقوت فى « إرشاد الأريب » ، والعماد فى « الخريدة » ، والقفطى فى « إخبار العلماء » ، وابن أبى أصيبعة فى « عيون الأنباء » والأسعد بن مماتى فى « قوانين الدولة » ، والمقّرى فى « نفح الطيب » ، والمقريزى فى « الخطط » ، والأدفوى فى « الطالع السعيد » ، والسيوطى فى « حسن المحاضرة » ، كما سيتضح لك عند تحقيق نصوصها .

ولأبى الصلت غير الرسالة المصرية « كتاب الحديقة » على أسلوب « يتيمة الدهر » للثعالبى ، وقد نقل منه العماد فى « الخريدة » . وله أيضاً « الأدوية المفردة » وهو محفوظ فى مكتبة بودليان ، و « رسالة فى العمل بالأسطرلاب » فى برلين وليدن وبودليان ، و « تقويم الذهن » فى المنطق ، بمكتبة الإسكوريال ، و « أوراق من كتاب فى الفلك » بالإسكوريال ، و « كتاب فى المعانى المختلفة للفظة نقطة » فى مكتبة ليدن ، « قصيدة » بمكتبة برلين .

---

(١) انظر بروكلمان (١ : ٤٨٦ — ٤٨٧) وملحقه الأول (ص ٨٨٩) على أنى عثرت بعد على قطعة من الرسالة المصرية فى دار الكتب المصرية رقم ٣٥٤ تاريخ ، سأنبه على موضع بدئها ونهايتها فى الحواشى .

وقد صنف معظم هذه الكتب وهو في اعتقال الأفضل بمصر ، كما نص ابن خلكان .

***

انتهت أيام أبي الصلت في المهدية ، وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فقيل سنة ٥٢٠ وقيل سنة ٥٢٨[1] .

وإليك الرسالة :

---

(١) انظر ترجمته عند ياقوت (٧ : ٥٢) وابن خلكان (١ : ٨) والضبي (٥٧) والمقري (١ : ٥٢٠) وابن أبي أصيبعة (٢ : ٥٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت رحمه الله تعالى :

كنت بان عصرُ الشباب مونق ، وغصن الصبا مورق

إذْ لِمّتي مســـودة ولماء وجهي رونق [1]

عن مساعفة الدهرُ بغيته من غمراته ، وضيق به عن عفوه من عفواته ، فصار أميل إلى الشراب ، مع الشرب ، لا نفرغ من [illegible] يرود رياضه ، ويرد حياضه ، إلا إلى طرب [illegible] ميدانه ، و[illegible] ... في الصبا [illegible] ، وسقاني [illegible] ، فدرت [illegible] ، و[illegible] إلى معرفة الوطن ، والخروج عن العطن ، [illegible] أرض مسّ جلدي ترابها ، وشدت عليّ تمائمها [2] وحدث أمور لا نطاق [illegible] القرار ، ولم [illegible] إلا الفرار ، [illegible] إلا أن أرى نفسي كل مرمى ، وأطرحها كل مطرح

لأبلغ عذراً أو أنال رغيبة ومبلغ نفسٍ عذرها مثل مُنجحِ [3]

ومكنت بلى [illegible] مشهور

(1) البيت من قول [illegible] وصرف فيه .

وقد كنت في [illegible] لمتى مسودة ولماء وجهي رونق

(2) البيت من قول [illegible] الأسدى

بلاد بها [illegible] على تمائمي وأول أرض مس جلدى ترابها

اللسان (نوط وأمالى القالى (١ : ٨٣)

(3) البيت كذلك من قول عروة بن الورد ، ورواه أبو تمام في الحماسة (١ : ١٨٨) :

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذراً أو يصيب رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

تلقى بكلِّ بلادٍ إن حللتَ بها   أهلاً بأهلٍ وأوطاناً بأوطانِ[1]

وإن كان يقول العامة ليس بين بلد وبلد نسب، فخير البلاد ما حملك.
فجعلت أستقرى البلادَ لأيمّمَ أوفقها لمُقام، وأعونها على مقارعة الأيام، فكانت مصرُ مما وقع عليه اختيارى، وصدقتْ حسنَ ظنى قبل اختبارى، وسرتُ قاصداً إليها أعتسف المجاهل والتنائف، وأخوضُ المهالك والمتالف، فطوراً أمتطى كلَّ حالكة الإهاب[2]، مسودّة الجلباب، ثابتةٍ كصبغة الشباب، قد فُسح ميدانُه، ووُسع براحة الريح عنانُها، تجرى جرى الطِّرْف الجموح، وتفوت مدى الطَّرْف الطموح؛ وطوراً كلَّ يَعْبوبٍ أسطل، كالهيطل[3]، مسبّط المشافر، جعد الأشعر، احتذى العقيقَ، أو الصخر المشقق، إن علا قلتَ ظليمٌ خاصب، وإن هوى قلت شهابٌ ثاقب، يصل الذَّميل بالوخد[4]، ويلتهم التهائم والنجاد. فكم جزعَ وادٍ جزعته، وحبلِ رملٍ ادّرعته، وكم برّ خرقت مخارمه وفجاجه، وبحرٍ شققت غواربه وأمواجه، وليس لى غيرَ مصر مقصد، ولا وراءها مذهب، ولا دونها للنفس متطلَّب.

وكم فى الأرض من بلدٍ ولكن   عليك لشقوتى وقع اختيارى

فلما عمرتْ ركابى من النيل، واستدبرت بطنَ المقطم، ألقيتُ عصا التسيار، واستقرّت بىَ النوى، وحطّت ظهورهن من الرحال، وأرحتُهنّ من الحِلّ والترحال، وقضيت حاجتى المنشودة، وبغيتى المقصودة، فههنا أبثّ وأقيم، فلا

(١) البيت من أبيات الحماسة (١ : ٩٨). وقبله:

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة   نزوع نفس إلى أهل وأوطان

(٢) يعنى السفينة.

(٣) إنما ضمرت أياطله من إدمان السير. والأسطل، هنا: المنضم الجلد. والهياطل: جمع هيطل، وهو الثعلب، يشبه به الفرس فى شدة العدو. وفى الأصل «عف الأياطيل كهياطيل».

(٤) المسموع فى مصدر وخد هو الوخد والوخدان.

أرج ولا أريج ، « بلدة طيبة ورب غفور » . وحيث النعت وروضة وغدير ، وخورنق وسدير ، وظل ظليل ، ونسيم عليل .

وكم تمنيت أن ألقى بها أحداً ... يُسلي من الهم أو يُعدي على النُّوَب[1]

فما وجدتُ سوى قوم إذا صدقوا ... كانت مواعيدهم كالآل في الكذب[2]

وكان لي سبب قد كنت أحسبني ... أحظى به فإذا دائي من السبب

فما مقامي أطواري سوى همي ... ولا كتائبُ أعدائي سوى كتبي[3]

ولم تطلْ مدة اللبث حتى تبينتُ بما شاهدته أنها قبيحة مبخوسة البضاعة ، منكوسة الصناعة ، مخصوصة بالإهانة والإضاعة ؛ وأنّ عيشها الرغدَ ، مقصورٌ على الوغد ، وعناءها للحر ، موقوف على الحر ، فلو قدمت فعلت ذلك الخف عنها مركبي[4] وصرفت إلى سواها وجه مطلبي ، ولكان لي في الأرض مراغم شاسع ، ومضطرب واسع ، ما تمكنت ، حتى تورطت ، حتى عوملت بما يُعامل به ذوو الجرائر والذنوب ، وخرجت من المحنة بأوفى ذَنوب . هذا مع ما حبّرته من المدح التي اشتهرت شهرة الصباح ، وهبّت هبوب الرياح ، ولهج بها الحادي والملاح[5]

فسار بها من لا يسير مشمراً ... وغنّى بها من لا يغنّي مغرداً

إلا أنّ الله جلت آلاؤه ، وتقدست أسماؤه ، تدارك برحمته فأزال تلك المحنة بالمِنحة ، ونسخ تلك النقمة بالنعمة ، وختم بالوصول إلى حضرة الملك الأجلّ أبي الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، الذي لم تزل حضرته مصَاد

(١) في الأصل : « من النوب » صوابه في ياقوت (٧ : ٨) والقفطي (٥٧) وابن أبي أصيبعة (٢ : ٦٠) . وقد اقتبس هذه الأبيات من شعر له قديم ، كما فهم من رواية ابن أبي أصيبعة .

(٢) في الأصل : « كالألف » ، صوابه في ياقوت والقفطي وابن أبي أصيبعة .

(٣) في الأصل : « كتائب أعواني » ، والصواب من مراجع تقدمت .

(٤) في الأصل : « خف » .

(٥) انظر مدائحه للأفضل في ابن أبي أصيبعة (٢ : ٥٦) .

الغُماة(1) ، ومَراد النفقة ، ومجتمع الفضائل ، ومستجمع الأفاضل ، ومشرع الجود ، ومشتر الوفود فما استمرت [illegible] ، واستظهرت باستماحه ، أعدت لي [illegible] الدهر [illegible] ، واعتمر لي [illegible] ، فكفّ دوني كفّه ، وصرف عني صرفه :

كريم رفضت الناس لما بلغته كأنهم ما جف من زاد قادم

فكنت فيما مضيت عليه ، وآلت حالي إليه ، من [illegible] الأفول ، و[illegible] الدول ، كمصل حمل أمره ، من [illegible] قدره ، و[illegible] إلى [illegible] به [illegible] وحده ، وحلى [illegible] وعده ، ثم ادخره في [illegible] وأعده ، فإن انتضاه ، يوماً ارتضاه ، وإن جرّده ، أحمده ، و[illegible] في [illegible] حزّه ولكن أبى الله أن يكون الفضل بلا [illegible] في [illegible] في [illegible] ، وورث في حجره ، وغذي بدرّه .

لم أستمع [illegible] لم يكن [illegible] عدى [illegible] حساب
[illegible] كل إمام يخف احتماله وإن هُطلت منه علي رباب(2)
ولكن أخا لصنم ما جل ربه ولم يأت باب دونه وحجاب
و[illegible] أن أذل عواذلي على أن أني في هواك صواب(3)
وأعيا قوم [illegible] فشرزوا وغرّبت أني قد ظفرت وخابوا

والأولى أن أضرب [illegible] ، وأترك [illegible] ، وآخذ فيما [illegible] به وقصدته ، ونحوته واعتمدته ، مما آثرت به الحضرة [illegible](4) [illegible] الله

(1) [illegible] موضع [illegible] جع [illegible] ، وهو [illegible]
(2) [illegible] مع [illegible] ولامه على « صوابه » [illegible] (٧ [illegible] ٥٩) ، و[illegible] « سحابه »
(3) [illegible] المتنبي في ديوانه (١ : ١٢٢) [illegible]
(4) في الأصل « [illegible] »

سموّها — من وصف ما عاينته من أرض مصر وعاينته، والاقتصار على الذى رأيته دون ما رويته، فليس من يقول: علمتُ هذا من طريق العلم والسماع، لكن يقول: تحققته بالمشاهدة والاطلاع؛ فإنّ ذا اللب الأمين لا ينخدع بمحال، ولا يرضى بانتحال.

* * *

وأنا أبتدئ بذكر هذه البلاد وموقعها فى المعمورة ومجرى النيل منها، وغايته فيها، وأُتبع ذلك بما يعن من ذكر أحوال أهلها فى أخلاقهم، وسيرهم وعاداتهم، وما يتصل بذلك ويتعلّق به، ويجىء بسببه، ويدخل فى تضاعيفه. وها أنذا آخذ فى ذلك، وبالله أستعين، وعليه التوكل.

* * *

[١] أرض مصر بأسرها واقعة من المعمورة فى قسمى الإقليم الثانى والإقليم الثالث، ومعظمها فى الثالث.

وحكى المعتنون بأخبارها وتواريخها أن حدها فى الطول [٢] من مدينة برقة التى فى جنوب البحر الرومى، إلى أيلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين. ومسافة ذلك قريب من أربعين يوما.

قالوا: وحدها فى العرض من مدينة أسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى المتاخم لأرض النوبة، إلى رشيد [٣] وما حاذاها من مساقط النيل فى البحر الرومى، ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوما. ويكتنفها من مبدئها فى العرض إلى منتهاها جبلان، أحدهما فى الضفة الشرقية من النيل، وهو المقطم، والآخر فى الضفة الغربية منه، والنيل منسرب فيما بينهما. وهما [٤] أجردان غير شامخين، يتقاربان

(١) الكلام من هنا إلى كلمة «الاستقامة» نقله المقريزى فى (١ : ١٥ — ١٦).
(٢) هذا تسجيل تاريخى بدائى لما كانت عليه حدود مصر فى عصره
(٣) فى الأصل: «لأرض الشام ورشيد» صوابه من الخطط
(٤) التكملة من الخطط

حداً في وصفيهما، من لدن مدينة أسوان إلى أن ينتهي إلى الفسطاط، ثمّ تتسع مسافةُ ما بينهما وتنفرج قليلا، ويأخذ المقطم منهما مشرقاً والآخر مغرباً على وراب في أخذيهما[١] وتفريج[٢] في مسلكيهما، فتتسع أرض مصر من الفسطاط إلى ساحل البحر الرومي الذي عليه الفرما[٣] وتنيس ودمياط ورشيد والإسكندرية، فهنالك تنقطع في عرضها الذي هو مسافة [ما بين] أوغلها في الجنوب و[أوغلها[٤]] في الغرب والشمال. وإذا ما مُسحت ما طريق البرهانية في طريق هذه المسافة [من الأميال] لم تتسع ثلاثين ميلا[٥]، بل تنقص عنه نقصاً ماله قدر، وذلك لأن فصل ما بين عرض أسوان التي هي أوغلها في الجنوب وعرض مدينة تنيس التي هي أوغلها في الشمال، سبعة أجزاء، ونحو سدس جزء من الأجزاء التي بها تحيط الدائرة العظمى، وهي [٦] ثلثمائة وستون جزءاً. وليس بين طوليهما فصل يقع بسببه في هذا الحساب ماله قدر يعتدّ به. وإذا ضعف هذا العدد بما يخص الدرجة الواحدة من محاذاة ذلك من الأميال، وذلك ستة وخمسون ميلا وثلثا ميل على ما دل عليه البرهان، كان ذلك[٧] نحو خمسمائة وعشرين ميلا بالتقريب، وذلك مسافة سير عشرين يوماً أو قريب من ذلك[٨]. وفي هذه المدة من الزمان يقطع السُّفّار أبداً ما بين هذين البلدين بالسير المعتدل في أكثر من ذلك قليلا، لما في الطريق من التعريج وعدم الاستقامة[٩].

(١) في الخطط: «مأخذيهما».
(٢) في الأصل: «وتعرج» صوابه في الخطط.
(٣) في الأصل: «الفرماء» وتصحيحه من الخطط.
(٤) هذه تكملة وما قبلها من الخطط.
(٥) في الأصل: «يوماً» ووجهه ما أثبت من الخطط.
(٦) بياض في الأصل.
(٧) في الأصل: «من ذلك».
(٨) نقل عنه في النجوم الزاهرة (١ : ٣٦) أنها ثلاثون يوماً.
(٩) من هنا ينتهي نقل المقريزي.

وليس تشتمل أرضُ مصر بعد الفسطاط الذى هو مقرُّ الملك وكرسيُّ الدولة، على مدائن لها قدرٌ فى كثرتها ولا فخامتها، لكن أجلُّ مدائنها وأخرها أما فى الجهة الشمالية من الفسطاط فالإسكندرية وتنيس ودمياط، وأما فى الجهة الجنوبية إلى أقصى الصعيد فقوص وقفط. فهذه صفة أرض مصر على الجملة.

* * *

[1] وأما النيل فينبوعه من وراء خط الاستواء، من جبل هناك يعرف بجبل القمر، فإنه يبتدئ بالزيادة فى شهر أبيب[2]، الذى هو تموز بالرومية[3]. والمصريون يقولون: «إذا دخل أبيب، كان للماء دبيب». وعند ابتدائه فى التزيد[4] تتغير جميع كيفياته وتفسد، والسبب الموجب لذلك مروره بمنقائع مياه آجنة[5] يخالطها فيحيلها، ويستخرجها معه ويستصحبها، إلى غير ذلك مما يحتمل[6]. فتصير مثل الحال التى وصفها بها الأمير تميم بن المعز لدين الله:

أما ترى الرعدَ بكى واشتكى ... والبرقَ قد أومض فاستضحكا[7]

فاشربْ على غيم كصِبْغ الدُّجى ... أضحكَ وجهَ الأرضِ لما بكى[8]

[وقد حكى العود أنين الهوى ... لكنه جوَّد فيما حكى][9]

---

(١) من هنا يبتدئ [illegible] المقريزى فى (١ [illegible] ٥٩)

(٢) فى المخطوط: «فى [illegible]» [illegible]

(٣) [illegible] «أبيب» [illegible] فى المخطوط وفى الأصل [illegible]

(٤) فى المخطوط «التزايد»

(٥) فى الأصل: «[illegible] آجنة»، والصواب فى المخطوط

(٦) الكلام والشعر بعد هذا [illegible] المقريزى

(٧) فى الأصل: «[illegible] قد اشتكى»، ولا يستقيم به الوزن، [illegible] من السريع [illegible] فى [illegible] (١٢) من مصورة دار الكتب [illegible] برقم (٢٥ ١٦ [illegible]) [illegible] (١ : ٣٤٩) الطبعة الأولى

(٨) فى الأصل: «[illegible] كصبح [illegible]»، وأثبتنا ما فى الديوان و[illegible]

(٩) [illegible]

وانظر لماء النيل في مده ... كأنه صندل أو مسكا

أو كما قال غيره من أهل العصر، من قصيدة يصف فيها أرض مصر

ولله مجرى النيل منها إذا الصبا ... أرتنا به في مرّها عسكراً مجرا[1]

فسطاط يهزّ السمهرية ذبّلا ... وموج يهزّ البيض هندية بترا

٥ إذا مدّ حاكى الورد غضاً وإن صفا ... حكى ماءه لونا ولم يعده نشرا[2]

وهذا نظير ما أنشدنيه عبد الله بن سريّة لنفسه:

أقبل النهر صباحاً ... بعد شوقى حمدانه

كانَ مثل الورد غضّاً ... ثم قد صـار كآنه

ولأبى بكر الصنوبرى[3] في مثل هذا المعنى:

١٠ ولقد طربتُ إلى الفرا ... تِ بكلّ ذى كرم ومجد

والشمسُ عند غروبها ... صفراء مذهبةُ الفِرِندِ

والماء حاشيتاه خضـ ... ـراوانِ من آسٍ ورَنْد[4]

نحوه أيدى الريح إن ... هبّت على قربٍ وبُعدِ

بطرائفٍ من فضة ... وطرائفٍ من لازورد

١٥ والسفن كالطير انبرت ... في الجوّ من مَثْنى وفرد

حتى إذا حرز الفرا ... تُ مضى وأعقبه بمدّ[5]

---

(١) نقل المحسى «مجر» فعدله وصححه.

(٢) حكى ماء، أى أشبه الورد في لونه. وفي الأصل «حكى ...» ...

(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار، المعروف بالصنوبرى الحلبى. قال السمعانى في الأنساب (٣٥٥) نسبة إلى صنوبر. وانظر تعليلا آخر في مختصر تاريخ دمشق (١ : ٤٥٦). ووفاته سنة ٣٣٤ هـ. كما في شذرات الذهب. وانظر فوات الوفيات (١ : ٧٧).

(٤) الرند شجر من شجر البادية طيب الرائحة، ويقال للآس «رند». وفي الأصل «وورد» ولا وجه له.

(٥) في الأصل: «ورد» ووجهه ما أثبت.

أبصرته وكأنه | ملقى عليه رداء ورد
متململاً كالصبّ أو | دنِفٍ من حبّه مسهّد
وكأنما بحشاه ما | يُخشى من قلقٍ ووجد

وقال تميم بن المعز، وأحسن التشبيه[1]:

يوم لنا بالنيل مختصرٌ | وبكلّ يوم مسرّةٍ قِصَرُ
والسفن تصعد كالخيول بنا | فيه وجيشُ الماء ينحدرُ
فكأنّما أمواجه عُكَنٌ | وكأنّما داراته سُرَرُ

وقال محمد بن الحسن:

النهر مكسوٌّ من الأزهار | بردًا منمّقًا مثل ثوب . .
. . . . . . | يجري تمسّك منه ذوب نضار[2]
وإذا استقام رأيت صفحة منصُلٍ | وإذا استدار رأيت عطف سوار

وقال أبو الحسن محمد بن الوزير، في تدريج زيادة الماء إصبعًا إصبعًا، ومنفعة ذلك التدريج:

أرى أبدًا كثيرًا من قليلٍ | وبدرًا في الحقيقة من هلالِ
فلا تعجبْ فكلُّ خليجِ ماءٍ | بمصرَ مسبّبٌ لخليج مالِ
زيادة إصبعٍ في كلّ يوم | زيادةُ أذرعٍ في حسن حالِ

فإذا كان في الخامس عشر ذراعًا، وزاد من السادس عشر إصبعًا واحدة كُسِر الخليج[3].

ولكسره يوم معدود، ومقام مشهود، ومجتمع عام، يحضره العام والخاص. وإذا كُسِر فتحت الترع — وهي فوّهات الخلجان — فعمّ الماء

---

(١) الأبيات التالية لم أجدها في ديوان تميم.
(٢) في الأصل: «يجري لسك ذوب نضار».
(٣) في الأصل: «فتحت سد عنه»، وأثبت ما عند المقريزي في (١ : ٥٩).

وصاح، وعم الغيطانَ والبطاح[1]، وانضمّ الناس إلى أعلى مساكنهم من الضِّياع
والمنازل، وهي على آكام وربى لا يتخطى إليها الماء، ولا يتسلط السيل عليها،
فتعود عند ذلك أرض مصر بأسرها بحراً غامراً لما بين جبليها المكتنفين لها.
وتثبت على هذه الحال ريثما يبلغ الحدّ المحدود، في مشيئة الرب المعبود. وأكثر
ذلك يكون حول ثمانية عشرَ ذراعاً، ثم يأخذ عائداً في منصبه، إلى مجرى النيل
[ومسربه، فينضب أولاً فأولاً ما كان[2]] من الأرض مشرفاً عالياً، ويصير فيما
كان منه متطامناً[3]، فيترك كلَّ قرارة كالدرهم، ويغادر كلَّ بقعة كالبرد
المسهّم. وفي هذا الوقت من السنة تكون أرض مصر أحسن شيء منظراً،
ولاسيما متنزهاتها المشهورة، ودياراتها المطروقة، كالجزيرة، وبركة الحبش[4]
وما جرى مجراهن من المواضع التي يطرقها أهل الخلاعة، ويتنازعها ذوو الأدب والطرب.

واتفق أن خرجت في مثل هذا الزمان إلى بركة الحبش، وقد فرشت من زهرها
أحسن بسط، واستظللت من دوحها فوق رواق، وضمت عليها من جامات
الأقداح شموس في حلل البدور، ونجوم[5] بالصفاء تنور، إلى أن جرى ذهب
الأصيل على لجين الماء، وشبت نار الشفق بفحمة الظلماء، فقال في ذلك بعضهم[6]:

(١) في ... «وعم الغيطان والبطاح».
(٢) مكان هذه التكملة التي أثبتناها من الخطط بياض في الأصل.
(٣) بدل هذه الجملة في الأصل «... منحط ... لسعتها» وإكماله وصوابه من الخطط.
(٤) كانت في ظاهر مدينة الفسطاط [illegible] وسميت بركة الحبش
نسبة إلى قتادة بن قيس [illegible] شهد فتح مصر [illegible]
البركة تعرف [illegible]
[illegible] قرية البساتين. انظر
الخطط (٢: ١٥٢) والنجوم الزاهرة (٥: ١٤).
(٥) في الأصل «وجوم».
(٦) يعني نفسه. وجاء في الخطط (٢: ١٥٥): «وقال ابن سعيد في كتاب المغرب:
«وخرجت منه حيث بركة الحبش التي يقول فيها أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي عفا
الله عنه» وأنشد الأبيات نفسها. وجاء في (٢: ١٦٠): «بئر أبي سلامة وتعرف
ببئر النعش، وهي من قبلي الجوبة، وموضعها أحسن موضع في البركة، وهي التي عنى أبو الصلت
أمية بن عبد العزيز بقوله» وأنشد الأبيات، ورواها ياقوت في ترجمة أمية منسوبة إليه.

لله يومى بمركة الحبش والأفق بين الصحو والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب كصارم فى يمين مرتعش
قد نسجتها يد الغمام لنا فنحن من نسجها على فرش
ونحن فى روضة مفوّفة دبّج بالنور عطفها ووشى[1]
فعاطنى الراحَ ، إنّ تاركها من سورة الهم غير منتعش
وسقّنى بالكبار مترعة فهنّ أروى لشدة العطش[2]
وأثقلُ الناس كلهم رجلٌ دعاه داعى الصبا فلم يطش[3]

وقال أيضاً :

علّلْ فؤادك باللذات والطرب وباكر الراح بالمعشوق والنخب
أما ترى البركة الغنّاء لابسة وشياً من النور حاكته يد السُّحُب
وأصبحت من جديد النبت فى حلل قد أبرزت عطفها منها لمحتجب
من سوسن شرق بالطلّ محجره وأقحوان شهىّ الظَّلْم والشنب
وانظر إلى الورد يحكى خدّ محتشم من رجس لحظ بمدى لحظ مرتقب
والياسمين وقد أربى على درر والراح من دُرَر تطفو على ذهب
كم مرّة قد شمينا فيه غلّتنا بجاحم من فم الإبريق ملتهب[4]
شمسٌ من الراح حيّانا بها قمر موفٍ على غصن يهتز فى كثُب
أرخى ذوائبه ، واهتزّ منعطفاً كصعدة الرمح ، فى مسودّة القضب
فاطربْ ودونكها فاشربْ فقد عملت على التصابى دواعى اللهو والطرب

ومما يتعلق بوصف النيل من أبيات له كتبها إلى الأفضل ليلة المهرجان :

---

(١) فى الأصل : « دبج بالنصر » ، صوابه من الخطط ومعجم الأدباء .
(٢) فى الأصل : « لعل أروى » . وفى معجم الأدباء : « فهى أشفى » .
(٣) فى الأصل : « يدعوه داعى الصبا » وأثبت ما فى الخطط ومعجم الأدباء .
(٤) فى الأصل : « علتنا » بالمهملة

أبدعتَ للناس منظراً عجبًا — لا زالت تُحيي السرورَ والطربا
ألفت بين الضدّين مقتدراً — فمن رأى الماء خالطَ اللهبا
كأنما البركة والشموعُ به — أفق سماء تألّقت شهبا
قد كان من فضةٍ فصار سما — وتحسبُ البدر فوقه ذهبا

وقد تداول الشعراء [illegible] شمع على [illegible] فيما قيل في ذلك قول بعض أهل العصر، وهو أبو الحسن علي بن أبي البشر الكاتب:

شربنا مع غروب الشمس شمساً — مشعشعة إلى وقت الطلوع
وضوء الشمع فوق [illegible] — [illegible] الأسنة في الدروع

وأنشد أبو منصور الثعالبي (في يتيمة الدهر) لمنصور بن كيغلغ[1]:

[illegible] يديرها في كفه — فحسبتُ بدر التمّ يحمل كوكبا
والبدر يجنح للأفول كأنه — قد سلّ فوق الشطّ سيفاً مذهبا[2]

وأنشد فيه[3] للقاضي أبي القاسم علي بن إبراهيم بن أبي الفهم التنوخي:

أحسِنْ بمجلسه والراح مشروبٌ — والبدر في أفق السماء مغرّبُ
فكأنه فيه بساط أزرق — وكأنه فيها طراز مذهب[4]

وقال ابن وكيع التِّنِّيسي:

غـدير يدرّج أمواجـه — هبوبُ الشمال وقت العشيـا
إذا الشمسُ من فوقه أشرقتْ — توهّمته جوشـناً مذهبـا

---

(١) في اليتيمة أول بيتي منصور (ص ٦٥) [illegible]
[illegible]
[illegible]
(٢) في الأصل: «فوق الخط» وفي اليتيمة «فوق الماء» [illegible] شعر ابن [illegible]
(٣) أي في هذا المعنى، أو في كتابه يتيمة الدهر [illegible] (١ : ٦٥).
(٤) في الأصل «وكأنه [illegible]» والوجه ما أثبت من اليتيمة.

وقال بعض أهل العصر من قصيدة:

ناطق نهر كأن الـ ... وهو الحين به ذوبا(1)

إذا حشته الصبا رأيته ... كأنه زرداً مذهبا

وقال أبو عبادة البحتري يصف بركة:

إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا ... مثل الجواشن مصقولاً حواشيها(2)

إذا النجوم تراءت في جوانبها ... ليلاً حسبت سماءً رُكّبت فيها

وقد أحسن عبد الله بن المعتز في قوله:

وبدا لهن ... ... غدر ملاء صافي الجمام غرى(3)

فإذا قابلته ذرة شمس ... خلته كثرت عليه الحلى(4)

وقال ابن السمّار الواسطي يصف ضوء القمر على دجلة:

قمْ فانتصف من صروف الدهر والنوبِ ... واجمعْ بكأسك شملَ اللهو والطربِ

أما ترى الليل قد ولّتْ عساكره ... مهزومةً وجيوشَ اللهو في الطلب

والبدرُ في الأفق الغربيّ تحسبه ... قد مدّ جسراً على الشطّين من ذهب

وقال محمد بن عبد الله السُّلَمي:

ونهرٍ تمرح الأمواجُ فيه ... مراحَ الخيل في رهج الغبار

إذا اصفرّت عليه الشمس خِلْنا ... لجين الماء يُمزج بالعقار

* * *

وأمّا سكان أرضِ مصرَ فأخلاطٌ من الناس مختلفةُ الأصناف(5): من قِبط وروم وعَرب وبربر وأكراد وديلم وحُبشان وأرمن(6)، وغيرِ ذلك من

(١) كذا ورد البيتان على ما بهما من تحريف.
(٢) البيتان من قصيدة له يمدح فيها المتوكل ويصف بركته. الديوان ٣١٩
(٣) الغرى: البارد، يقال غرى الغدير: برد ماؤه.
(٤) في ديوان ابن المعتز ٦١: «فإذا ضاحكته»
(٥) في الخطط (١ : ٤٨): «مختلفو الأصناف»
(٦) هذه الكلمة ليست في الخطط.

الأصناف والأجناس على حسب اختلافاتهم، وقالوا: إن السبب فى اختلاطهم، والموجب لاختلاطهم، اختلاط المالكين لها، والمتغلبين عليها، من العمالقة واليونانيين والروم والعرب وغيرهم، فلهذا اختلطت أنسابهم فاقتصروا من التعرف بأنفسهم على الانتساب إلى مواضعهم[١]، والانتماء إلى مساقطهم ومواقعهم.

وحكى جماعة من المؤرخين أنهم كانوا فى الزمن السالف عُبّادَ أصنام، ومدبرى هياكل، إلى أن ظهر دين النصرانية وغلب على أرض مصر فتنصروا، وبقوا على ذلك إلى أن فتحها المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فأسلم بعضهم وبقى بعض على دين النصرانية، ومذهبهم مذهب اليعاقبة.

وأما أخلاقهم فالغالب عليهم اتّباع الشهوات، والانهماكُ فى اللذات، والاشتغال بالترّهات، والتصديقُ بالمحالات، وضعفُ المرائر والعزَمات، إلى غير ذلك مما حكاه أبو الحسين على بن رضوان فى ذلك واقتصّه، وأورده من الأمور الطبيعية وموجبه[٢]، وكفى به حكمًا منصفًا، وشاهدًا عدلًا.

وحكى الوصيفى فى كتابه الذى ألّفه فى أخبار مصر أن أهلها فى الزمن السابق كانوا يعتقدون أن هذا العالم، الذى هو عالَمُ الكون والفساد، أقام برهةً من الدهر خاليًا من نوع الإنسان، عامرًا بأنواع أُخَر غير الإنسان، وأن تلك الأنواعَ مختلفة على خِلَق فاذة[٣]، وهيئات شاذّة، ثم حدث نوعُ الإنسان فنازعَ تلك الأنواعَ فغلبها واستولى عليها، وأفنى أكثرَها قتلًا، وشرّد ما بقى منها إلى القفار، وأن تلك المشرّدة هى الغيلان والسعالى وغير ذلك، مما حكاه من اعتقاداتهم المستحيلة، وتصوّراتهم الفاسدة، وتوهُّماتهم النافرة. إلا أنّه يظهر من

---

(١) فى المخطوط «على الإشارة إلى مواضعهم»
(٢) كذا وردت هذه الكلمة.
(٣) الفاذة: المنفردة. وفى الحديث: «هذه الآية الفاذة»، أى المنفردة فى معناها.

أمرهم أنه كان فيهم طائفة من ذوي المعرفة والعلوم ، خصوصاً بعلم الهندسة والنجوم[1] . ويدلُّ على ذلك ما خلفوه من الأشكال[2] البديعة المعجزة ، كالأهرام والبَرابي ، فإنها من الآثار التي حيَّرت الأذهان[3] [الثاقبة ، واستعجزت الأفكار الراجحة] ، وتركت لها شغلاً بالتعجُّب منها ، والتفكُّر فيها . وفي مثلها يقول أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري في قصيدته التي يرثي بها أباه[4] :

تضلُّ العقولُ الهِبْرِزيّاتُ رُشدَها ... ولا يسلمُ الرأيُ القويمُ من الأفْنِ

وقد كان أربابُ الفصاحة كلّما ... رأوْا حسَناً عدُّوه من صَنعة الجنّ

وأيُّ شيء أعجبُ وأغربُ بعد مقدورات الله ومصنوعاته ، من القدرة على بناء جسم جسيم[5] ، من أعظم الحجارة ، مربع القاعدة مخروط الشكل ، ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع وسبعة عشر ذراعاً[6] يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساويات الأضلاع ، طول كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعاً[7] وهو مع هذا العظم[8] ، من إحكام الصنعة وإتقانها[9] ، في غاية من حسن التقدير بحيث لم يتأثر[10] إلى هلم جرا[11] بعصف الرياح وهطل السحاب ،

---

(١) في الخطط (١ : ١١٨) : « وخصوصاً علم الهندسة والنجوم »

(٢) في الخطط : « من الصنائع » .

(٣) في الأصل : « الآثار الممتدة من الأذهان » صوابه من الخطط

(٤) في سقط الزند (١ : ١٩٦) شرح التنوير

(٥) هذه من الخطط .

(٦) في الخطط : « سبعة عشر ذراعا » والذراع يذكر ويؤنث

(٧) في النجوم الزاهرة (١ : ٩٨) نقلا عن أبي الصلت : « وستون ذراعاً »

(٨) في الأصل : « مع هذا الطول منه » وكتب إزاءه : « في العظم » بدلا من « الطول منه » وأثبت ما في الخطط .

(٩) مثله في الخطط : « وإتقان الهندام » .

(١٠) في الأصل : « وهو لا يتأثر » ، وأثبت ما في الخطط .

(١١) كذا ورد في الأصل والخطط . ولعلها : « إلى اليوم وهلمَّ جرا »

ومقارعة الزلازل . وهذه صفة كلّ واحد من الهرمين المحاذيين للفسطاط من الجانب الغربى ، على ما شاهدناه منهما[١]

وقال بعضهم وقد ذكر عجائب مصر : « وما على وجه الأرض بنيّة إلا وأنا أرثى لها من الليل والنهار ، إلا الهرمين فإنى أرثى لليل والنهار منهما » . وهذان الهرمان[٢] فى إشراف على أرض مصر وإطلال على بطائحها ، وبصعد على ذراهما ، وهما اللذان أراد أبو الطيب المتنبى بقوله :

أين الذى الهرمان من بنيانه ... ما قومه ، ما يومه ، ما المصرع[٣]

كم [illegible] ... [illegible] وكلّ دار تقلع[٤]

تتخلّف الآثار عن أصحابها ... حيناً ويدركها الفناء فتتبع[٥]

واتفق أن خرجنا يوماً إليهما ، فلما أطفنا بهما واستدرنا حولهما كثر تعجبنا منهما ، فتفاوضنا القول فيهما ، فقال بعضنا[٦]

بعيشك هل أبصرت أعجب منظر ... على طول ما أبصرت من هرمى مصر[٧]

أنافا بأعنان السماء وأشرفا ... على الجوّ إشراف السماك أو النسر[٨]

---

(١) فى الأصل : « منها » ، والصواب « منهما » .

(٢) فى الأصل : « أرثى الليل والنهار منها على وهذان الهرمان من أعظمها » . وأثبت الصواب من [illegible] .

(٣) من قصيدة له فى ديوانه (١ : ١٠٠ شرح العكبرى) ، يرثى بها أبا شجاع فاتكا .

(٤) هذا البيت لم يورده [illegible] ، وهو هنا فى غير موضعه الصحيح ، وموضعه فى الديوان بعد بيت يتلو الثالث هنا ، لأن ضمير « ديارهم » عائد على أبى شجاع فى البيت المشار إليه ، وهو :

لم يرض قلب أبى شجاع مبلغ ... قبل الممات ولم يسعه موضع

(٥) فى [illegible] : « عن سكانها » ، وفى الديوان : « عن أصحابها » .

(٦) فى مباهج الفكر ١٣٦ أن الذى قال الشعر هو أبو الصلت نفسه .

(٧) بعد هذا فى الأصل بياض قدر صفحتين ، وقد وصلت بقية هذا الفراغ مما نقله المقريزى فى الخطط (١ : ١١٨ — ١١٩) ، ووضعت هذا القسم بين معقوفين لتكملة : [ ] .

(٨) فى مباهج الفكر : « أنافا بأكناف السماء » .

وقد وافقا شرفاً من الأرض عالياً ‏ ‏ كأنهما نهدان قاما على صدر(١)

وزعم قوم أن الأهرام قبور ملوك عظام، آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم، كما تميزوا عليهم في حياتهم، وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور.

ولما وصل الخليفة المأمون إلى مصر أمر بنقبها، فنقب أحد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد، وعناء طويل، فوجدوا داخله مهاوي ومراقي يهول أمرها، ويعسر السلوك فيها، ووجدوا في أعلاها بيتاً مكعباً، طول كل من أضلاعه نحو من ثمانية أذرع، وفي وسطه حوض حجر مطبق، فلما كشف غطاؤه، لم يوجد فيه غير رمة بالية، قد أتت عليها العصور الخالية، فعند ذلك أمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه. ويقال إن النفقة على نقبه كانت عظيمة، والمؤونة شديدة.

ومن الناس من زعم أن هرمس الأول، المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة، وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام — وهو إدريس عليه السلام — استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان يعم الأرض، فأكثر من بنيان الأهرام، وإيداعها الأموال وصحائف العلوم، وما يشفق عليه من الذهاب والدثور، حفظاً لها، واحتياطاً عليها. ويقال: إن الذي بناها ملك اسمه سوريد ابن سهلوق بن سرياق. وقال آخرون: إن الذي بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط شداد بن عاد، لرؤيا رآها. والقبط تنكر دخول العمالقة بلد مصر، وتحقق أن

---

(١) بعده في هذه القصيدة. وصنع أبو منصور ظافر الحداد:

تأمل بنية الهرمين وانظر ‏ ‏ وبينهما أبو الهول العجيب

كعماريتين على رحيل ‏ ‏ بمحبوبين بينهما رقيب

وفيض البحر بينهما دموع ‏ ‏ وصوت الريح بينهما نحيب

وظاهر سجن يوسف مثل صب ‏ ‏ تخلف فهو محزون كئيب

بانيهما سوريد[1]، لرؤيا رآها، وهي أن آفة تنزل من السماء، وهي الطوفان.
وقالوا إنه بناهما في مدة ستة أشهر، وغشاهما بالديباج الملون، وكتب عليهما:

«قد بنيناهما في ستة أشهر، فقل لمن يأتي من بعدنا يهدمهما في ستمائة سنة،
فالهدم أيسر من البنيان، وكسوناهما الديباج الملون فليكسهما حصرا، فالحصر
أهون من الديباج»

ورأينا سطوح كل واحد من هذين الهرمين مخطوطة من أعلاه إلى أسفلها
سطورا متضايقة متوازية، من كتابة قديمة، لا تعرف رسوم أحرفها، ولا تفهم
معانيها. وبالجملة الأمر فيهما عجيب، حتى إن عبارة الواصف لهما والإغراق في عبارة
عن حقيقة الموصوف منهما، بخلاف ما وقع عليه[2] من القياس النوعي، وإن
تباعد الموصوفان، وتباين المقصودان، إذ يقول:

إذا ما وصفت امرأً لامرئ ... فلا تغل في وصفه واقصد
فإنك إن تغل تغل الظنو ... ن فيه إلى الأمد الأبعد
فيصغر من حيث عظمته ... لفضل المغيب على المشهد

وكذلك أمر البرابي، كبربا إخميم، وبربا سمنود[3]، وبربا دندرا[4]، فإن
فيها من الإحكام وجودة الشكل وحسن التصوير، ما يدل على أن عمارها

---

(١) في معجم ياقوت: «سوريد» [illegible].

(٢) إلى هنا ينتهي السقط الذي نبهنا عليه في الحاشية ٧ من صفحة ٢٦.

(٣) في الأصل «سمنود» [illegible] وفي ياقوت:
«كورة السمنودية، كان فيها [illegible]، وكانت إحدى عجائب [illegible]. قال القضاعي: ذكر عن أبي عمرو
الكندي أنه قال: رأيته وقد خرب [illegible] وبعض ما فيه قائما، [illegible] وأراد
أن يدخله سقط كل ذهب في [illegible]، ولم يدخل منه شيء إلى [illegible] ثم خرب بعد
الخمسين وثلثمائة».

(٤) في الأصل «دندرا» وياقوت «دندرة» أو «دندرا» أو «أندرا» كما في
معجم البلدان. وفي بربا دندرة يقول المقريزي: «وهو بربا عجيب، فيه مائة وثمانون كوة
تدخل الشمس كل يوم من كوة منها، ثم [illegible] حتى تنتهي إلى آخرها، ثم تكر راجعة إلى
موضع مبتدأها». وأنشد ياقوت في معجم البلدان:

إن قاضي دندرا ... [illegible] يشتهي [illegible]

ذوو عقول راجحة، وأنّه قد كانت لهم بالحكمة عناية بالغة، لا سيما بصناعتي الهندسة والنجوم.

وقال بعضُ أهلِ العناية بأخبار الأمم وتواريخهم: كان بمصرَ بعد الطّوفان علماء بضروب الحكمة، من العلوم الرصدية والطبيعية والإلهيّة، ومتحقّقون بعلم الخواص المحرقة، والطلّسمات والإكسير والسحر وغير ذلك.

والمُلْك بمصر في قديم الزمان بمدينة منف، وهي في غربي النيل، على مسيرة اثني عشر ميلاً من الفسطاط. ولما بنى الإسكندر مدينة (الإسكندرية) منذ نحو ألف سنة وثلاثمائة سنة وأربعين سنة، رغِبَ الناسُ في عمارتها[1]، وكانت دار العلم، ومقرّ الحكمة، إلى أن تغلّب عليها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب، رضوان الله عليه، واختطّ عمرو بن العاص مدينته المعروفة (بالفسطاط) فانتقل أهل مصر ومن بها من العرب والعجم إلى سكناها، فصارت قاعدة ديار مصر ومركزَها إلى وقتنا هذا.

فيقال إنّ من قدماء أهل العلم بها هرمس الثالث[2]، وكان فيلسوفاً جوّالاً في البلاد، طاف في المدائن، عالماً بنصبتها[3]، وطوالعها وطبائع أهلها، وله تصانيف جليلة مفيدة في فنون من الحكمة.

ومنهم ديوفنطس[4] صاحب مقالات الموضوعة في علم العدد وخواصه على طرق الجبر والمقابلة.

---

(١) في الأصل: «ورغب في عمارتها» صوابه من المقريزي (١: ١٣٥).

(٢) في الأصل: «هرمس الثاني» والصواب ما أثبت من عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة (١: ١٧) حيث ذكر أن الهرامسة ثلاثة، وقال في هرمس هذا: «وأما هرمس الثالث فإنه سكن مدينة مصر، وكان بعد الطوفان». وأما هرمس الثاني فهو كلداني من أهل بابل، وهرمس الأول مصري كان قبل الطوفان، وهو عند العرب إدريس عليه السلام.

(٣) في الأصل: «بنصبها»، وفي عيون الأنباء: «عالماً بنصبة المدائن وطبائعها».

(٤) ذكره ابن أبي أصيبعة في (١: ٢٤٥) في أثناء ترجمة «قسطا بن لوقا»، قال: «كتاب في ترجمة ديوفنطس في الجبر والمقابلة». وذكره أيضاً عرضاً في ترجمة ابن الهيثم (٢: ٩٨).

ومنهم الإسكندراني[1] صنف كتاب الأفلاك، وكتاب القانون في تقويم الكواكب.

ومنهم روسم[2] صاحب التصانيف في الكيميا.

ومنهم أنقلاؤس الإسكندري[3] وأصحابه، الذين اختصروا كتب جالينوس في صناعة الطب، وألفوها على طريق المسألة والجواب، يدلُّ حسن اختصارهم لها على وفور علمهم، وفضل معرفتهم.

ومنهم واليس[4] صاحب الكتاب المعروف بالبزيدج الرومي، المصنف في المواليد وما يتقدمها من المدخل إلى علم أحكام النجوم. ويقال إنه الذي استخرج بطون النحري[5] ومواصلة القناة، جدودَ المصريين.

فهؤلاء هم المشهورون من أهل الحكمة بمصر في ذلك الزمان. وأما زماننا هذا فقد دثر منها كلُّ علم وانمحى رسمه، وجُهل إسمه، ولم يبق إلّا رَعاع وغُثاء، وجَهلة دهماء، وعامّة عمياء، وجُلُّهم أهلُ زعارة[6] ولهم خبرةٌ بالكيد والمكر، وفيهم

---

(١) لعله «أصطفن الإسكندري» [illegible] في أخبار الحكماء [illegible] «كان عالماً بالرياضة [illegible] سمع هو [illegible] على الرصد بمدينة الإسكندرية من تدبير [illegible] ورصد وأثبت [illegible] وله [illegible] في زمن بطليموس [illegible] الرصد بالإسكندرية [illegible] في زمنهما [illegible] وجدي [illegible]».

(٢) ذكره القفطي في ص ١٢٧، فقال: «روسم نصري [illegible] هذا الرجل كان بمصر قبل الإسلام، وهو من علوم [illegible] الكيمياء وأصولها [illegible] وأحكام أمر تركيبها ... وله في ذلك كتب جليلة مشهورة عند علماء هذا [illegible] الصانعين في صناعتها والعاملين بها».

(٣) ترجم له القفطي في (٥١ – ٥٢) وابن أبي أصيبعة في (١ : ١٠٣ [illegible]).

(٤) ذكره القفطي في (١٧٢) قال: «واليس المصري، ورد [illegible] الرومي، كان حكيماً [illegible] في زمن [illegible] أول علوم الرياضة وأحكام النجوم. وله في ذلك المؤلفات الجليلة الشاملة من [illegible] على المقاصد الجليلة. وهو مؤلف الكتاب المشهور بين أهل هذه الصناعة، المسمى بالبزيدج الرومي».

(٥) في الأصل: «النحرية».

(٦) المعروف في هذا المصدر [illegible] الزعارة.

بالفطرة قوة عليه وتلطف فيه وهداية إليه ، بل في أخلاقهم من الملق والسياسة[١] التي أربوا فيها على كل من تقدم وتأخر ، وخصوا بالإفراط فيها دون جميع الأمم ، حتى صار أمرهم في ذلك مشهوراً ، والمثل بهم مضروباً .

وفي خبثهم ومكرهم يقول أبو نواس[٢] :

محضتكمُ يا أهل مصرَ نصيحتي ... ألا فخذوا من ناصحٍ بنصيب[٣]
رماكم أميرُ المؤمنين بحيةٍ ... أكولٍ لحيات البلاد شَروب
[ولا تثبوا وثب السفاه فتركبوا ... على حدِّ] حامي الظهر غير ركوب[٤]
فإن يك باقٍ إفكُ فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب

* * *

وأما حالُ المنتسبين إلى العلم منهم فأنا ذاكر منها ما وقفت عليه ، وكشفت بالمحنة عنه . كنت في أول حلولي بها شديد العناية بكتب جالينوس وبقراط ، باحثاً عن مُشكلها ، فاحصاً عن مستغلقها ، فحرَصت كلَّ الحرص ، وجهدت كلَّ الجهد على أن أجدَ من أهل هذه الصناعة من أستفيد منه وأسترشد بمذاكرته ، وأقدح خاطري بمفاوضته ، فلم أجدْ غيرَ قوم طبع الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم ، وطمس أفهامهم ، وحال بين الحكمة وبينهم ، فكانوا وإياي ، كما قال الشاعر :

قوم إذا جالستهمْ ... صدئتْ بقربهم العقولْ
لا يفهمون قولهم ... ويدقّ عنهم ما أقول
فهمُ كثيرٌ بي كما ... أنّي بجمعهم قليل

(١) في [illegible] (١ : ٤٩) : « [illegible] » .
(٢) الأبيات الأربعة في ديوانه (١٠٣ — ١٠٤) يمدح بها الخصيب أمير مصر .
(٣) في الديوان : « محضتكم يا أهل مصر » .
(٤) تكملة من الديوان (١٠٣) ، وموضعها بياض في الأصل . وحامي الظهر هو البعير الذي حمى ظهره فيتركه فلا ينتفع منه بشيء ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وفي الأصل : « حاني الظهر » صوابه من الديوان . والبيت لم يرد [illegible]

وقد تحلّوا بكثرة الخلاف، وقلة الإنصاف، ولزموا البَهْت والمعاندة، والشغب والمكابرة، وجهلهم بصناعة الطب وخلوّهم من أدواتها، وعدمهم لعددها وآلاتها، وإهمالهم شرائطها، وإبعادهم للوازمها، وقصور أذهانهم عن إدراك دقائقها، وبُعد عقولهم عن تصوّر حقائقها، ولم يعلموا أنّ الطب محتاج إلى أشياء تعينه في صناعته وتفتح له مغالقها، وتوضح مُشكلها، وتشرح مُشتبهها، وتبيّن له مستصعبها، وتنقله برد اليقين(1)، وتجلو عن عين بصيرته ظُلَم الشكوك والظنون، وهي العلوم الطبيعية التي تعرّفه مبادئها وأوائلها، وتعطيه أُسْطُقُسّاتها وعناصرها(2)، والقوانين القياسية التي تسدّد ذهنه نحو الصواب فيما يلتمس علمه، ويتعاطى فهمه، وتعرّفه كيف يجتلب(3) مطلوباتها إليها، ويبني قياساته عليها، وكيف يتطرق من جليّها إلى خفيّها، ويستدل بظاهرها على غائبها، ويأمن الزلل، ووقوع الخطأ والخلل، ويحقق الأسباب والعلل.

ولا بدّ لمن أراد أن يكون طبيباً كاملاً، وحكيماً فاضلاً، من النظر في العلوم الرياضية، ولا سيما النجومية منها والموسيقارية. وأولى الناس أن يكون على هذه الصفة أطباء لمثل الشيخ الأجلّ، الذي إنما يستعمل الطبيب والمنجّم على جهة الاستظهار، لا على جهة الافتقار والاضطرار، وكيف ونظره الأعلى، ورأيه المعلّى، وسهمه الأسدّ، وباعه الأمدّ. ومن كان مثله — ولا مثل له في تطبيق المفصل، وإصابة الشواكل — فخليق به أن يَخبُر، ولا يُختبر، ويَنتقد، ولا يُنتقد.

---

(1) في الأصل «... بعض» والوجه ما أثبت.

(2) الأسطقس، وجمعه الأسطقسات، هو الشيء البسيط الذي منه يتركب المركب، كالحجارة والقرميد والجذوع التي يتركب منها القصر، وكالحروف التي منها يتركب الكلام، وكالواحد الذي يتركب منه العدد. والأسطقسات الأربعة هي النار والهواء والماء والأرض، انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي (٨٢).

(3) في الأصل «يجعل».

هيهات أن يأتي الزمانُ بمثله إنّ الزمانَ بمثله لبخيلُ

فمن [لم] يأخذوا نفوسهم بالإتقان لما قد سلف تعديده ، بل استطالوه ، واستبعدوا الأمدَ إليه ، ورأوا أنّ غرضهم من صناعة الطب الذى هو عندهم وبحسب رأيهم ، التكسّبُ مما يتمّ لهم بأقربَ مما شرطه الأوائل متناوَلاً ، وأسهلَ مراماً ، لم يحفظوا[1] غير أسماء أدويةٍ قليلة العدد يصرّفونها فى مداواة كلّ مريض دون إعمالِ فكرهم فى حقيقة نوعه وسببه ، ومقتضيه وموجبه

وقد ذمّ جالينوسُ من فِرَق الطبّ الثلاثِ الفرقةَ الحيلية[2] ، لحذفها جميعَ لوازم الصنعة الطبية ، واقتصارِها فى المداواة على النظر فى المرض ، هل من جنس الاستفراغ فيقابل بالإمساك ، أو من جنس الإمساك فيقابل بالاستفراغ ، دون الفحص عن أمر المزاج والسنّ والسحنة ، والبلد والعادة والماهيّة . فما ظنك بجالينوسَ لو شاهدَ هؤلاء الذين لا يقفون على علة ، ولا ينتسبون إلى فرقة ، فإن جرىٰ على أيديهم عليلٌ فبرؤه على جهة الاتفاق ، وإن هلك فبالواجب والاستحقاق ، وهم كما قال الشاعر فى مثلهم :

وطبيبٍ مجرّب ما له بالـــ ـنُّجح فى كلّ ما يجرب عادهْ
مرّ يوماً على عليلٍ فقلنا قرّ عيناً فقد رُزِقتَ الشهاده

أو كما قال الآخر فى بعض حكمائ المشهورين عند العوامّ بالحذق والتقدم :

قل للوَبا أنت وابنُ زُهرٍ قد جزتما الحدَّ والنهايهْ
ترفّقا بالورى قليـــلا فى واحدٍ منكما كفايه

أو كما قال بعضُ أهل العصر أيضاً فيهم :

وطبيبٍ مُشـــعبذٍ يمزُجُ الطبَّ بالرُّقَى

(١) فى الأصل : « لم يحفظوا » .
(٢) فى الأصل : « الفرقة الحيلية » .

ما رأيناه قط طبيبٌ عليلاً فوُفّقا
بل عدمِ الصحّة فى الجسمِ والقلب والبقا
ذو صفاتٍ تُغادِر الجسمَ مما به نَقِى
عادمٌ للحَراك والحسِّ والخفّة والنقا[1]
قد سقاها الحِمامَ ولم يدرِ ما سَقى ٥

وقال آخر :

ما خَطَرَ الصحُّ على باله يوماً ولا يَعرِف ما بالُه[2]
بل طلّ أن الطبَّ ذُرّاعةٌ ولحيةٌ كالقطن يبضاه[3]

* * *

١٠ ومن ظريف ما سمعتُه أنه كان بمصرَ منذ عهدٍ قريب رجلٌ ملازمٌ للمارستان يُستدعَى للمرضى كما تستدعَى الأطباء ، فيدخل على المريض فيحكى له حكاياتٍ مضحكة ، وخرافاتٍ مسليه ، ويخرج له وجوهاً مضحكة ، وكان مع ذلك لطيفاً فى إضحاكه وبه خبيراً ، وعليه قديراً : فإذا انشرح صدرُ المريض وعادت إليه قوّته تركه وانصرف ، فإن احتاج إلى معاودة المريض عاده إلى أن يبرأ ، أو يكون ١٥ منه ما شاء الله .

فليت أطبّاء عصرنا هذا بأسرِهم قدَروا على مثل هذا العلاج الذى لا مضرّة فيه ولا غائلةَ له ، بل أمرُه على العليل هيّن ، ونفعُه ظاهر بيّن ، كيف لا وهو ينشّط النفس ويبسط الحرارة الغريزية ، ويقوّى القوى الطبيعية ، ويقوّى النفس على دفع الأخلاط الرديّة المؤذية والفضول ، مع الاستظهار بحفظ الأصول .

٢٠ وأكثر أطبائها المعروفين[4] نصارى ويهود ، وفى ذلك يقول بعضهم :

(١) موضع هذه الكلمة طامس فى الأصل

(٢) يعنى الصحيح من المرض ، وهو توجيه

(٣) الذراعة : كرداء ، جبة مشقوقة المقدم

(٤) فى الأصل « المعروفين »

أقول للمسلمين طـــرًّا * تمنَّون في طِبِّنا[1] اشتهارا
هيهـــات حاولتمُ محالا * كونوا إذاً هوداً أو نصارى

[2] وأشبهُ من رأيته منهم وأدخلُه في عِداد الأطباء، رجلٌ من اليهود يدعى أبا الخير سلامة بن رحمون، وبه لقي أبا الوفاء[3] المبشّر بن فاتك[4]، فأخذ عنه شيئاً من صناعة المنطق تخصّص به وتميّز عن أضرابه، وأدرك أبا كثير بن الزفّان[5] تلميذ أبي الحسن علي بن رضوان[6]، وقرأ عليه بعض كتب جالينوس، ثم نصب نفسه لتدريس جميع كتب المنطق، وجميع كتب الفلسفة الطبيعية والإلهية، وشرح بزعمه وفسّر ولخّص، ولم يكن هنالك[7] في تحصيله وتحقيقه، واستقصائه عن لطيف العلم ودقيقه، بل كان يلغز[8] كلامه فيطول، ويسرع جوابه فيزلّ. وقد سألته في أوان تلاقي واجتماعي به، عن مسائل استفتحت مباحثته[9] بها، لم يمكن أن يفهمها من لم يتقدم نفسه في العلم باعه، ولم يكثر تبحّره واتساعه، فأجاب عنها بما أبان عن تقصيره ونطق بعجزه، وأعرب عن سوء

(١) في الأصل: «طبها».

(٢) النص الذي نقله القفطي في إخبار العلماء (١٤٢ – ١٤٣)، وكذلك ابن أبي أصيبعة (٢ : ١٠٦).

(٣) بعد هذه الكلمة في النسخة المخطوطة بدار الكتب رقم ٣٥٤ تاريخ من الرسالة المصرية [illegible]

(٤) ترجم له القفطي (١٧٩ — ٧٧) وقال: «هو أمير فاضل أصله من دمشق وموطنه مصر، وهو من الحكماء الأماثل في علم الأوائل. وكانت له ابنة عمرت بعده وروت بالإسكندرية أحاديث نبوية. وكان في آخر المائة الخامسة للهجرة».

(٥) عند القفطي: «سكتار الزفان» تحريف. وأبو كثير كنية له، واسمه أفرائيم ابن الزفان، قال ابن أبي أصيبعة في (٢ : ١٠٥): «إسرائيلي المذهب، وهو من الأطباء المشهورين بديار مصر». وقد اشترى منه الأفضل بن أمير الجيوش عشرة آلاف مجلد من كتبه، كان قد ساوم عليها بعض الغرباء.

(٦) انظر ترجمته عند ابن أبي أصيبعة (٢ : ٩٩).

(٧) في رواية ابن أبي أصيبعة: «ولم يكن هناك». وعند القفطي: «ولم يكن هنالك».

(٨) في الأصل: «براه يكثر»، وأثبت ما في سائر المصادر.

(٩) في الأصل: «استفتحت مباحثه بها»، صوابه في سائر المصادر.

تصوّره ووهمه . وكانَ مثله في عِظَم دعاويه ، وقصورِه عن أيسر ما هو متعاطيه[١] كقول الشاعر :

شمّر للخوض عن ســـاقه ويغمره الموج في الساحلِ

أو كما قال آخر :

تمنيتمُ مائتَيْ فارس فردَّكمُ فارسٌ واحدُ[٢]

وكان[٣] بمصر طبيب من أهل أنطاكية يسمى « جرجس » ، ويلقب بالفيلسوف ، على نحو ما قيل في الغراب : أبو البيضاء ، وفي اللديغ : سليم ، وقد تفرغ للوقيعة في الحبر سلامة بن رحمون اليهودي الطبيب المصري[٤] والإزراء عليه ، وكان يزوّر فصولا طبّيه ومسائل يبرزها في معارض ألفاظ القوم ، وهي مُحال لا معنى لها ، وفارغة لا فائدة فيها ، ثم يُنفذها[٥] إلى من يسأله عن معانيها ، ويستوضحهُ أغراضها ، فيتكلّم عليها ويشرحها بزعمه دون تيقُّظ[٦] و[لا[٧]] تحفظ ، بل باسترسالٍ واستعجال ، وقلةِ اكتراثٍ وسوء احتفال ، فيُوجد منه[٨] ما يُضحَك منه ويشرح الصّدر .

[وأُنشدتُ[٩] لجرجسَ هذا فيه ، وهو من أحسنِ ما سمعته في هو طبيب مشؤوم[١٠] ، وأنا متهم له فيه :

(١) في الأصل : « يشرح ما هو متعاطيه » صوابه في [illegible]
(٢) إلى هنا ينتهي نص القفطي في ١٤٢ — ١٤٣ ونص لسان (١ : ٢٤٩) .
(٣) النص التالي عند القفطي في ١٠٩ وابن أبي أصيبعة في (٢ : ١٠٦ — ١٠٧) .
(٤) تكملة من القفطي ، وعند ابن أبي أصيبعة : « بن رحمون » .
(٥) في القفطي : « ثم ينفذها » .
(٦) في القفطي : « تيقن » .
(٧) تكملة من القفطي وابن أبي أصيبعة .
(٨) القفطي وابن أبي أصيبعة : « فيوجد فيها » .
(٩) تكملة من ق والقفطي وابن أبي أصيبعة .
(١٠) كلمة « مشؤوم » وما بعدها ساقط من ق ، وفي نسخة الأصل : « ومن أحسن ما قيل في ذم الطبيب الجاهل » .

إنّ أبا الخير على جهله   يخفّ في كفّته الفاضلُ
عليلُه المسكينُ من شؤمه   في بحرِ هُلْكٍ ماله ساحلُ
ثلاثةٌ تدخل في دفعة   طلعتُه والنعشُ والغاسلُ

ولبعضهم :

لأبي الخير في العلا   ج يدٌ ما تقصِّرُ
كلُّ من يستطبُّه   بعد يومين يُقبَرُ
والذي غاب عنكمُ   وشهدناه أكثرُ(1)

ومما قيل فيه :

جنونُ أبي الخير الجنونُ بعينه   وكلُّ جنونٍ عنده غايةُ العقلِ
حدوه فعوه وشدّوا وثاقه   فما عاقلٌ من يستهين بمختلِّ
وقد كان يؤذي الناسَ بالقول وحدَهُ   فقد صار يؤذي الناسَ بالقول والفعلِ

وأما المنجمون الآن بمصر فهم وأصحابهم كما قد اشترك من أهلها ، مثل كاد حُديث العقلُ بالعقل ، لا تحقق عندهم من علم النجوم أكثر من زايجة يرسُمها(2) ومراكز تقويمها . فأما الإمعان والتبحّر في معرفة الأسباب والعلل(3) ، والمبادى

---

(1) في نسخة الأصل : « وشهدناه بعينه » . وأثبت ما في ق وهي أن أصيبعة . ولم يرو القفطي هذه الأبيات .

(2) جاء في « مفاتيح العلوم » للخوارزمي ١٢٧ : « الزايجة هي صورة مربعة أو مدورة تعمل لمواضع الكواكب في الفلك لينظر فيها عند المسئلة لمولد أو غيره . واشتقاقه بالفارسية من زايش ، أي المولد ، ثم أعربت الكلمة فجعلت في المولد وغيره » . وجاء في معجم استينجاس (٦٠٨) : « زايجه astronomical tables » أي الجداول الفلكية . وفي نسخة الأصل : « زايرجه » . وأثبت ما في ق . والزايرجة ، على ما ذكر ابن خلدون في المقدمة : فرع من فروع علم السيمياء ، يمكن بها استخراج الأجوبة من الأسئلة بارتباط بين الكلمات في الزايرجة المصوغة يستطاع معرفة الأجوبة بطرق خاصة ، وحساب معين يتحصل منه الجمع والطرح والضرب . وهناك كلمة أخرى مماثلة ، وهي الزيج ، وتجمع على أزياج . والزيج : صناعة حسابية بقوانين عددية يمكن بها معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية والمستقبلة ، وهو الدستور الذي يسمى عند الفلكيين بالتقويم .

(3) هذا ما في ق . وفي نسخة الأصل : « ومعرفة الأسباب والعلل » .

الأوّل، فليس منهم من يرقى إلى هذه الدرجة، ويسمو إلى هذه المرتبة، ولا يحلّق في هذا الجوّ، ويستضيء بهذا الضوء[1] إلا أبو الحسن علي بن النضر[2] المعروف بالأديب، رضي الله عنه، من أهل صعيدِ مصرَ الأعلى، فإنه كان من الأفاضل [الأعيان[3]]، المعدودين من حسنات هذا الزمان[4]. وسنذكره فيما نستأنفه إن شاء الله تعالى.

* * *

وأما الطائفة المفردة التي حظّها من المعرفة القشور دون اللبوب[5]، والظواهر دون البواطن، والأشباح دون الأرواح، فأمثلُ مَن بها منهم الآنَ رجلٌ يعرف برزقِ الله النحاس[6]، فإنّ له في فروع هذه الصناعة بعض دُرْبة وتجربة، وبتجربتها[7] بعض خبرة، وهو أكبر المختصّين بها وكبيرهم الذي علمهم، وأميرهم الذي يلوذون به[8]، فجميعُهم إليه منسوب، وفي جريدته مكتوب، وبفضله معترِف، ومن بحره[9] مغترِف، وهو شيخ مطبوع متطايب متخالع[10].

ومن حكاياته الطريفة عن نفسه قال: سألتني امرأةٌ مصريّة أن أنظرَ لها في مسألة خَبيئة تخصّها، فأخذتُ ارتفاعَ الشمس للوقت، وحقّقتُ درجة الطالع والبيوت الاثني عشر ومراكزَ الكواكب، ووضعتُ ذلك كلّه بين يديّ في

(١) في الأصل: «ولا يلحق» و «لا يستضيء» وأثبت ما في ق.
(٢) في الأصل: «ابن النصر» بالصاد المهملة. وأثبت ما في ق
(٣) [illegible] من ق
(٤) ق: «من حسنات الزمن».
(٥) في اللسان: «ولب الجوز واللوز ونحوهما: ما في جوفه، والجمع اللبوب». ق: «اللباب». وما أثبت من الأصل وق.
(٦) في الأصل: «بن النحاس» وصوابه في ق والقفطي ١٢٧.
(٧) في الأصل: «وبجزئياتها» وأثبت ما في ق. وعند القفطي: «وبتجربتها».
(٨) ق: «الذي يلوذ بهم وقدمهم» وعند القفطي: «وكبيرهم الذي علمهم السحر» فقط.
(٩) في الأصل: «ومن علمه» وأثبت ما في ق.
(١٠) متخالع: يظهر الخلاعة. وفي الأصل: «متحالم» صوابه في ق.

تخت الحساب[1] . وجعلت أتكلّم على بيتٍ بيتٍ منها على العادة ، وأنا في خلالِ ذلك أتحسّس أمرَها[2] وهي ساكنةٌ لا تنبس ، فوجمْتُ لذلك وأدركتني فترةٌ عظيمة ، ونمتْ إليَّ دونها[3] . قال : فصودتُ الكلام وقلت : أرى عليك قطعًا في بيت مالِك[4] فاحتفظي واحترزي ! فقالت : الآن أصبتَ وصدقتَ ، قد كان والله ما ذكرت . قلت : وهل ضاع لك شيء ؟ قالت : نعم ، الدرهمُ الذي ألقيتُه إليك ! وتركتني وانصرفت .

* * *

والمصريُّون أكثرُ الناسِ استعمالاً لأحكام النجوم وتصديقًا لها وتعويلا عليها ، وشغفًا بها وسكونًا إليها ، حتى إنه قد بلغ من زيادة أمرهم في ذلك إلى أن لا يتحرّكَ واحدٌ منهم حركةً من الحركات الجزئية التي لا تُحصَر فنونُها ولا تحصَّل أجزاؤها وأعدادُها ، ولا تُضبط جهاتُها ، ولا تقيَّد غاياتها[5] ، ولا تحدُّ ضروبها إلا في طوالع يختارونها ، [ونُصب يعمدونها[6]] .

ولقد شهدتُ يوما رجلاً من الوفادين في أتون الحمّام[7] ، يسأل رزق الله المذكور عن ساعةٍ جيدة لنفضِ أطماره ، فتعجّبت من سموّ همته على خساسة قدره[8] ، ووضاعة مهنته .

ومن الحكايات العجيبة في فرط استعمالهم لأحكام النجوم وعنايتهم بها ،

---

(١) هذا ما في ق ، وفي الأصل : « في التخت »

(٢) ق : « أتحسس لها » .

(٣) الفضلي : « وكانت قد ألفت إلى درهما » .

(٤) هذا ما في ق والفضلي ، وفي الأصل : « ضياع بيت مالك » .

(٥) ق : « ولا تحد أساليبها » .

(٦) عدم من ق .

(٧) ق : « أتون حمام » .

(٨) ق : « مع خساسة قدره »

ما شهدتُ بالصعيد الأعلى . وذلك أنَّ بعضَ الولاة حبس رجلاً من [بعض[1]]
أهل تلك الناحية كان ينظرُ في علم النجوم ، وشَفَع[2] إليه فيه مَن يكرُم عليه ،
فشفّعه فيه ، وأمر بإطلاقه وكان من الحبس في عذاب واصب ، وجَهد ناصب ،
فلما أتوْه وقالوا له : انطلِقْ لشأنك[3] ، أخرجَ من كُمّه أصطرلابًا فنظر فيه ثم
٥ أخذ طالعَ الوقت فنظر فيه ، فوجده مذموماً ، فسألهم أن يتركوه مكانه[4] إلى
أن يتّفق وقتٌ يصلح للخروج من السجن ، فعادوا إلى الوالي فأخبروه بخبره[5] ،
فضحِك منه وتعجّب من جهله ، وفساد عقله ، وأجابه إلى سؤاله ، وتركه على
حاله ، وأطال مدّةَ اعتقاله .

وفيما أوردتُه من أخبار الأطباء والمنجمين الآن عبرةٌ كافيةٌ وبلاغ ، إلى
١٠ أن أنتصبَ له انتصاباً ثانياً ، وأقول فيه قولاً شافياً .

* *

وأما الآن فإني ذاكرٌ على الشرط من لقيتُه من أدبائها وظرفائها ، وفضلائها
في الأدب وعلمائها .

وأولاهم بالتقديم ، وأحظهم بالحظ الأوفر من التعظيم « القاضي أبو الحسن على
١٥ ابن النضر[6] » المعروف بالأديب ، ذو الأدب الجم والعلم الواسع ، والفضل
البارع . وله في سائر أجزاء الحكمة اليد الطولى ، والرتبة الأولى . وقد كان ورد
الفسطاط يلتمس من وزيرها الملقب بالأفضل تصرفاً وخدمة فخاب فيه أمله ، وضاع

(١) عنه من ق .
(٢) ق : « شفع » .
٢٠ (٣) ق : « لسبيلك » .
(٤) في الأصل : « أن يصبروا عليه » ، وأثبت ما في ق .
(٥) في الأصل : « خبره » ، وأثبت ما في ق
(٦) في الأصل : « النصر » بالمهملة ، تحريف صوابه في ق والخريدة (٢ : ١٩٥)
من مخطوطة دار الكتب رقم (٩٨ - ١٠٠ ر) والطالع السعيد للأدفوى . حيث ذكر أنه
٢٥ كان أحد عمال الديار المصرية في زمن الأفضل شاهنشاه .

رجاؤه، وأخفق سعيه، فقال من قصيدة يعاتب فيها الزمان، ويشكو الخيبة والحرمان:

بين التعزز والتذلل مسلكٌ ... بادى المنار لعين كل موفقِ
فاسلكه فى كل المواطن واجتنب ... كبر الأبىّ وذلة المتملّق
ولقد جنيت من المصانع خيرها ... لأجلّ مختارٍ وأكرم منتقٍ[1]
وحويتُ حصص العيش تحت رواقه ... لا بدّ إن نفقت وإن لم تنفُق[2]
ظنًّا شبيهًا باليقين ولم أخل ... أنّ الزمان بما سقانى مُشْرِق
ولمانى بالحرص قول بيّن ... لو كنت شمتَ سحابةً لم تطرق[3]
ما ارتدْتُ إلا خير مرتادٍ ولم ... أصلِ الرجاء بحبل غير الأوثق[4]
وإذا أتى الرزقَ القضاءُ على امرئٍ ... لم تغنِ فيه حيلة المسترزق
ولعمرُ عادية الخطوب وإن رمت ... شملى بسهم تشتّتٍ وتفرّق[5]
لأقارعنّ الدهرَ دون مروءتى ... وخرمتُ عزّ الصبر إن لم أصدُق[6]

وله فى سفرته هذه[7] وقد قوى يأسه من بلوغ أمله ونيل بغيته، وعزم على الصَّدَر[8] عن الفسطاط إلى مستقرّه. يحضّ على الزهادة، ويحرّض على القناعة

(١) فى الأصل:
ولقد جنيت من المصانع خيرها ... من كل مختار وأكرم منتق
وأثبت ما فى ق والخريدة [illegible] وفى الطالع السعيد: « موثق ».
(٢) ق: « ووجدت » و« كله » و« رونقه » من فى الأصل: « ظلاله » وأثبت ما فى ق والخريدة. وفى الطالع السعيد: « تحت رداته » تحريف.
(٣) فى الأصل: « وحاثى » صوابه فى ق. وفى الخريدة: « ولمانى ».
(٤) ق: « بغير حبل الأوثق » وفى الخريدة: « بحبل غير موثق ».
(٥) فى الأصل: « رمت حظى » صوابه فى ق والخريدة.
(٦) فى الأصل: « لأصبرن اليأس » صوابه فى ق والخريدة.
(٧) فى الأصل: « وله من قصيدة غير هذه » وأثبت ما فى ق والخريدة.
(٨) ق: « الصدور » وهما صحيحان، يقال صدر يصدر صدراً وصدوراً.

ويذمّ الضراعة، ويتأسّف على إذالة خدّه، وإراقة ماء وجهه :

لهفى لملك قناعةٍ لو أننى ... متّعت فيه بعزّة المتملّكِ

ولكنز يأسٍ كنتُ قد أحرزتُه ... لو لم يعثْ فيه الخطوبُ وتفتكِ

آليتُ أحملُ ماء وجهى بعده ... كدمٍ يُراقُ به الحجيجُ بمنسكِ

وأخٍ من الصبر الجميل قطعتُه ... فى طلعة الأمل الذى لم يُدركِ

يا قاتلَ الله الضرورة حالة ... أىّ المسالكِ بالفتى لم تَسلكِ(١)

كم بات يشكو إليه وتحيّفت ... حلقاته قرعا] براحة ممسك(٢)

وفمٍ على قدمٍ رمت، ونواظر ... كُحلت محاجرُها بموطئ سُنبُك(٣)

ومُسربَلٍ بالصبر والتقوى دعت ... فتحا لها فى معرض المتمسّك(٤)

ظلّت تصرّفه كتصريف العصا ... رأسَ البعير لمبرك عن مَبرك

وله إلى رئيس كان يكلّفه زيارته ويقعد عن ذلك مماطلا ومكرا :

أكبرتَ نفسك أن تسمى مصادقةً ... وعُتبتيه لقد كلّفتنى شططا(٥)

لا تكذبنْ فما كنّا نُوجبُ من ... حقٍّ وأنت تراه عنك قد سقطا

لو بعتُكَ النفس بيعا كنت تملكها ... به لكان عليك العدل مشترطا(٦)

فهل سبيلٌ إلى أن لا تواصلنى ... ولا تكلّف مثلى هذه الخططا(٧)

عسى صحيفةُ ما بينى وبينك أن ... تُطوى وما ضمّنت غيرَ الذى فرطا(٨)

---

(١) هذا ما فى ق والخريدة، وفى الأصل :
« يا قاتل الله الضرورة إنها ... سلكت مهالك بالفتى لم تسلك »

(٢) فى الأصل : « لم يأت »، وصواب البيت وتكملته من ق والخريدة.

(٣) هذا البيت ساقط من الأصل.

(٤) فى الأصل : « ومسربل بالنصر » صوابه فى ق والخريدة

(٥) فى الأصل والخريدة : « مصارفة » « تراه »، وأثبت ما فى ق

(٦) ق والخريدة : « به على لسكان العدل ».

(٧) فى الأصل : « ولا تكلف مثلى الطرق والخطط » صوابه فى ق والخريدة.

(٨) فى الأصل : « وما قد من أمرها فرطا » صوابه فى ق والخريدة.

وله[1] في صدر رسالة :

أتى كتابك عن شحط فأسكنني ... عما عشى أنس العين بالوسن[2]

قرأته فجرت في كل جارحة ... مني معانيه جري الماء في الغصن[3]

فما أقول نفثت الروح فيه إلى ... قلبي ولكن نفثت الروح في بدني

وله في شدة أصابته :

يا مستجيب دعاء المستجير به ... ويا مفرج ليل الكرب الداجي

قد أنجحت دوننا الأبواب وانسدت ... وحال مالك عن مسعى وإرتاج

نخاف عدلك أن يجري القضاء به ... ورحمتك فكن للخائف الراجي[4]

ومن شعرائها المشهورين أبو الطاهر بن إسماعيل بن محمد المعروف بابن مكنسة[5]، وهو شاعر كثير التصرف، قليل التكلف، مفتن في وشي[6] جد القريض وهزله، وضارب بسهم في رقيقه وجزله. وكان في ريعان شبيبته، وعنفوان حداثته، يعشق غلاماً من أتراك العسكرية المصريين، يدعى عز الدولة فائق، وهو الآن بمصر من رجال دولتها المعدودين وأكابرها المقدمين. ولم يزل مقيما على عشقه له، وغرامه به إلى أن محا محاسنه الشعر، وغير معالمه الدهر. ولم يزل معز الدولة[7] هذا متعهداً له محسناً إليه، مشتملا عليه، إلى أن فرق الدهر بينهما. وكان في أيام أمير الجيوش بدر الجمالي مقطعاً بني عامر من المصرى يعرف بأبي مليح،

---

(1) من هذه الكلمة في الأصل بياض بقدر صفحتين من الأصل، وقد أمكن سد هذه الثغرة من ق والخريدة، والقدر المشترك بين ق والخريدة ينتهي إلى كلمة «الراجي» خاتم الأبيات الخمسة التالية، ثم تنفرد «ق» بتتمة النص حتى نهايته.

(2) في الخريدة: «وأسى». تحريف صوابه في ق والطالع السعيد. وصدره في الطالع السعيد (٢٣٢): «وافى كتابك».

(3) في الطالع السعيد: «نفثت الروح».

(4) إلى هنا ينتهي القسم المشترك من التكملة بين ق والخريدة، ثم تنفرد «ق».

(5) ترجم له ابن شاكر في الفوات (١ : ٢٦) وقال «توفي في حدود الخمسمائة».

(6) في الأصل: «وفي».

(7) سبق قريباً بلفظ «عز الدولة فائق» وهكذا وردا بالأصل.

وأكثرُ أشعاره فيه ، فلما انتقل الأمر إلى الأفضل تعرّض لامتداحه ، فلم يقبله ولم يقبل عليه ، وكان سبب حرمانه ما سبق لأبي مليح ومراثيه ميتاً ، لا سيما قوله :

طُوِيت سماء المكرما ... تِ وكُوِّرت شمسُ المديحِ

ما كان بالنكس الدنـ ... ـيّ من الرجال ولا الشحيح

كَفَرَ النصارى بعد ما ... عقدوا به دين المسيح

وكَفَلَه عزّ الدولة بن فاتك ، ودام عياله إلى أن مات

ولم يُقبل الأفضلُ على أحدٍ من الشعراء كإقباله على رجل من أهل معرّة النعمان[1] يدعى أبا الحسن علي بن جعفر بن النون[2] فإنه أفاض عليه سحائب إحسانه ، وأدرّ له جراية إنعامه ، وقدّمه بأمين [ملكه[3]] وأدناه واستخلصه ، ولم يكن شعرُه هناك[4] بل كان متكلّفاً متعسّفاً ، ولست أعرف أحداً من أهل تلك البلاد روى له بيتاً واحداً فما فوقه ، لمباينة الطبع كلامه ، ونبوّ الأسماع عن طريقته . وقد كان أمره الأفضلُ يوماً أن يصف مجلساً عُبِّيت فيه فواكهُ ورياحين ، فقال من مزدوجته[5] يصف الأترج المصبّع :

كأنّما أترجّه المصبّعُ ... أيدي جناةٍ من زنودٍ تقطعُ

فغلط ولم يطق ، وأساء أدبه ولم يشعر ؛ لأنه قصد مدح الأترج فقزّز نفس الملك منه ، وصرفها عنه ، ولو قصد ذمّه لما زاد على ما وصف به ، من الأيدي المقطوعة من زنودها .

والمليح الحاذقُ من إذا وصف شيئاً أعطاه حقّه ، ووفّاه شرطه ، ووصفه بما

---

(١) إلى هنا ينتهي السقط الذي نبهت عليه في أول الصفحة السابقة .

(٢) ب : « النوى »

(٣) تتمة من ب

(٤) في الأصل : « هناك بالجد » صوابه في ق ، وكلمة « بالجد » مقحمة

(٥) في الأصل : « مزدوجات » صوابه في ق .

يناسبه فى حالتى مدحه وذمه ، ووضع كلَّ شىء فى مكانه فى نثره ونظمه[1]

فأين هذا الشاعر فى أدبه وحذقه بالصنعة[2] وفطنته ، من أبى على الحسن ابن رشيق ، وقد أمره المعز بن باديس أن يصف أترجة [مصمَّمة[3]] كانت بين يديه[4] ، فقال مرتجلاً على البديهة :

أترجّة سبطة الأطراف ناعمة تلقى العيونَ بحُسنٍ غير مبخوسِ[5]

كأنها بَسطت كفًّا لخالقها تدعو بطول بقاء لابن باديس

ولو أنّ ابن الرومىّ قصد مدح الورد بقوله :

يا مادحَ الورد ما ينفكّ من غلطه[6] أما تأمّلته فى كفّ ملتقطه

كأنّه سُرْم بغلٍ حين يُبرزهُ عند الخراء وباقى الروث فى وسطه

لكان عائبًا او جاهلا أو غافلا ، بل قال ذلك حين قصد ذمّه وأراد تخسيسه . فانظر هذا التشبيه الذى لم يُسمع أقبحُ منه . فلعن الله شيطانه[7] .

وكذلك عبد الله بن المعتز فى قوله يصف القمر من أبيات :

وباتَ كما سرٍّ خشـــاه إذا رام قربًا من النوم شدّ[8]

تفرّزهُ سروات النعوص فى قر مثـــل ظهر الحرد[9]

وقول ابن المعتز فى القمر من أبيات

يا سارقَ الأنوارِ من شمس الضحى يا مُثكلى طيبَ الكرى ومنغّصى

---

(١) ق : « من نثره ونظمه » .

(٢) ق : « بمعرفته بالصناعة » .

(٣) تتمة من ق .

(٤) فى الأصل : « كانت فى يده » وأثبتُّ ما فى ق .

(٥) مبخوس : منقوص . وفى الأصل « منحوس » ، صوابه فى ق .

(٦) هذا ما فى ق وفى الأصل : « من غلط » .

(٧) هذا ما فى ق . وفى الأصل : « فعض الله فاك » .

(٨) فى ديوان ابن المعتز (٢ : ١١٦) : « كما سر أعدائه » .

(٩) فى الأصل : « فى قر » صوابه من الديوان .

أتاضياءُ الشمس فيك ناقصٌ ... وأرى حرارة نارها لم تنقُص
لم يظفر التشبيهُ فيك بطائل ... متسلّخاً بَهَقاً كجِلد الأبرص[1]

وهذا بابٌ لو استقصيناه لطال وانسع[2] ، فلنتركه ولنصلْ من حبلنا ما انقطع[3] .

• • •

وقال إسماعيل بن مكنسة[4] من قصيدة :

أعاذلُ ما هبّت رياحُ ملامةٍ ... [illegible] هوًى إلا ورادت تصرُّما
فكلّى إلى عين إذا جفّ ماؤها ... رأتْ من حقوق الحبّ أن تذرِف الدّما
فكم عبرةٍ أعطت غرامى زِمامَها ... عشيّة أعطى [illegible] المطىّ المزمّما
وعينٍ جفاها أن يُرى [illegible] الكرى ... أحادثُ أيام تقضّين بالحمى
ولله قلبٌ نازعته همومُه ... فلم يبق حدٌّ منه إلا تثلّما[5]

وله من أخرى :

دقّت معاقد خصره فكأنّها ... مشتقّة من عهده وتجلّدى[6]
وتجعّدتْ أصداغه فكأنّها ... مسروقة من خَلْقه المتجعّد[7]

[ومنها[8]] :

---

(١) في الديوان « [illegible] » وفي الأصل « [illegible] » صوابه في ن وفي الديوان « [illegible] » .
(٢) هذا ما في ن وفي الأصل « ولو استقصيناه لاتسع » .
(٣) هذا ما في ن وفي الأصل « من عرضنا [illegible] » .
(٤) ن « أبو الطاهر بن مكنسه » ، وكلاهما صحيح .
(٥) في الأصل : « تثلما » وأثبت ما في ن والخريدة (٢ : ٢٠١) .
(٦) في الأصل « [illegible] » صوابه في ن وفي الخريدة (٢ : ١٩٩) « من [illegible] » ، وبيت سيء .
(٧) في الأصل « من شعره » وأثبت ما في ن والخريدة .
(٨) هذه من ن .

ما باله يحفو وقد زعم الورى   أنّ الندى يختصُّ بالوجه الندِى(١)
لا يخدعنّك وجنة محمرّة   رقّت ففى الياقوت طبع الجلمدِ

وله من قصيدة

وعسكرىٍّ أبداً حينما   تلقاه يلقاكَ بكلٍّ السلاحْ
حاجبُـه قوس وأجفانهُ   نبلٌ وعطفاه تثنّى الرّماح
[راح وفعلُ الراح فيه كما   يفعل بالغصن نسيمُ الرياح(٢)]

أغار فى هذا البيت الأخير على خالد الكاتب فى قوله :

رأتْ منه عينى منظرين كما رأت   من الشمس والبدر المنير على الأرضِ(٣)
عشيّةَ حيّـانى بوردٍ كأنه   خدودٌ أضيفت بعضهن إلى بعض(٤)
[وناولنى كأساً كأنَّ مزاجها   دموعى لما صدَّ عن مقلتى الغمض(٥)]

* * *

وراح وفعـلُ الرّاح فى حركاته   كفعل نسيم الرِّيح فى الغصن الغضِّ

وأما البيت الذى قبله(٦) فقد تداوله الشعراء . ومن مليح ما وقع فيه قولُ بعضِ أهل العصر :

بى مِن بنى الأصفر رِيمٌ رمى   قلبى بسهم الحَوَر الصائب
سهمٌ من اللحظ رمتنى به   من كَثَبٍ قوسٌ من الحاجب
كأنما مقلته فى الحشى   سيفُ علىّ بن أبى طالب

وله فى ورق كاغد أهدى إليه

(١) كلمة « يحفو » ساقطة من الأصل ، وصححناها من ب و الخريدة
(٢) البيت ساقط من الأصل ، وزدناه من ب و الخريدة (٢ : ٣٠١)
(٣) فى الأصل « كأنما هو الشمس » ، وأثبتنا ما فى ب والخريدة
(٤) فى الأصل « على بعض » ، وأثبتنا ما فى ب
(٥) هذا من الخريدة فقط
(٦) يعنى قوله
حاجبه قوس وأجفانه   نبل وعطفاه تثنى الرماح

أهـدى لنـــا ورقاً أرَ قّ من الشراب المستحيلِ
خَلَقاً عـــرفه الخطو ط كأنه عِرضُ البخيل
لا بالصَّفيق ولا الصَّقيـ ـل ولا العريض ولا الطويل
إلاّ بياضـــا خلقـه وضَحاً على جسم نحيل(١)

وقد استوفى بعضُ أهل العصر هذا المعنى ، فقال يذكر رِزمةَ كاغد أُخرجت إليه من خزانة السلطان ، ليستعمل في ديوان الإنشاء ، وكان بعض كتاب الديوان يسرق الكاغد ، فسلمت تلك الرِّزمةُ منه لدمامتها وخِسّة نمطها :

وكاغدٍ يشبه حالاتِـــه في كلّ معنى ويحاكيها
خِسٌّ فللحظّ به صورةٌ لا شيء في القبح يدانيها(٢)
يمدّ في صفحته كلُّ ما ترقمهُ أقلامُنا فيهـــا
نودِعهُ مكنونَ أسرارِنا وهو إلى الألحاظ يُفشيها
مختلفُ الأجزاء مستخشِن تلمسه الكفُّ فيدميها
كجلدة الأرضِ في لونه وصفاً على الحق وتشبيها
لو كان خُلقاً كان مستفشاً أو كان خَلقاً كان تشويها
يعثّر الأقلامَ حتى تُرى مفلولةً فيـــهِ مواضيها(٣)
يتركها تشـــبهُ أحجارُها في عدم البَرْى هَواديها(٤)
من بعد ما صاحَبَ بأطرافها أطرافَ سُمر الخطّ باريها(٥)

(١) هذا البيت ساقط من ق.
(٢) في الأصل : « فيها ما يدانيها » صوابه من ق
(٣) قال أعيد ... وعثره تعثيراً . وفي الأصل « سير الأقلام » وأثبت ما في ق .
(٤) الكلمة الأولى ساقطة من الأصل ، كما سقطت كلمة « البرى » وبعض الكلمة التي بعدها ، وإتمامه من ق . وفي ق : « في عدم البرى » ، ووجهه ما أثبت من الأصل . وهواديها يعني أوائلها ، أي رؤوسها
(٥) ورد البيت في الأصل مبتوراً ، منها كلمة « أطراف » وإتمامه من ق .

وتعمل الأنملُ فى جريها ... كالـــبرق .... يها[١]

وكم غدا يسلبها جاهداً ... من كان بالنفس يفديها

يقول من يبصر أطباقه ... شَلّت يدٌ بانت تعيبها

قد عبث السوسُ بأوساطها ... وقرّض الفأرُ حواشيها[٢]

لو عُرِضت رزمتُهُ لم تجد ... مشترياً فى الخلق يشريها

لو بَذَل الفلسَ بها غالطاً ... أوسعَ تصبيما وتسميها[٣]

لا يرزأ السارقُ منها ولا ... محتاله من حيلة فيها[٤]

تحصى الحصى مستوفياً عدّه ... من قبل أن تحصى مساويها[٥]

من دمّ ذا نقص وذا خسة ... فهو بذاك الذم يعنيها[٦]

وقال أبو الطاهر[٧] :

قلتُ إذ عقربَ الدلا ... لُ على خده الشَّعرْ

هـــذه آيةٌ بها ... ظهر الحسنُ وانتشر

ماروِّى قبلَ صُدغه ... عقربٌ حنّت القمر[٨]

هذا معنى مليح ولكنه سرقه من بيتين أنشدنيهما بمصر رجل يسمى أبا محمد التكريتىّ من تلاميذ أبى حامد الغزالى لأبى حامد ، ولم أسمعهما من غيره :

---

(١) كذا جاء البيت فى الأصل ، وهو ساقط من ن

(٢) فى الأصل « بأوساطها » ، والتصحيح من ن

(٣) تصبيما ، كذا وردت

(٤) فى الأصل : « محتاله » سواه فى ن . و « من حيلة » فى الأصل و ن :
« فى حيلة »

(٥) « مستوفيا عده » ، مكانها بياض فى الأصل ، وإثباتها من ن

(٦) كلمة « وذا خسة » موضعها أبيض فى الأصل ، وإثباتها من ن

(٧) هو أبو الطاهر إسماعيل بن محمد ، المعروف بابن مكنسة ، وقد سبق التنبيه على اسمه
فى ص ٤٣

(٨) فى الخريدة (٢ : ٢ ، ٣) : « ماروى بعد قبل ذا »

حلّتْ عقاربُ صُدغه في خدّه ... قمراً فجلّ بها عن التشبيه(١)

ولقد عهدناه يحلّ ببُرجها ... فمن العجائب كيف حلّتْ فيه

وقال أبو الطاهر أيضاً من قصيدة وقد عزم عليه بعض الأمراء في الخروج(٢) معه إلى الشام لقتال الغُزّ(٣)، أولها:

غيرُ عاصٍ عليكِ تقويمُ عُودي ... فاقصِي من ملامتي أو فزيدي(٤)

قل لمولاي إذ دعاني لأمرٍ ... قمتُ فيه له مقامَ العبيد

ضعفَتْ حيلتي وقلّ غَنائي ... ودنت غايتي ورَثَّ جديدي(٥)

أنا مالي وللشآم وإنّي ... لأرى نار حربها في وقود

مذ حشتْهُ عفاريةُ الغُـ ... زِّ وأرضٌ وحوشها من أسود(٦)

والجِمارُ التي تقول إذا ما ... قيل هلّا امتلأتِ: هل من مزيد(٧)

وكأنّي بي على سريرٍ تراني ... آخر الناس في عيف الحشود(٨)

أسودَ الوجه ناظراً في أمورٍ ... معضلاتٍ من الحوادث سُودِ

---

(١) وكذا روي في وفيات الأعيان، وفي [illegible] وفي الخريدة وفي [illegible] «يجل به عن التشبيه». قال ابن خلكان: «ورأيت هذين [illegible] في موضع آخر لغيره».

(٢) [illegible]: «في [illegible]».

(٣) [illegible]

(٤) في الأصل: «[illegible] عاص» وصوبه من الخريدة (٢ ٨ ٣) وفي ن «عاس» يقال عس إذا اشتد.

(٥) [illegible] وفي الأصل «[illegible]» وصوابه في ن والخريدة (٢ ٨ ٣).

(٦) في الأصل [illegible] في ن والخريدة [illegible] قبل الآخر [illegible] عفرية، وهو [illegible] وفي الأصل «عفرية» وفي ن والخريدة «عفارية» وصوابهما [illegible] (٢٦٣ [illegible]).

(٧) [illegible] جمع [illegible] وفي الأصل وفي ن: «الذي [illegible]» وصوابه في الخريدة وفي الخريدة «[illegible] هل من مزيد» وفي ن: «[illegible] هل امتلأت» ولا [illegible].

(٨) في الأصل: «وكأن بي» وأثبت ما في ن والخريدة.

وإذا قيـــل في غدٍ يتقى الما ... نُ فلا بسَ هو بيت القصيد
حيثُ لا مطرى تراه حديداً ... حينَ يبـــدو له بريقُ الحديد
حيثُ لا تُتقى لسانى ولا تنـ ... ـثني عنانَ المنيرعنَّ نشيدى[1]
إنَّ رأيى إذا يُســدَّد نحوى ... سهمُ رامٍ لغير رأى سديد[2]
فإذا ما قنيتُ كنتُ حبيـــ ... ـسحولى حبها وحـــلودى
دفني عشـــائره واتق لعبـ ... ـد وكنتِ العدى وغيظِ الحسـود[3]

وقال من قصيدة في طريقة أبي الشمقمق[4]:

أنا ابدى خذتكم ... عـــه أبو الشمقمقِ
وقال عنّى ابنى ... كنتُ نايمَ المتقى
وكنت كنت كنت كـ ... ـنتُ من رماة البندق
حتّى متى أبقى كذا ... تيساً طـــويل العنق[5]
ملحيةٌ ســـــالة ... وشـــارب محلّق[6]
يا ليتهـــا قد حلقت ... من وجه شيخٍ خلق[7]]

وقال[8] من أخرى:

عشتُ حيـين بل تر ... ـدُ رقيعاً كما ترى

(١) ن : « رأس العدعى » ، وفى الخريدة ، « زمام السعير » .
(٢) ن والخريدة . « إذا سدد نحوى » ، فان سدده سدد
(٣) ن والخريدة « وابن الحمد »
(٤) ن : « أبو الرقعمق » وهو شاعر آخر وليس مراداً . أما أبو الشمقمق فهو مروان بن محمد وكان معاصراً لبشار وأبى نواس . وترجمته فى « تاريخ بغداد » ٧١٢٨ وابن خلكان فى تضاعيف ترجمة .. بن جبير ولم يفرد له ترجمة وأما أبو الرقعمق فهو أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي ، وترجم له الثعالبي فى اليتيمة (١ : ٢٣٨) وابن خلكان فى الوفيات (١ : ٤١)
(٥) ن والخريدة : « حتى متى أبقى » .
(٦) فى اللسان : « يقال سيل سايل » . وفى الخريدة : « بلحية سيالة »
(٧) التصحيح من ن والخريدة وحلق . الأخوين ، ... فى أصلها : « حلق » محرفة
(٨) فى الأصل : « وقوله » ، صوابه فى ن

أحسنُ البقــل شدقٌ وكذا المِخ سـكرا[1]

وأطنُّ الطوبى من كل شىء مدوّرا

قد كبِرتُ بين ت وعقــلى إلى ورا

عجبًا كيف كلُّ شىء أراد تغــــيّرا

لا أرى البيض صار يؤ كل إلا مقشّرا

وإذا دقّ ماحبجا ر رجاج تكسّرا

وإذا مات ميّت لا يشمّ عبيرا[2]

* * *

ومن شـعراء المصريين فى زماننا هذا من يقول وهو أبو مشرف الدحرحاوى[3] ، وهو منسوب إلى دحرحا ، وهى ضيعة[4] بالصعيد الأعلى .

قاضٍ إذا انفصل الخصمان ردّهما إلى الخصام بحكمٍ غيرِ منفصلِ

يبدى الزهادةَ فى الدنيا وزُخرفها جهراً ويقبل سراً بَعرةَ الجمــل

ومنهم من يقول ، وهو أبو الحسن على بن البرقى ، من أهل قوص :

رمانى الدهرُ منه بكلّ سهمٍ وفاجأنى بينٍ بعد بينِ[5]

وجمّع فى فؤادى كلَّ حزنٍ وفرّق بين أجفانى وبينى

ففى قلبى حرارةُ كلِّ قلبٍ وفى عينى مدامعُ كلِّ عينِ

وله من أبيات :

ولى سنةٌ لم أدر ما سِنةُ الكرى كأنّ جفونى ما سمعن بالكرى العذلُ[6]

(١) البقل ، ثمر الدوم . وفى الأصل : « البقل » ، وفى ت والخريدة : « الفصل » والوجه ما أثبت . وفى الأصل « سكرا » وأحسن المخ سكرا » ، صوابه فى ت والخريدة .

(٢) البيت ساقط من ق والخريدة . وفى الأصل : « لا يسمن » تحريف .

(٣) من ياقوت ، عند الكلام على دحرحا : « قد خرج منها شاعر متأخر يعرفه المصريون يقال له (أبو) مشرف وله شعر جيد » وفى الأصل : « الدحرحرى » صوابه فى ت والخريدة .

(٤) فى الأصل : « إلى صنعة دحرحرا وهى » صوابه فى ت .

(٥) فى ت : ركب صدر هذا البيت على عجز تاليه فصارا بيتاً واحداً وكذا جاء فى الطالع السعيد للأدفوى ٢٦٩

(٦) فى الأصل : « وبين جفونى » صوابه فى ت والخريدة والطالع السعيد . والكلمة الأخيرة من البيت ساقطة من الأصل وإثباتها من النسخ الثلاث

ومنهم من يقول ، وهو أبو محمد عبد الله بن الطباخ الكاتب ، يهجو رجلاً أوقص . أنشدنيهما لأبي الحسن [علي بن[1]] الصوفي الحنبلي[2] :

قَصُرت أخادعُه وغاص قذالُه فكأنه متوقِّعٌ أن يُصفَعا[3]

وكأنه قد ذاق أوّل دِرّةٍ وأحسّ ثانيةً لها فتجمّعا

ومنهم من يقول ، وهو أبو عبد الله محمد بن مسلم الكاتب

تعشّقها الحادي وقد هجر الفلا ومرّ عليها الحسنُ يتبعه البِشْر[4]

وأعجبه لمح المحيّر [illegible] أنه هوًى وهو قلبٌ قد أضرّ به الهجر

ومنهم من يقول ، ولا أحقق اسمه ، في رجل يلقب بالرشيد[5] :

شتّان ما بين الرشيـ ـدِ وبين هرونَ الرشيد

هـذا يعزّر بالعلو د وذا يعزّر بالحدود[6]

ومنهم من يقول ، وهو محمود بن ناصر الإسكندري[7] كاتب القاضي ابن حديد ، في طبيبٍ أعمى مشوَّه الخلق :

صدقت المستطبّ بنادرةٍ قد أخذت منه أعين الناس[8]

أبيات غولٍ ومنظرا جعلٍ ورأس نعلٍ ودقّ نسناس

ومنهم من يقول ، وهو أبو نصر طاهر بن قاسم المعروف بالحداد[9] من أهل الإسكندرية ، وكتب إليّ بها في رسالة :

---

(١) عنه من ق . (٢) ق : « الجبلي »
(٣) في الأصل : « وغاب قذاله » ، وأثبت ما في ق
(٤) في الأصل : « تشقها » ، صوابه ما في ق .
(٥) في الأصل : « يسمى هارون الرشيد » وأثبت ما في ق .
(٦) التعزير : ضرب للتأديب دون الحد . وهذا هو الوضع الصحيح للبيت كما في الأصل ، وجاء على العكس في ق وليس بشيء :

هـذا يعزر بالحدو د وذا يعزر بالعلود

(٧) ق : « الإسكندراني »
(٨) في الأصل : « قد أخذها من أعين الناس » صوابه في ق والخريدة .
(٩) ترجم له ابن خلكان في « وفيات الأعيان » وياقوت في « إرشاد الأريب » وذكرا أنه توفي سنة ٥٢٩ .

وما طائرٌ قصَّ الزمانُ جَناحَه … فأعدمَه وكراً وأفقـــده إلفا
تذكَّر زُغْباً بين أفنانِ أيكةٍ … خوافي الخوافي ما تطير بها ضعفا
إذا التحف الظلماء ناجى همومَه … بترجيعِ لحنٍ كاد من رِقّةٍ يخفى[1]
بأشوقَ منّى مذ أطاعت بك النوى … هوائية منّية تسبق الطرفا
تولّت وفيها منك ما لو أقيته … بما هي فيه كان في فصله أوفى[2]

وقال أيضاً:

رحلوا فلـــولا أنّنى … أرجو اللقا لقضيت نحبي[3]
والله ما فارقتـــكم … لكنّنى فارقت قلبي[4]

ومنهم من يقول، وهو أبو القاسم بن رشد[5] المصري

وكم قائلٍ لى سِرْ إلى … بلاد العراق تنلْ في الرخاء[6]
لعمري لقد صدقوا قد وقفـ … ـت وسط الرخاء بتقديم خاء

ومنهم من يقول — وهو الشجي المصري يهجو حماما:

إنّ حمامنا الذى نحنُ فيه … هو في حاجةٍ إلى حمّامِ
قد دخلناه ونحن أولاد سامٍ … وخرجنا ونحن أولاد حامِ

وقال بعضُ أهل العصر في هذا المعنى:

حمّامنا هذا أشدُّ ضرورةً … ممن يحلُّ به إلى حمّامِ
يبيضُّ ألوانُ الورى في غيره … ويعيرها هذا ثياب سُخامِ
قد كنتُ من سامٍ لحين دخلته … لشقاء حظّي ردّني من حامِ[7]

ومنهم من يقول، وهو أبو الحسن مروان بن عثمان:

تمكّن منى السُّقْمُ حتى كأنّنى … توهُّمُ معنًى في خفيِّ سؤالِ

(١) ق: «من دقّة». (٢) ق: «كان في وصفه وفي».
(٣) ق: «وأرجو الإياب قضيت نحبي». (٤) ق: «والله ما فارقتهم».
(٥) في الأصل «بن رسد» وما أثبت من ق.
(٦) ق: «الرخا» بالقصر، وكذا «خا» بالقصر في البيت التالي.
(٧) في الأصل «دخلتها» صوابه في ق والخريدة (٢ : ٣٠٥).

[ولو سامحت عيناه عينيَّ في الكرى … لأشكلَ من طيف الخيال خيالي(١)]

سمحتُ بروحي وهي عندي عزيزةٌ … وجُدت بقلبي وهو عنديَ غالي

وقد حمتُ أن تقضي عليَّ منيّتي … ولم أقضِ أوطاري بيوم وصال(٢)

وهوّنَ ما ألقى من الوَجد أنّه … صدودُ دلالٍ لا صدودُ ملال

فلو كان ذاك الصدُّ منه ملالةً … شددت عن الدنيا مطيَّ رحالي(٣)

هذا من قول العباس بن الأحنف :

لو كنتِ عاتبةً لسكّنَ لوعتي … أملي رضاكِ وزرتُ غيرَ(٤) [مراقب

لكن صددتِ فلم تكنْ ليَ حيلةٌ … صدُّ الملول خلاف صدِّ العاتب

ولمروان :

ما بالُ قلبك يستكينْ … أبه غرامٌ أم جنون(٥)

بَرِحَ الخفاء بما تُجِـ … ـنُّ ، فأذهبَ الشكَّ اليقين

حتّى متى بين الجوا … نح والضلوع هوًى دفين

وإلى متى قلبُ المتـ … ـيم في يد النوى رهين

يا ماطِلي بديونِ قلـ … ـبي آنَ أن تُقضَى الديون

شخَصَتْ له فيك العيو … نُ وقسّمت فيك الظنون

وسلبتَ ألبابَ الورى … بلواحظٍ فيها فتون

وقوامِ أغصـــان الريا … ض وأين تدركك الغصون

الحسنُ في الأغصان فـ … ـنٌّ وهو في هذا فنون

---

(١) البيت من الخريدة (٢ : ٢٠٣) .

(٢) في الأصل : « منه » وأثبت ما في ف والخريدة .

(٣) هذا البيت ساقط من ف

(٤) بعد هذا بياض في الأصل مقدار نحو صفحتين ، وقد أكملته من ف والخريدة (٢ : ٢٠٤) ، والقدر المشترك بينهما في التكملة هو السطر الأحمر فقط مما وضع بين معقفين ، وأما سائر التكملة فهو من الخريدة فقط .

(٥) يجوز في رويه الإسكان والتحريك .

من أين للأغصان ذا لك الغُنجُ والسحر المبين

أم ذلك الورد الجنيـــيّ بخـــدّه والياسمين

ومنهم من يقول ، وهو أبو إسحق إبرهيم بن الأشعث] :

إذا حلّ محمودٌ بأرض وبه يفجّر فيها من ندى كفّه عينا[1]

فتنبت نوراً مشبهاً لهباته يُرى ورقاً بعض وبعض يُرى عينا[2]

وله في غلام مليح أسمر :

ياذا الذي يُنفـق أمواله في حبّ هــذا الرشأ الفائق[3]

ما الذهب الصامت مستكثراً إدهانُه في الذهب الناطق[4]

ومنهم من يقول في معشوق له نمام ، وهو محمود بن إسماعيل بن حميد الدمياطي :

نمنمةٌ تمّ عـذاري بهـــا وعارضٌ عرّضـــني للسّقام

ودَوْرةٌ همّي بها وافــــر وحاجبٌ حضّ على الملام[5]

وله من أبيات يصف الخمر :

وبتّ ليلي أرى النار التي سجدت لها المجوسُ من الإبريق تسجد لي

هذا — أطال الله بقاء الحضرة السامية — ما أملاه الخاطر ، على اليد ، في

في مدة متقاربة الطرفين ، ضيقة ما بين الحاشيتين . فإن تراخت المدة استدركت

القائت[6] واستلحقت الناقص ، إن شاء الله تعالى .

نجزت يوم الثلاثاء تاسع عشر ذي قعده عام ١٠٩١ بأدرنه

---

(١) في الأصل « قيثاً » صوابه في ق والخريدة . والعين في هذا : الينبوع الجاري .

(٢) في الأصل : « عنا » صوابه في ق والخريدة . والورق : الفضة ، يقال بفتح الراء وكسرها ، وفتح الراء هنا أولى للصناعة . والعين في هذا البيت على الذهب . وفي ق والخريدة : « يرى ورقاً بعضاً وبعضاً يرى » وتقرأ : « يرى » بهذه الرواية على أنها مضارع أرى .

(٣) ق : « الأسمر الفائق » .

(٤) في الخريدة : « مستكرهاً » ، وفي الأصل : « دهانه » وأثبت ما في ق والخريدة (٢ : ٢٠٥) .

(٥) في الأصل : « اللام » صوابه في ق . (٦) في الأصل : « الفائق » صوابه في ق .

كتاب المُرْدِفات من قريش

لأبى الحسن على بن محمد المدائنى

١٣٥ — ٢٢٥

رواية أبى الحسن على بن محمد بن عبيد الكوفى، عن أبى القاسم
عبد الله بن محمد، عن أبى جعفر أحمد بن الحارث، عن المدائنى

مقـــــدمة

هذه الرسالة القيّمة الطريفة في موضوعها — وهو موضوع حيوى اجتماعى فيه الإفصاح عن كثير من غوامض الحياة الاجتماعية فى الصدر الأول من الإسلام — صنعها راويةٌ جليل من رواة الأخبار ، يعدُّ فى الصدر من رجالات التأليف فى العصر العباسى ، هو أبو الحسن المدائنى على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف .

وأبو الحسن هذا بصرى سكن المدائن ، ثم انتقل عنها إلى بغداد فلم يزل بها حتى وافاه الأجل . وكان مولى لعبد الرحمن بن سَمُرة القرشى ، وهذا يكشف لنا القناع عن سرِّ تأليفه لهذه الرسالة يتناول فيها أخبار النساء المردفات من قريش .

وكان أبو الحسن ميّالا إلى التأليف فى أخبار العرب وأنسابهم وأيامهم ، عالمًا بالفتوح والمغازى ، وكان لما أنعم الله به عليه من عمر مديد جاوز التسعين ، أثرٌ عظيم فى ضخامة مكتبته التى أخرجها للناس ، وتناولها ابن النديم فى الفهرست بالسرد ، فأربت على (مائتين وأربعين مصنفاً) يلمح القارئ فى عنواناتها خلال علم هذا الرجل ، واتساعَ معارفه ، وتبحُّره فى فنون التأليف والرواية .

ولد أبو الحسن سنة ١٣٥ وترعرع فى كنف مولاه عبد الرحمن بن سمرة القرشى ، وعندما انتقل إلى بغداد وصَلَ حبله بإسحاق بن إبراهيم الموصلى فكان لا يفارق منزله . ومما هو جدير بالذكر أن أبا الحسن أغمض إغماضته الأخيرة فى منزل صاحبه إسحاق الموصلى فى سنة ٢٢٥ ، وكان إسحاق يبر أبا الحسن برًّا ظاهراً ، ويروى أن يحيى بن معين سأله مرة وقد جاز عليه وهو على حمار فاره : إلى أين يا أبا الحسن ؟ فقال : إلى هذا الكريم الذى يملأ كمى من أعلاه إلى أسفله دنانير ودراهم . يعنى إسحاق الموصلى .

هذه المكتبة المدائنية التى انتهبتها أحداث التاريخ فيما طوت من كنوز

الثقافة العربية ، يقف الباحث من بعدها موقف الحسرة والأسى ، وهو إنما يستروح شيء من العزاء حينما يلمح بعض هذه الآثار في مقتبسات المؤلفين الذين رووا من تلك الكتب أطرافاً ، وفي طليعتهم أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني . واليوم نظفر بعزاء جديد حين ننشر على هذا الملأ من المتأدبين والعلماء قطعة من بعض آثار المدائني ، هي تلك الرسالة التي تزدان بها المكتبة التيمورية التي حفظ فيها المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا كثيراً من نفائس الإنتاج العربي ، وهي في نسخة مجموعة تشتمل على ١١ رسالة رقمها ٨٠ مجاميع ، وعليها خط المغفور له الشيخ طاهر الجزائري . وقد حمل عنوان هذه الرسالة : « رسالة المتزوجات من قريش »

وهذا العنوان موضع نظر ، فإن « المتزوجات » من قريش لا يحصيهن العدّ ، وليس يخطر ببال مصنف أن يضع في ذلك كتاباً ، فإن الزواج أمر عام حدث ليس له طابع من الغرابة يستدعي النظر والاهتمام ، فهذه الكلمة محرفة لا ريب . وحين ننظر إلى موضوع الكتاب نجد أنه يتناول القرشيات اللاتي أردفن زوجاً بعد زوج ولم يكتفين بزوج واحد ، لظروف متباينة ساقتهن إلى ذلك أو ساقت ذلك إليهن .

ثم نعود بعد ذلك إلى ثبت كتب المدائني فنجد بين كتب مناكح الأشراف وأخبار النساء « كتاب مردفات من قريش » ، فكلمة « المردفات » التي يراد بها اللاتي أردفن زوجاً بعد زوج ، هي الكلمة التي نصحح بها كلمة « المتزوجات » وهي الكلمة التي تنطبق على موضوع الكتاب أتم الانطباق .

وتبدأ سلسلة رواية هذه النسخة بأبي الحسن علي بن محمد بن عبيد الكوفي صاحب ثعلب المولود سنة ٢٥٤ والمتوفى سنة ٣٤٨ ، وتنتهي بتلميذ المدائني وراويته أحمد بن الحارث بن المبارك الخراز المتوفى سنة ٢٥٧ . وهذه هي الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد قال : أنبأنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز ، قال أنبأنا أبو الحسن المدائني عليُّ بن محمد ، قال :

١ — تزوج أمَّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام ، عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ، وقُتل عنها فخطبها سعيدُ بن العاص فقالت : إن مثلي لا يزوج بنفسي ، فأتت أهلي . فأتى الحسن بن علي عليهما السلام فخطبها فقاربه . فبعث إليها سعيدٌ بمائة ألف ، وكلم الحسنُ الحسينَ فأبى . وقد كان الحسن وعد سعيداً وعداً ، فأتاه سعيدٌ وحده فقال : أين أبو عبد الله ؟ قال الحسن : لم يحضر ، ولن يجالسني إذا فعلت . فقال سعيد : إني أكره أن أدخل بينكم شيئاً تكرهونه . فرجع ولم يرجع في المال ولم يطلبه . ثم تزوجها عون بن جعفر ، ثم تزوجها محمد بن جعفر . وقد ولدت لعمرَ زيداً ورقيه ، فتزوج رقية إبراهيم بن نعيم النحّام (١) ، وماتت هي وابنها زيد في يوم واحد .

٢ — حدثنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال :

أمُّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط تزوجها زيد بن حارثة ، ثم خلَف عليها الزبير بن العوّام فحملت . وكان الزبير شديداً على النساء ، فدام عندها سبعة أيام فولدت له ابنة ، وقالت له حين ضربها المخاض : طيّبْ نفسي بتطليقة . فطلّقها وخرج إلى الصلاة ، فلحقه رجلٌ فقال . قد ولدت أمُّ كلثوم . فقال : خدعتني خدعها الله ! ولم يكن له عليها رجعة . وخطبها فأبت أن تزوجه . ويقال : أتى النبي عليه الصلاة والسلام فأخبره فقال : قد مضى فيه القرآن ، ولكن إن شئت خطبتها إلى نفسها . قال : لا ترجع إليّ أبداً .

وابنتها من الزبير زينب . ثم تزوجها عبد الرحمن بن عوف بعد زيد ثم

(١) انظر خبر زواج إبراهيم بن نعيم النحام في الأغاني (٤ : ١٤٦) والمعارف ص ٨٠ .

الزبير . فولدت لعبد الرحمن محمداً وإبراهيم وحميداً وإسماعيل ، ثم تزوجها عمرو
ابن العاص فأخرجها معه إلى مصر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجها
معه في بعض مغازيه تُداوي الجرحى وضرب لها بسهم ، فقالت يوما لخبّاز
عمرو(1) : لا تهيّئ له اليوم طعاما فإني قد هيّأت له غداءه . ودعا عمرو بالغداء ،
فقال الخبّاز : أرسلت إليّ أمّ كلثوم : لا تكلّف شيئا فقد هيّأت له غداءه .
قال : فعدّنا . فتغدّى ، فلما فرغوا وخرج من حضر قال لأم كلثوم : لا تعودي
فإني لم أتزوّجك لتطعميني ، وإنما تزوّجتك لأطعمك . فماتت عنده .

٣ — أحمد قال : أخبرنا أبو الحسن قال : كانت هند بنت عتبةَ بن ربيعة
أمّ معاوية ، عند الفاكه بن المغيرة ، فقتل عنها بالغُميصاء(2) في الجاهلية ، ثم
خَلَف عليها حفصُ بن المغيرة ، فمات عنها ، فتزوجها أبو سفيان بن حرب .

٤ — عاتكةَ ابنة زيد بن عمرو بن نُفيل ، أخبرنا أبو الحسن عن جويريةَ
ابن أسماء وعامر بن حفص قالا :

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل ، أمها ميمونة بنت الحضرمي بن الصعبة(3)
كانت عند عبدالله بن أبي بكر بن أبي قحافة فأحبها ، فكان ربّما ترك الصلاة
جماعة ، فأمره أبو بكر رضي الله عنه بطلاقها وقال : قد فتنتك عن دينك ،
وشغَلتك عن معيشتك . فطلّقها تطليقة ، وقال :

ولم أر مثلي طلّق اليومَ مثلَها ولا مثلَها في غير جرمٍ تُطلَّقُ
لها خُلُقٌ جزلٌ ورأيٌ ومَنصِبٌ وخَلْقٌ سَوِيٌّ في الحياء ومَصْدَقُ(4)

---

(1) يعني الخبّاز على من كان يشرف على إعداد الطعام وطهيه . انظر التحقيق في حواشي الحيوان (٥ : ٤٥٧) .

(2) الغميصاء : موضع في بادية بالقرب من مكة .

(3) في الإصابة ٦٩٥ من قسم النساء : أن أمها أم كُريز بنت عبد الله بن عمار بن مالك الحضرمية .

(4) المصدق : الصدق . وفي الأصل : « في الحياة » ، وفي الأغاني (١٦ : ١٢٨) « في حياء » .

أعاتكُ لا أنساكِ ما هبّتِ الصَّبا وما ناح قُمْرِىُّ الحمامِ المطوّقُ

أعاتكَ لا أنساكِ ما حجّ راكبٌ وما لاح نجمٌ فى السماء محلّقُ

أعاتكُ قلبى كلَّ يومٍ وليلةٍ إليكِ بما تُخفى النفوسُ معلّقُ

ولولا اتّقاءُ اللهِ فى حقِّ والدى وطاعته ما كان منكِ التفرّقُ

فتبع أبا بكر شعرُه فأمره فراجعها، وكانت عنده حتى مات شهيداً، أصابه سهم فى حصار الطائف فانتقض به جرحه فمات، فقال لعاتكة حين احتضر: لكِ حديقة من مالى ولا تزوّجى بعدى. ففعلت ذلك. وقال حين راجعها:

أعاتكُ قد طُلّقتِ فى غير ريبةٍ وروجعتِ للأمر الذى هو كائنُ[1]

كذلكِ أمرُ اللهِ غادٍ ورائحٌ على الناسِ فيه أُلفةٌ وتباينُ

وقد كان قلبى للتفرّق طائراً وقلبى لما قد قرّب اللهُ ساكنُ

أعاتكُ إنى لا أرى فيكِ سقطةً وإنكِ قد حلّت عليكِ المحاسنُ[2]

وإنكِ ممن زيّن اللهُ أمرَهُ وليس لما قد زيّن اللهُ شائنُ[3]

فمات عبد الله وترك سبعة دنانير، فقال أبو بكر: إنا لله، كيف يصبرُ ابنى على سبع كيّاتٍ[4]. فلما مات عبد الله قالت عاتكة:

فُجعتُ بخير الناس بعد نبيّهم وبعد أبى بكر وما كان قصّرا

فآليتُ لا تنفكُّ عينى سخينةً عليكَ ولا ينفكُّ جلدى أغبرا

مدى الدهرِ ما غنّت حمامةُ أيكةٍ وما طرّد الليلُ الصباحَ المنوّرا

فلله عينا من رأى مثله فتًى أكرَّ وأحمى فى الهياج وأصبرا

إذا شُرعتْ فيه الأسنّة خاضها إلى الموت حتّى يتركَ الرُّمحَ أحمرا

---

(١) فى الأغانى: «فى غير ريبة * وروجعت».

(٢) فى الأغانى: «سقطة * وإنك قد تمت».

(٣) فى الأغانى: «وجهه * وليس لوجه زانه الله».

(٤) يعنى بذلك [illegible] على ما اكتنز من الدنانير (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم).

فخطبها عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه فقالت : إنى قد جعلت على نفسى مالا أقدر [معه] على التزويج . فقال : استفتى ابن أبى طالب رضي الله عنه . فاستفتته فقال : ردّى عليهم ما أخذتِه منهم وتزوّجى . فردّت الحديقة ، فتزوّجها عمر رضي الله عنه ، فلما دخل بها أولَمَ ، فدعا على رضي الله عنه من خِدرها وقال :

فآليتُ لا تنفكُّ عينى سخينة عليكَ ولا ينفكُّ جلدِىَ أغبرا !

فسكت ، فقال عمر : ما أردتَ إلا أن تفسد علىَّ أهلى[1] . ويقال قال هذه المقالة لها عبد الرحمن بن أبى بكر . فلما قتل عمر قالت :

فجّعنى فيروزُ لا درَّ درُّه بأبيض تالٍ للقُرآنِ منيبِ
رؤوفٍ على الأدنى غليظٍ على العدى أخى ثقـةٍ فى النائباتِ نجيبِ
متى ما يقلْ لا يُكذِبِ القولَ فعلُه سريعٍ إلى الخيرات غيرِ قَطُوبِ

وقالت :

عينُ جُودِى بعـبرةٍ ونحيبِ لا تملّى على الإمام النّجيب
فجعتنى المنونُ بالفارس المُعْـ ـلِم يومَ الهِياجِ والتذنيبِ[2]
عِصمةِ الناس والمعين على الدهـ ـر وغيثِ المنتـاب والمحروبِ
قل لأهل الضرّاء والبؤس موتوا قد سقتْه المنونُ كأسَ شَعُوبِ

فخطبها طلحة بن عبيد الله ، فمشى فى أمرها عمّار بن الأسود فأفسد عليه ، فتزوجها الزبير بن العوام ، فنهاها عن الخروج الى المسجد فقالت : أتنهانى عن الخروج إلى الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله » . فأعرض عن ذلك أياماً ثم قعد لها فى طريقها ليلاً ، فلما مرّت به ضرب عجيزتها بيده — وكانت عظيمةَ العجيزة جميلة — فرجعتْ إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوأة ، إنا لله . وتركت الخروج ، فقال لها الزبير : مالكِ تركت

[1] فى الأغانى : « أهلها » .
[2] التذنيب : إكثار الدم والدمع . وفى الأغانى : « التلبيب » .

الصلاة في المسجد؟ فقالت: قد عد الناس أبا عبد الله! فقتل عنها فقالت:

غدرَ ابنُ جُرموزٍ بفارسِ بُهْمَةٍ ... يومَ اللقاء وكان غيرَ معرِّدِ

يا عمرُو لو نبَّهتَه لوجدْتَه ... لا طائشاً رَعِشَ الجَنان ولا اليدِ

شلَّتْ يمينُك إن قتلتَ لمسلماً ... حلَّتْ عليك عقوبةُ المتعمِّدِ[1]

كم غمرةٍ قد خاضها لم يثنِه ... عنها طرادُك يا ابنَ فقْعِ القَرْدَدِ

ثم خطبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت: إني أشفق عليك من القتل، لم أتزوج رجلا إلا قتل. فتزوجها محمد بن أبي بكر فخرجت معه إلى مصر فقتل ومُثِّل به، فقالت:

إن تقتـلوا أو تَمْثُلوا بمحمد ... فما كان من شأنِ النساء ولا الخمرِ[2]

فتزوجها عمرو بن العاص.

أحمد قال: أخبرنا أبو الحسن، عن أبي مقرن، عن محمد بن عمرو، أن ابن أمية بن خلف[3] رأى رؤيا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافة أبي بكر فقصها فقال: رأيت أن هذا الرجل قد هلك، وأنت مكانه، فبعثتَ إلى هذه المرأة فتزوجتها — يعني عاتكة بنت زيد — فدخلتْ عليك وأنت عروس وعلى باب بيتك ستر. فقال عمر: بل يبقي الله خليفة رسول الله. فلما توفي أبو بكر أرسلَ إليها فخطبها.

٥ — سكينة ابنة الحسين عليه السلام، أمها الرباب بنت امرئ القيس الكلبية[4] تزوجها عبد الله بن الحسن وهو أبو عُذرتها، فمات — ويقال قتل مع الحسين — فتزوجها مصعب بن الزبير فولدت له ابنةً، فأرسل إليها: سمّيها زبراء

(١) انظر خزانة الأدب (٤ : ٣٤٨ — ٣٥٢) في الكلام على هذا البيت.

(٢) يقال مثل به يمثل مثلا، مثل قتل يقتل قتلا، ومثّل به تمثيلا، إذا نكّل به.

(٣) هو ربيعة بن أمية بن خلف، كما في طبقات ابن سعد ٨ : ١٩٤. وانظر خبر ربيعة هذا في الأغاني ١٢ : ٧.

(٤) انظر خبر زواج الرباب للحسين بن علي في الإصابة ٤٨٤، قسم النساء.

قالت: أسمّيه باسم إحدى أمهاتي. فسمّتها خديجة أو فاطمة. فماتت ابنتها من مصعب وهي صغيرة، حملها مُصعبٌ إلى العراق فقتل عنها.

وقال ابن قيس الرقيّات حين تزوّج مصعبٌ سكينة — ويقال قالها الحارث ابن خالد المخزومي حين خرج مصعب بعائشة بنت طلحة:

رحل الأميرُ بأحسن الخلق ... وغدا بلُبّك مطلعَ الشَّرْقِ[1]

وبدتْ لنا من تحت كِلَّتِها ... كالشمس أو كغمامة البرقِ

وتنوء تُثقلها عجيزتها ... مشيَ الضعيف ينوء بالوسْقِ[2]

خُلِبَتْ كالقمر خِلبته ... هذا الجنونُ وليس بالعِشْقِ[3]

ما صبّحتْ زوجاً بطلعتها ... إلا غدا بكواكب الطَّلْقِ

وتروى هذه الأبيات لرجل من ثقيف قالها في امرأةٍ من ثقيف.

وخطب سكينة عبد الملك بن مروان فقالت أمها: والله لا أزوجها منه أبداً وقد قتل ابن أخي — تعني مصعباً[4] — فزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام — وأمّ عبد الله بن عثمان رملةُ ابنة الزبير بن العوّام — فولدت له سكينةُ ابناً يقال له قُرين، وحكيماً، وابنة ويقال ابنتين. فمات عنها فتزوّجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان، وأصدقها صداقاً كثيراً، فقال

---

(١) في الأصل: «مال»، صوابه من ديوان ابن قيس الرقيات ١٠١. وفي الأغاني (٣: ١٠٣): «وغدوا بلبك».

(٢) الديوان ١٠٣: «مشي الضعيف». الوسق: ستون صاعاً، أو حمل بعير.

(٣) الخلبة، بضم الخاء وكسرها: خلابة المال، لأنه يخلب قلب الناظر إليه. وفي الأغاني «مهجته».

(٤) هو مصعب بن الزبير، وكان عبد الملك قد سار إلى العراق، فالتقى مع مصعب بمسكن، من أرض العراق، فقتل مصعب سنة ٧٢. وفي ذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيات:

إن الرزية يوم مسكن ... والمصيبة والفجيعة

بابن الحواري الذي ... لم يعده يوم الوقيعة

عبد الملك : إنا تزوجنا أحسابنا فلم تَفرقْ في الصداق ، طلقها ، فطلقها . فقال أيمن بن خريم :

نكحت سُكينةُ في أحساب ثلاثة ... وإذا دخلت بهم فأنت الرابعُ
إنّ البقيـــعَ إذا تتابع زرعه ... خاب البقيع وخاب فيه الزارعُ(١)

فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان — وأمه أم ولد — فأصدقها صداقاً كثيراً ، واشترطت عليه أن لا يعصي لها أمراً ولا يمنعها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، ولا يمنع أحداً يدخل عليها ، وأن يقيمها حيث خلّتها أم منظور(٢) . فتزوجها على هذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيد بن عمرو ، بلغني شرطت سكينة أن لا تطأ جارية ، وعهدتُ مثالك لها وأنا أعلم أنك لا تصبر وأنت قد وطئت بعضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع أن تفي بها ، وقد حرمت عليك سكينة . فطلقها زيد فتزوجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضوا ، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم بن هشام ، فقال له : انطلق فادخل على أهلك ، فإن حال بينك وبينهم أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف شريفاً كثير الشر ، فخرج في رجال من بني زهرة ، وشايعه قوم من قريش ، وجاء بنو هاشم وبنو أمية ، وأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان مواليه وعبيده في السلاح ، فقيل للوالي : إن لم تمنعهم قتلوا . فأرسل فرد الفريقين ، وكتب إلى هشام فكتب إليه هشام : خيروها ، فإن اختارته فادفعها إليه ، وإن اختارت نفسها ... وأتى الخبرُ إبراهيمَ فأتاها فقال : أنا خير الناس لك . قالت : ما تقول ، يا [illegible] ؟ [illegible] تهزأ به ، فانصرف فخيروها فاختارت نفسها ، فجاء علي بن حسين بن حسين عليهم السلام فحملها .

وكانت سكينة تقول لزوجها زيد بن عمرو بن عثمان اخرج إلى مكة وأخرج

(١) البقيع : الأرض الواسعة ، ولا تسمى بقيعاً إلا وفيها شجر .
(٢) في الأصل : « وأن يقيمها حيث خلتها أم منظور » ، وصوابه من الأغاني (١٤ : ١٦٣) .

معك أشعب . فيخرجه ويخرج من أردت ، فإذا قضوا حجهم ورجعوا فكانوا
في نصف الطريق قالت : يا ابن عثمان ، ارجع إلى مكة . فيقول : نعم . فإذا صرفوا
الإبل إلى مكة قال لها : يا سكينة ما أستطيع أن أحبسك وقد انصرف الناس ،
فإن رأيت أن تمضي معهم . فتقول : نعم فتمضي معهم يومين وثلاثة ، ثم تقول
يا ابن عثمان ، ارجع ! فيقول : نعم . فتفعل ذلك مرارًا ، ومع هذا مواتاة منها
وقرة عين وشفقة ونصيحة ، وإنما كان ذلك كله منها مرحاً أشرة ثم ترجع
إلى ما يريد . فغضب عليها يوماً في بعض الأمر فصارمها وخرج إلى قصر له في ماله .
قال أشعب : فدعتني ليلة بعد العشاء فقالت : ويلك ، هل لك أن تأتي ابن عثمان
فتعلم لي علمه أيّةً خرج وأخذ . قلتُ : لا أستطيع أن أذهب هذه الساعة .
قالت : فإني أعطيك ثلاثين دينارًا . قلت : ادفعيها إليّ . فأعطتني ثم مضيتُ
فانتهيتُ إلى القصر بعد هزيع من الليل ، وليس على باب القصر أحد ،
فدخلت الدار فإذا هو بين يديه مصباح ، وقد نزل عن فرشه وهو ينكتُ في
الأرض ، فسمع حسّي أو رأى خيالي فقال : إن في الدار إنساناً فانظروا من هو
فجاؤوني فرأوني فقالوا : شعيب[1] . فدعاني فقال : ويلك شعيب ما قصتك ؟
قلت : أرسلتني سكينة . قال : ولِمَ ؟ قلت : ذكرتك فما ذكرت منها
فأرسلتني أعلم لها علمك . قال : ويحك غنّني فإن حسنت في نفسي فلك حلتي
الطبرية[2] قد أخذتها بثلثمائة[3] . فغنيته :

عَبِقَ القلبُ بعضَّ ما قد شجاه من حبيبٍ أمسى هوانا هواهُ

(١) يعني أشعب ، وهو ترخيم ، كما [illegible] في أحد [illegible] . [illegible]

(٢) الطبرية : نسبة إلى طبرستان ، وفي الأصل : « الطبرية » بالضاد ، تحريف . وجاء في كتاب (التبصر بالتجارة) للجاحظ ٢٢ بتحقيق العلامة حسني حسني عبد الوهاب باشا « وخير الطيالسة الرويانية الطبرية » وفي الحيوان (٣ : ٢٧) ، « قلت لأحمد بن رباح : شريت كساء أبيض طبرياً بأربعمائة درهم » .

(٣) أي ثلاثمائة درهم . انظر ما سبق

ماضرارى نفسى بهجرانٍ من لَيْسَ مسيئاً ولا بعيداً نواه

قال : ما عدوتَ ما فى نفسى وأعطانى حلته ، فرجعت إلى سكينة وهى

حالسة تنتظر رجوعى فأخبرتها عنه وعن حاله التى رأيت عليها وما قلت وما

صنع قالت : وأين الحلة ؟ قلت : معى . قالت أفتريد يا شعيب أن نلبس حلة

٥ قد لبسها ابن عثمان وسلبه إياها ، لا ولا كرامة . قلت : والله لألبسنها قالت :

فأنا أشتريها منك . فاشترتها بمائة دينار ، ويقال بثلاثين ديناراً

وكان يزوج إبراهيم بن عبد الرحمن بها أنها مكثت حيناً بعد زيد

لا تخطب ، فقالت لها مولاة لها : حملت فداك ، لا أرى أهل المدينة يذكرونك .

قالت : أما والله لأحملن لهم حديثاً . فأرسلت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن

١٠ عوف ، وكان شرساً كثير الشر ، فقالت له : كيف أنت إن تزوجتك ؟ قال :

تجديني خير الناس

وكانت طريفة تقول لها . إن سكينة أحلك مسكة وأنت مزاحة . قالت :

إنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة ، وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك

الإسلام[1] .

١٥ ويقال إنها لما زفت إلى زيد فحملت ، فأتت مولى لها كان يمشى مع

دابتها فقال لها جة : ويلك ما لك . وقالت لرجل : قوّم هذا الأديم .

وذكر الفرزدق سكينة وشبّب بها وعمرُ بن عبد العزيز على المدينة ، فأخرجه

منها ونفاه . فقال جرير فى ذلك

نفاك الأغرُّ ابنُ عبد العزيز بحقك تنفى من المسجدِ[2]

٢٠ (١) أحدها فاطمة بنت الحسين بن على ، سميت باسم جدتها فاطمة بنت الرسول زوج على ابن أبى طالب وهى هو جدير بالذكر أن اسم سكينة بنت الحسين هو آمنة ، وأما سكينة فلقب لها ، وسميت آمنة باسم جدتها آمنة بنت وهب أم الرسول صلوات الله عليه . انظر الأغانى (١٤ : ١٥٨) .

(٢) وكذا رواية النقائض ٧٩٨ . وفى الأغانى (١٩ : ٥٢) : « ونفاك يعنى » .

وطافت سكينة بنت حسين رضي الله عنه، فلما انتهت إلى الركن اليماني أعيت في أول طواف، ونظر إليها العرجي فقال:

يقعدن في التطواف آونة ... ويطفن أحياناً على فتر

حتى استلمن الركن في أنف ... من شأنهن يطأن في الأزر

فرغن في سبع وقد جهدت ... أحشاؤهن موائل الخمر

فسمعت شعره امرأة ووصفته لها، فحفظت الشعر فحزنها، فقالت: «لو أن الجبال طفن سبعاً جهدت أحشاؤهن».

وقال أبو دهبل يمدح عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام — وهو زوج سكينة، ولدت منه قُرينا، وحكيما، وأسماء. وأمّ عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم رملة ابنة الزبير — فقال:

[illegible]رم سبيل مجد بين محمد ... وبين علي فاسمعن كلامي

وبين حكيم والزبير فلا ترى ... لهم شبهاً في منجد وتهام

تمطّت به بيضاء فرع حسيبة ... حصان وبعض الوالدين غرام(١)

٦ — أخبرنا أحمد قال: أخبرنا أبو الحسن قال: أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله كانت عند الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فولدت له طلحة، فلما حضرته الوفاة أمر أخاه الحسين بن علي أن يتزوجها، فتزوجها فولدت له فاطمة بنت الحسين. فقتل الحسين فتزوجها محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، فولدت له أمة.

٧ — أخبرنا أحمد قال: أخبرنا أبو الحسن قال: ميمونة ابنة عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي بكر، كانت عند عبد العزيز بن الوليد، فولدت له عبد الملك، وعتيقاً، ثم خلف عليها محمد بن الوليد، ثم خلف عليها هشام بن عبد الملك.

(١) الغرام: الأذى، وفي البيت إقواء.

٨ — عائشة بنت طلحة: أخبرنا أحمد بن … أخبرنا أبو الحسن عن سحيم بن حفص قال: تزوج عائشة بنت طلحة عبد الرحمن بن أبي بكر، وهو أبو عذرتها، فولدت له أولاداً، منهم طلحة الذي يقول له الشاعر:

يا طلحَ إن كنت أعطيتني … جمّازةً تستحثُّ القطارا[1]

فما كان نفعُك لي مرةً … ولا مرتين ولكن مرارا

أبوك الذي بايع المصطفى … وسار مع المهتدي حيث سارا

قال أبو الحسن عن سحيم: غاضبت عائشة زوجها، وكان في خلقه زعارة، فخرجت وهي مغضبة … في ملحفة، فمرّت في المسجد حتى دخلت حجرة عائشة، فرآها أبو هريرة فقال: سبحان الله كأنها من الحور. فمكثت عند عائشة قريباً من أربعة أشهر، فأرسلت عائشة إلى ابن أخيها: إن أخوف ما أخاف عليك الإيلاء، إن تمت أربعة أشهر، فضمها إليك. وكان يلقى منها بلاء، فقيل له: طلقها، فقال:

يقولون طلّقها، وأصبحَ ثاويا … مقيماً عليك الهمُّ أحلامُ نائمِ

وإنّ فراقي أهلَ بيتٍ أُحبُّهم … لهم زلفةٌ عندي لإحدى العظائمِ

فكيف صبرنا … وجدعٌ لهمُ يوماً على الأنف خاطمِ

وخطبها مصعب بن الزبير فقالت: إن تزوجته فهو عليّ كظهر أمي. ثم سألت أهل المدينة فقالوا: أعتقي رقبة وتزوجيه. فتزوجها فأصدقها خمسمائة ألف، وأهدى لها خمسمائة ألف. فقال أنس بن أبي أنس بن زنيم:

بُضعُ الفتاة بألف ألفٍ كاملٍ … وتبيتُ ساداتُ الجنود جياعا

لو لأبي حفصٍ أقولُ مقالتي … وأبثُّه ما قد رأى لارتاعا[2]

---

(١) القطار، بالفتح … من شعر مشهور.

(٢) في الأصل «ولا أبو حفص»، تحريف.

فبلغ الشعرُ عبدَ الله بن الزبير فقال: إنّ مصعبًا قدّم خيره، وأخّر أيره. وبلغ الكلامُ عبدَ الملك بن مروان فقال: لكن عبد الله قدّم أيره وأخّر خيره

أحمد قال: قال أبو الحسن: قال الشعبي: كان يجالسنا يوم الفتنة رجل فقلت: من أنت؟ قال: مولى عائشة بنت طلحة، خطبها مصعب بن الزبير وتزوّجها فأتاها، وكانت حظيّة حسنة من امرأة في أذنها عِظَم، وفي ساقها حموشة(1) وقال قوم: في قدمها عِظَم. فعاتبها مصعب يوماً فسبّته.

أخبرنا أحمد قال: قال أبو الحسن، عن عليّ بن مجاهد عن الشعبي قال: قال الشعبي: أخذ بيدي مصعب فمضى وأنا معه حتى دخل منزله ويده في يدي فرفع سترًا فإذا عائشة، فإذا أحسن الناس وجهًا، فعرفت وخلاني ودخل، فرجعت ثم رجعت إليه بالعشيّ وهو جالس فأشار إليّ بيده فقال: رأيت ذاك الإنسان؟ قلت: نعم. فقال: أفرأيت مثله؟ قلت: لا. قال: تلك ليلى التي يقول فيها الشاعر:

وما زلتُ من ليلى لدن طرّ شاربي ... إلى اليوم أُخفي حبّها وأباني(2)
وأحملُ في ليلى لقومي ضغينةً ... وتُحمَلُ في ليلى عليّ الضغائنُ

يا شعبيّ رأيت عائشة وما دلّك إذ رأيتها من صفة. ثم قال لابن أبي فروة: أعط الشعبيّ عشرة آلاف درهم وعشرين ثوبًا. فقتل عنها مصعب فخطبها بشر ابن مروان، وقدم عمر بن عبيد الله بن معمر من الشام فنزل إلى الكوفة، فبلغه أن بشرًا خطب عائشة فأرسل إليها: «أنا خير لك من هذا المبسور(3)، وأنا ابن عمّك وأحقّ بك، وإن تزوّجت بك ملأت بيتك خيرًا، وملأت حِرَكِ أيرًا».
فبنى بها بالحيرة فمُهدت له فرش سبعة عرضها أربع أذرع، فأصبح ليلة سألها عن

(1) الحموشة: الدقة. وفي الأصل: «جوسة» محرفة.
(2) البيتان لكثير عزة كما في الأغاني (٢ : ١٣٣) وروايته: «وأداجي».
(3) المبسور: من به الباسور.

نسعة[١] . وكان عمر عليطاً أحمر يحتجم كل سبعة أيام ، فأخرجه معه إلى فديك[٢] .

ولها يقول الشاعر :

انعمْ بعَيْشَةَ عيشاً غير ذى رَنَقٍ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وانشدْ رملةَ نشدَ الحوتِ الحَنِقِ

وقال آخر :

من عمل الدَّسّاع عِلًّا للزَّلَق

أراد الريح ، وهو ريح الخبيس[٣] .

بين الحوارىَ وبين الصَّنبقْ

فماتت عنها فبكته ، فعلموا أنها لا تزوّج .

أخبرنا أحمد قال . أخبرنا أبو الحسن ، عن سحيم بن حفص قال . قالت رملة بنت طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى لمولاة عائشة : أريني عائشة متجردة ، ولك ألف درهم . فقالت مولاتها : إنّ رملة جعلت لى ألف درهم إن رأتك متجردة . قالت : فإنى أتجرد لها فأعلميها . وتجردت وجعلت تغتسل مدبرة ومقبلة ، ورملة تنظر إليها ، ثم لبست ثيابها فأعطت رملة مولاتها ألف درهم ثم قالت : وددت أنى أعطيتك أربعة آلاف ولم أرها .

قال أبو الحسن : عن أبى عمرو وطارق بن المبارك قال . قال عمر بن أبى ربيعة لعائشة بنت طلحة يشبّب بها

أصبح القلبُ فى الحبال رهينا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ مُقْصَدًا يوم فارق الظاعنينا

لم يرُعنى إلا الفتــــاةُ وإلا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ دمعُها فى الرداء سَحًّا سنينا[٤]

تحمَّلت خُلّةُ العراق علينـــــا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ رحيل ولم تخف أن تبينا

أنتِ أهوى العبادِ قُرْبًا ووُدًّا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ لو تواتينَ عائشَ محــــزونا

---

(١) النواح يذكر ويؤنث .

(٢) فديك ، بالتصغير : موضع ، ولم يعينه ياقوت ولا صاحب القاموس .

(٣) كذا وردت هذه العبارة محرفة . والخبيس ضرب من ضروب الجن .

(٤) السنين ، بفتح السين : السيول الصبوب .

قادهُ الطرفُ يومَ مرَّ إلى الحيـ ... ـنِ جهاراً ولم يخف أن يحينا

وحلا زُيِّنَ بِزُكّةٍ خَـــدَّىٰ ... ضوءُ وجهٍ يضيء للناظرينا[1]

وبدا طيبـــة تراعي نعاجاً ... ومهاً نُهَّجَ المطرِ عينـــا

قلت: من أنتِ فصدّت وقالت: ... أَمُبِدٌّ سؤالك العالمينـــا[2]

قلتُ: باللهِ ذي الجلالة لَمّا ... إذ سلبتِ الفؤاد أن تصدقينا[3]

أيُّ مَنْ جمعَ الموسمُ أنتم ... فأنبئي لنا ولا تكذبينـــا

نحن من ساكني العراق وكُنّـ ... ـا فيها قطين مكة حينـــا

قد صدقناكِ إنْ سألتِ فمن أنـ ... ـتِ؟ عسى أن يجرَّ شأنٌ شؤونا[4]

قد نرى أننا عرفناك نعتا ... ت بظنٍّ وما قتلنا يقينا[5]

بسواد الشفتين ونحـــر ... قد رآهُ ســـاطع مُستبينا

فكانت عائشة تقول: والله ما قلت له هذا وما كلمته قط.

أخبرنا أحمد قال أنبأنا أبو الحسن عبد الله بن قائد [illegible] دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن عبد الملك فحدثته وقالت: يا أمير المؤمنين، مُرْ لي بأعوان. فضمّ إليها قوماً يكونون معها، فحجت ومعها ستون بغلاً عليها الهوادج والرحائل، فقال عروة بن الزبير:

عائشُ يا ذاتَ البغال الستين ... أَكُلَّ عامٍ هكذا تحجّين

٩ — أمامة بنت عروة بن الزبير. أخبرنا أحمد قال: أنبأنا أبو الحسن قال

---

(١) [illegible] : [illegible] والحدي [illegible] إلى [illegible]، وهو موضع [illegible]، وفي [illegible] وفي ديوان عمر [illegible] ص ٦٩

(٢) [illegible] لا

(٣) [illegible] الأعراب [illegible] وأنشد:

[illegible] فولا يدهم وفولا [illegible]

انظر اللسان (٤ : ٤٥). وفي الأصل: «[illegible]» وهو [illegible] في الديوان.

(٤) في الأصل: «قد سألناك إذ سألت»، وبه [illegible] الديوان.

(٥) هو من قول الله: «وما قتلوه يقيناً». وفي الأصل والديوان: «وما قتلنا [illegible]».

ابنة محمد بن عروة بن الزبير كانت عند الحكم بن يحيى بن عروة، وعند أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، فتزوجها محمد بن عمران بن طلحة، ثم راجعها الحكم ابن يحيى بن عروة، ثم طلقها — وكان قاضياً على المدينة — واشترطت عليه أن عطاءه ما عاشت وعلة أرضه ونصف ماله بعده، تزوجهن من شاءت، ولا يغير عليها، فإن فعل فأمرها بيدها.

١٠ — أخبرنا أبو الحسن: أم سلمة ابنة عبد الرحمن بن سهيل ابن عمرو، كانت عند الحجاج بن يوسف، فطلقها فتزوجها الوليد بن عبد الملك، [illegible] من وراء ثوب، ثم طلقها، فتزوجها هشام ابن عبد الملك.

١١ — أخبرنا أبو الحسن قال: ربيحة بنت محمد بن علي بن عبد الله ابن جعفر، تزوجها يزيد بن عبد الملك، ثم تزوجها أبو بكر بن عبد الملك، فقتله عبد الله بن علي، وتزوجها صالح بن علي، فطلقها فتزوجها إسحاق بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي عليهم السلام. وقوم يذكرون تزويج يزيد بن عبد الملك ربيحة.

١٢ — أخبرنا أبو الحسن قال: سحيقة[1] ابنة محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، تزوجها إسماعيل بن إبراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبد الله، فولدت له ابنه، ففارقها فتزوجها إسماعيل بن إبراهيم ابن عبد الله بن جعفر، فتوفي عنها، فراجعها إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن طلحة، ثم طلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب.

١٣ — أخبرنا أبو الحسن قال: أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله كانت عند الحسن بن علي، فولدت له طلحة بن الحسن، فمات عنها وأوصى الحسين بتزوجها، فتزوجها الحسين، فولدت له فاطمة بنت حسين، فقتل عنها،

---

(١) اشتقاق اسمها من السحيقة، وهي المطرة العظيمة.

فتزوجها ابن أبي عتيق — وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر —
فولدت له آمنة. ويقال تزوجها قبل ابن أبي عتيق تمام بن العباس بن عبد المطلب
فهلك عنها فتزوجها ابن أبي عتيق.

١٤ — أخبرنا أحمد بن [illegible] أخبرنا أبو الحسن [illegible] ميمونة بنت عبد الرحمن
ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، كانت عند عبد العزيز بن الوليد
ابن عبد الملك، فولدت له عبد [illegible] وعبيدة [illegible] وكان شديد الحب [illegible]، فماتت
فرثاها بعض الشعراء من كلب، فقال:

[illegible] أم الحسن [illegible] طول [illegible] قصر[1]
مات [illegible] فاحتشمت [illegible]

واتفق قول الشاعر:

[illegible] الجود [illegible] جود عتيق بن عبد العزيز ميمونه
بنت [illegible] من قريش [illegible] الله أن تكون هجينة

ثم تزوجها محمد بن الوليد، ثم تزوجها سليمان بن عبد الملك، ثم تزوجها هشام
ابن عبد الملك. ويقال: لم يتزوجها سليمان.

١٥ — أخبرنا [illegible] أخبرنا [illegible] حفصة بنت عمران بن إبراهيم
ابن محمد بن طلحة بن عبيد الله، تزوجها القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان،
وهو [illegible]، ثم خلف عليها هشام بن عبد الملك، وكان القاسم شديد الغيرة،
فسمع يوماً كلامها، أو رآها مشرفة، فدخل عليها فضربها، [illegible] السوط بها،

(١) [illegible] بن مروان، وهي كذلك زوجة [illegible] عبد
الملك. انظر الأغاني ٤: ١٥٦ ساسي [illegible]
[illegible]

* [illegible] *

انظر [illegible] مصر [illegible] أم النبي [illegible] ولدت [illegible]
وعبد الله. انظر المعارف ٣٩.

فطلقها فتزوجها هشام، فقالت له أم حكيم (1): قل لها تريك ظهرها. فقال لها فأبت وقالت: ما تريد من ظهري، كنت عند رجل كريم غيور خير منك أمّاً وأباً وبيتاً، غار فضربني ضربة فصار في ظهري أثر. فطلقها فتزوجها محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، ثم تزوجها عثمان بن عُروة بن الزبير.

١٦ – أخبرنا أحمد قال: أخبرنا أبو الحسن قال: أم كلثوم ابنة عبد الله بن جعفر، تزوجها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب، فولدت له فاطمة، ثم تزوجها الجرّاح أو الحجاج (2)، فولدت له ابنة، فطلقها، فتزوجها أبان بن عثمان ابن عفان.

١٧ – أخبرنا أحمد قال: أخبرنا أبو الحسن قال: أم القاسم ابنة الحسن بن الحسن بن عليّ، تزوجها مروان بن أبان بن عثمان، فولدت له محمداً، ثم خلف عليها علي بن حسين بن حسن بن علي، ثم تزوجها الحسن بن عبيد الله بن عبيد الله ابن العباس.

١٨ – أخبرنا أحمد قال: أخبرنا أبو الحسن قال: [illegible] بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب تزوجها سليمان بن هشام، فطلقها فتزوجها أبو القاسم بن الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان، فخطبها عبد الله بن علي [illegible] بن علي [illegible].

١٩ – أخبرنا أحمد قال: أخبرنا أبو الحسن قال: قُريبة بنت أبي أمية بن المغيرة (3). كانت عند عمر بن الخطاب، [illegible] أبو بكر [illegible] تزوجها معاوية

---

(1) هي أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية [illegible] عبد الملك [illegible] ١٥ : ٤٣ — ٤٧ [illegible] في رقم ٢٥

(2) ذكر أبو الفرج في [illegible] ١٠ ، ١١ [illegible]
[illegible] عند الله [illegible] الوادي، فقال عبد الله [illegible] الإصابة ٣ : ٢٤

(3) قُريبة، بضم أوله [illegible] وهي أخت أم سلمة زوج رسول الله ﷺ، واسم أبيها حذيفة وقيل سهيل، وكان يلقب «زاد الركب»، كان إذا سافر لا يتزود معه أحد، لجوده وكرمه. انظر الإصابة ٨٨٧ ، ٢ ، ١٣ من قسم النساء

ابن أبي سفيان ، فقال له أبوه : أتزوّج طليقة أمير المؤمنين ؟ انزل عن ثقله[1] .
فطلقها فتزوجها عبد الرحمن بن أبي بكر ، فولدت له محمداً . فكانت عائشة عمته ، وأم حبيبة خالته ، فكان يدخل عليهما .

٢٠ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : أسماء بنت عميس ، كانت عند جعفر بن أبي طالب[2] ، فولدت له عبد الله ، ومحمداً ، وعوناً ، فتزوجها أبو بكر ، فولدت له محمداً ، فتزوجها علي عليه السلام ، فولدت له يحيى[3] ، فقال لها علي : احكمي بين بنيك . فقالت : أما بنو جعفر فبنو الطيار في الجنة[4] ، وأما ابن أبي بكر فابن الصديق ، وإن ثلاثة أنت أخسّها لخيار . فقال علي لابنه : يا بُنيّ قد فسكلتْ أباك[5] .

٢١ — قال : وكانت عائشة بنت طلحة عند عمر بن عبيد الله بن عبد الله بن معمر ثماني سنين ، ومات سنة ثمانين [illegible] ، فنكحه دفعة . أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن ، عن سحيم بن حفص ، قال : دخل مصعب وهي نائمة متصبحة[6] ، ومعه ثماني حبات لؤلؤ قيمتها عشرون ألف دينار ، ونثر اللؤلؤ في حجرها ، فقالت : « نومتي كانت أحب إلي من هذا اللؤلؤ » . وولدت عائشة لعبد الله بن عبد الرحمن أولاداً . وجمع مصعب بينها وبين سكينة ، ومات مصعب عن سكينة وعائشة وأم حبيب بنت عبد الله بن عامر[7] .

(١) العرب تقول لكل شيء نفيس خطير مصون : ثقل . والثقل أيضاً : المتاع والحشم .
(٢) وقد هاجرت معه إلى الحبشة ، فولدت له هناك أولاده ، وقد تزوجها أبو بكر بعد أن قتل عنها جعفر . الإصابة ١٠٥ من قسم النساء .
(٣) في الإصابة أنها ولدت له عوناً ويحيى .
(٤) الطيار لقب جعفر . انظر تفسير هذا اللقب في الإصابة ١١٠٢ والحيوان (٣ : ٢٣٣) .
(٥) فسكله ، بفتح الفاء والكاف وسكون السين : أي أخره وجعله كالفسكل ، بالكسر ، وهو الفرس الذي يجيء في آخر خيل السباق .
(٦) متصبحة : أي نائمة الصبحة ، وهي نومة الغداة .
(٧) هذه الفقرة من أولها إلى هنا ، هي في الأصل بعد الفقرة رقم ٢٤ وقد أعدتها إلى موضعها .

أحمد قال : أخبرنا أبو الحسن عن أبي إسحاق بن ربيعة قال : قال سعد بن قتيبة : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة في المسجد ، فسلمتُ عليها وانتسبت لها ، فبكت وقالت : رحم الله مصعباً . فأردت الذهاب فأخذت بمرفقي بيديها — وعندها نسوة — فاعتمدت على المرفقين ، فما كادت أن تستقل [حتى] أخذَلها وركاها ، فقالت إحدى المرأتين : إنما أنت سمنت . وكانت مديدة الجسم كثيرة اللحم

٢٢ — أحمد قال : أخبرنا أبو الحسن قال : ابنة طلحة بن عمر بن عبيد الله كانت عند الحسن بن الحسن بن علي ، فكان يقول لها : إنها[1] حملت وولدت وهي ما تكلمني وإنها لصارمة لي .

٢٣ — امرأة [من] آل أبي بكر : أحمد قال : أخبرنا أبو الحسن قال : تزوج موسى بن عبد الله بن الحسن امرأة من ولد أبي بكر فغضبت يوماً فضربت جواري فأمسكته وضربته ، فولّت وخرج ، فلقيه أخوه إبراهيم فقال : مالك ؟ قال : ضربتني ابنة أبي بكر . قال : خذ السوط فوالله لئن لم تضربها لا كلمتك . فدخل وقام إبراهيم على الباب وقال للجواري : [illegible] ، والله لئن منعته واحدة منكن لأدخلن عليكن . وقال لموسى : اضرب فأوجعها . فقال موسى لامرأته :

إني زعيم أن أجيء بضرّةٍ ... مقابَلةِ الأجداد ، طيبةِ النشر [2]

إذا انتسبت في آل شيبان في الذرى ... وتغضب لم تُقرِرْ بفضلِ أبي بكر

تحكَّمُ أحياناً علينا وتارةً ... تبدّى كقرن الشمس أو صورة البدر [3]

(١) في الأصل : « عاجب » . ولم تذكر النسخة شيئاً عن زوجها غير الحسن كما ترى .
(٢) المقابَل : الكريم النسب من قبل أبويه جميعاً .
(٣) قرن الشمس : أولها عند الطلوع . وفي الأصل : « لقرن الشمس » .

٢٤ — امرأة من تيم. أحمد قال: أنبأنا أبو الحسن قال: وكانت عند يحيى بن عبد الله بن الحسن امرأة من بني تيم، فخاصمته إلى جعفر بن سليمان بالمدينة، فقضى عليه وقال: اذهب بها حيث شئت.

٢٥ — قال: وكانت أم حكيم ابنة يحيى بن الحكم عند سليمان بن عبد الملك، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك(١).

٢٦ — قال: وتزوج عبد العزيز بن الوليد أم خالد بنت عبد الله بن أسيد، فغلبته على أمره كله، وكان يقال: عبد العزيز بن الوليد سيد الناس، إلا أن أم خالد قد غلبته على أمره. فأمره الوليد فطلقها.

٢٧ — أم عمرو ابنة عبد الله بن خالد. قال: أم عمرو بنت عبد الله بن خالد بن أسيد، كانت عند سليمان بن عبد الملك، فقدم خالد وعبد الله، فوصل خالداً وفضله على عبد الله، فقالت أم عمرو: عبد الله أكرم من خالد وفضلته عليه! فقال: ويحك، إني أعرف أن عبد الله أفضلهما ولكن خالداً كان خاصتي، وكان له عندي يد وأنا صعلوك، فإنما فضلته لذلك.

٢٨ — قال: أنبأنا أبو الحسن قال: كانت دجاجة ابنة أسماء بن الصلت السلمية عند عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس، فولدت له عبد الله بن عامر(٢)، ثم تزوجها عمير الليثي فولدت عبيد بن عمير الفقيه المحدث(٣)، ثم تزوجها الأسود فولدت له عبد الله بن الأسود، فكان يقال لها أم العبادلة(٤).

* * *

(١) وقد تزوجت أيضاً عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، كما في الأغاني (١٥: ٤٧).

(٢) في الإصابة ٣٩٢٠ من قسم النساء: «أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد عند عمير خمس نسوة، ففارق منهن دجاجة بنت أسماء، فخلف عليها عامر بن كريز، فولدت له عبد الله بن عامر».

(٣) في الأصل: «عبد الله بن عمير» والصواب «عبيد» كما أثبت. انظر الإصابة ٦٢٣٨ وتهذيب التهذيب، والمعارف ٣١، ١٩٢. وأبوه عمير بن قتادة الليثي. كان عبيد قاضي أهل مكة، وتوفي سنة ٦٨.

(٤) هذا على التغليب، وإلا فإن ولد عمير الليثي هو عبيد بن عمير كما مضى في التنبيه السابق. والفقرة التالية صلة للفقرة ٣١.

أنبأنا أحمد قال أنبأنا أبو الحسن عن سحيم بن حفص[1] قال: كان مصعب ابن الزبير لا يصل إلى عائشة إلا بشدة، ولا يقدر عليها إلا ببلاء حتى يخرق ثيابها ويضربها، فشكا ذلك إلى عبد الله بن أبي فروة كاتبه، فقال له: أتأذن لي في الحيلة؟ قال: نعم، اصنع ما شئت فإنها أفضل من ملكت من الدنيا. فأتاها ليلا فاستأذن عليها، فقالت له: هذه الساعة! قال: نعم. ففزعت — ومعه أسودان — فقالت له مولاة لها: ما شأنك؟ قال: شؤم مولاتك، قالت: وما لها؟ قال: أمرني هذا الفاسق الفاجر، أخبث من خلق الله لدم حرام وفتنة للناس، أن أحتفر بئراً وأدفنها فيه حية. وقد ويله حرصت أن يعفيني من هذا، فأبى فقتلني. قالت: فأنظرني أذهب إليه. قال: لا سبيل إلى ذلك، وقال للأسودين: احفرا. فبكت عائشة وزاد الجزع، وقالت: يا ابن أبي فروة، إنك لقاتلي؟ قال: ما منه بد، وإني لأعلم أن الله سيجزيه، ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب. قالت: في أي شيء أغضبته؟ قال: في امتناعك عليه، وقد ظن أنك تبغضينه وأنك تطمحين إلى غيره، فقد جن. فقالت: أذكرك الله إلا عاودته. قال: أخاف أن يقتلني. فبكت وبكى جواريها. فقال: قد رققت لك وأنا أغرر بنفسي فما أقول؟ قالت: اضمن عني أني لا أعود له[2]. قال: فأعطيني مواثيق. فأعطته، فقال للأسودين: مكانكما. وأتى مصعباً فأخبره، فقال: استوثق منها بالأيمان. فأتاها فقال: هذا الفاسق قد سكن بعض السكون وسكن شيطانه، فاحلفي لي أن لا تخالفيه، فوثقت له، وصلحت لمصعب.

تم الكتاب والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) هو أبو اليقظان عامر بن حفص، وسحيم لقبه، وبه كان يدعى. يذكره الجاحظ في مواضع كثيرة من البيان، والمدائني في كتبه يذكره بتمام ألقابه وأسمائه. انظر الفهرست ٩١ ليبسك و ١٤٨ مصر. قال ابن النديم: كان عالماً بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب، ثقة فيما يرويه. وتوفي سنة ١٩٠. وانظر الحيوان (٢: ١٥٥ س ٩).

(٢) أي لا تعود إلى ما كان منها من التأبي والنشوز.

كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء

صنعة محمد بن حبيب

٠٠٠ — ٢٤٥

مقـــدمة

يضم هذا الكتاب النفيس طائفة من شعراء العرب الذين عرفوا بنسبتهم إلى أمهاتهم . وهو ضرب من التأليف طريف ، يصله إمام من أئمة الأخبار والأنساب ورواية الشعر ، وهو محمد بن حبيب بن حمير . قال ياقوت : من علماء بغداد باللغة والشعر والأخبار والأنساب ، ثقة مؤدّب ، ولا يعرف أبوه ، وحبيب أمه . روى كتب الكلبي وقطرب ، وكانت أمه مولاة لمحمد بن العباس الهاشمي .
وقال ابن النديم مرة : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو ثم روى عن عبد العزيز الهاشمي قال . كان محمد بن حبيب مولى لنا — يعني لبني العباس بن محمد . وكانت أمه حبيب مولاة لنا روى عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة وأبي اليقظان ، وله مصنفات أشهرها نقائض جرير والفرزدق ، توفي بسامرا سنة ٢٤٥ . انظر ابن النديم ١٥٥ وبغية الوعاة . ومن نسبه تدرك سر اهتمامه بهذا البحث .

ومن هذا الكتاب نسختان في دار الكتب المصرية : إحداهما رقم ٦ مجاميع ش ، رمزت إليها بحرف (أ) ، والثانية رقم ٧٥ ش أدب ، وهي نسخة (ب) .

وقد قمت بنشر هذا الكتاب من قبل في مجلة المقتطف (مايو سنة ١٩٤٥) ونشره من قبلي المستشرق الكبير الأستاذ (ج . ليفي دِلاّفيدا) الأستاذ بجامعة بنسلفانيا ، في مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية بالعدد ٦٢ ص ١٥٦ — ١٧١ سنة ١٩٤٢ ، ولم أكن قد علمت بأنه سبقني في النشر ، وتكرّم ، حفظه الله ، فأرسل إليّ في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٥٠ مستخرجا من نسخته مع خطاب رقيق ينوّه فيه في تواضع العالم بأن نسختي تعدّ ممتازة من كافة النواحي ، حتى إنه ليشعر بأن عمله غير متكافئ مع عملي في نسختي التي أخرجتها (Votre édition du Manuscrit ba[illegible] est excellent sous tous les rapports, et rend la mienne à peu près inutile)

وإني لأسجل مخاطبته هذه تذكاراً لتواضعه ، وإجلالاً لخلقه العلمي الرصين .

كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء

صنعة محمد بن حبيب وتصنيفه ، من رواية عثمان بن جنى رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين

قرأت على أبي محمد قال : سمعته يقرأ على أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة[1] قال : قرأت على ثعلب[2] قال : قال أبو جعفر محمد بن حبيب :

ذكر من نسب إلى أمه من الشعراء :

١ — (ابن شَعُوب) أمه شَعُوب من بني خزاعة ، واسمه عمرو بن سُمَيّ ابن كعب بن عبد شمس بن مالك بن جعونة بن عويرة بن شِجْع بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة . وهو الذي يقول :

ماذا بالقليب قَليب بدرٍ ... من القينات والشَّرْب الكرامِ
وماذا بالقليب قَليب بدرٍ ... من الشِّيزَى تُكلَّلُ بالسَّنامِ
تُحيِّي بالسلامة أمُّ بكرٍ ... وما لي بعد قومي من سَلامِ
يخبرنا النبيُّ بأن سنحيا ... وكيف حياة أصداءٍ وهامِ

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي الواسطي ، أبو عبد الله الملقب بنفطويه . كان عالماً بالعربية واللغة والحديث ، أخذ عن ثعلب والمبرد ، وكان فقيهاً على مذهب داود الظاهري رأساً فيه . وكان بينه وبين ابن دريد منافرة ، وهو القائل فيه :

ابن دريد بقره ... وفيه عي وشره

وله من التصانيف : إعراب القرآن ، المقنع في النحو ، الأمثال ، المصادر ، أمثال القرآن وغيرها . ولد سنة ٢٤٤ وتوفي سنة ٣٢٣ . انظر إرشاد الأريب ، وبغية الوعاة ، وابن النديم ٧٨ .

(٢) هو أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني البغدادي ، أبو العباس ثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، لازم ابن الأعرابي بضع عشرة سنة . وسمع من محمد بن سلام الجمحي ، وسلمة بن عاصم ، وخلف ، وروى عنه اليزيدي ، والأخفش الأصغر ، ونفطويه ، وأبو عمر الزاهد . وكان بينه وبين المبرد منافرات . وأشهر تصانيفه كتاب الفصيح . ولد سنة ٢٠٠ وتوفي سنة ٢٩١ . انظر بغية الوعاة ، وابن النديم ١١٠ — ١١١ .

وله شعر كثير ، قاله وهو كافر ، ثم أسلم بعد .

٢ — و (ابن أمّ خولىّ) من بنى الحارث بن همّام ، شاعر أغار على بنى يربوع ، فلحقه منهم قوم ، ففاتهم حتى أحرز غنيمته ، وقال :

نحن بنى الحارث قد آلينا   لا يُؤخذُ النهبُ الذى حوينا

أنا بصّباح عوّلوا علينا   إما بدا صبيح ما أتينا

لا نحملُ الطّفَّ ينقد دِينا

٣ — و (عطّاف بن نشة[1] الشيبانى) ، قال لخاله عدىّ بن صبّ :

عدىّ بن صبٍّ من نكن أنت خاله   أخا أمّه تُدلجْ بلؤمٍ ركائبُه

وقال :

وطالبِ وترٍ قد أتى الليلُ دونه   وماشتق وترٍ أدرك اليومَ أو غدا

وقال :

أنا ابن الذى لم يُخزِنى فى حياته   ولم يُخزِــــه عند الوفاة بلائيا

٤ — و (ابن طوعة) الشيبانى ، واسمه ناصر بن عاصم[2] وأمه « طوعة » ، أمة أو أخيذة من آل ذى الجدّين ، قال[3] :

تعطفَ اللومُ على عطّافِ   بين بنى الحارثِ والأحلافِ

٥ — و (ربيعة بن غزالة) السكندى[4] شاعرٌ حليف بنى شيبان ، وأمه غزالة ، قال :

---

(١) فى معجم المرزبانى ٢٩٩ : « نشة » بالنون .

(٢) فى المؤتلف ١٤٨ أن ابن طوعة الشيبانى من آل ذى الجدين وفصل بينه وبين ابن طوعة الفزارى ، ونسب هذا الفزارى نصر بن عاصم بن عقبة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى . وقد جعلهما ابن حبيب هنا واحداً . وانظر ألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٢٣ .

(٣) يهجو عطاف بن نشة الشيبانى كما فى المؤتلف ١٤٨ .

(٤) اسمه ربيعة بن عبد الله بن ربيعة بن سلمة بن الحارث بن سوم بن عدى بن أشرس بن شبيب بن السكون ، شاعر جاهلى أدرك الإسلام فأسلم . وينسب أيضاً « السكونى » بفتح السين ، نسبة إلى السكون بن أشرس بن ثور بن كندة . انظر الاشتقاق ٢١١ والمؤتلف ١٢٥ والإصابة ٢٧٢٢ وألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٤٠

كأنى إذ وضعت الرحل فيهم بمكة حيث حلّ بها هشامُ[1]

٦ — و (ابن خَجْمة الأسدى) وهى أمه ، واسمه عبد بن مُعَرِّض ، أحد بنى ثعلبة بن سعد بن ذودان من بنى أسد ، شاعر ، وهو الذى يقول :

مَنْ أحطئهُ ولادتنا وإنا ولدنا سيِّد الناس الوليدا[2]

٧ — و (الشَّنْدرىّ بن عَيْساء[3] الجعفرى) ، وهى أمه ، أمة لشريح بن الأحوص بن جعفر[4] ، وهو الذى يقول :

هل فيكم يوم كيوم حبله يوم أتتنا أسدٌ وحنظله
والمِلْكان والقطينُ أرفلهْ[5] نعلوهم بقُضُبٍ منتخَله
لم تعدُ أن أفرشَ عنها الصَّقله[6]

وقال :

أنا لمن يسأل عنى الشَّنْدَرى أنا الغلام الأحوصىُّ الجعفرى

٨ — و (حبيب بن خُدرة الهلالى) خارجى[7] ، كان مع شبيب ، وذُكر أنه أدرك الحكمين ، وبقى حتى أدرك الضحاك الذى أخذ بالكوفة . وقال :

نهيتُ بنى فِهر غداة لقيتهم وحىُّ نُصَيب والظعون تطلّعُ

(١) ا : « بها تم » تحريف .
(٢) أحطئته ، من أحطأته ، سهل همزتها ثم عاملها معاملة المعتل فحذف الألف للجازم . ب : « أحطأه » غريب ، صوابه فى ا . وانظر ص ٧٩ س ٧ .
(٣) عيساء ، مؤنث الأعيس ، وأصله فى الإبل الأبيض يخالط بياضه شقرة ، وبه سميت المرأة ، وفى ا : « عيسه » بالموحدة ، تحريف ، وقد جاء على الصواب الذى أثبت فى كتاب ألقاب الشعراء الملحق بكتاب أسماء المغتالين من الأشراف لمحمد بن حبيب ، المخطوط فى دار الكتب المصرية برقم ٢٦٠٦ أدب صفحة ١٣١ وكذا الأغانى (١٥ : ٥٣)
(٤) فى المؤتلف ١٢٥ أنه « شندرى من ولد شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب » . وهو نسب يبدأ « بكلابى » وفى الأغانى أن « عيساء » اسم جدته .
(٥) الأرفلة : الجماعة من الناس .
(٦) أى لم تجاوز أن أقتع بهذه الفعلة . والرجز منسوب فى اللسان (٨ : ٢٢١) إلى يزيد بن عمرو بن الصعق ، وفى معجم البلدان إلى رجل من بنى عامر .
(٧) فى القاموس : « حبيب بن خدرة تابعى » .

فقتت هم إن الخرب ورائكم ، بعز يرعى الْمرارَ وتاعُ[1]

وسكن فيه السم إن ربع أهله وإن بذنه قوم هناك براغُ

وقال

معرقم أن تدكوا الحىَّ ببيضة فطلّ لسكم يوم إلى الليل أشنع[2]

٥ وقال :

أصح نرى ريقاً هبَّ وهنا وورقتى وأصحـــابى هجودُ

٩ — و (ابن عُرارة الهذلى) وهو قيس بن خويلد[3] ، شاعر . قال :

لعمرك أنسى روعتى يوم أقتُد وهل تتركنْ نفس الأسير الروائع

وقال :

١٠ ... حار بنى ... ابن أم عبيد كعد كأنى فى لقود هيدُ

١٠ — و (قطبة بن زمرى) ، وهى أمه ، وهو قطبه بن زيد بن سعد

ابن زمرى القيس بن ثعلبة بن كنانة بن [القين بن] جسر ، شاعر ، قال :

حميتُ القوم قد علمت معد ومن للقوم من مولى وجار

حموتُ بهم قضاعه إن مثلى حقيق أن يذب عن الذمار

١٥ ولستُ كمن عثر حاسده كعمر انتهى حيه الحورى

وكان قطبة سيّد قضاعة فى الجاهلية وأوّل الإسلام

١١ — و (قيس بن الخُدادية[4]) وهى أمه ، من محارب ، حضرمية ، وله

---

(١) الخرب : واد كانت به وقعة لبنى سعد بن ... وفى الأصل « الحرب » بالحاء تحريف ، وقد أنشد هذا البيت ياقوت ونسبه إلى عمرو بن شأس الكندى ، وعجزه عنده :

٢٠ « به إبل ترعى ... » .

(٢) صدر البيت مخرب ، وموضع كلمة « تدكوا » بياض فى ب

(٣) هو قيس بن خويلد بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة ، أحدثه ... وأخذه أسيرا سلاحه ، ثم أعتق قيس ، وأنشد أبياتاً رواها المرزبانى فى المعجم ٣٢٦ وأولها هذا البيت الذى رواه ابن حبيب

٢٥ (٤) هو شاعر جاهلى ... صعلوك جمع ، خلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على نفسها خلعهم إياه ، فلا تحتمل جريرة له ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه ... وهو قيس —

شعر . قال ابن الأعرابي . حُداد من كنانة وهو الذي يقول[1] :

أنا الذي أطردَه مواليهْ وكلُّهم بعد الصَّفاء قاليهْ

١٢ — و (عمرو بن الصماء الخزاعي) له شعر ، قال في حرب بينهم وبين كنانة :

ألاّ تعجلني المنية أستقد مقاد جيادي من عُمير ومعبد

ولو أدركتْ خيلي عُميراً ومعبداً ونُعمان ما آبوا بنافقة بعدي

لكانوا لأطراف القنا أو لدارعوا إلى الحيّ أعناق المطيّ المعضَّد[2]

١٣ — و (عياض بن أم شهبة[3] الخزاعي) إسلامي ، قال :

هاجتك أطلالٌ ومُنتَركٌ قفرُ خلا بعد أهلٍ أهلها حِجَجٌ عشرُ[4]

١٤ — و (العريان بن أم سهلة النبهاني) وهو من طيّئ . قال :

لمن الديار عشيتها برماح فعاقلين فجانب السرداحِ

لحُوب فيحان كأن رسومها خُللٌ يمانيةٌ على ألواحِ

١٥ — و (ابن السَّحراء) من حُرقة جهينة قال . وحُرقة هم بنو خميس ابن عامر بن مودوعة من جهينة ، كانوا حلفاء للحُصين بن الحُمام السهمي من بني سهم بن مرة ، ونشامة بن الغدير السهمي . قال ابن سحراء يوم دارة موضوع :

= بن مقعد بن عمرو بن عبد بن عاطر بن صاع بن حبشه بن سلول . انظر الأغاني (١٣ : ٢ — ٨) . وهو حداد بضم الحاء وتخفيف الدال . انظر الاشتقاق ٢٧٢ ، وقد سماه «قيس بن عمرو بن مقعد» وفي ألقاب الشعراء لابن حبيب أن أمه من محارب بن خصفة . انظر ص ١٣٩ .

(١) قاله في الوقعة التي قتل فيها ، وهو يشير إلى ما كان من خذل قومه إياه .

(٢) ب : «كأطراف القنا» . وقد اختلفت ضروب الأبيات فأتى أوسطها صحيحاً بين ضربين مقبوضين .

(٣) في معجم المرزباني ٢٦٩ : «عياض بن أم سهمه» بالسين المهملة .

(٤) في الأصل : «حاجتك» تحريف . وفي المرزباني : «ومنزلة قفر» .

لما أتانا جمعُ قيس وواجهت كتائب خرس بينهن رفيفُ

فلما علت دعوى حبيش بن عامر وقد كلّ مولانا وكاد يحيفُ

حمينا به ثم ارعوينا حفيظة فذلّ سا عاشٍ وعزّ حليفُ

١٦ — و (حميد بن طاعة السَّكُونى[1]) قال :

ولما استقلَّ الحىّ فى رونق الضحى فصلن الوصايا والحديث المجمجما

وكان لُموحٌ من خَصاص ورِقبةٌ مخافةَ أعــداء وطَرفاً مقسّما

ولم لحظا لم يفــل ذوكُبابةٍ لمرٍّ ولا ذو حاجــــة ما تيمما

من البيض مِكســال إذا ما تلبّست بعقل امرئٍ لم ينجُ منها مسلّما

وقال لعمر بن الخطاب :

إنك مسترعًى وإنا رعيــــةٌ وإنك مدعوٌّ بسيماك يا عمرْ

لدى يوم شرٍّ شرُّه لشراره وخيرٌ لمن كانت معاشه الخيَرْ[2]

وقال :

ما إن رأينا مثلك ابن الخطابْ أبرَّ بالدين وبالأحــــبابْ

بعد النبى صاحب الكتابْ

١٧ — و (ابن الدُّمَينة الخثعمى) واسمه عبد الله ، وله شعر كثير[3] .

١٨ — و (يزيد بن ضَبَّة) أمه ضَبَّة[4] ، وأبوه مِقْسَم ، وهو كثير الشعر ، وهو مولى لثقيف ، وهو الذى يقول :

---

(١) حلاه الآمدى فى ص ١١٩ . « السكونى » ، نسبة إلى « سكون » بفتح السين وسكون الكاف ، وهو أبو حى .

(٢) ا : « معاشته » معاشره جمع معيشة ، وفيها شذوذان ، همز الياء الأولى ، وإلحاق الهاء الثانية ، وإلحاقها مذهب للكوفيين جيزونه وتنص ما فى ب .

(٣) ديوانه مطبوع . وانظر الأغانى (١٥ : ١٤٤ — ١٥٠)

(٤) فى ا « ضبة » ، بالنون وفى ب . « ضبه » لكن أصحح فى نسخة طبعت : « ضبه » بالباء .

مشيُ البريّ مع المقرِف نهمة ... ويُرى البريّ مع السقيم فيُبطحُ

وهو الذي يقول :

صبا قلبي إلى هند ... وهنـد مثلها يصبي

١٩ — و (ابن الطثرية[1]) وهو ابن عبيد بن عمرو بن الحارث بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم[2] ، وهو الذي يقول :

ألا عتبت عليّ وصارمتني ... وأعجبها ذوو اللمم الطوالِ

فإني يا أبنة السعديّ أربي ... على فعل الوضيّ من الرجالِ

٢٠ — و (ابن فسوة) وهو عُتيبة بن مرداس الكلبي[3] . وإنما قيل له ابن فسوة لأنه نزل بهم رجل من عبد القيس يقال له ابن فَسوة ، فكان يعيَّر به ، فقال له مرداس : أنا أشترى منك هذا الاسم بكبش ، فاشتراه ، فقال [أخوه[4]] عتيبة :

حوّل مولانا علينا اسم أمه ... ألا رُبَّ مولى ناقص غير زائدِ

٢١ — و (ابن الميحجانة الضبي) لم نعرفه ، وذُكر أن الميحجانة بنت العنبر بن عمرو بن تميم .

٢٢ — ومن شعراء ربيعة (ابن أم الحزنة السعدي) ، وأم حزنة أمه ، وهو ثعلبة بن حزن بن زيد مناة بن الحارث بن ثعلبة بن ضُبيعة بن مالك بن عامر

---

(١) الطثرية : أمه ، من بني الطثر ، بالفتح ، وهم حي من اليمن . قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة » . وضبطها صاحب القاموس بالتحريك ، والوجه الإسكان كما جاءت مضبوطة به في نسخة ليدن من الشعراء . انظر شرح الحيوان (٦ : ١٣٧) .

(٢) كذا ورد في المخطوطة ، وهذا النسب خالف ما في كتب التراجم ، فلعل في الكلام سقطاً .

(٣) في الأغاني (١٩ : ١٤٣) وكذلك ألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٢٨ - ١٢٩ « عيينة » ويدل على صواب ما هنا قول ابن قتيبة في الشعراء : « هو عتيبة وليس عيينة » .

(٤) التكملة من كنى الشعراء لابن حبيب ص ١٢٩

ابن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لُكيز بن أفصى بن عبد القيس . وله شعر كثير .

٢٣ — و (عمرو بن مجرمة) ، عبدى[1] .

٢٤ — و (ابن الدبية) وهى أمه ، امرأة من ... ، واسمه ربيعة بن عبد ياليل ، واسم الدبية قِلابة ، فلقبت الدبية ، وهو الذى يقول :

إنى من ينكرنى ابن الدبية كريمة عفيفة منسوبه

٢٥ — و (شبيب بن البرصاء[2]) ، وهى أمه وهو شبيب بن يزيد ابن حمرة[3] بن عوف بن أبى حارثة ، وأمه البرصاء بنت الحارث بن عوف ابن أبى حارثة ، وأختها عمرة بنت الحرث أم عقيل بن عُلَّفة[4] . وهو الذى يقول :

قامت وأعلى جسمها فى ثيابها قضيبٌ وما تحت الإزار كثيبُ

وقال :

لا خير فى العيدان إلا صلابها ولا ناهضات الطير إلا صقورُها

تبيّنُ أدبارُ الأمور إذا انقضت وتقبل أشباهاً عليك صدورُها

٢٦ — وبعض (بنى أم قرفة) . وأم قرفة اسمها فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارى ، وأبوهم مالك بن حذيفة بن بدر تزوج ابنة عمه .

---

(١) ذكره المرزبانى فى المعجم ٢٤٠ وقال : « هو أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . وهو جاهلى ، أنشد عبد الملك بن مروان لما استلحق ... وكان ابن أمة — :

تهتكتم أن تحملوا ... على حبلكم يوم الرهان فتدركوا »

(٢) قال ابن دريد : « كان النبى صلى الله عليه وسلم خطب البرصاء إلى أبيها ، فقال إن بها سوءاً ... وهو كاذب ... فرجع فوجد بها برصاً » وسماها ابن حبيب فى ألقاب الشعراء ١٣٢ « أمامة بنت الحارث بن عوف » .

(٣) وقال : « حمرة » ويقال : « خمرة » . انظر حواشى الاشتقاق ١٧٦ ، وفى ألقاب الشعراء ١٣٢ : « حبوة » .

(٤) فى الأصل : « علقمة » ، وهو تحريف . انظر حواشى الاشتقاق .

٢٧ — و (ابن ميادة المرى) من بنى عيظ بن مرة ، واسمه الرماح بن الأبرد ابن ثوبان[١] . كثير الشعر . وهو الذى يقول :

اعرنزمى ميّــاد للقوافى واستسمعيهنّ ولا تخــافى[٢]

وقال :

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة بحرّة ليلى حيث ربّتنى أهلى
وهل أسمعنّ الدهر أصوات هجمة تطالع من هجل قريب إلى سهل[٣]

يقال ربّبت الصبى أربّه ربّا فأنا رابّ وهو مربوب ، وربّيته أربّيه تربية فأنا مربّ وهو مربّى ، وربّبته أربّبه تربيباً فأنا مربّب وهو مربّب . ويقال ربّيت فى بنى فلان ، وربوت فيهم ، وتربّيت ، وتربّبت ، كله فصيح مقول .

٢٨ — و (بشامة بن الغدير) وهى أمه . وهو بشامة بن عمرو بن هلال[٤] ابن وائلة بن سهم بن مرة ، كثير الشعر . وهو الذى يقول :

فإنكم وعطــاء الرهان إذا جرّت الحرب جُلًّا جليلا
كثوب ابن بيض وقاهم به فسدّ على السالكين السبيلا[٥]

٢٩ — وأخوه (أسعد بن الغدير) شاعر ، وهو خال أبى سلمى[٦] زهير ابن أبى سلمى الشاعر .

(١) فى الأصل « ... ثوبان » وفى المؤتلف « أبرد بن ثوبان » وفى معجم البلدان « الرماح بن يزيد وقيل ابن الأبرد » وفى طبقات الشعراء ١٣٢ « الرماح بن الأبرد ابن مرداس » .

(٢) الاعرنزام : الاجتماع والتقبض . وفى الأصل « اعرنزمى » والصواب ما أثبت كما صححت مثله فى ب . وفى ا : « واستسمعى » محرفة .

(٣) فى معجم البلدان (٣ : ٢٦٠) : « من هجل خصيب » . وروى ياقوت هذين البيتين فى خبر أنشده ابن ميادة حين استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فاستقدمه وأقام عنده دهراً ثم اشتاق إلى وطنه .

(٤) فى الأصل : « هلاك » والصواب ما أثبت . وانظر المؤتلف ٦٦ ، ١٦٣ والمفضليات (١ : ٥٣ طبع المعارف) .

(٥) انظر شرح البيتين فى المفضليات (١ : ٥٨) .

(٦) أبو سلمى كنية زهير بن أبى سلمى ، كما فى كنى الشعراء لابن حبيب ص ١٢٣ من مصورة دار الكتب . وقد زاد الشنقيطى كلمة « أبى » قبل « زهير » فلم نثبتها لما ذكرت .

٣٠ — و (رُميل بن أم دينار) أبوه أُبَير بن عبد مناف ، من مازن بن فزارة ، وهو قاتل ابن دارة . وابن دارة اسمه سالم بن مسافع بن يربوع . هو دارة القمر ، سمي دارة ، شبه بدارة القمر لحسنه ، وهو من بني عبد الله بن غطفان . ورميل الذي يقول :

أبلغ فزارة أنى قد شَرَيْتُ لهم   مجد الحياة بسيفى بيع ذى الخلقِ

وقال :

أنا رميل قاتل ابن داره   وكاشف المخزاة عن فزاره
ثم جعلت عقله البكاره

٣١ — و (قَعْنَب بن أم صاحب الفزارى[1]) ، وهو الذى يقول :

لو كنت أحسب من شىء لأنجانى   منىُّ الفتى وهو مجنوب له القدرُ

وهو الذى هجا الوليد بن عبد الملك فقال :

فقدت الوليـــد وأمّاً له   كَثِيلِ المعير أبى أن يبولا

٣٢ — و (ابن أم حزنة[2]) وأم حزنة أمه ، وهو ثعلبة بن حزن بن زيد مناة ابن الحارث بن ثعلبة بن سُليمة[3] بن مالك بن عامر بن الحارث بن [أنمار ابن عمرو بن] وديعة بن لكيز بن أفصى . شاعر ، وهو الذى يقول :

نهيتكم أن تحملوا هجناءكم   على خيلكم يوم الرهان فتُدركوا

٣٣ — و (بشر بن شلوة التغلبى) وشلوة أمه . وهو بشر بن سوادة[4] . وهو الذى يقول فى يوم ذى قار ، وكان مع الفرس :

---

(١) هو قعنب بن ضمرة ، أخو بني جعثم بن عمرو بن حنظلة بن عوف بن سعد بن [illegible] ، كما فى ألقاب الشعراء ص ١٣٣ [illegible] عبد الله بن غطفان ، وكان فى أيام الوليد ابن عبد الملك [illegible] شرح التبريزى للحماسة (٤ : ٢٤)

(٢) [illegible] فى رقم ٢٢

(٣) كذا صححت فى أصل المصور . وفى الاشتقاق ٢٩٢ [illegible]

(٤) انظر المؤتلف ٦ [illegible] وصححت « شلوة » فى الأصل [illegible] وهو بشر بن حبيب فى ألقاب الشعراء ١٣٦ « أخو بنى مالك بن بكر بن حبيب »

لما سمعت نداء مُرّة قد علا　　وابنَىْ ربيعة فى الغبار الأقتم

٣٤ — و (ابن الواقفية[1] السدوسى) ينسب إلى أمٍّ من أمهاته ، وهو عبد الله بن عبد العزى كليب[2] بن الحارث بن سدوس ، شاعر . قال :

أتانى عن أبى بكر أُلوكٌ　　يجب بها المبيّن والمنذِرُ

وقال :

ألمّ خيالُ العــامرية موهِناً　　خيال بأعلى حضرموت غريبُ

أرى المرء أمسى للحوادث عابة　　وإنه بعثاته فخصـوبُ

وقال يهجو ابن عنمة الضبى[3] :

إن الشاعر الضبىَّ عبد　　كزائدة النعامة مستعارْ

وقال يمدح الحوفزان[4] :

لمن الديار بجانب الغمر　　آياتهنّ كواضح السطر

يا حارِ أعطاك الإله كما　　أثنى عليك أخو بنى جسر

فلأنت أكسبهم إذا افتقروا　　ولأنت أجودهم إذا نُقرى

٣٥ — و (ابن دعماء العجلى) أمه دعماء بنت مرة ، أخت حنظلة بن مرة ، وهو الذى يقول لسويد بن حطان ، وكان سويد الضبى نزل فى بنى عجل

---

(١) فى الأصل : « الراقية » تحريف ، وهى بالواو نسبة إلى بنى واقف ، وهم بطن من الأنصار ، وواقف لقب مالك بن امرئ القيس . انظر القاموس (وقف) والاشتقاق ٢٦٦ . وانظر ابن قتيبة فى المعارف ص ٥٠

(٢) كذا فى الأصل . ولعله « من بنى كليب بن الحارث بن سدوس » .

(٣) هو عبد الله بن عنمة بن حرثان بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد ابن ضبة . « وعنمة » بفتح العين المهملة والنون والميم . وفى ا . ب « عتمة » تحريف . قال البغدادى : « الظاهر أنه من المخضرمين » . الخزانة (٣ : ٥٨) .

(٤) الحوفزان لقب له ، واسمه الحارث بن شريك بن مطر ، قالوا : « وإنما سمى الحوفزان لأن قيس بن عاصم التميمى حفزه عن سرجه بالرمح . وكان قلعه من موضعه عند هزيمته » . الاشتقاق ٢١٥ .

فانتسب إلى مرة أبى حموية[1] فقال : أنا سويد بن جِطّان بن مرة ، فقال ابن دعماء :

لعمرك ما أدرى وإنى لسائل … سويد بن حطان بمن وما أدرى
سوى أنكم ذؤتم عريتم … على ذرئه والعصب يختل بالتمر[2]
فما أنتم منا ولا نحن منكم … دعاوة كذب أنتم آخر الدهر

فغضب حموية حال ابن دعماء ، فقال :

إن ابن دعماء الذى حدثته … بيض الدجاج لا يحس له أب
إلا الرماد فإنها احتركت به … بين الرماد وبين أمك تنسب[3]

٣٦ — و (عبد المسيح بن عسلة الشيبانى) ، أمه عسلة بنت عامر بن شراكة من غسان ، إليها ينسبون[4] وهو شاعر ، قال :

يا كعب إنك لو قصرت على … حسن الندام وقلة الجرم
لصحوت والمرى يحسبها … عم السماك وخالة النجم[5]

٣٧ — وأخوه (حرملة بن عسلة) ، قال له المنذر بن ماء السماء . اهجُ الحارث بن أبى شمر فقال :

ألم تر أنى شفت المشيب … في دار قومى عفا كسوبا[6]

(١) فى الأصل : « مرة بن أبى حموية » وكله « بن » مقحمة .

(٢) رواه الجاحظ فى الحيوان (٦ : ٦٢) : « عبس بالجد » وقال : « لحمل مبيده بالتمر كقصده بالحناء » . والعصب والمقرب مختلفان ، تمر عجف شديداً .

(٣) مما يزعم الأعراب أن بيض النعام مولد من الزاب ومن الريح . قال الجاحظ فى الحيوان (٣ : ١٧١) : « وبيض الذى يولد من الريح والزاب أصفر وأطف ، وهو فى بيت دون الأخر . وتكون بيض الريح من الدجاج والقبج والحمام والطاوس والإوز » .

(٤) أى أبوه فهو حكيم بن عمرو بن عازق بن لقيم بن مرة بن دهيل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . انظر المؤتلف ١٥٧ وشرح الأنبارى للمفضليات ٥٥٦ وما ورد من التحقيق فى المفضليات (٢ : ٢٨ طبع المعارف) .

(٥) انظر لفهم هذا البيت ما ورد فى جو المفضليات . وفى الأصل : « والمرى تحسبه * عم السماك وخالة النجم » ، وهو تحريف .

(٦) روايته الحماسة (٤ : ٢٣) : « بعض المشيب * وفى دار قومى » .

وأنتَ الإلهَ تنقّصتَه ... فلا أعقَّ ولا أحوبا

وألّا أكافر ذا نعمةٍ ... وألّا أجيبه مستثيبا

وعتبانَ حتّى همُ والذى ... فصلّ يسمّيهم أن أعيبا

فآثرْ به بعضَ من معترك ... فإنّ لها من معدٍّ كليبا

فأجابه عمرة بن المثيف العبدى[1] من شُيمة بن عبد القيس ، وهم حلفاء فى بنى شيبان فى بنى سعد ، فقال :

لأمّ إنّ الحارث بن جبله ... عقّ أباه ظلما وقتله

وأىّ فعل سيّء لا فعله[2]

٣٨ — و (عِتبان بن وَصِيلة) وهى أمه[3] . وهو عتبان بن شراحيل بن شريك بن عبد الله بن الحصين بن أبى عمرو بن عوف بن مرة بن ذُهل ابن شيبان .

٣٩ — و (عمرو بن الإطنابة) وهى أمه[4] ، وهو الذى يقول :

---

(١) نسب الرجز أيضاً إلى « شهاب بن اقعب » . وفى نسخة العبادى من كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء « عامر بن اقعب » (انظر الخزانة ٤ : ٢٣١)

(٢) انظر رواية الرجز وتمامه فى الخزانة

(٣) عتبان ، بكسر العين ، ووصيلة بفتح الواو . انظر الاشتقاق ٢١٩ . وفى معجم المرزبانى ٢٦٦ : « عتبان بن صلة ، ويقال وصيلة ، شيبانى وأصيلة أمه ، وهى من بنى تميم » . وأورد من شعره قوله لعبد الملك بن مروان :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... وذو النصح لو ترعى إليه قريب

[illegible] إلا [illegible] ... بكى لك يوم بالعراق عصيب

فإن تك منكم كان مروان وابنه ... وعمرو ومنكم هاشم وحبيب

فمنا سويد والبطين وقعنب ... ومنا أمير المؤمنين شبيب

وللبيت الأخير قصة يتداولها الرواة .

(٤) عمرو بن الإطنابة شاعر جاهلى ، وأمه الإطنابة بنت شهاب بن زبان ، من بنى القين بن جسر ، وأبوه عامر بن زيد مناة بن مالك بن ثعلبة ، كعب بن الخزرج . انظر المرزبانى ٢٠٣ والكنى والألقاب لابن حبيب ١٣٩ . وأصل الإطنابة سير يشد فى وتر القوس العربية لتحرق به . الاشتقاق ٢٦٨

قرت أحــانُنا كرمًا فأبدت لنا الضراء عن أُدُمٍ صحـاحِ
ولم يُطهر لـ عُفراتِ ســوء جودُ القطر أو بكُءُ اللقاحِ

فى ختام نسخة (ا) تجز الـكتاب والحمد لله رب العالمين . نقلت جميعه من نسخة نقلت جميعها من خط أبى الفتح عثمان بن جنى ، وصححها رضى الدين الشاطبى رحمهما الله .

وفى نسخة (ب) : « قال فى أصل هذا : نجز الـكتاب ... الخ » ، وزاد : ونجزت هذه النسخة فى يوم الاثنين المبارك ١٤ صفر الخير سنة ١٣٠٠ بالمدينة المنوّرة . رحم الله كاتبها ومستنسخها والمسلمين أجمعين .

تحفه الأبيـــه فيمن نسب إلى غير أبيه

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى

٧٢٩ — ٨١٧

مقـــدمة

هذا الكتاب يشبه في موضوعه الكتاب السابق لهذا، ويمتاز بأنه لم يختص بذكر الشعراء فحسب، بل هو عام في ذلك. ومؤلفه في غنى عن التعريف، فهو صاحب أكثر المعجمات العربية تداولا، وهو القاموس المحيط، وهو أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادي، نسبة إلى فيروزاباد، قرية بفارس[1]، منها والده وجده. وأما هو فقد ولد بكارزين من بلاد فارس سنة ٧٢٩، ثم أخذ عن مشايخ العلم بالعراق ومصر والشام والروم والهند، ثم دخل زبيد سنة ٧٩٦ فتلقاه سلطان اليمن الأشرف إسماعيل، وولاه قضاء اليمن كله، واستمر بزبيد عشرين سنة، وتوفي بها سنة ٨١٧. وانظر ترجمته في (الشقائق النعمانية ١ : ٩٢ وبغية الوعاة ١١٧ وروضات الجنات ٤ : ٢٠٧ ومفتاح السعادة ١ : ١٠٣).

وأصل هذه النسخة التي نشرها نسخة الشنقيطي التي كتبها بقلمه سنة ١٣٠٤ محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٣٨ أدب ش). ومن الكتاب نسخة أخرى بمكتبة الجزائر برقم ٤٦.

ويقرب هذا الكتاب في تسميته وموضوعه كتاب آخر محفوظ بالخزانة التيمورية برقم ١٤٠٧ تاريخ تيمور، وهو (تذكرة الطالب النبيه بمن نسب إلى أمه دون أبيه) لأحمد بن خليل اللبودي، وهو تهذيب كتاب آخر، لجلال الدين ابن خطيب داريا. وتقع هذه التذكرة في ٨٩ صفحة، وقد وجدت معظم ما به من الأسماء قد تكفل به ابن حبيب ومجد الدين الفيروزابادي.

---

(١) هي بكسر الفاء وآخرها ذال معجمة، كما في معجم البلدان، قال البشاري: «ومعنى فيروزاباد أتم دو».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عددَ خلقه وزنةَ عرشه ورضى نفسه ومدادَ كلماته ، والصلاة والسلام على أشرف مخلوقاته ، ملءَ أرضه وملءَ سمواته ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأزواجه وذرّياته

وبعدُ يقول محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادى نعشه الله من عثراته ، وحجزه بحيطه وكلاءته بينه وبين زلّاته . هذا كتابٌ وضعتُه فى ذكر من نُسب إلى اثنين من آبائه وأمهاته ، أو إلى غير أبيه ثم إلى جداته ، [أو] أخفى من رباه أو سباه أو غير ذلك من حالاته ، وذلك لما رأيت قراء الحديث تزل مفاصلهم[1] فيخطئون فى ذلك وأخواته ، فأفردته فى جزء راجياً أن يكون لوجه الله تعالى بحتَ لروم مرضاته[2] ، وسميته « تحفة الأبيه[3] فيمن نُسب إلى غير أبيه » ، ورتّبته على الهجاء المشرقَ لصفاء أضاته[4] ، وقدّمتُ ذكرَ سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم محمدٍ عليه أفضلُ صلواتِ الله وأشرفُ تسليماته ، تشريفاً للتأليف ، ولئلاّ يندرجَ اسمُه الشريفُ بين الكتاب حيث يقتضيه ترتيبُ كلماته :

سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم ، خاتم النبيين وأشرف المخلوقين ، ورسولُ ربّ العالمين ، صلى الله تعالى عليه وسلم أبد الآبدين . قيل نَزَع فى الشبه إلى أبى كبشة أحد أجداده ، فقالوا له ابن أبى كبشة . فى صحيح البخارى ، فى حديث هرقل : « فقال أبو سفيانَ بنُ حرب لما قرأ هرقلُ كتابَ النبى صلى

---

(١) المفاصل : جمع مفصل ، كمنبر ، وهو اللسان
(٢) البحت : الخالص ، والروم : الطلب
(٣) الأبيه : وصف ، من أبه للشىء وبالشىء من باب منع وفرح ، أى فطن له ، ولم يذكر المصنف فى قاموسه ولا صاحب اللسان أخذ هذا الوصف
(٤) الأضاة : المستنقع من سيل أو غيره

الله تعالى عليه وسلم : لقد أمِرَ أمْرُ ابن أبي كبشة[1] ، إنه يخافه مَلِكُ بني الأصفر » واختلف العلماء في ذلك فقيل أبو كبشة كُنْيَةُ زوجِ حليمة السعدية التي أرضعت النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم ، فهو أبوه من الرضاعة ، واسمه الحارث بن رفاعة السعدي ، قاله أبو الحسن عليّ بن خلف بن بطّال . وقيل هو كنية وهب بن عبد مناف جدِّ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قِبَل أمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف جدّ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، لأنه كان نزع إليه في الشبه . وقال ابن السكّيت في جمهرة النسب : أمُّ وهبٍ جدّ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قَيْلة بنت أبي قيلة ، وهو وجز بن غالب بن الحارث بن عمرو بن حُوَيّ ابن ملكان بن أفصى بن حارثة بن خزاعة ، فتقول خزاعة : أبو كبشة هو أبو قيلة . وقيل أبو كبشة : رجل من خزاعة خالف قريشًا في عبادة الأوثان وعبد الشعرى العبور ، فشبّهوا النبي صلى الله عليه وسلم به ، ومعناه أنه خالفهم كما خالفهم أبو كبشة . وقيل كان أبو كبشة عمّ ولد حليمة السعديّة . قال الزُّبير بن بكّار : ليس مرادهم عيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وإنما مرادهم مجرد التشبيه . وقال غيره : هذا منهم نداء للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأقبح ما كانوا يدعونه به من الكُنَى والأسماء .

ونسبَ بعضُ المُحْدَثين المولّدين النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم إلى أمّه آمنة ، فقال :

صلّى الإله على ابن آمنةَ التي جاءت به سَبْطَ البَنان كريما
قُل للّذين رجَوْا شفاعةَ أحمدٍ صلُّوا عليه وسلِّموا تسليما

حرف الألف

١ — إبراهيم بن عُلَيّة ، سيأتي ذكره عند ذكر أبيه إسماعيل بن علية .

(١) أمِر ، كفرح : كثر ، وقوي .

٢ — إبراهيم بن هَرَّامة، بفتح الهاء والراء المخففة والسين المفتوحة، وهى أمّه. والهَرَّامة فى الأصل. واحدة الهَرَّام كسحاب، وهو شجر ذو شوك. وقال أبو عمرو يقال له ثمر مثل ثمر الشق، وفيه شوك. قال الشامة الجعدى رضى الله عنه:

وخيـــلٍ يطابقْنَ بالدارعينَ   طِبَاقَ الكلابِ يطأْن الهَرَاما

الواحدة هَرَّامة. وبه سميت المرأة هَرَّامة. وهو أبو إسحاق إبراهيم بن سَلَمة الكوفىّ، متروك الحديث تكلّم فيه أبو عُبيدٍ وغيره. فإذا كتبتَ إبراهيم بن سلمة، ابن هَرَّامة أعربتَ الابن الذى إعرابَ إبراهيم وكتبته بالألف، وكذا فى جميع ما أتاه عليك من هذا النحو.

٣ — أحمد بن تَيْمِيَّة، هى أم أحدِ أجداده الأسعدين، وهو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبى القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى، الحافظ المشهور، الذى لم يلحق شأْوَه فى الحفظ أحدٌ من المتأخرين.

٤ — أحمد بن الخاضِبة[1].

٥ — إسحاق بن راهَوَيْه بفتح الهاء والواو ثم ياء مثناة تحتية، ويقال بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء، وهذه قليلة، وهما لغتان فى كل اسم ختم بوَيْه كسيبوَيْه وعَمْرَوَيْه ونَفْطَوَيْه وغيرها، ويجوز فيه البناء والإعراب: هذا راهَوَيْهِ ورأيت راهويهِ ومررت براهويهِ. وهذا راهويهٌ ورأيت راهويهًا ومررت براهويهٍ. وذلك أن تعربه غير منصرف فتقول: هذا راهويهُ ورأيت راهويهَ ومررت براهوَيْهَ. وهذا عن الجرمى، ونقله ابن مالك عن المتأخرين. ولم يذكر سيبويه إلا البناء. وعلى قول من يعربه يجوز تثنيته وجمعه، فتقول هذان راهويهان وهؤلاء راهويهون. وعلى قول الجمهور تقول: هذان ذَوَا راهويهِ وهؤلاء ذَوُو راهويه. وراهويه لقب أبيه إبراهيم لأنه وُلد فى الطريق، وأصله

---

(١) فى الأصل: «الحاضنة»، صوابه من تذكرة الطالب، مخطوط التيمورية. وهو والد أبى بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقى بن منصور الدقاق، الحافظ البغدادى. انظر تذكرة الحفاظ ٤: ٢٢.

والهُوَى أي طريق. ورواه ... وهو أبو يعقوب إسحاق بن مخلد
ابن مسكين بن إبراهيم ... المساوري، أحد الأئمة
الحفاظ. قال أبو داود ... مات قبل موته بخمسة أشهر، وتوفي سنة ثمان
وثلاثين ومائتين، وهو ابن سبع وسبعين سنة

٦ — إسماعيل بن عُلَيّة بضم العين المهملة وفتح اللام والياء المثناة التحتية
المشددة، وهي أمه وقيل جدته أم أمه. وهو أبو بشر إسماعيل بن إبراهيم بن
مِقْسَم — كمنبر — الأسدي، أسد خزيمة، مولاهم البصري. وأصله من
الكوفة، وهو أحد أئمة الحديث والفقه ومن كبار المصنفين (1). وأما ابن عُلَيّة
الذي يروي عنه كثير من الفقهاء فهو ابن ابنه

٧ — أيوب بن القِرِّيَّة، بكسر القاف والراء المشددة وتشديد التحتية آخره
هاء، وهو ... وتصحف ... ويقال ابن زيد
... وهو أيوب بن زيد بن قيس بن ... بن سلمة بن ... جُشَم بن مالك بن
عمرو بن عامر بن زيد مناة بن القِرِّيَّة، وهو أحد الفصحاء المشهورين بالخطب،
صحب ... والحجاج بن يوسف ... وقيل أيوب
الكتب القديمة إلى العربية، وقتله الحجاج

حرف الباء

٨ — بُدَيل بن أم أَصْرَم، بضم الباء على زنة زُبَير، واسم أبيه سلمة. وبُدَيل
بن سلمة بن أم أَصْرَم صحابي كان بمصر، روى عنه علي بن رباح. وقيل: هو
بديل بن ميسرة، وبديل بن سلمة

٩ — بشير بن الخَصَاصِيَة، بفتح الخاء وتخفيف الياء المثناة من تحت، على زنة
كَرَاهِيَة وطَوَاعِيَة. وبعض المحدثين شددها، وهو لحن لأنه ليس في كلام العرب
فعالية بالتشديد، وإنما هي بالتخفيف فعالية، ككراهية وطواعية وعلانية ورفاهية

---

(1) ترجمته في تهذيب التهذيب

وأخواتها. والخصاصيةُ هي أمّ بشير، واسم أبيه معبد. وكان اسم بشير زحم بن معبد بن شراحيل السدوسيّ، فغيّره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمّاه بشيراً. وأمّه الخصاصيةُ من الأزد. وكان بشير يعرف بها، وروى بشيرٌ أحاديث.

١٠ — بشير بن عقربة. عقربة أمّه. والعقربة في كلام العرب: المرأة الداهية الخدوم. وبشير صحابيّ، ولم أقف على اسم أبيه. وكنيته أبو اليمان، نزل الشام، روى حديثاً واحداً، وهو «من قام بخطبة لا يلتمس بها إلا رياءً وسمعة وقّفه الله عزّ وجلّ يوم القيامة موقفَ رياءٍ وسمعة». روى عنه عبدُ الملك بن مروان وعبد الله بن عوفٍ الكناني.

١١ — بلال بن حمامة، مؤذّن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وحمامة بالفتح والتخفيف: اسم أمّه. واسمُ أبيه رباح، بفتح الراء والباء الموحّدة وبحاء مهملة. ويكنى أبا عبد الله، وقيل أبا عمرو، وقيل أبا عبد الرحمن. مولى أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه، ومن مولّدي السراة[1]، وشهد بدراً. وكان تِرْب أبي بكر رضي الله تعالى عنه. مات بدمشق ودفن بباب الصغير. قال ابن زبر: مات بداريّا[2] وحُمل على الرقاب، ودفن بمقبرة باب كيسان. وقيل مات بحلب ودُفِن بباب الأربعين.

حرف الجيم

١٢ — جُبَيْر بن بُحَيْنة، صحابي. وبُحَيْنة بضم الباء وفتح الحاء المهملة ثم مثناة تحتية ساكنة ونون مفتوحة وهاء، وهي أمّها، واسمها عبدة. وكذلك أخواه عبد الله ومالك. وأبوهم مالك بن القِشْب بكسر القاف. وسيعاد كلّ واحدٍ في بابه إنْ شاء الله تعالى.

١٣ — جعفر بن عُقاب. شاعر، وعُقابُ أمّه. وهو جعفر بن عبد الله ابن قَبيصة.

---

(١) السراة، بالفتح: جبال وأرض حاجزة بين تهامة واليمن.

(٢) داريا: قرية من قرى دمشق، ينسب إليها الداراني.

١٤ الحارث بن مالك بن البَرْصاء ، صحابى . والبَرْصاء اسم أمّ أبيه ، وهى لقبها ، واسمها عَبَدة ، واسم أبيه مالك بن قيس اللّيثىّ . روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يومَ فتح مكة : « لا تُغزَى مكةُ سوى اليوم[1] » . وفى رواية « بعد اليوم » . والحديث الآخر « إنه ليس أحدٌ يلقى اللهَ وقد اقتطع مالَ امرئ مسلم بيمينه إلا . » ، قال إسحاق بن إبراهيم أحدُ رواة هذا الحديث : إن سفيان كَنَى عنه[2] ، إنما هو النار .

حرف الخاء

١٥ — خُفَاف ، بضم الخاء وفتح الفاء على زنة غُراب ، بن نَدْبَة بفتح النون وسكون الدال المهملة وفتح الباء الموحدة ، وهى أمّه ، واسم أبيه عُمَير بن الحارث ابن الشَّريد . وكنيةُ خفافٍ أبو خُراشة بضم الخاء ، صحابى .

حرف الذال

١٦ — ذو الخِرَق بن شُعَاث الشاعر ، بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء بعدها قاف . وشعاث بالشين المعجمة المضمومة وعين مهملة بعدها ألف وثاء مثلثة ، واسم أبيه نُبَاتة .

حرف الراء

١٧ — رافع بن عُنْجُدة ، بضم العين المعجمة والجيم بينهما نون . وقيل عَنْجَرة بالعين المهملة المفتوحة والجيم والراء ، وقيل عنترة ، والأول أصح . وعُنجُدة أمّه أو جدّته واسم أبيه عبد الحارث .

١٨ — الرمّاح بن ميّادة بفتح الميم والمثناة التحتية المشدّدة ، وهى اسم أمّه ، وكانت أمةً سوداء راعية . وهو الرمّاح بن أبْرَد بن ثَوْبان بن سُراقة بن حرملة

(١) فى الإصابة ١٤٧٤ : « لا تغزى مكة بعد اليوم إلى يوم القيامة » .
(٢) أى عن ما بعد « إلا » .

ابن سَلْمَى بن طالم بن جَذِيمة بن يربوع بن غَيظ بن مُرّة بن عوف بن سعد ابن ذبيان ، وكنيته أبو شرحبيل ، وهو شاعر مشهور

حرف الزاى

١٩ — زياد بن هِنْدايةَ ، بكسر الهاء وسكون النون بعدها ألف وياء مثناة تحتية مفتوحة ، وهى أمّه ، وكانت سوداء . واسمه زياد بن حارثة بن عوف بن قُتَيرة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سَعد بن شَبيب ابن السَّكون . وكان فارساً مشهوراً . قال ابنُ الأعرابىّ : وقال ابن الكلبىّ هو زياد بن عوف بن حارثة ، وهو الذى أسَرَ الحُصَينَ ذا الغُصّة . وكان يقول : « لو أرسلتُ فرسى أراهيقَ غزيًا لأسَرَ ذا الغُصّة » . وأراهيق : اسمُ فرسه .

حرف السين

٢٠ — سعد بن حَبْتَةَ ، بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح المثناة الفوقية ، وهى أمّه . وهى حَبْتَةُ بنت مالك رضى الله تعالى عنها . وهو سعد بن بَحِير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة . هذا هو الصحيح المشهور ، وقيل فيه بُجَير بالجيم مصغرا . وهو صحابىٌّ . وأبو يوسفَ بن إبراهيم القاضى من ذُرِّيّة سعد بن عوف[1] بن بُجَير بالجيم ، والأول أصح .

٢١ — سَعْد بن الحنظلية وهى أمّ جَدّه ، وهو سعد بن عُقَيب بالقاف مثل زُبَير ، وقيل عُمَيت بالميم والمثناة آخره مثل حُميد ، وقيل سعد بن الرَّبيع بن عمرو بن عدىّ . ويكنى أبا الحارث الحارثىّ الصحابىّ .

٢٢ — سعد بن حَوْلَة . حَوْلَة أمّه ، وهو سعد بن حَوْلِىّ . و بعضهم يجعل ابن حَوْلَة غير ابن حَوْلىّ . ولم يعرف اسم أبيه ، وهذا هو الأصح .

٢٣ — سُنَيْنُ بن سِنان بن مُشَكّة ، كهُمَزة . ومُشَكّة أمّه ، وهو من

(١) كذا وردت فى الأصل ، وربما هو سعد بن بحير . الإصابة ٣١٢٤ وتاريخ بغداد ٧٥٥٨ .

الشعراء والعدائين ، ومن اللصوص الفتاك ، وكان يُعرف بسُلَيك المَقانب .

٢٤ — سويد بن كُراع وكُراع أمه ، وهي غير مصروفة . وهو سويد ابن عمرو بن كُراع ، وهو شاعر معروف .

٢٥ — سهل بن الحنظلية الحارثى ، والحنظلية هي أم أبيه ، وهو سَهْل بن عمرو بن عدى بن زيد بن خُشَم بن حارثة ، صحابى .

٢٦ — سَهل بن البيضاء ، البيضاء لقب أمه ، واسمها دَعْد بنت جَحْدم ، بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة وفتح الدال المهملة . وهو سهل بن وهب بن ربيعة ، صحابى .

٢٧ — سُهيل بن البيضاء ، أخو سَهل .

حرف الشين

٢٨ — شُرَحْبيل بن حَسَنة ، وهو شُرَحبيل بن عبد الله بن المُطاع أخو عبدالله وعبد الرحمن . وحَسَنة أمه ، وهي عدولية : نسبة إلى عَدَوْلَى قرية بالبحرين . وهي مولاة مَعْمَر بن حبيب . وشرحبيل من الصحابة .

٢٩ — شريك بن السَّحْماء ، بفتح الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة : وهو شَريك بن عَبدة بالتحريك ، ابن مغيث ، أخو البراء بن مالك لأمه وهو أولُ من لاعن فى الإسلام . وبعضهم يجعل شريك بن السحماء غير شريك بن عَبدة ، والأول أصح .

حرف الصاد

٣٠ — صَفْوان بن البيضاء ، والبيضاء لقبُ أمه ، واسمها دَعْد . وهو أخو سَهل وسُهَيل . وهو صفوان بن وهب ، وقد تقدم .

حرف العين

٣١ — عاصم بن بَهْدَلة ، أبو بكر الأسدى ، من القراء ، و بَهدلة أمه . وهو عاصم بن أبى النَّجُود . والبَهدلة : الإسراع والخِفة فى المشى . والبَهدل : جِرو الضَّبع[1] .

(١) فى الأصل : « خرو الضبع » ، تحريف .

٣٢ — عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول المنافق. سَلول أمّه.

٣٣ — عبد الرحمن بن حَسَنة، أخو عبد الله وشرحبيل، وهو عبد الرحمن ابن عبد الله بن المُطاع. وحَسَنة مولاة معمر بن حبيب، عَدَوْلية.

٣٤ — عبد الله بن أم حرام، وهو عبد الله بن عمرو بن قيس. وفيه اختلاف.

٣٥ — عبد الله بن بُحَينة، وهو عبد الله بن مالك الأزدي. وقد تقدم ذكر بحينة عند ذكر أخيه جُبَير. وبحينة عبدة بنت الحارث بن عبد المطلب، وهي أم أبيه.

٣٦ — عبد الله بن حَسَنة، أخو عبد الرحمن وشرحبيل، وهو عبد الله بن المطاع.

٣٧ — عمر بن اللتبية، وقيل ابن الأُتْبِيَّة[١]. قيل الأول الصحيح والأولُ قول ابن دريد، والثاني قول ابن السكّيت، والمعوّل على قوله أكثر.

٣٨ — عمرو بن الفغواء، أخو علقمة، صحابيان.

٣٩ — علقمة بن الفغواء، صحابي، وقيل ابن أبي الفغواء، وهو علقمةُ بن عُبيدٍ الخزاعيّ. والفغواء، بالفاء والغين المعجمة: لقب أمّه. والفغا: مَيَل في الفم.

٤٠ — عمرو بن شَعْو اليافعيّ صحابي. شعواء أمّه، ولم أقفْ على اسم أبيه والشَّعواء بالشين المعجمة والعين المهملة: المنتشرة الشعر، ومنه شجرة شَعْواء: منتشرةُ الأغصان. وغارةٌ شَعْواء: متفرّقة.

٤١ — عوف بن عَفراء، وهو عوف بن الحارث بن رِفاعة النَّجّاري. وهي

---

(١) في الأصل: «ابن اللتبية وقيل ابن الأتبية». وصوابه من مذكرة العلامة، قال: «عده الصاغاني في تكملة العباب في الصحابة الذين نسبوا إلى أمهاتهم». وذكره في الإصابة ٦٩٣٦ باسم «عبد الله». وفي القاموس (لتب): «وبنو لتب، بطن: منهم عبد الله بن اللتبية».

عفراء بنت عُبيد بن ثعلبة . وقيل فيه عَوْذ ، وعَوْفٌ أكثر .

حرف اللام

٤٢ — لوط بن هاران بن تارَح ، ابنُ أخي إبراهيم[١] . هاران هو أخو إبراهيم

حرف الميم

٤٣ — مالك بن نُخيْنة ، ونُخينة لقبها واسمها عَبْدة . وهو مالك بن القِشْب ، بكسر القاف .

٤٤ — مالك بن نُمَيلة ، نُميلة أمّه . وهو مالك بن ثابتٍ المُزَنيّ الصحابي .

٤٥ — محمد بن الحنفيّة ، هو محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما . والحنفيّة أمّه[٢]

٤٦ — محمد بن حَبيب الأديب . حبيبُ اسم أمّه ، ولم أقف على اسم أبيه

٤٧ — محمد بن عائشة ، وهو محمّد بن حَفْص .

٤٨ — محمد بن عثمان ، وهو محمد بن خالد .

٤٩ — محمد بن شَرَف القَيْرَوانيّ . شرفُ اسم أمّه ، ولم أقف على اسم أبيه .

٥٠ — محمد بن القُوطِيّــة ، بضم القاف وكسر الطاء وفتح المثناة التحتية المشددة ، وهي أمّه ، نُسِبت إلى قُوط بن حام بن نوح . وهو أبو السُّوداء والهند والسِّند . وهو محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مُزاحم الأندلسيّ الإشبيلي الأصل ، القرطبي المولد . كان من أعلم أهل زمانه ، ماهراً باللغة

---

(١) لعله يريد أنه يقال لوط ابن أخي إبراهيم ، فنسب إلى عم أبيه

(٢) هي خولة بنت قيس بن مسلمة بن عبد الله بن ثعلبة ، أو بنت قيس بن جعفر بن قيس ، أو خولة بنت إياس بن جعفر ، ونسبها إلى بني حنيفة بالولاء ، وقيل كانت أمه لبني حنيفة سندية سوداء . انظر ألفاظ الحفاظ ، بأخبار الخلفاء ، تحقيق الدكتور الشال ، والإصابة ٣٥٥ من قسم النساء والمعارف ٩١

والعربيّة، حافظ للحديث والفقه والشعر، لا يُلحق شأوُه. وكان متمسّكا متعبّداً.

حكى أبو بكر يحيى بن هذيل التميميّ، أنه توجّه يوماً إلى ضيعة له بسفح جبلِ قُرطبة، وهو من بقاعِ الأرض الطيّبة المونِقة، وصادفَ ابنَ القوطيّة صادراً عنها، قال: فلما رآني عرّج عليّ واستبشرَ بلقائي، فقلت له على البديهة مداعباً:

من أين أُقبلت يا من لا شبيه له … ومَن هو الشمسُ والدنيا له فَلَكُ

فتبسّم وأجاب بسرعة:

مِن منزلٍ يُعجبُ النسّاكَ حضرتُه … وفيه سِتْرٌ على الفتّاك إن فَتَكوا

قال: فما تمالكت أن قبّلت يده. مات في سنة سبع وستين وثلاثمائة.

٥١ — محمد بن ماجه[1]، ماجه اسم أمه وهو محمد بن يزيد بن ماجه، وترجمته مشهورة، الإمام أبو عبد الله الحافظ القزوينيّ أحد أصحاب الكتب الستة ودواوين الإسلام.

٥٢ — مسعود بن العجماء، العجماء اسم أمّه. وهو مسعود بن الأسود ابن حارثة صحابيّ.

٥٣ — مُعَاذ بن عَفراء، عفراء أمّه، وهو مُعاذ بن الحارث بن رفاعة النَّجّاري صحابيّ.

٥٤ — معوّذ بن عَفراء، أخو معاذ. وعفراء هي بنت عُبيد بن ثعلبة صحابيّة.

٥٥ — مَعقِل بن أم مَعقِل، وهو معقل بن أبي الهيثم، ويقال له مَعقِل بن أبي مَعقِل الأسديّ.

٥٦ — المِقْداد بن الأسود، هو الأسود بن عَبد يغوث، وهو رجل زُهريّ

(١) جرى قلمه على نقش أمثال هذه الأسماء بالهاء ساكنة، ونحوها «سيده» و«منده»، ولست أرى مبرراً لهذا الالتزام، فإنه يدخل في نطاق التعريب.

زَنى المقدادَ وتبنّاه فنُسب إليه ، وهو المقداد بن عَمْرو بن ثعلبة بن مالك الكندىّ .

حرف الواو

٥٧ — ورقة بن نوفل بن عبد العُزّى ، ابنُ عمّ خديجة رضى الله تعالى عنها . نوفلُ هو عمُّ خديجة رضى الله تعالى عنها .

حرف الياء

٥٨ — يحيى بن الحنظلية . الحنظلية أمّه ، ولم أقف على اسم أبيه ، وهو ممّن بايع تحت الشجرة .

٥٩ — يَعْلَى بن سَيَابة ، وهى اسم أمّه ، وهو يعلى بن مُرّة الثقفى[1]

٦٠ — يعلى بن مُنْيَة[2] وهى أمّه ، وقيل جدّته أمّ أبيه ، وهو يعلى بن أميّة بن عبدة[3] التميمىّ المكى حليف قريش ، ومن مُسْلِمة الفتح ، وقُتل فى صفّين ، رضى الله تعالى عنه .

٦١ — يُونُس بن حبيب الأديب الشاعر ، حبيبُ أمّه ، ولم أقف على اسم أبيه ؛ وفيه ستّ لغات مشهورات : تثليث النون مع الهمز وتركه .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، محمد حبيب رب العالمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين .
كتبه مصححه محمد [illegible] آمين .

---

(١) فى الإصابة ٩٣٦٢ : «من ابن حبان . من [illegible] بن مرة يعلى بن سيابة . فقد وهم . ثم قال : يعلى بن سيابة يقال إن له صحبة» .

(٢) فى الإصابة ٩٣٦٠ : «يعلى بن منية ، بضم الميم وسكون النون ، وهى أمه وقيل أم أبيه ، جزم بذلك الدارقطنى . وقال : هى منية بنت الحارث بن جابر» .

(٣) فى الإصابة : «ابن أبى عبيدة» .

فهرس المجموعة الأولى

تصحيحات

١٧ : ١٢	فاستضحكا	٣٣ : ٦	عرس
٢٧ : ٩	الخزمه	٧٨ : ٥	إحدى الرابع

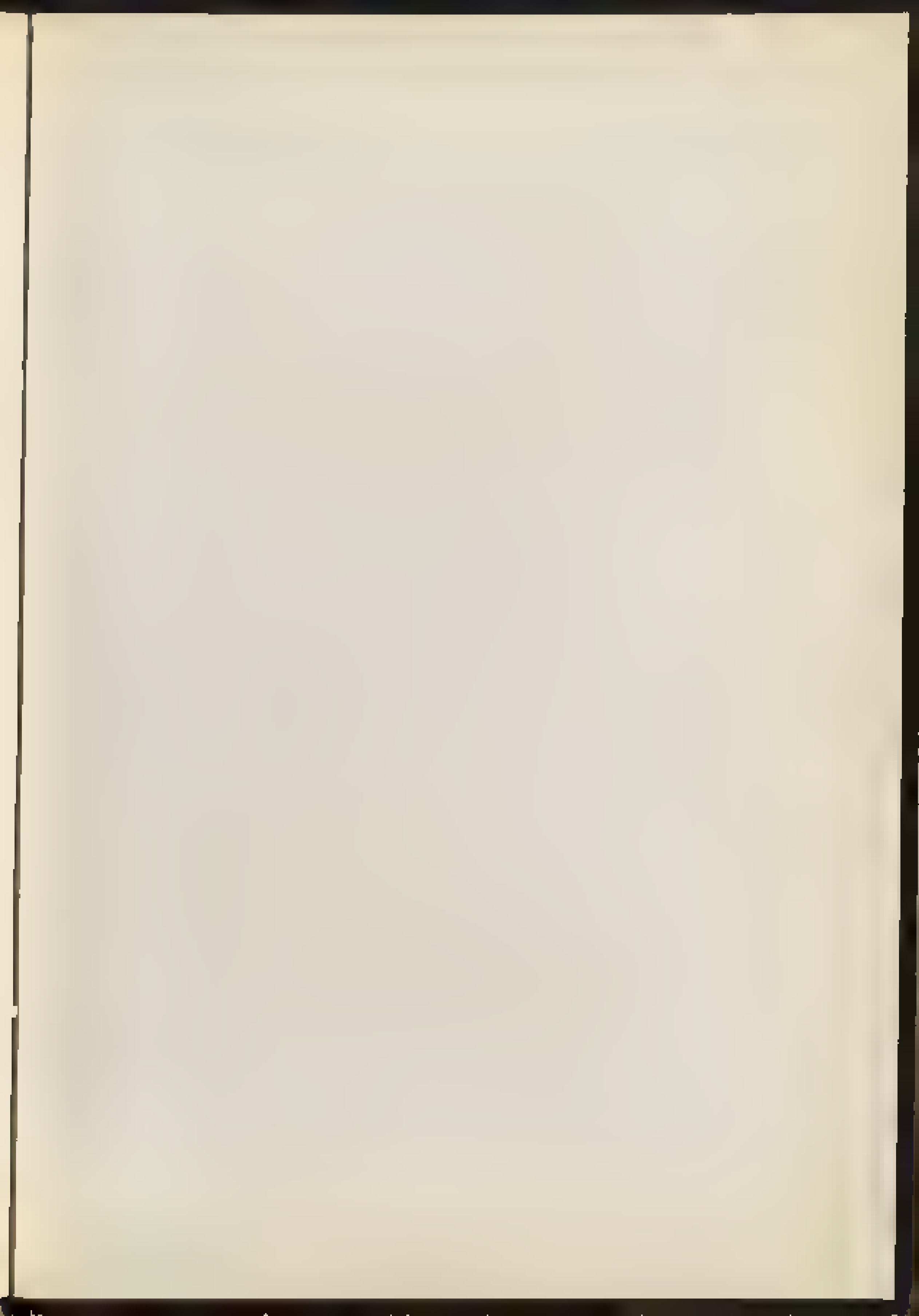

نوادر المخطوطات

٢

بتحقيق
عبد السلام هارون
الأستاذ المساعد بجامعة فؤاد الأول
كلية دار العلوم

المجموعة الثانية

[الطبعة الأولى]

القاهرة
١٣٧ - ١٩٥

مطبعة السعادة بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــــديم

هذه هي المجموعة الثانية من (نوادر المخطوطات) التي أتمنى من الله الأجر والعون على أن أمضي في إخراجها ، مستعيناً بما ظفرت به وما أرجو أن أظفر به ، من عيون النصوص والآثار ، حتى تكون ما قد كان ، فتحفل به المكتبة العربية المنشودة .

وقد لقيت رسائل من أخوان في العالم العربي والإسلامي ، فيها تشجيعات طيبة ، واقتراحات لنشر كتب ورسائل معينة ، وسأعمل جهدي في هذه الرغبات وهذه الإرشادات بعون الله .

وممن رحب وشجع الأستاذ الفاضل (الدكتور شوقي ضيف) فكتب في مجلة الثقافة (العدد ٦٣٤) مقالاً نقدياً عرض فيه عرضاً صادقاً (نوادر المخطوطات) ورسائل المجموعة الأولى ، ونقل نصاً نادراً عن ابن سعيد (في المغرب) في شأن أبي الصلت ، أنه « كان قد خرج من إشبيلية ، فصحب بالمهدية ملوكها الصنهاجيين ووجهه في رسالة إلى مصر فسجن بالقاهرة في خزانة البنود ، وكان فيها خزائن من أصناف الكتب . وأقام بها نحو عشرين سنة ، فخرج منها وقد برع في علوم كثيرة من حديثة وقديمة .... وإنما حبسه المصريون لأن صاحبه الذي أرسله وهو يحيى بن تميم بن المعز بن باديس — كان قد قطع هو وأبوه اسم الخليفة الفاطمي من الخطبة واستقلا عن مصر . فلم يكرم المصريون رسوله ، بل حبسوه إهانة له وإزراء عليه » .

وعقد كذلك موازنة بين ما ورد في كتاب « المردفات من قريش » وما ورد في كتاب « المحبر » لابن حبيب في شبه هذا الموضوع .

وتمكنت [illegible] من تصحيح عثرة وردت بالصفحة في الأصل في ص ٢٢ : «وقد تعور الشعراء [illegible] الشعر على صحيح [illegible]» إذ وجدته في الخريدة : «وقد تعور الشعراء وتعب وتورع الشعر على صفحات مائه».

وورد في ص ٢٣ بيت شعر لابن جهم محرف فوجدت صوابه في الخريدة :

شامي [illegible] كان [illegible] وصور الأعين [illegible]

إذ خشيه [illegible] [illegible] [illegible]

فهي الصدق (الدكتور شوقي ضيف) أخي في دولة الشكر وتقدير تقدير.

وكنت قد عزمت أن أنشر في هذه المجموعة (كتاب مراثي الأصمعي في أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى)، ولكني علمت أن العلامة (عبد العزيز الميمني الراجكوتي) قد وعد بنشر هذا الكتاب من قبل، فرأيت أن أؤجل نشره إلى أن أطلع على نشرته.

وفي النية أن تشمل المجموعة الثانية من (نوادر المخطوطات) على (رسالة ابن عرسة في الشعوبية) و [illegible] عليه.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

القاهرة في ٣٠ رجب سنة ١٣٧٠ عبد السلام محمد هارون

كتاب خطبة واصل بن عطاء

٨٠ — ١٣١

مقدمة

واصل بن عطاء — تلقيبه بالغزال — هو والجاحظ — عبقرية واصل — لثغته — الراء من أكثر الحروف دوراناً في العربية — الجاحظ يعقد فصلاً للثغة — شهرة لثغة واصل — [illegible] خطبه بالراء [illegible] نماذج لمجانبته الراء مما ذكره الجاحظ — نماذج مما ذكره غير الجاحظ [illegible] حديث خطبة واصل [illegible] تاريخ الخطبة — خطبة واصل في [illegible] هذه الخطبة [illegible] — [illegible] واصل ابن عطاء — نص الخطبة.

واصل بن عطاء

هو أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال، مولى بني ضبة أو بني مخزوم. [illegible] في حاجة إلى أن نسهب في التعريف به، فإنه رأس المعتزلة، وأول إمام قوي دفع مذهب الاعتزال، و[illegible] الفرقة الأولى من فرق المعتزلة العشرين[1].

ويجمع المؤرخون أنه ولد بالمدينة مدينة الرسول، سنة ثمانين للهجرة، وأنه رحل إلى العراق وأقام به، ولزم الحسن البصري يحضر مجالسه ويقبس من علمه، إلى أن كان ما كان من قول واصل وصاحبه عمرو بن عبيد بالمنزلة بين المنزلتين، فكان ذلك سبب القطيعة بين الحسن، وبين واصل و[illegible]، وانتقل ميدان الرأي من مجلس العلم إلى الرأي العام، فكان [illegible] منضوون تحت لوائه، وصار مذهبه من مذاهب الأئمة.

تلقيبه بالغزال

وقد اختلف الناس في تلقيب واصل بالغزال، فمنهم من زعم أنه كان غزالاً، وأصح الأقوال أنه إنما لقب بذلك لأنه كان يكثر الجلوس في سوق الغزالين إلى

(1) هي الواصلية، والعمرية، والهذيلية، والنظامية، والأسوارية، والإسكافية، والجعفرية، والبشرية، والمردارية، وأصحاب عيسى بن صبيح، والثمامية، والهشامية، والجاحظية، والخياطية، والكعبية، والصالحية، والخابطية، والحدثية، والشحامية، والبهشمية.

أبي عبد الله مولى قطن الهلالي (١) . ويذكرون أنه كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء ممن يتردد عليهم ، فيجعل صدقته لهن (٢) . ويذكرون من أمثال ذلك في النسبة بعض الأعلام كخالد الحذاء ، قيل إنه سمي بذلك لأنه تزوج امرأة من بني علاء في الحذائين فنسب إليها (٣) . وهشام الدستوائي إذ قيل له ذلك لأن الأجنة كانت تبعث إليه من صدقتها ثيابا دستوائية فكان يكسوها الأعراب الذين يكونون بالحاث (٤) .

هو والجاحظ :

ويشك أن الجاحظ أدرك واصل بن عطاء ، لأن مولد الجاحظ كان في سنة ١٥٠ ووفاة واصل كانت في سنة ١٣١ (٥)

ولكن الجاحظ قد درس حياة خطبة واصل بن عطاء ، وهو معجب به أشد الإعجاب ، وأشار إلى طرفه الخاصة ، وأكثر منه إنشاد الشعر رواه في كتاب الحيوان (٦) ، كما روى عنه شيئا من أخباره في البيان (٧) .

والجاحظ معجب بواصل وفصاحته ، فهو يقول في كتاب الحيوان (٨) عند الكلام على ... لا ... على لصحيح العقل ولو كان ذلك

(١) البيان ١ : ٣٣ والكامل ٦ : ٤ ...

(٢) الكامل وابن خلكان في ترجمة واصل

(٣) أي إلى قبيلة الحدائين . البيان ١ : ٣٣ والسمعاني ١٦٠ .

(٤) البيان ١ : ٣٣

(٥) لسان الميزان في ترجمة واصل ، والنجوم الزاهرة ١ : ٣١٣ ومسالك الأبصار (القسم الثاني من الجزء الثامن ص ٤٩٦ من مصورة دار الكتب رقم ٢٥٦٨ معارف) وعيون التواريخ لابن شاكر الكتبي مخطوطة دار الكتب المصرية في وفيات ١٣١ ، وكذا شذرات الذهب لابن العماد في تلك السنة ، وفوات الوفيات في ترجمته . وفي أصل معجم الأدباء ٧ : ٢٢٥ مرجسوت أنه توفي سنة إحدى و (ثمانين) ومائة . والذي في وفيات الأعيان أنه توفي سنة ١٨١ . وهو خطأ ظاهر .

(٦) الحيوان ٧ : ٢٠٤ - ٢٠٥ . (٧) البيان ٢ : ٢٣٤

(٨) الحيوان ٦ : ١٩٠ .

اليهم لم يعدوا على بن أبى طالب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وأبى بكر وعمر فى [illegible]
[illegible] والحسن فى دهرهم ، و[illegible] و[illegible] فى [illegible] .

[illegible]

ويسمون [illegible] كل على حسب [illegible] وكان [illegible] ولعل [illegible]
• قول المبرد[1] [illegible] أن واصل بن عطاء [illegible] فى [illegible]
خوارج ، فقال [illegible] لأهل [illegible] [illegible] من [illegible]
[illegible] وكانوا قد أشرفوا على العطب ، فقال [illegible] خرج [illegible]
[illegible] [illegible] كلام الله [illegible] حدوده
[illegible] [illegible] [illegible] فهو [illegible] أحكامه [illegible]
[illegible] ومن معى [illegible] [illegible] قال [illegible] ذلك
[illegible] قال الله [illegible] وتعالى « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى
[illegible] كلام الله ثم أبلغه مأمنه » ، [illegible] [illegible] بعض [illegible]
[illegible] : [illegible] [illegible] [illegible]

وهذا الخبر على ما فيه من [illegible] وراء [illegible] هذا الرجل
١٠ ورجاحة [illegible] على [illegible] [illegible] على
[illegible] هذا الرجل الذى هو [illegible] [illegible] على
[illegible] [illegible] ، والى اعتمدت فى [illegible] على [illegible] وعلى
[illegible] ، وعلى [illegible] فى موقف [illegible] [illegible]
[illegible] واحدة .

وتلك [illegible] ، فهذا الخطيب [illegible] ، مع ما رزقه الله من [illegible]
وحسن [illegible] للقول ، كان [illegible] عاهة [illegible] [illegible] الناس .

(١) الكامل ٥٢٨ ليبسك . وقد روى هذا الخبر موجزاً ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١٩٦:١ .

وهي لثغة شنيعة كانت تعوقه في حرف الراء، فتحرجه في ذلك. ثم اجتهد حتى تأتّى له تحاشيها في سوقه من الحروف، وحمل على نفسه في هذا الأمر وجهدها حتى وفق توفيقاً بعد.

قال أحد معاصريه[1]:

ويجعل البر قمحاً في تصرفه ... وجانب الراء حتى احتال للشعر[2]

ولم يطق مطراً والقول يعجله ... فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر

قال الجاحظ: وسأل عثمان البري: كيف كان واصل يصنع في العدد، وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين، وكيف كان يصنع بشهر [illegible] وربيع الأول وربيع الآخر وجمادى الآخرة وحين [illegible]، فقال: ما لي فيه قول إلا ما قال صفوان:

ملقن ملهم فيما يحاوله ... جم خواطره جواب آفاق

والراء من أكثر الحروف دوراً».

وقد حقق الجاحظ، وهو صادق فيما يقول، أن الراء من أكثر الحروف دوراناً في كلام العرب[3]، فقال: [illegible] محمد [illegible]:

وجه [illegible] في أسباب [illegible] ... خير [illegible] في الآداب الألف

وجدت الراء فيه غير [illegible] ... [illegible] مواقعها في عين المصحف

زعم أن هذه الحروف أكثر تردداً من غيرها، والحاجة إليها أشد. ثم إن [illegible] واعتبر ذلك بأن تأخذ عدد [illegible] ثم تأخذ [illegible] من حملة حفظ القرآن ورسمه، فإنك متى حسبت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد».

(١) البيان ١ : ٢١.

(٢) من أسماء الشعر ما ليس فيه الراء «السبد» بالتحريك، و«اللبد» بالضم، و«اللمة»: ما زاد على الجمة، و«الجمة» بالضم: ما اجتمع من الشعر كذلك. انظر المخصص ١ : ٦٢–٦٩.

(٣) البيان ١ : ٢٢.

وهذه براعة عجيبة [illegible] فكره في عصره إلى مثل هذه [illegible]

التي [illegible] في البحوث اللغوية والأدبية [illegible]

[illegible]

[illegible] التي كانت [illegible]

[illegible]

[illegible] في كتابه [illegible][1] [illegible]

[illegible]

[illegible] كما قال [illegible]

كما قال [illegible]

[illegible] والمحو [illegible]

هو الذي [illegible] الجاحظ في [illegible]

[illegible] « [illegible] »

[illegible] في كتابه [illegible][2] [illegible] أن

[illegible] « كانت [illegible] على حين لم يعين الجاحظ [illegible]

وكان [illegible] كانت حرفاً من حرفين ، أو حرفاً من حروف ، [illegible] كانت حرفاً واحداً

[illegible] ، وهو من أقرب الناس به عهداً ، وأخبرهم به [illegible]

شهرة لثغة واصل

قلت : إن لثغة واصل كانت أمراً متعالماً ، ذكرها كل من ترجم له ،

ونطقت بها آثار الشعراء . فهذا أبو محمد الخازن يقول من قصيدة يمدح بها [illegible]

إسماعيل بن عباد[3] :

(١) البيان ١ : ٣٤ — ٣٧ .   (٢) غرر الخصائص ص ١١٤

(٣) وفيات الأعيان ، [illegible] ، [illegible] الإشارة .

نعم، حذف «لا» ... كما حذف ابن عطاء لثغة الراء.

وقال الأرجاني:

ذا امتعاضي أحق احتلالي عن الرا ... ي كأني واصل للراء[1]

ومن ذلك ما رواه ابن شاكر في عيون التواريخ، وليس في ديوانه:

هجر الراء واصل بن عطاء ... في خطاب الورى من الحقد

وأنا سوف أهجر القاف والرا ... ء العقد من حروف الهجاء

وقال آخر في محبوب به ألثغ:

أعد لثغة لو أن واصل حاضر ... ليسمعها ما أسقط الراء واصل[2]

وقال آخر:

أجعلت وصلي الراء لم تنطق به ... وقطعتني حتى كأنك واصل

وقال آخر:

فلا تجعلني مثل همزة واصل ... فيلحقني حذف ولا راء واصل[3]

علة ... واصل للرا

هذه العيوب اللسانية التي ... من ... الناس من يوم خلق الله الخلق إلى يومنا هذا، والناس معذورون في عدها من شينه، ويكادون يتفقون على الاستهجان مع طول العهد، ولا يحاولون تغيير ما صنع الله، وإن كان العلم الحديث في وقتنا هذا يحاول أن يخفف من حدتها، وأن يحدها إلى غير سبيلها. ولذلك نسمع فيما يروى ... من محاولة عملية للهرب من هذا العيب، كتلك المحاولة التي أدت بواصل، وفسر بعضه عليه، وذلك باجتناب

(١) في ديوان الأرجاني ١٣ «عن رأي»، وهو تحريف. وأراد بالاحتلال خلة و حاجة.
(٢) كذا عند ابن خلكان. وفي غرر الخصائص ١١٤: «ولو أن واصل حاضر».
(٣) هذه رواية ابن خلكان، ولم نتبين الحذف. وقد وجدناه منسوبا إلى الزمخشري في المضنون به على غير أهله ١٢١ طبع ١٩١٥ برواية: «فيعطى وصل».

الداء من أصله، وهو التحرّز من ذلك الحرف الذي يحمل تلك اللثغة، وهو حرف الراء.

ويصف الجاحظ هذه المحنة، ويشير إلى تجنبه الراء بقوله[1]: «ولما علم واصل بن عطاء أنه ألثغ فاحش اللثغ، وأن مخرج ذلك منه شنيع، وأنه إذ كان داعية مقالة ورئيس نحلة، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل، وأنه لا بد له من مقارعة الأبطال، ومن الخطب الطوال، وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق، وتكميل الحروف وإقامة الوزن، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب وتثنى به الأعناق، وتزين به المعاني، وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام، واللسان المتمكن، والقوة المتصرفة، كنحو ما أعطى الله تبارك وتعالى نبيه موسى عليه السلام من التوفيق والتسديد ..

ومع حاجته إلى حسن البيان وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة، رام[2] أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه، وإخراجها من حروف منطقه، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه، ويناضله ويساجله، ويتأتى لستره والراحة من هجنته، حتى انتظم له ما حاول، واتسق له ما أمّل. ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلاً، ولظرافته معلماً، لما استجزنا الإقرار به والتوكيد له. ولست أعني خطبه المحفوظة، ورسائله المخلدة، لأن ذلك يحتمل الصنعة، وإنما عنيت محاجة الخصوم، ومناقلة الأكفاء، ومفاوضة الإخوان».

(١) البيان ١ : ١٤ - ١٥.

(٢) هذا جواب «ولما» التي في أول النص.

[illegible] الجاحظ .

[illegible] (١) وكان واصل بن عطاء [illegible]
[illegible] ، وكان [illegible] ، [illegible] الأعمى :

مالي أشايع [illegible] له عنق كنقنق [illegible]
عنق [illegible] [illegible] أكفروا [illegible]

[illegible] على [illegible] :

الأرض [illegible]

[illegible] ، [illegible]
[illegible] [illegible]

[illegible] لا [illegible]

[illegible] ، [illegible] ، ثم كان لا [illegible]
[illegible] »

قال [illegible] بن محمد [illegible] : قال
[illegible] كيف [illegible] الراء في كلامه
[illegible] ، وأنى [illegible] . لا [illegible]
[illegible] في الكلام ألا ترى أنه حين
[illegible] ، [illegible] لا من [illegible] ،
[illegible] ، [illegible] ،
[illegible] ، [illegible] ولم [illegible]
[illegible] ، [illegible] على [illegible] (٢)

(١) البيان ١ : ١٦ — ١٧ .
(٢) نحو هذا في كامل المبرد والروايات علا عنه .

تماماً كما ذكره عن الحفظ .

ويحكي ابن شاكر في عيون التواريخ[1] أنه لا آخر المراد ، فقد ذكر أنه امتحن حتى قرأ سورة براءة ، فبدأ من غير فكر ولا روية : « عهد من الله ونبيه إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في البسيطة هلالين وهلالين »

وذكر ابن أبي الحسن[2] أنه دفعت إليه رقعة مكتوب فيها : « أمر الأمراء الكرام أن يحضر على رقعة العرق ويشرب من الصدر والورد » فقرأ على أنه « حكم حكم الكرام أن يحضر حاجبه ، ويمشي على حدود ممشى فيسقي منه الصادي والهادي »

وهذه الرواية تحمل واضحاً كل شعر طالب لحفظه يحفظ تصحيفه محسن التصحيف في أشعاره ، ووحي أحسن من أخوه كان يعتمد على صورته ، ويعيدون الغرض للتصحيف به ومن[3]

(١) مخطوطة دار الكتب المصرية ، حوادث سنة ١٣١ .
(٢) شذرات الذهب حوادث سنة ١٣١
(٣) من طرائف الأدب العربي صور يجري فيها التصحيف على نهج من يعدون من أصحاب التمر . روى ابن شاكر وابن خلكان عن أبي نواس :

وشادن سألته عن اسمه ... فقال لي بالتمر عاث
فبات صاحبي يصحبه ... وقال لي قد هيجم الثاث
أما ترى حتى كالنا ... زينتها النترين والأثاث
صدت من ثقته أنثا ... فقلت أين السكات والطاث

وروى ابن شاكر في عيون التواريخ لأبي الفضل – وهو شاعر من أهل ، رحمه الله في دوب الودب ، واسمه إبراهيم بن علي – :

هوى وقد داومت قتل مره ... ملقمه حتى أحدث صادقي
تكرب عشو المعربين وكانا ... عت وتكري قد أراد وثاوثي

وروى ابن خلكان للعذري :

في فمه درياق دمع إذا ... أحرق قلبي شدة اللدغ
إن قلت في مسي له من هو ... قد بك روحي قال لا أدغي

حديث خطبة واصل :

كان ذلك حدثاً جامعاً حشد له فحول الخطباء، وأروعهم براعة . وكان ذلك بالعراق ، إذ اجتمع علية القوم والناس فشهدوا حفلاً عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز(1) والي العراق ، [illegible] فيه هؤلاء الخطباء ، وهم خالد بن صفوان ، وشبيب بن شيبة ، والفضل بن عيسى ، وواصل بن عطاء ، [illegible] القول على [illegible] ٥
على هذا [illegible] خالد وشبيب والفضل فيه فجذبت القوم [illegible] ، فهم كانوا سادة الخطباء في ذلك الزمان ، وهم كانوا قد أعدّوا خطبهم من قبل وحبّروها ونمّقوها وما إن فرغ [illegible] حتى نهض [illegible] ، [illegible] خطبة ارتجلها ارتجالاً ، واقتضبها اقتضاباً ، وأسقط [illegible](2) ، وقد [illegible] الجمع على أن [illegible] [illegible] فتعجب الناس [illegible] واصل بن عطاء [illegible] ١٠
[illegible] ، [illegible] ، [illegible] لواصل [illegible] [illegible]

وقد [illegible] شعراء معاصرين [illegible] هذا الحدث [illegible] . أحدهم بشار ، يقول في كلمة له :

(1) عبد الله هذا هو صاحب نهر ابن عمر ، [illegible] بالبصرة [illegible] وكان ١٥
واليا ليزيد بن الوليد بن عبد الملك على العراق ، ولاه إياها بعد عزل منصور بن جمهور ، وذلك سنة ١٢٦ . وقد ظل في ولايته على العراق في [illegible] والأحداث حتى [illegible] يزيد بن عمر بن هبيرة ، من قبل مروان بن محمد آخر الأمويين ، وذلك في سنة ١٢٩ [illegible] وفاته في سنة ١٣٢ كما في النجوم الزاهرة . وأما يزيد بن الوليد [illegible] فهو الذي كان يقال له « يزيد الناقص » [illegible] ، وهو الذي ثار على ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ٢٠
[illegible] ، ودعا إلى نفسه ، فاستجاب له الناس [illegible] ، وقتلوا الوليد ، وذلك في جمادى الآخرة من سنة ١٢٦ [illegible] وتوفي يزيد في السنة نفسها في ذي الحجة . تاريخ الطبري حوادث ١٢٦ - ١٢٩ [illegible] في تاريخه ٩ : ٤٦ والمسعودي في مروج الذهب ٣ : ٢٣٤ أن يزيد بن الوليد كان يذهب إلى قول المعتزلة .

(2) قال الجاحظ . لأنه كان مع [illegible] [illegible] كان مع ذلك أطول ٢٥
من [illegible]

. خدعه قد أتيت معجمة ... في خطبة بدهت من غير تقدير

وإن قولا يروق الخالدين معًا ... لمسكت مخرس عن كل تحبير(1)

وقال فيه أيضًا :

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا ... وحبروا خطبًا ناهيك من خطب

فقام مرتجلا تغلي بداهته ... كمرجل القين لما حف باللهب

وجانب الراء لم يشعر بها أحد ... قبل التصفح والإغراق في الطلب

ومن شعره

ملقن ملهم لا يكسر ... إذا ما أراد القول زوره شعرا

والشاعر الآخر الذي تحدث هو صفوان الأنصاري ، وهو في كلمة له

فما لعبد الله في ... ذاك عبد لا يشاهد واحد

... ومن صفوان ... هو خطيب لا يخونه القصد

... واصل ... ولا ... في ...

في ... إذ كان ... على تركها واللفظ مطرد سرد

فضل عبد الله خطبه واصل ... وضوعف في قسم الصلاة له الشكد

وفي كل القوم تشكر حسنه ... وقال ذلك الصعف في نيسه ...

... حصه .

ويمكننا أن نعين تاريخ هذا الحفل الذي خطب فيه واصل أنه كان ما بين جمادى الآخرة من سنة ١٢٦ إلى سنة ١٢٩ كما يتضح من التحقيق الذي أشرت إليه في الحواشي قريبًا ، إذ أنه المدة المقدورة التي قضاها عبد الله بن عمر بن

(1) يعني بالخالدين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة ، كما في حواشي أبي ذر الخشني على البيان والتبيين ، وهذا على ما يرويه ثعلب .

عبد العزيز في ولاية العراق . ولأرجح أنه كان في الشهور الأولى من هذه الفترة حيث كان المألوف والشائع أن يجمع الناس للاحتفاء بالوالي وتكريمه .

خطبة واصل في التاريخ

اكتسبت خطبة واصل هذه شهرة تاريخية ، وقل من أديب شدا إلا وهو يعرف هذه الشهرة ، ولست تجد في الكتب المطبوعة نصاً كاملاً لخطبة واصل ، إلا ما ورد محرفاً منقوصاً في كتاب مفتاح الأفكار للشيخ أحمد مفتاح ، وآداب اللغة العربية[1] . والمؤرخون الذين ترجموا لواصل يذكرون في ثبت كتبه عنوان « كتاب خطبة واصل » . وأقدم من ذكرها ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ في الفهرست[2] ، وذكرها في ثبت مؤلفات أبي الحسن علي بن محمد المدائني . ويدهش المؤرخون إذ يطلقون كلمة « كتاب » على خطبة ألقى صاحبها ، ولكنا نعرف مقصد المؤلفين القدامى بالكتاب ، وهو مكتوب مهما يكن مقداره .

ولقد أولى الأستاذ الكبير « أحمد زكي صفوت » الأستاذ بكلية دار العلوم ، عناية بالغة حين جمع ما تشتت من خطب العرب في كتابه جمهرة خطب العرب ، ووقع تحت يده الكثير من أمهات كتب الأدب المخطوط منها والمطبوع ، فعثر على نصوص نادرة حفلت بها المشرقة والمغربة ، ووقع تحت عينه كثير مما غاب عن أنظار غيره ، ولكنه لم يجد حفظه الله نص هذه الخطبة إلا في كتاب مفتاح الأفكار[3] .

وعندما تم ثبت محقق كتب السنن والتبيين حاولت أن أعثر على هذا النص مخطوطاً ، فلم أجده إلا أخيراً في « مخطوطات الموصل » للدكتور داود جلبي ، إذ ورد في ص ٣٠٨ أن نسخة من هذه الخطبة محفوظة في مكتبة مدرسة ابن شيث

(١) مفتاح الأفكار ٢٧٠–٢٧١ طبع ١٣١٤ وآداب اللغة العربية ٢١٢–٢١٤ طبع ١٩٠٦م .
(٢) الفهرست ١٥٢ .
(٣) جمهرة خطب العرب ١ : ٤٨٢–٤٨٤ .

بالموصل ، فطلبت إلى أحد العراقيين من طلبتي بكلية الآداب بجامعة فاروق حين
كنت أقوم بالتدريس فيها أن يستنسخ لي صورة منه ، فلم يوفق ، وبعد ما يئست وشككت
أن تتم صحة نسختي من البيان والتبيين وقفت على شريط مصور من مخطوطات تركيا
التي احتلبها معهد المخطوطات بالجامعة العربية ، وهي نسخة مكتبة (فيض الله) ،
فحصلت على صورة منه ، ووجدت في هذه النسخة ورقة ملحقة ، بها نص كامل
لخطبة واصل ، بخط كاتب النسخة ، وهو محمد بن يوسف اللخمي ، كتب النسخة
سنة ٥٨٧ وقرأها على الإمام أبي [illegible] الخشني ، فكان سروري بهذا النص أشد
أشد من سروري بهذه النسخة العتيقة من كتاب البيان والتبيين . ولكني مع
ذلك ، [illegible] بهذا النص ، فطلبت أقف في كتاب مسالك الأبصار ، وهو من أكبر
الموسوعات الأدبية [illegible] ، فوجدت نسخة من الخطبة بها نقص
من آخرها ، فاعتمدت على هاتين النسختين في نشر هذه الخطبة ، التي ضاعف
من سروري أن أكون أول ناشر لها [illegible] مطبوعة [illegible] ، خدمة

قيمة لخطبة واصل .

[illegible] خطبة واصل [illegible] من الحروف التي خاطب بها ، وقد سردتها في
ضعيف ما مضى من الكلام [illegible] لي أن بعد القول في أن خطبته
طويلة نقل الرواة [illegible] في [illegible] ، ويقتدر صاحبها على الاستغناء عن
حرف هو من أكثر الحروف دوراناً في الكلام[1] على حين أنها خطبة [illegible]
[illegible] ، وتمس فيها معاني القرآن وتشبيهه ونصوصه ، فلا [illegible] صاحبها من
أن يرود خطبته [illegible] ، ولكنه [illegible] في حذق من أسقط نفسه إلى مراده
[illegible] كان أوسعت [illegible] عن قدرة فنية لا تتأتى إلا للأفذاذ من الخطباء ، فهو

(١) حفظ لنا التاريخ بعض الخطب التي نزعت منها حروف معينة ، كخطبة أحمد بن علي بن
الزيات الكاتب المتوفى سنة ٧٢٨ فقد نزع منها (الألف) أولها [illegible] بن [illegible] كريم
جود ، وحكمه [illegible] من عظم محمود ، ولكنها [illegible] مرتجلة كخطبة واصل . انظر
الإجابة ١ : ١٠٤ وجمهرة خطب العرب للأستاذ صفوت ٣ : ٢٢٦

حين يريد أن يقول «أعوذ بالله القوي من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم» يقول: «أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي، بسم الله الفتاح العليم». وإذا أراد أن يقرأ سورة كاملة من الكتاب [illegible] سورة الإخلاص لخلوها جميعها من الراء. وحين يريد أن ينفي عن الله [illegible] «وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما» يقول: «لا يحيط به زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما خلق». وإذا أراد أن يقول «لا يعزب عنه مثقال ذرة» قال: «مثقال حبة»، وإذا أحب أن يقتبس من قوله تعالى: «فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم»[1] قال: «أصبحوا لا تنظر إلا مساكنهم». وإذا طلب أن يقول: «فبلغ رسالة» قال: «فبلغ [illegible]» إلى كثير من أشباه هذا.

وخطبته كذلك [illegible] من خطب القرن الثاني الهجري، من الخطب التي [illegible] والدعوة [illegible]، وجمعت فيها مذاهب والدعوة المذهبية، فهي تبتدئ كخطب [illegible][2] بحمد الله والثناء عليه[3]، ثم تأتي الشهادتان في الخطبة، ويعقب على ذلك بالصلاة على الرسول الكريم والتسليم عليه، ثم يحث على التقوى [illegible]، وينتقل بعد ذلك إلى التحذير من مفاتن الدنيا [illegible] من [illegible] وحدقت عليهم ثم صاروا من بعد هذه [illegible] ثم دعا [illegible] أن يكونوا ممن ينتفع بالموعظة الحسنة، ثم [illegible] بعض القرآن [illegible] بعد أن أجرى الاستعاذة والتسمية على النحو الذي [illegible] الراء.

(١) هذه إحدى [illegible] في الآية، وهي الخامسة والعشرون من سورة الأحقاف. انظر كتب [illegible] والتفسير فيها.

(٢) كان واصل كما يروون على جانب من الزهد والتقوى، روى له الجاحظ في البيان ١/١٩٦ قوله: «المؤمن إذا جاع صبر، وإذا شبع شكر». ويروي صاحب الأغاني ٣/٤٠: كان واصل بن عطاء يقول: إن من أخدع حبائل الشيطان وأغواها [illegible] هذا الأعمى الملحد، يعني بشاراً وما كان يقول من غزل ومجون فاجر.

(٣) كان هذا أمراً عاماً في كل خطبهم في ذلك العصر، وكانوا يعدون الخطبة الخالية من هذا أمراً شنيعاً، حتى لقد سموا خطبة زياد التي لم يحمد فيها الله خطبة بتراء.

وشيء آخر [illegible] من [illegible]، فهذه الخصلة التي هي [illegible] مسكوت
عنها في [illegible] قد قيلت في مناسبة [illegible] كما يقولون، وكان من المتوقع
أن [illegible] القوم على الأمر [illegible] وآلائه، و[illegible]
و[illegible]، و[illegible] لدى كل [illegible] في ذلك الزمان، و[illegible]
٥ [illegible] كانت لا [illegible] في [illegible]، [illegible] كله [illegible] مختلف الغرض
[illegible] الذكر والوعظ والإرشاد و[illegible]

و[illegible] في [illegible] هذه [illegible] بين هذه [illegible] و[illegible]
بن عبد العزيز[1]، [illegible] بن عبد الملك[2]، اجتمع فيها
كلها [illegible] في [illegible]، كما [illegible]
١٠ على [illegible] على [illegible]، كما [illegible] في الأسلوب
المبني على المزاوجة، فهو [illegible] في [illegible]

ابن زيدون وواصل بن عطاء

هما موقفان [illegible]، أما موقف واصل فقد تمثل في [illegible]. وأما موقف
ابن زيدون فهو ذلك الموقف [illegible] التي وقفها [illegible] في [illegible]
١٥ وكبرائهم من [illegible]
هذا [illegible] في ذلك [illegible]
وهو [illegible] في [illegible]

في [illegible] وهذا من التوسع في العبارة، و[illegible] على [illegible] في
أساليب الكلام[3]. وهو [illegible] إلى [illegible]، و[illegible] أنه [illegible] يحكي عن
٢٠ واصل بن عطاء أنه [illegible] كله [illegible]، لأنه كان [illegible] حرف الراء [illegible]

(١) عيون الأخبار ٢ : ٣٤٦
(٢) عيون الأخبار ٢ : ٢٧٤
(٣) نفح الطيب ٢ : ٢٨٣ طبع ليدن. ونقدر من القرائن أنه نقل كلام السعدي ملخصاً.

قبيحة . والسبب في تهويل هذا الأمر وتهويله أن واصل بن عطاء كان يعدل إلى ما يرادف تلك الكلمة مما ليس فيه راء ، وهذا كثير في كلام العرب ، فإذا أراد العدول عن لفظ فرس مثلا قال جواد أو سابح وصافن ؛ أو العدول عن رمح قال : قناة أو صعدة أو يزني أو نحو ذلك ، أو العدول عن لفظ صارم قال حسام أو مخذم أو غير ذلك . وأما أن يكون [illegible] في خطبته أقل ما كان في تلك الحضرة ، وهو [illegible] من [illegible] عليه أن يتشكك به ويقصر في ذلك . فحسبه في هذا المقام من أن يعد غيره معصوماً في الشكل . وهذا كله إلى العناية من مخروب « قطعة من كبده » .

والناقد يقف في موازنة بين الموقفين في شيء من الحيرة ، ثم يجزم بأن المقايسة بينهما مقايسة مع الفارق كما يقولون ، فإن موقف واصل واضح ، ظروفه معينة ونصوصه حاضرة ، ولا كذلك موقف [illegible] . [illegible] فقد تكون تطرقت إليه [illegible] في الرواية ، وقد [illegible] من [illegible] الأقوال التي [illegible] ، وربما [illegible] ، وقد تكون [illegible] وليست المهارة التي ذكرت بها [illegible] للسامع أنها [illegible] ، فإن السامع لا يكاد [illegible] إلا بعد وقف موقف المستجيب والانتباه [illegible] على أن [illegible] الإعداد والنية فيها قريب ، وليس كذلك خطبة واصل التي اتفق الرواة ومحققو الشعر أنها كانت وليدة الارتجال والبديهة .

ومهما يكن فإن غايتنا من هذا التقديم أن نظهر الأدباء الذين [illegible] إلى لهفة ذاتية إلى قراءة خطبة واصل محققة ، بنصها الكامل فيما يلي :

هذه خطبة واصل بن عطاء

التي جانب فيها الراء

الحمد لله القديم بلا غاية، والباقي بلا نهاية، الذي علا في دنوّه، ودنا في علوّه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يؤوده حفظ ما خلق، ولم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه ابتداعاً، وعدّله اصطناعاً، فأحسن كل شيء خلقه وتمّم مشيئته، وأوضح حكمته، فدلّ على ألوهيته، فسبحانه لا معقّب لحكمه، ولا دافع لقضائه، تواضع كل شيء لعظمته، وذلّ كل شيء لسلطانه، ووسِع كلّ شيء فضله، لا يعزب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا مثيل له[1]، إلهاً تقدست أسماؤه، وعظمت آلاؤه، علا عن صفات كل مخلوق، وتنزّه عن شبه كل مصنوع، فلا تبلغه الأوهام، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام، يُعصى فيحلُم، ويُدعى فيسمع، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون، وأشهد شهادة حق، وقول صدق، بإخلاص نية، وصدق طوية[2]، أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه، وخالصته وصفيه، ابتعثه إلى خلقه بالبينات[3] والهدى ودين الحق، فبلّغ مألكته[4]، ونصح لأمته، وجاهد في سبيله، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يصدّه عنه زعم زاعم، ماضياً على سنته، موفياً على قصده، حتى أتاه اليقين. فصلّى الله على محمد وعلى آل محمد أفضل وأزكى، وأتم وأنمى، وأجلّ وأعلى صلاة صلاها على صفوة أنبيائه، وخالصة ملائكته، وأضعاف ذلك، إنه حميد مجيد.

أوصيكم عباد الله مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته، والمجانبة لمعصيته،

(١) لا مثيل له: ساقطة من مفتاح الأفكار والأدب وجمهرة ... وفي مسالك الأبصار: «لا شريك له»، تحريف. (٢) في مسالك الأبصار وجمهرة ...: «وصحة نية».
(٣) في المفتاح والأدباء وجمهرة خطب العرب: «بالنبيه». (٤) المألكة: الرسالة.

وحضكم[1] على ما يدنيكم منه ، ويزلفكم لديه ، فإن تقوى الله أفضل زاد ، وأحسن عاقبة في معاد . ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها ، وفواتن لذاتها ، وشهوات آمالها ، فإنها متاع قليل ، ومدة إلى حين ، وكل شيء منها يزول . فكم عاينتم من أعاجيبها ، وكم نصبت لكم من حبائلها ، وأهلكت ممن جنح إليها واعتمد عليها ، أذاقتهم حلوا ، ومزجت لهم سما . أين الملوك الذين بنوا المدائن ، وشيدوا المصانع ، وأوثقوا الأبواب ، وكاثفوا الحجاب ، وأعدوا الجياد ، وملكوا البلاد ، واستخدموا التلاد . قبضتهم بمخلبها[2] ، وطحنتهم بكلكلها ، وعضتهم بأنيابها ، وعاضتهم من السعة ضيقا ، ومن العز ذلا[3] ، ومن الحياة فناء ، فسكنوا اللحود ، وأكلهم الدود ، وأصبحوا لا تعاين[4] إلا مساكنهم ، ولا تجد إلا معالمهم ، ولا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم نبسا . فتزودوا عافاكم الله فإن أفضل الزاد التقوى ، واتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون . جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه ، ويعمل لحظه وسعادته ، وممن يستمع[5] القول فيتبع أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب . إن أحسن قصص المؤمنين ، وأبلغ مواعظ المتقين كتاب الله ، الزكية آياته ، الواضحة بيناته ، فإذا تلي عليكم فاستمعوا له[6] وأنصتوا لعلكم تهتدون[7] .

أعوذ بالله القوي ، من الشيطان الغوي ، إن الله هو السميع العليم . بسم الله الفتاح المنان[8] . قل هو الله أحد[9] . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد .

---

(١) في المسالك والمطبوعات : « وأحضكم » . (٢) في جميع المطبوعات : « بمخلبها » محرف .
(٣) في المسالك : « ومن العز » .
(٤) في المسالك والمطبوعات : « لا ترى » تحريف .
(٥) في المسالك : « يسمع » .
(٦) في المسالك : « فاسمعوا له » ، وفي المطبوعات : « فاسمعوا له وأنصتوا » .
(٧) في المطبوعات : « لعلكم ترحمون » .
(٨) « بسم الله الفتاح المنان » ساقطة من المسالك ومن جميع المطبوعات .
(٩) ما بعده إلى تمام السورة ساقط من المسالك .

نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم ، وبالآيات والوحي المبين ، وأعاذنا وإياكم من العذاب الأليم . وأدخلنا وإياكم جنات النعيم [1] أقول ما به أعظكم ، وأستغفر الله لي ولكم

(١) إلى هنا ينتهي النص في جميع المطبوعات .

كتاب أبيات الاستشهاد

لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي

٠٠٠ — ٣٩٥

مقدمة

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي ، إمام لغوي جليل ، وأديب ذو زعامة أدبية ، وشاعر رقيق الشعر ، ومؤلف صاحب ابتكار وتجديد في تأليفه .

فهو بين اللغويين في رتبة أصحاب الصحاح من المحدثين ، لا يورد في كتبه إلا ما صح من لغات العرب . وهو صاحب «المجمل» ذي الشهرة الذائعة ، وهو صاحب «مقاييس اللغة» الذي تقوم نشر نوادر المخطوطات بتحقيقه ، وهو معجم اللغوي الذي لم يؤلف قبله ولا بعده في موضوعه ، وهو اشتقاق للغوي . وقد طاف هذا المعجم الفذ في تدوينه معجم «أساس البلاغة» للزمخشري ، الذي لم يؤلف قبله ولا بعده في موضوعه ، وهو مجاز اللغة . وهذان المعجمان معجزتان من معجزات التأليف الشرقي الإسلامي .

وهو بين أدباء عصره ، إذ تتلمذ عليه ... بويه ، وحضره الصاحب بن عباد ، وعقيدته آل العميد ، معترف له بالزعامة الأدبية ، يقول فيه الصاحب بن عباد : «شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف» . وروى له الثعالبي في يتيمة الدهر مساجلة شعرية في أبعد(١) كما روى ياقوت مساجلة أدبية بينه وبين عبد الصمد بن بابك(٢) .

وقد أوردت في مقدمة مقاييس اللغة نماذج من مختار شعره تدل على رقته وشاعريته الممتازة ، كما أوردت له نحو أربعين مصنفاً تدل عنوانات كثير منها على ابتكاره وتجديده في التصنيف والتأليف . ومما لم أذكر منها «أبيات الاستشهاد» إذ لم أكن قد عثرت عليه بعد . ولم يذكره أحد من مؤلفي التراجم ولا واضعي فهارس المصنفات قديمهم وحديثهم . وقد يكون هو كتاب «ذخائر الكلمات» الذي ورد في مقدمة مقاييس اللغة ص ٢٩ .

ومهما يكن فإن موضوع هذا الكتاب واضح ، وهو ذكر الأبيات التي تصلح للتمثل بها في مناسبات مختلفة ، أو هي أمثال شعرية مع ذكر مناسباتها ، وقد ساق ذلك في أسلوب أدبي . ويبدو أنه كان لابن فارس عناية خاصة بالأمثال ، إذ وضع كتاباً آخر سماه «أمثلة الأسجاع» .

وأصل أبيات الاستشهاد نسخة فريدة في العالم ، مودعة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ٤٤٥ أدب ، وهي رديئة الخط تقع في نحو اثنتي عشرة صفحة ، عانيت كثيراً في قراءتها وفي نسبة أبياتها التي قضى الذوق الأدبي لابن فارس أن يجردها من نسبتها ، فوفقت في أكثر ذلك وغلبت على نسبة القليل .

---

(١) يتيمة الدهر ٣ : ٢١٤ – ٢١٨ (٢) انظر تمام ترجمته في معجم الأدباء .

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] الحسن أحمد بن فارس النحوي اللغوي

[illegible] جلاس [illegible] [illegible] أي [illegible] ، وهمة بعيدة ، وصرم قاطع[1] ، قد [illegible] الأمور أقرانه[2] ، ولسان فصيح ، ومزح مليح ، وكان إذا رأى ذا مودة قد [illegible] [illegible] أنشد :

[illegible] الجميل على ما كنت أعهده [illegible] [illegible] الله ذلك الحق [illegible]

وإذا رأى محدثه [illegible] أنشد :

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من درق [illegible][3]

[illegible] [illegible] [illegible] عند الإحسان [illegible] ، و [illegible] إذا [illegible] عن الإحسان [illegible] أنشد :

هو [illegible] إذا ما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وإذا رأى [illegible] [illegible] [illegible] وجهه عن السؤال أنشد :

وإن [illegible] الوجه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وإذا [illegible] عن باب دار قد أحسن إليه صاحبها أنشد :

إلى رأس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][5]

---

(1) ذو صرم قاطع ، أي ماض في الأمور نافذ العزيمة .

(2) الأقران : جمع قرن ، بالتحريك ، وهو الحبل يجمع به البعيران ، أو جمع قرن بالكسر ، وأصله كفء الإنسان في الشجاعة ، أو الكفء مطلقا .

(3) الدرق : التجو . والحاء : الأست . وفي الأصل : «فوق حاء» .

(4) في الأصل : «يحس به» .

(5) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] 1 : 163 [illegible] «لكن رأت» ، وقبله :

الله يعلم أني لك شاكر [illegible] [illegible] الحسن شكور

وإذا رأى شامتاً في وجهه منتسب أنشد :

يُسَرُّ بالضيف إذا رآه سرورَ صدِيٍ وَرَدَ الماء

وإذا رأى رجلاً مقبلاً سخياً أنشد

ليس الفتى المعطى على اليسر وحده

ولكنه المعطى على اليسر والعسر

وأحسن منه قوله :

ليس العطاء من الكريم سماحة حتى يجود وما لديه قليل[1]

وإذا شتم أخاه كريمه من خلفه أنشد

لقوس شعرٍ حين يرسل سهمه أشد على الأعداء من قوس حاجب[2]

١٠ وإذا رأى أناساً لا خير فيهم أنشد

لا يبرح الأعداء في قعرهم سعد أنوفهم سادوا

وإذا عارضه في كلامه أحد أنشد :

ويعترض الكلام وليس يدرى أأسعد الله أكثر أم جذام[3]

---

(١) للمقنع الكندى حماسة أبي تمام ٢ : ٣٤٣ والمنسوب على غير أهله ٥٦ ، وإنشاده فيه

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل

(٢) قوس حاجب مضرب المثل في العزة ، وهو حاجب بن زرارة التميمي ، ومن خبر قوسه أنه أتى كسرى في جدب أصاب قومه بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يأذن له ولقومه في دخول الريف من بلاده حتى يحيوا ويميروا ، فقال لهم كسرى : إنكم معشر العرب قوم غدر ، فإذا أذنت لكم أفسدتم بلادى وأغرتم على رعيتى . فقال حاجب : أنا ضامن للملك ٢٠ ألا يفعلوا . قال : فمن لى بأن تفى ؟ قال : أرهنك قوسى ، فضحك من حوله ، فقال كسرى إنه لا يتركها أبداً ، وقبلها منه وأذن له في دخول الريف . ثمار القلوب للثعالبي ٩٠ .

(٣) سعد الله ، هم بنو سعد بن بكر الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظئره حليمة السعدية منهم ، وهم مخصوصون من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان ، ولهم يقول ٢٥ رسول الله : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ، ونشأت في بني سعد بن بكر » فلذا يأتي النحو . وجذام قبيلة أخرى : قال الأصمعي : من أمثال العرب : أسعد الله أكثر أم جذام . =

وإذا جالس قوماً ليلةً محادثةَ أهلِ الأدب ثم جاء السحر أنشد:

بنفسي [illegible] وأنْدها ... لو [illegible] بالفراق من الغد

وإذا وعده [illegible] له [illegible] في غد أنشد

لا مرحبًا بغد ولا أهلًا به ... إن كان ترحالُ الأحبة في غد[1]

وإذا [illegible] من عشيره وصديقه أنشد

[illegible] أصمّ إلى حرى به حدّ منصل[2]

وإذا عاتب [illegible] له أنشد

[illegible] وأنت محمي وإن لم تدعُ لي ودّي[3]

وإذا عاتب من أخلف وعده أنشد:

[illegible] على الجبل

وإذا [illegible] أنشد:

قد [illegible] وبنوالك [illegible] الخبر[4].

= وهما جيان بينهما فضل لا بعض الأعل جاهل لا يعرف شيئا وقال أبو عبيد: يروى عن جابر بن عبد العزيز العامري، وكان من علماء العرب، أن هذا المثل قاله حزة بن الضليل البلوى لروح بن زنباع الجذامي:

لقد أحمت حتى [illegible] تدري ... أسعد [illegible] أم حدام

الميداني ٢: ١٤٧ وثمار القلوب ٢٩. وأنشد في ثمار القلوب للصاحب إسماعيل بن عباد:

كشفت وقد [illegible] على المدام ... وساعدني على شرب المدام

وأسرفنا فما ندري لسكر ... أسعد الله أكثر أم حدام

(١) البيت للنابغة الذبياني، من قصيدته التي مطلعها:

من آل مية رائح أو مغتدي ... عجلان ذا زاد وغير مزود

والرواية المشهورة: «إن كان تفريق الأحبة».

(٢) المنصل، بضم الميم مع ضم الصاد وفتحها: السيف.

(٣) الاستجارة: أن يعد الأمر جائزا معقولا. وفي الأصل «[illegible]» [illegible] والصريمة: العضمة.

(٤) الخبر، بالضم: الاختبار والعلم بالشيء، ومن الماء الشجر. والبيت في محاضرات الراغب ١: ١٣٥، ومع هو قصة فيه ٢: ٨٩.

وإذا هجاه أحد أنشد

وما كلّ كلب نابح يستفزّني ... ولا كلّما طنّ الذباب أُراع[1]

ودخل [illegible] في سبعة نفر [illegible] ، [illegible] الأمير [illegible] ، [و]أنشد :

إن [illegible] الأمير من [illegible] ... [illegible]

لأنا على [illegible] ... [illegible] الناس [illegible] الأمير

وإذا ذكر له كرمه أنشد

إنّ [illegible] ... إذا [illegible] مكروهه [illegible][2]

وإذا [illegible] على [illegible] أنشد

[illegible] ... [illegible] أنفس [illegible] [3]

وإذا رأى من [illegible] على [illegible] أنشد

[illegible] ... [illegible] [4]

---

(١) [illegible] ١٣٥ [illegible]

(٢) [illegible] : أصحب [illegible] ، أي [illegible] وجه شديد [illegible]
الذي [illegible] على [illegible] [illegible] .

(٣) [illegible] ٨٣ و [illegible] ٩٦ و [illegible] ٩٥ و [illegible] ١٠٤
[illegible] قال المبرد : « وقد [illegible] على [illegible] [illegible] أنشده مدحاً
له ، فأنشده :

وركب كأنّ الريح تطلب عندهم ... لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الريح وهي تلفّهم ... إلى شعب الأكوار ذات الحقائب
إذا آنسوا ناراً يقولون ليتها ... وقد خصرت أيديهم نار غالب

فأعرض [illegible] ، فقال [illegible] : يا أمير المؤمنين ، ألا أنشدك [illegible] [illegible] لا [illegible]
[illegible] فأنشده :

أقول [illegible] ... فقاذف أوشال [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] أنت [illegible]

وانظر زهر الآداب ٢ : ٤١ ، ٤٣ والعمدة ١ : ٤٤

(٤) [illegible] يستوصف الدواء الذي يصلح [illegible] .

وإذا حضّ أناساً على أمرٍ ذي بال أنشد

أقول لفتيانٍ كرامٍ تروّحوا ... على الجُرد في أفواههن الشكائمُ(١)

قفوا وقفةً من يحيَ لا يخزَ بعدها ... ومن يُخترمْ لا تتّبعه الملاومُ(٢)

وإذا شكر سعي صديق له أنشد

يا خلاص الأسير فرحة الأوبة [illegible] على عسر وعد

وإذا عاتب أخاه ودعاه إلى حفظ عهده ووده أنشد

فحتّامَ ذا التكسّر [illegible] أخو لعب

وحسبك [illegible] عنه من الطلب

وإذا عاتب [illegible] مودة صديقه أنشد

فتى وعصاك إن أملت من سعيه [illegible] أصدقك أصدق

وإن عزم [illegible] على [illegible] أنشد

فلا [illegible] من يملك النوازع(٣)

وإذا عوتب [illegible] وكثرة [illegible] له أنشد

كيف [illegible] كفه من [illegible] الإنفاق

---

(١) البيتان من مقطوعة رواها ابن الشجري في الحماسة ٤٨ وأبو الفرج في الأغاني ١٨ : ١٠٩ والقالي في الأمالي ١ : ٢٥٨ والبكري في السمط ٨١ [illegible] عن المفضل الضبي أنه قال : كنت مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن [illegible] الذي [illegible] الناس [illegible] والسواد [illegible] قال : يا مفضل أنشدني شيئاً [illegible] على بعض [illegible] فأنشدته ... – وأنشدوا الأبيات – قال : ورأيته [illegible] على سرجه [illegible] كان آخر العهد به . تروحوا : ساروا في الرواح . الجرد : جمع أجرد وجرداء ، وهو الفرس القصير الشعر . والشكائم جمع شكيمة ، وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس [illegible] في أعناقهن ، صوابه في الحماسة والأغاني ومجموعة المعاني ٣٩ .

(٢) الوقعة والوقيعة : القتال وصدمة الحرب [illegible] اخترمته المنية من بين أصحابه : أخذته من بينهم .

(٣) البيت للبعيث ، كما في باب الآداب ٤٢٤ . وأبيات قصيدته في أمالي القالي ١ : ١٩٦ وسمط اللآلي ٤٧٠ – ٤٧١ ومعجم البلدان (القصائم) .

وإذا مشى لأخ في قضاء حاجة ووثق بحقه أنشد :

حقوق لإخواني أريد قضاءها كأني ماء أقتضيني موقض

وإذا أثنى على إنسان ورأى منه شروداً(١) ونفره أنشد :

طوتْ عليك ما استعطفت عنه وطلاّع عليك مع الخطوب(٢)

وإذا أراد شيئاً فاته يقلاً أنشد

وأنفس [illegible] وأشكو [illegible] الأ [illegible] في [illegible] كالأوبة [illegible] لبدد(٣)

وإذا استعد صديقه وعاتبه على قعوده عنه أنشد

وإني إذ أدعوك عند ملمة كداعية بين القبور نصيرها(٤)

وإذا رأى أخاه في [illegible] من إخوانه أنشد :

[illegible] أعدوه على ثقة منه وإخوانه على وجل

وإذا شكا من حال [illegible] أنشد

دنت [illegible] عن [illegible] ونشط بكر عن دنو مزارها

وإن مصيب تمعطه الثرى لأقرب من ليلى وهاتيك دارها(٥)

وإذا [illegible] كان [illegible] مقتضب وكان يشكوها وهو اليوم يسدها أنشد

سعياً ورعياً لأيام مضت سلفاً كنت منه قصرت اليوم أبكيها(٦)

كذاك أيامنا لا شك تذهب إذا تقضت ونحن اليوم نشكوها

---

(١) في الأصل « مرورا » تحريف
(٢) البيت لإبراهيم بن العباس الصولي ، كما في الأغاني ٩ : ٢٤ ومجموعة المعاني ٥٦ . وقبله :

ولكن الجواد أبا هشام وفي العهد مأمون المغيب

(٣) البدد : التفرق
(٤) البيت لإبراهيم بن العباس الصولي ، كما في مجموعة المعاني ١٥١ والمحاضرات ١ : ١٣٢ وقبله

دعوتك عن بلوى ألمت ضرورة فأوقدت من ضغن علي سعيرها

(٥) لإبراهيم بن العباس الصولي . الوساطة ١٨٣ ومحاضرات الراغب ٢ : ٣١ .
(٦) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي في مجموعة المعاني ٢ [illegible] ١

وإذا عاتب أخاً له على هجره أنشد .

تَحَنَّنْ حتّى يذهبَ الهجرُ بالهوى ... وحتّى تكادَ النفسُ عنكَ تطيبُ(1)

وإذا عوتب في خصلة أو بادرة بدرت منه أنشد

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمُّهُ ... على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المهذّبُ(2)

وإذا قيل له قد أسنّ فلان وكبر أنشد

أتنقص منّي أن شِبتُ فلامه ... الآن حين بدا لُبّي وأكيس(3)

وإذا قصد(4) عند أخ له نحوه وده أنشد .

قل لمن شاء [illegible] ... وما كرهت المكروه

فإن ذلك أولى [illegible] ونبهه(5)

وإذا مات له ولد أنشد

كلَّ لساني عن وصفِ ما أجدُ ... وذاق ثكلاً ما ذاقه أحدُ

ما غاب الحزن وأحزانه في الأحشاء مذ ... [illegible] له ولدُ

وإذا حث بسالا على الإخوان وحوله صروف الدهر أنشد

بيننا حرمةٌ وعهدٌ وثيقٌ ... وعلى بعضنا لبعضٍ حقوقُ

فاعلمْ للمرة الحافظ قد بد ... ى مضيقٍ ما منّي لا تضيقُ

(1) التحنن : التمادي في الشيء وعدم الانصراف عنه ، أراد التجلد في الصبر . وفعله من باب فرح وضرب . وفي الأصل : « تحنن » تحريف ، صوابه في ديوان ابن الدمينة ١٢ وقصيدة البيت فيه طويلة جدا

(2) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ١٤ . الشعث : الفساد . واللم : الإصلاح . وكان حماد الراوية يقدم النابغة ، فقيل له : لم تقدمه ؟ فقال : باكتفائك بالبيت من شعره ، بل بنصفه ، بل بربعه ، نحو .

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

كل نصف يغنيك عن صاحبه . وقوله « أي الرجال المهذب » ، ربع بيت يغنيك عن غيره

(3) أي أنا الآن أعظم لبا وأكثر كيسا وفطانة .

(4) في الأصل : « قرد » .

(5) في الأصل « بانها وأشبه » .

وإذا رأى جليلا [illegible] تحفّظ به [illegible] وكان أمره في الأول أقرب، أنشد:

[illegible] لكل [illegible] لولا الحوائج [illegible] إنسان

وإذا رأى أحدا غضب من أمر [illegible] أنشد

غضبت تميم أن تقتّل عامر يوم النسار فأعتبوا بالصيلم (١)

وإذا رأى [illegible] على أمر [illegible] أنشد

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب (٢)

وإذا رأى أمرا [illegible] يصبر عليه [illegible] أنشد

ومن [illegible] من الأمر [illegible] لقصر [illegible]

وإذا [illegible] أنشد:

[illegible] موقف [illegible]

[illegible] الذي في [illegible] (٣)

---

(١) لبشر بن أبي خازم الأسدي في المفضليات ٢ : ١٤٦ واللسان (عتب، صلم) والنسار [illegible] وكانت ضبة حالفت بني أسد على بني تميم، وكان [illegible] معهم في [illegible] وقد تعاقدوا على أن [illegible] ثلاث سنين، وأرسلت تميم إلى [illegible] فقالت بنو أسد لضبة: [illegible] بني عامر [illegible] قبل أن تصير إليهم بنو تميم، [illegible] منهم مقتلة عظيمة. انظر النقائض ٢٣٨، ٢٤٥، ١٠٦٤-١٠٦٧ [illegible] الأثير [illegible] أعتبوا [illegible] والإعتاب: الإرضاء، ويروى «فأعقبوا» أي كانت عاقبتهم [illegible] وهي الداهية.

(٢) [illegible] السعدي في ديوانه ص ٨ والمفضليات ١ : ١١٨. المقامات جمع مقامة، وهي المجلس، [illegible] والأندية جمع ندي، والندي والنادي سواء. يريد يوم [illegible] والأندية مواقف الخطابة والمفاخرة ونحوها. والتأويب [illegible] يوم [illegible] أو الإمعان في السير [illegible] وكذا وردت الرواية في الأصل وفي الديوان والمفضليات: «إلى الأعداء تأويب».

(٣) البيت من قصيدة هي من عيون شعر جميل في أمالي القالي ٢ : ٧٤ والرواية «الذي به» كما في الأمالي و[illegible] ١ : ٤٥ [illegible] يكون ابن فارس [illegible] الإنشاد [illegible] الاستشهاد، أو هو تحريف ناسخ.

وإذا مر بأطلال حبيب من منازله وقفت وبكى آثاره أنشد:

خلولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد [1]

وإذا حضر محل سطوة ووثب على خيله فيه عدوه أنشد:

ولو شهدت أم القديد طعاننا بمرعش خيل الأرمني أرنت [2]

وإذا فر له [illegible] أعرض عن وثب عزائه نفسه أنشد:

ولقد أجمع رجلي بها حذر الموت وإني لفرور [3]

وإذا استشار في أمر ذي [illegible] أنشد:

فكأنك حي [illegible] العرض [illegible]

وإذا كثر من ذكر أخ [illegible] وقال به في نفسه أنشد:

[illegible] على كل نفس [4]

وإذا [illegible] أنشد:

تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادي عن هواك بمنسل [5]

وإذا حضر [illegible] أنشد:

لو نال حي من الدنيا بمكرمة أفق السماء لنالت كفه الأفقا [6]

---

(١) البيت هو مطلع معلقة طرفة بن العبد.

(٢) [illegible] في ديوان الحماسة ١ : ٤٠ [illegible] ومرعش مدينة بين الشام والروم [illegible] وصاحت.

(٣) لعمرو بن معديكرب في الحماسة ١ : ٢٥ وأمالي القالي ٢ : ١٤٧ [illegible] أي بالفرس [illegible] أصبحها عليها [illegible] الفرار [illegible] وبعده:

ولقد أعطفها كارهة حين للنفس من الموت هرير

(٤) [illegible] أمالي القالي ٢ : ١١٩ [illegible] ١٦٠ ، ١٧٠ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٥ وديوان المعاني ١ : ٢٧٤ .

(٥) لامرئ القيس في معلقته . وفي البيت قلب ، أي تسلت الرجال عن عمايات الصبا وجهالاته وسفاهه . ويقال انسلى وانسلاه : زال حبه من قلبه ، أو زال حزنه .

(٦) البيت لزهير في مدح هرم بن سنان . ديوانه ٥٥ .

وإذا عتب أخاً له على هجرانه به أنشد :

طوى البين أسباب الوصال وحولت ... بكنهك أسباب أهوى أن تجذّما[1]

وينشد أيضاً في مثل ذلك :

وكان بروق منه حين ... فلما أن حق منع الحيلا

وإذا رأى حلا يثني على أخيه ويحفر له حفراً حيلاً أنشد

قوم هم عرف معدٍ نقصتهم ... والحق يعرفه ذوو الألباب[2]

وإذا قيل له قد قرب سلطوت أنشد

أحسن الفعال في عرى وشكره ... ما يشكر الفعل إلا كل مصوص

وإذا رأى حلا يفعل فعلاً أنشد :

ما ضر تغلب وائل أهجوتها ... أم بلت حيث تناطح البحران[3]

وإذا أقصده نفس فعل [illegible][4] أنشد

يا أفضل الناس إني كنت في [illegible] ... أصبحت منه كمثل المفرد الصادي

وإذا كلفه امرؤ شيئاً لم يكن عنده مرضي أنشد

لم أكن من جناتها علم الله ... وإني بحرها اليوم صالي[5]

---

(1) التجذم [illegible] وفي الأصل « تجدما » تحريف

(2) لبيد بن ربيعة ، وهو آخر ديوانه المطبوع في [illegible] ١٨٨ و [illegible] فيه « عرف معد فضلها »

(3) البيت من قصيدة الفرزدق في ديوانه ٨٨٢ يذكر فيها تعصب الأخطل [illegible] في حلف بني تغلب ، وجرير [illegible] وقبل البيت وهو مطلع القصيدة

يا ابن مراغة والهجاء إذا التقت ... أعناقه وتماحكت الخصمان

وتغلب ابنة وائل ثم قوم الأخطل ... تطلع البحران [illegible] ١ ١٣ والبيان ٣ ٢٤٨ والحيوان ٢ ٥٠١

(4) كذا وردت هذه الكلمة مهملة الحروف التي بعد الألف الثانية .

(5) البيت للحارث بن عباد ، قاله في يوم [illegible] و[illegible] ١ ٢ ٣ وأمثال القالي ٣ ٢٦ والأغاني ٤ ١٤٤

وقال في أمر فتنة تقضّى ثم خمدت منه أشد

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) باخ : سكن وفتر

(٢) [illegible] والشاهد (صوب) [illegible] ، وقد أنث الصوب . وفي اللسان : [illegible] والمعنى [illegible] أن يراد [illegible]

(٣) [illegible] ، كما في مقاييس اللغة (دوم ، ورو ، فثأ) واللسان (فثأ ، دوم) . [illegible] ، إذا سكن غليانها [illegible] وكذلك فثأها : سكّن من غليانها . والحمو والحمى : شدة الحرارة . ورواية المقاييس واللسان : « حميها » .

(٤) للحارث بن عباد ، كما في « لم أكن من جناتها » . الرمط ، بفتح الباء وكسرها . [illegible] حيال ، أي بعد حيال . والحيال : ألا تحمل [illegible]

(٥) لأبي دواد الإيادي . [illegible] : ٦١ والوساطة ٤٧ ، وبه [illegible] أبو دواد [illegible] الناس . ويروى : « لا أعد الإقتار عدما » .

وإذا حصر جميع ذلك ... في الشعر عليه أنشد

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب[1]

وإذا قصر من عده من العظماء والكبراء أنشد

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا[2]

٥ وإذا أتى على حسن بعضه أنشد

نمي حسب ... ولحه ... فيه ... علم بعضه[3]

وإذا قصد امرؤ في حاجة وكل ... ويرى من خلفه أنشد

... في طلب الحاجة كل ... مداومة ... واستلامه

وإذا وجد إنسان منهم أحد ... أنشد

١٠ رأيت الحب ... رجال وعلى ... قوم ...[4]

قف ... وأنشد ... قول القائل

! ... من ... (... المتقدم)

---

(١) النابغة الذبياني من قصيدة في ديوانه ١٢ يعتذر فيها إلى النعمان ويمدحه . وروى الديوان : « لأنك شمس » وقبله :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

١٥ (٢) الفرزدق في ديوانه ٥٦٨ وأمالي القالي ٣ : ١١٩ . وفي الأمالي عن طلحة بن عبد الله قال : « أتى الفرزدق كثيراً عازمة الملاط وأناسه ، فقال : أنت يا أبا صخر أنسب العرب حيث تقول

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

٢٠ فقال له كثير : وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا »

ثم قال : « وهذان بيتان جميل ، سرق أحدهما كثير ، والآخر الفرزدق » .

(٣) البيت لبشار بن برد من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سلم . ديوانه ١ : ٧ - ١١٣ ، وقبله ، كما في الديوان والأغاني ٣ : ٤٣ :

٢٥ إنما لذة الجواد ابن سلم في عطاء ومركب للقاء

(٤) أنشده في اللسان (رأى) برواية « تحسبها رجال » . ورئي مثلثة الراء ، بالفتح مصدر ... ، وفي التنزيل « أحسن أثاثا ورئيا » ... والكسر : جمع رئي ، كطريف وطراف . والضم جمع لا واحد له ، نحو تؤام وظؤار .

ومشتق ذلك أيضاً

فحمّلتني ذنب امرئٍ وتركته كذي العُرّ يُكوى غيره وهو راتع[1]

وهذا عارضه معارض في غاية بلاغة أنشد :

أخو عديّ أمسى يسحبني [illegible] عديّ وما بدا العصابر

ومذ ذكر قوم شجعان أنشد :

دراهمهم لا يسعفون كأنّهم [illegible] حت أحزبهم محنبه

وإذا قيل له أوصيت بكذا وأنت على ميرة منه أنشد

وما كنت أخشى أن أرى العزم كي [illegible] ومن خشي سرعى ك كن

وإذا رأى مريضاً أنشد

ونعود سيدنا وسيد غيرنا ليت التشكي كان بالعُوّاد[2]

وإذا حضر ناس عدوا عفوا عنه أنشد .

بني أميّة إني ناصح لكم فلا يبيتنّ فيكم آمناً زفر[3]

---

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٥١ من قصيدة يمدح فيها النعمان ويعتذر إليه ويهجو [illegible] أبي [illegible] الأمر [illegible] أصيب [illegible] قرح مثل القوباء تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل منها [illegible] الأصمعي فتكوى الصحاح لئلا تعديها المراض . وأما أبو عبيدة فيقول : إن هذا لا يكون وإنما هو على جهة المثل . وقال ابن دريد : ومن رواه بالفتح فقد غلط ، لأن الجرب لا يكوى منه

(٢) لكثير عزة ، قاله في عيادته عبد الملك بن مروان . عيون الأخبار ٣ : ٥٠ وبعده :

لو كان [illegible] المصطفى من طارف وتلادي

لكن في الشعر والشعراء ٤٩٧ أنه دخل لعيادة عبد العزيز بن مروان ، على أن البيت قد روي في قصيدة لجرير في ديوانه ١٣٣ يقوله في عبد العزيز بن الوليد عبد الملك ، وكان الوليد كتب إلى أجناد الشام أن يدعوا لعبد العزيز بن الوليد ، ودعا بقوله في مسجد دمشق في جماعة الناس ، وكان عليلا

(٣) للأخطل في ديوانه ١٠٣ والحيوان ٥ : ١٦٣ . وزفر هذا ، هو ابن الحارث الكلابي ، كان قد خرج على عبد الملك بن مروان وظل عاتياً تسع سنين ثم رجع إلى الطاعة الكامل ٥٣٣ ليبسك والجهشياري ٣٥ ، وكان زفر من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية . شرح شواهد المغني ٣١٥

وزاد [illegible] صدعا [illegible] أشد

[illegible] من أهله قد [illegible] عليه [illegible] (١)

[illegible] شد

[illegible] على الأعداء [illegible] (٢)

وزاد [illegible] أسد

[illegible] وعلى [illegible] (٣)

وزاد [illegible] حلاوة أشد

[illegible]

وزاد [illegible] هو [illegible] أشد

فلا [illegible] (٤)

وزاد [illegible] أشد

ولا [illegible] الناس [illegible] (٥)

---

(١) في الأصل : « [illegible] » تحريف .

(٢) [illegible] في [illegible] . و [illegible] هذا البيت هو [illegible] [illegible] الفتاة .

(٣) [illegible] في اللسان [illegible] على [illegible] وهم يشعرون [illegible] . [illegible] أهلها [illegible] فقيل في [illegible] « على أهلها تجنى براقش » . وقبل هذا البيت

لم تكن عن جناية لحقتني لا يساري ولا يميني [illegible]

(٤) [illegible] ٢٢٧ والمقاييس ([illegible]) واللسان ([illegible]) . [illegible] « [illegible] » من [illegible] . ويقال : الذي [illegible] فلان [illegible] ، أي [illegible] .

(٥) من أبيات في مجالس ثعلب ٨ — ٩ نسبتها إلى رجل من سليم . ونسب في لسان ٣ ٢٣٨ إلى [illegible] . ونسب في اللسان ([illegible]) إلى [illegible] . [illegible] ، والرعوة ، مثلثة الراء . والصريح : الخالص ، [illegible] الأشياء [illegible] وأنشده في المقاييس ([illegible]) : « [illegible] » ، وهو الذي [illegible] الرعوة .

وإذا عزى إنسانا وأنشد [illegible] شد

[illegible] من [illegible] والذي [illegible] لا [illegible] (١)

وإذا كلم [illegible] وأنشد [illegible] عرفه من [illegible] شد

[illegible] الله لا [illegible] علانية [illegible] ولا [illegible]

وإذا [illegible] عن [illegible] شد (٢)

[illegible] من [illegible] (٣)

وإذا [illegible] وأنه [illegible]

[illegible] (٤)

وإذا [illegible] على آخر وهو لا [illegible]

لا [illegible] (٥)

وإذا [illegible] شد

[illegible] الزبير بواصمت [illegible] (٦)

(١) للأصمعي [illegible] وهو [illegible] ٨ [illegible] ١٥٤ وحماسة ابن الشجري ١٣٧ [illegible] ٣٦ .

(٢) [illegible] .

(٣) [illegible] ١٩١ [illegible] .

(٤) للأصمعي [illegible] حاشية الأمو[illegible]

(٥) [illegible] لأبي الأسود الدؤلي . حماسة البحتري ٣٧

(٦) [illegible] في ديوانه ٣٤٥ والعمدة ٢ : ١٦٦ من قصيدة يهجو بها الفرزدق [illegible] عمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوام . وكان ابن جرموز قد [illegible] الزبير [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] وفي ذلك يقول ابن جرموز :

[illegible] وقد كنت أحسبها [illegible]

[illegible] في [illegible] وليس [illegible]

ثم [illegible] ابن جرموز [illegible] إلى مصعب بن الزبير وكان واليا على العراق من قبل أخيه عبد الله قال : اقتلني [illegible] في ذلك إلى أخيه ، [illegible] عبد الله [illegible] لا أقتله بالزبير =

وإذا جهل عليه جاهل والجاهل عدو حاضر لا يجترى عليه أنشد:

جهلا علىّ وجبنا عن عدوكم ... لبئست الخلتان الجهلُ والجبن (١)

وإذا مات له حبيب [illegible] عليه فقده أنشد

ألا ليتَ من [illegible] بعدك [illegible] ... [illegible] من لأقدار كان حذار (٢)

وإذا قيل له استعر لك فلان وجعل [illegible] أنشد

وقد كنت مغرورا [illegible] ... وأصبحت أدرى [illegible] كيف تقوب (٣)

وإذا ذكر جواره الذين [illegible] أنشد

أورثت إخوان [illegible] ... [illegible] الأرض [illegible] (٤)

وإذا [illegible] امرئ [illegible] أنشد

[illegible] ... [illegible] (٥)

ولا [illegible] لا [illegible] (٣)
[illegible] سورة
[illegible] لأهله بالأرض [illegible]

(١) البيت [illegible] ١٨٨ و [illegible] ٣٩٢.

(٢) في الأصل [illegible] في اللسان (ملا) ومحاضرات الراغب ٢: ٢٢٩

[illegible] وهو في [illegible]

وقد [illegible] ... [illegible] دون [illegible]

[illegible] ٢٨٧ [illegible]

(٣) [illegible] ٢: ٢١٤، ٣٢٦ [illegible]

[illegible] ٢: ٧٠ وفي الأصل «مغرورا» [illegible] وفي المحاضرات: «مغرور»

[illegible] وأنه

[illegible]

[illegible] ... [illegible]

(٤) [illegible] ١: ٣٥١ [illegible]

[illegible] ٣٤٤ طبع ١٣٣٦ [illegible]

[illegible] ... [illegible] من الموت [illegible]

[illegible] ... [illegible] وأجمع

(٥) أنشده أبو [illegible] في الحماسة ١: ٣٨٣ [illegible]

[illegible] امرؤ [illegible] ... [illegible] الله الوليد بن أدهما

وإذا أتى حالا يتكلف ما لا يستطيعه أنشد :

* إذا لم تستطع شيئا فدعه *[1]

وإذا استحقر [illegible] وهو [illegible] أكثر منه أنشد

* [illegible] في هواه [illegible] *

وإذا [illegible] نسبه [illegible] أنشد

[illegible] على [illegible][2]

وإذا [illegible] وعشيرته أنشد

إذا سيد منا خلا قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول[3]

وأنشد [illegible]

إذا [illegible] الأمر من حيث لا [illegible][4]

وإذا [illegible] أنشد

فإن يك صدر هذا اليوم ولى فإن غدا لناظره قريب[5]

[illegible] ولا كان [illegible]
[illegible]

(١) [illegible] في الحيوان ٣ : ١٢٨ [illegible] ٣٢٥ [illegible] ٣١ ، ٣٦ ، ٣٧ وغيرها .

* وجاوزه إلى ما تستطيع *

(٢) البيت لحنظلة بن [illegible] الطائي في الحماسة ٢ : ٣١٧ ومجموعة المعاني ٤٠ ، وهو في ديوان الفرزدق ٧٣٠ ونسب في الخزانة ٣ : ١٠٧ والنقائض ٢٨٤ إلى الفرزدق أيضا . وفي المؤتلف للآمدي ١٢٤ أنه [illegible] ، وهو حنظلة [illegible] المتقدم ، وأن الفرزدق قد سرقه وأدخله في قصيدته .

(٣) للسموأل بن عاديا ، من أبيات في الحماسة ١ : ٢٧ — ٣١ والحيوان ٦ : ٤٢٣ واللسان ٤ : ٦٨ والأغاني ١ : ٢٦٩ . والرواية في الحماسة والأغاني : « إذا سيد منا خلا قام سيد » .

(٤) البيت لأبي يعقوب الخريمي في الحيوان ٣ : ٩٤ والوساطة ١٠٩ .

(٥) في الأصل : « الناظرين » تحريف . والبيت لقراد بن أجدع ، كما في أمثال الميداني ١ : ٦٣ . لناظره ، أي لمنتظره .

وإذا رأى قوماً ذوي [illegible] أحلامها [illegible]

[illegible] من طول ومن عظم [illegible] الأحلام [illegible] [1]

[illegible]

فمن كل ذي [illegible] عرضه [illegible] مصول [illegible] [2]

[illegible] الأخلاق [illegible]

[illegible] [3]

[illegible]

[illegible] لا [illegible] [4]

[illegible]

[illegible] [5]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [6]

---

(١) [illegible] ٢١٤ [illegible]
[illegible] ٢٢٩ [illegible] ٥٣ [illegible] ٥٦ [illegible] ٢٥١ الأعلام [illegible]

(٢) [illegible] ١٥١ [illegible] ٨ [illegible] ٣٥ ، ٣٦
ومحاضرات الراغب ١ : ٢٢٩

(٣) [illegible] ٧٧ [illegible]

(٤) [illegible] الأحنف [illegible] ٧٣ [illegible] ٩٣ ومحاضرات [illegible]
[illegible]
وبعده في الديوان

[illegible]

وفي محاضرات الراغب ٢ [illegible]

(٥) [illegible] ٣٢١ [illegible]

أدور ولولا أن أرى أم جعفر [illegible] أدور

(٦) السموأل بن عاديا [illegible] ١٥٥

وإذا ولي رجل ولاية وأتى عيبه به أنشد

وإذا البدر [illegible] حسن وجوده ... كان البدر حسن وجهك [illegible] (١)

وكان [illegible] يقول الشاعر

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وإذا [illegible] مشى [illegible] أنشد

فتى كان مولاه [illegible] محوده ... [illegible] (٢)

وإذا أتى [illegible] (٣) [illegible] أنشد

[illegible] الشموس [illegible] ... [illegible] نرى منكم ولا طمعا (٤)

وإذا [illegible] أنشد

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي (٥)

(١) أنشده [illegible] ١٩٥ [illegible] وقبله أو بعده

[illegible]

وقال [illegible] بن عبد الله [illegible] كتاب [illegible]

[illegible]

وإذا البدر [illegible] وجوده ... كان [illegible] وجهك [illegible]

[illegible] ٩٣

(٢) [illegible] بن علقمة في [illegible]

[illegible]

[illegible] عقل

(٣) كذا [illegible]

(٤) البيت [illegible] الإيادي [illegible] أول [illegible] شعري [illegible] كسرى إياهم [illegible] كسرى [illegible] على عمرو [illegible] كسرى [illegible] إياها . الشموس [illegible] الذي لا [illegible]

(٥) البيت للحطيئة في ديوانه ٥٤ من قصيدة يهجو بها الزبرقان بن بدر . الطاعم الكاسي : ذو الطعام والكسوة ، أو هو المطعم المكسو ، كما في قول الله : « عيشة راضية » ، أي مرضية ، انظر اللسان (كسا) .

وإذا [illegible] (١) [illegible] وطوله [illegible]

[illegible] في [illegible] حدثني [illegible] (٢)

وإذا [illegible] (٣) [illegible]

[illegible]

[illegible] من الكذب

[illegible] أشد

[illegible] (٤)

[illegible]

[illegible] (٥)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible] : [illegible] في الأصل : [illegible] ، تحريف
(٢) [illegible] ١٢٥ [illegible]
[illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible] ٧٥ [illegible]
[illegible]
(٥) [illegible] وهو أجود [illegible]
(٦) [illegible] للأعشى في ديوانه [illegible] واللسان ([illegible]) والمقاييس ([illegible]) [illegible]
[illegible]
(٧) [illegible] ، وهو كما في الديوان
٢٣ وحماسة البحتري ٤٢٨
على [illegible] على [illegible]
[illegible] ١١٣ واللسان ([illegible])
[illegible]
وقد يقع التلفيق في استشهادات [illegible] المقاييس ([illegible] ، عنق ، [illegible])

وإذا رأى رجلا [illegible] بدعوة أنشد:

[illegible] تباعد الرحمن [illegible] كما [illegible] لأدمه لا كارع [1]

وإذا رأى عدوّ يخشى أنشد:

فتى تقصر [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] لا [illegible]

وإذا قعد عن صديق [illegible] أنشد:

[illegible] [2]

[illegible] حدثه من [illegible] عونه

[illegible] [3]

وإذا [illegible] من [illegible] أنشد:

[illegible] [4]

وإذا [illegible] أنشد:

وهل ينبت الخطيّ إلا وشيجه [illegible] [5]

وإذا [illegible] في أمره أنشد:

أناة [illegible] الأمور [illegible] الأمر [illegible]

(١) البيت للجعدي [illegible] كما في اللسان (كرع) والمكافأة ٦٧ [illegible] ورواه ابن دريد في المقاييس (كرع) بدون نسبة [illegible] الأدم: الجلد. وفي الكنايات للجرجاني ١٥ [illegible] عن الأدنى بأكارع الأدم. قال ابن دريد:

[illegible] في كتاب زياده [illegible] كارع

(٢) في الأصل [illegible] ولا يستقيم به الوزن، والشطر بعدها كذا ورد في الأصل. [illegible] صرفه وعاقه.

(٣) [illegible] أنه لأوس بن حجر، ولم أجده في ديوانه.

(٤) أثالته: أصله [illegible]. ولعل الكلام [illegible]

(٥) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ١١٥. الخطي: الرماح المنسوبة إلى الخط، وهي جزيرة بالبحرين. والوشيج: القنا الملتف في منبته، الواحدة وشيجة. أي لا تنبت القناة إلا القناة، ولا تغرس النخلة إلا حيث تكون منابتها وصلاحها.

وإذا ... صدق ... أنشد

ألا حي ... سعد ... أحب حب وصفة ... (١)

و ... محمد ... وطاب منه ... خاص حتى ... أنشد

ولا ... من ... لا ... كان الناس ... (٢)

وما ... أنشد

أ ... مشى مشب ... (٣)

و ... أنشد

... في خير ... محمد ... دوام

... في ... خيبة (٤)

و ... ل ... عليه من دونه أنشد

... على ... تعالب (٥)

و ... أنشد

... للناس وهي تحترق (٦)

وإذا ... أنشد

١٥ ... (٧)

(١) البيت ... في ديوانه ٢٨ ومعجم ... ومقاييس اللغة ...

(٢) بشر بن أبي خازم في اللسان ... وهو ... له في ...
٢ : ١٤٥ ...

٢٠ (٣) ... أبي كاهل اليشكري في ... ١٩٨ ... وسقطى .
وروى ... لاح في ...

(٤) في الأصل ... الحرمان ... كسر ...
وهو ... الجاري ... (٥) كذا ورد ... هذا البيت .

(٦) العباس بن الأحنف في ديوانه ١١١ والكامل ٥١٨ ... ومحاضرات الراغب ١ : ٩

٢٥ وديوان المعاني للعسكري ١ : ٢٦٣ ... في الصحاح ... البيت :

أحرم منكم بما أقول وقد ... به العاشقون من عشقوا

(٧) ... في ... شعر ... ٧ بروايه ...

[illegible]

(١) البيت لمجنون ليلى في الأغاني ١ : ١٧٠ / ٥ [illegible] ٢٤ وحماسة ابن الشجري ١٦٨ وهو في أمالي القالي ٢ : ١٨١ منسوب [illegible] وفي الأغاني [illegible] ونحوه في حماسة ابن الشجري : أن [illegible] حرجوا به معهم إلى وادي القرى [illegible] عليه أن [illegible] [illegible] قال : [illegible] الرياح يأتي من [illegible] والله لا أريم هذا [illegible]

[illegible]

(٢) البيت لا [illegible] شعر [illegible] ٩٦ ، [illegible] سرور [illegible] مشفقة كما [illegible] في الأصل : [illegible]

خائف الفرع

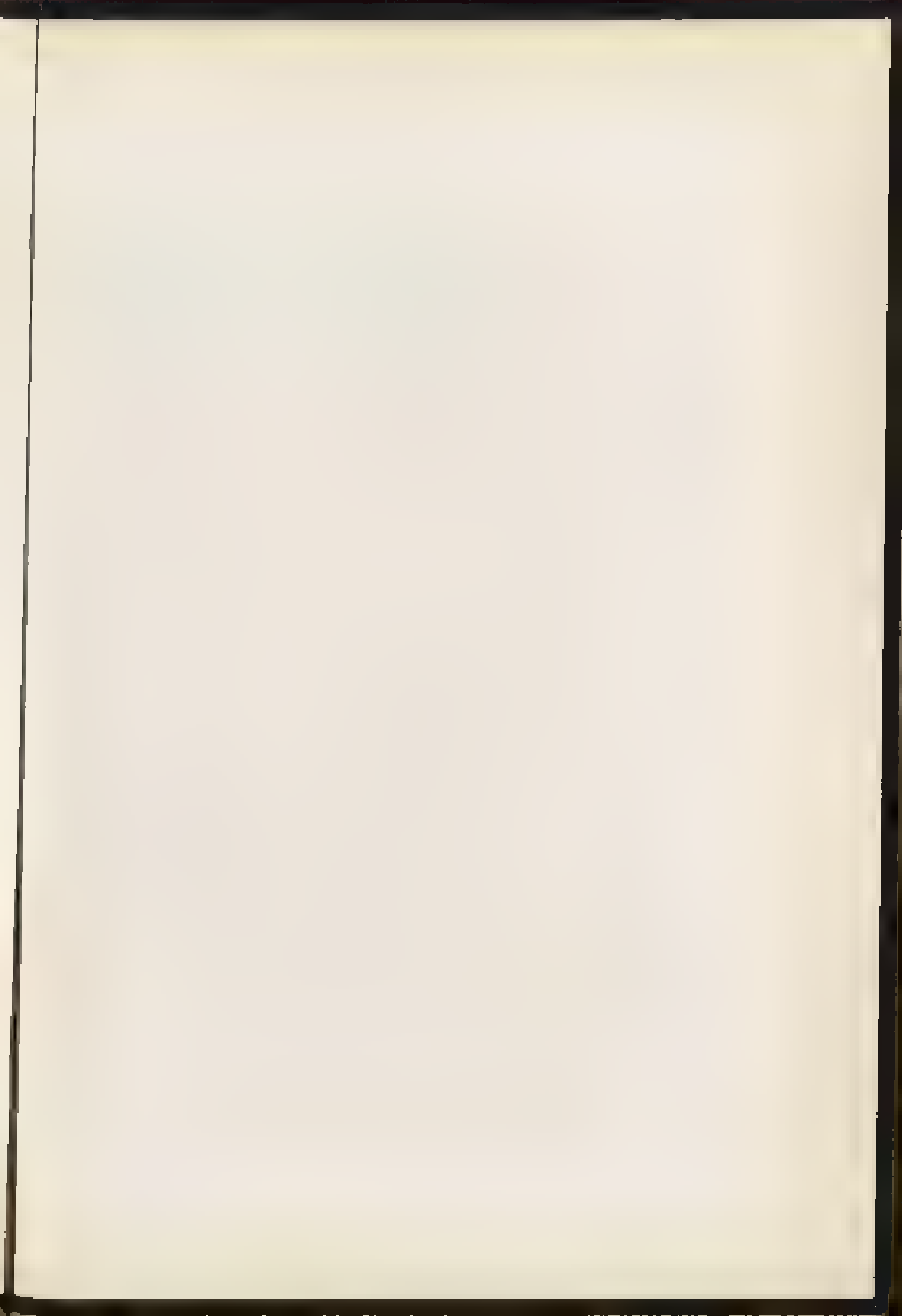

رسالة فى أعجاز أبيات تغنى فى التمثيل عن صدورها

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

٢١٠ — ٢٨٥

مقدمة

وشيخ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الأزدي [illegible] نحوي الأدب [illegible] ،
[illegible] «الكامل» [illegible] ابن خلدون [illegible] وسمعنا من شيوخنا في مجالس
التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة وهي كتاب الكامل للمبرد ، وأدب
الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي
البغدادي ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها .

وكان من [illegible] «[illegible]» [illegible]
كتاب الألف واللام [illegible] من دقيقة وموضعه فيما يخص حروف [illegible] له
[illegible] للحق ، [illegible] الكوفيون والبصريون [illegible]

وقد [illegible] على [illegible] هذا [illegible] الأستاذ محمد بن [illegible] ،
[illegible] نادر [illegible] .

وهذا الكتاب [illegible] في موضوعه ، [illegible] في [illegible] ،
و [illegible] ،
كما ذكرها ابن فارس ، [illegible] من الأدب [illegible] ،
وليس هذا [illegible] في [illegible] ، [illegible]
الأولى [illegible] البحث [illegible] هذه [illegible] التحقيق .

وليس هذا الكتاب مخطوطة في دار الكتب الأزهرية رقم ٧٣٢٣ [illegible] وهو
في مجموعة تشمل بعض الكتب [illegible] ، [illegible]
[illegible] ، ونحن [illegible] في [illegible] الله لأبي [illegible] للعوري

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو العباس محمد [illegible] بيوت معنى في التمثيل عن صدورها

قال أوس بن حجر[1] [illegible] وتسميه [illegible][2]

[illegible] سود[3] *

امرؤ القيس : [illegible][4] *

وقال : [illegible] المعصب[5] *

وقال : [illegible] الرحب[6] *

[illegible] : [illegible] الأسد[7] *

وقال : [illegible][8] *

(1) [illegible] ٢٩٩ وحماسة ابن الشجري [illegible] وشرح الحماسة [illegible] ١٩٣ [illegible] والشعر والشعراء [illegible] ٣٢٨ [illegible] ومعجم البلدان (أبلى ، [illegible]) [illegible] .

(٢) في الأصل [illegible] ، لأن حبيب الملحق بكتاب [illegible] الخزانة [illegible] ٤٧٨

(٣) صدره : * [illegible] على [illegible] ذي [illegible] *

(٤) صدره : * [illegible] *

[illegible] معجم البلدان ([illegible]) [illegible] ٦٩٠

(٥) صدره : * [illegible] *

ديوان امرئ القيس ١٦٠

صدره : * [illegible] *

[illegible] لامرئ القيس بن عابس الكندي [illegible] ٩٤٠٣ .

(٧) صدره : * [illegible] أنا [illegible] أوعدو *

(٨) صدره : * [illegible] سود [illegible] *

وقال [illegible] (١) *

وقال * [illegible] (٢) *

وقال * [illegible] (٣) *

وقال * [illegible] (٤) *

وقال * [illegible] (٥) *

وقال * [illegible] (٦) *

[illegible] (٧) * [illegible] (٨) *

[illegible] * [illegible] (٩) *

وقال * [illegible] (١٠) *

---

(١) صدره * [illegible] *

(٢) صدره * [illegible] *

(٣) صدره * [illegible] *

(٤) صدره * [illegible] *

وكان النابغة قد وفد على النعمان [illegible] عصام بن شهبر

أي لا آلام على [illegible] وروى *[illegible]*

(٥) صدره * [illegible] *

(٦) صدره * [illegible] *

(٧) هو [illegible] عدي [illegible] الأغاني

[illegible] ٥ : ٢٥٥

(٨) صدره [illegible] كما في مجموعة [illegible] ١٧٢

* لا [illegible] *

[illegible] اليوم [illegible]

[illegible] ١ : ٢٥٣ [illegible]

(٩) صدره * [illegible] *

[illegible] أشراف إذا قتلوا [illegible] من قتلهم [illegible]

[illegible] أي لا يعوّلون على [illegible] *

(١٠) صدره * قامت [illegible] *

وقال * على آثار من ذهب العفاء (١) *

عنترة * [illegible] المكرم (٢) *

لبيد: * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر (٣) *

وقال * ومن الأ[illegible] ذو [illegible] (٤) *

طرفة * ويأتيك بالأخبار من لم تزود (٥) *

[illegible] * [illegible] (٦) *

أبو ذؤيب * والدهر ليس بمعتب من يجزع (٧) *

وقال * وإذا ترد إلى قليل تقنع (٨) *

حميد بن ثور: * وحسبك داء أن تصح وتسلما (٩) *

أبو الأسود * وما كل مؤت نصحه بلبيب (١٠) *

الحطيئة * وقد [illegible] (١١) *

عروة بن الورد * ومبلغ نفس عذرها مثل منجح (١٢) *

[illegible] * [illegible] كل [illegible] (١٣) *

(١) صدره: * [illegible] *

(٢) صدره: * [illegible] *

(٣) صدره: * إلى الحول ثم اسم السلام عليكما *

(٤) صدره: * [illegible] *

(٥) صدره: * ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا *

(٦) صدره: * على أني [illegible] واعيا *

(٧) صدره: * أمن المنون وريبها تتوجع *

(٨) صدره: * والنفس راغبة إذا رغبتها *

(٩) صدره: * أرى بصري قد رابني بعد صحة *

(١٠) صدره: * وما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه *

(١١) صدره: * [illegible] *

(١٢) صدره: * ليبلغ عذرا أو يصيب رغيبة *

(١٣) صدره: * [illegible] *

وانظر ما سبق من تحقيق هذا البيت في [illegible] ص ١٥١

وقال * أنت [illegible] مسعدا[1] *

ومثله : * وكل [illegible] معوّدا[2] *

الحطيئة * [illegible] كالس[3] *

وقال : * [illegible] الناس[4] *

وقال * [illegible] أبدا[5] *

دريد بن الصمة * [illegible] الغضب[6] *

مالك بن الريب * [illegible] [7] *

سالم بن وابصة * [illegible] الحنق[8] *

ابن الزبعرى * [illegible] [9] *

(١) صدره : * ثمود صالح [illegible] *
والاستعادة هنا بمعنى التعود ، كما في اللسان (عود)

(٢) هذا سطر في الاستشهاد ، [illegible]

(٣) صدره : * أزمعت [illegible] *

(٤) صدره : * من [illegible] لا [illegible] *

(٥) صدره : * قوم هم الأنف والأذناب غيرهم *

(٦) صدره : * متبذلا [illegible] تبدو محاسنه *

الهناء : القطران يهنأ به الإبل ، أي يطلى [illegible] وهي [illegible] من جرب في جلد البعير . وكانت الخنساء [illegible] ثم [illegible] واصطب ، ودريد يراها ولا [illegible] فقال فيها هذا الشعر ، وأوله كما في الأغاني ٩ : ١٦١ :

حيوا تماضر [illegible] وقوفكم حسبي

(٧) صدره * وبالرمل [illegible] مناى ومذهبي *

ونسبة البيت إلى مالك بن الريب غريبة ، فإن أبا تمام رواه في الحماسة ١ : ٢٧٨ للفرزدق من أبيات ، وهي في ديوان الفرزدق ١٩٠ ونسب في حماسة البحتري ١٨٠ إلى رجل من تميم . والفرزدق تميمي

(٨) صدره : * عليك بالقصد فيما أنت فاعله *

ونسبته إلى سالم بن وابصة [illegible] في حماسة ١ : ٢٩٥ ونسب في حماسة البحتري ٣٥٨ إلى ذي الإصبع العدواني وصدره في الأخيرة

* [illegible] كنت فاعله *

(٩) كذا في الأصل . ورواية السيرة ٦١٦ [illegible] والحيوان ٥ : ٥٦٠ ، ٥ [illegible] مثل بدر ؟ . وصدره في السيرة

* [illegible] من أشرافهم *

الأخطل * والعون [illegible] لا [illegible] الإبل[1] *

[illegible] * و[illegible] [illegible][2] *

[illegible] * وفي [illegible][3] *

وقال * [illegible] و[illegible][4] *

وقال * [illegible][5] *

[illegible] * [illegible] لا [illegible][6] *

وقال * [illegible][7] *

وقال * وجه [illegible] أحسن [illegible][8] *

وقال * وحدث [illegible] و[illegible][9] *

[illegible] * و[illegible] لا [illegible] *

[illegible] * والقوم [illegible][10] *

(١) صدره : * [illegible] *
(٢) صدره : * [illegible] *
(٣) صدره : * [illegible] *
[illegible]
[illegible]
(٤) صدره : * [illegible] *
(٥) صدره : * [illegible] *
(٦) صدره : * [illegible] *
[illegible] أعرنا [illegible]
[illegible]
* [illegible] *
(٨) صدره : * [illegible] *
(٩) صدره : * [illegible] *
(١٠) صدره : * [illegible] *
[illegible] ٦٥ .

لا تأمن قوما ظلمتهم وبدأتهم بالشتم والرغم

الخنساء : * كأنه علم في رأسه نار[1] *

الأسود بن يعفر : * والدهر يعقب صالحاً بفساد[2] *

عبد الله بن معاوية : * ولكن عين السخط تبدي المساويا[3] *

نصيب : * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب[4] *

قعنب بن أم صاحب : * وكنت منهم على مثل الذي ركبوا[5] *

ابن الدمينة : * على أن قرب الدار خير من البعد[6] *

الطائية[7] : * وكيف بتركي يا ابن أم الطبائعا *

أشجع بن عمرو : * ما أخر الحزم رأي قدم الحذرا[8] *

---

(١) صدره : * وإن صخراً لتأتم الهداة به *

(٢) صدره : * فإذا وذلك لا مهاه لذكره *

وهو آخر قصيدة [illegible] في المفضليات [illegible]

(٣) صدره : * وعين الرضا عن كل عيب كليلة *

(٤) صدره : * فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله *

انظر [illegible]

(٥) صدره : * ولن يراجع قلبي حبهم أبداً *

(٦) صدره : * وقد زعموا أن المحب إذا دنا *

(٧) هي غنية بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس ، وهي أم حاتم ، كانت من أسخى الناس وأقراهم للضيف ، وكانت لا تليق شيئاً تملكه ، فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها ، فمكثت دهراً لا تدفع إليها شيء منه ، حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها ، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها كل سنة تسألها ، فقالت لها : دونك هذه الصرمة فخذيها فوالله لقد عضني من الجوع ما آليت معه ألا أمنع سائلاً شيئاً ، ثم أنشأت تقول :

لعمري لقدما عضني الجوع عضة	فآليت ألا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائمي اليوم أعفني	فإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا
فماذا عسيتم أن تقولوا لأختكم	سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا
ولا ما ترون الخلق إلا طبيعة	فكيف بتركي يا ابن أم الطبائعا

انظر الأمالي ٣ : ٢٣ .

(٨) صدره كما في عيون الأخبار ١ : [illegible] ٣١

* رأى سري وعيون الناس هاجعة *

ابن أبي عيينة : * فاصبر من كل أمر فاتك خلف *

البكري[1] : * إلى بنى غلبت فيهم رماح[2] *

أبو حفص الشطرنجي : * وصح منك الهوى أشد نحول *

دعبل : * ضحك المشيب برأسه فبكى[3] *

دعبل : * كأن مغنى الضحى حيث أضحى *

العكلي : * خلفى فـــــه أكدى *

محمود : * فاصبر فإن الدهر لا صبر *

عباس بن الأحنف : * من عالج الشوق لم يستبعد الدارا[4] *

آخر : * والمشرب العذب كثير الزحام[5] *

آخر : * إن الندى حيث ترى الضغاط[6] *

آخر : * من فاته العين لم يستبعد الأثر[7] *

---

(١) فى لسان والقاموس ٣ [illegible] ٣١ ومعجم [illegible] ١ [illegible] ٢٧ [illegible] .

(٢) صدره : * [illegible] شفنى فارسا وعقه *

(٣) صدره : * لا تعجبى يا سلم من رجل *

(٤) سبق فى حواشى كتاب ابن فارس ص ١٥٦ . وصدره كما فى ديوانه ص ٢٣ :

* ستقرب الدار شوقا وهى نازحة *

وفى محاضرات الراغب :

* يقرب الشوق دارا وهى نازحة *

(٥) صدره : * يزدحم الناس على بابه *

وهو بدون نسبة فى عيون الأخبار ١ : ٩٠ .

(٦) هذا ليس شعرا من أشعار الشعر ، بل هو شطر من أشعار الرجز [illegible] فى البيان ١ : ١٧٧ والحيوان ٥ : ١٠٤ وأنشد الجاحظ الشطر فى البخلاء ٢٠٣ و [illegible] فى عيون الأخبار ١ : ٩١ . والضغاط بالكسر : الزحام .

(٧) أى من فاته عين شىء فإنه يطمع [illegible] أثره [illegible] الشىء فإنه لا يهتم [illegible] أثره ، كما جاء فى أمثالهم للرجل يترك شيئا يراه ثم يتبع أثره بعد فوت عينه : « تطلب أثرا بعد عين » .

أحمر : * [illegible] [1] *

أحمر : * [illegible] لا ترى [illegible] في الله أكثرُ *

أحمر : * [illegible] ولا الموافقُ *

أحمر : * [illegible] على سرحان [2] *

٥ أحمر : * [illegible] [3] *

أحمر : * [illegible] *

أحمر : * [illegible] [4] *

أحمر : * [illegible] *

أحمر : * [illegible] *

١٠ أحمر : * [illegible] من العرق *

---

(١) [illegible] ٢٥١ [illegible]

[illegible] ١٩٦ [illegible]

[illegible]

(٢) [illegible] على ذئب [illegible]

١٥ [illegible] وكان [illegible]

[illegible] سرحان بن [illegible]

[illegible] فقتله وأخذ إبله ، وقال

[illegible] على سرحان

[illegible]

٢٠ [illegible]

(٣) [illegible] ٢٧ [illegible]

[illegible]

(٤) [illegible] ١ : ٨٦ وفيه :

[illegible] كل أمر [illegible]

٢٥ [illegible] عداته

وفي [illegible] ١ : ٢١٠ [illegible] عداته .

آخر : * فتى الحرب إذ دارت مناسرها[1] *

آخر : * وعد قوسي حتى نزع من رمى *

آخر : * [illegible] كل ناس من معرمه حبير[2] *

آخر : * كم مصطفـــــه تحت الرمد[3] *

آخر : * [illegible] حـــــود [illegible] موسى * ٥

آخر : * قد ذل من ليس له ناصر[4] *

آخر : * [illegible] [illegible] [illegible] الأفواه *

([illegible])

---

(١) [illegible] صدره [illegible] [illegible] [illegible] وارسه [illegible]

والشعر [illegible] في عيون الأخبار ٢ [illegible] ٣ وشرح [illegible] ثعلب ٢٦٥ ومحاضرات [illegible] ١
٢ : ٢٣٩ و[illegible] الأساس ٣ [illegible] : وسعد ١ ٣٨١ بولاق ودرة الغواص ٣٣
وأسعد [illegible] ٣ ٣٥ [illegible] [illegible] في [illegible] من [illegible] ٢١٣ الى [illegible] بن [illegible]
القدسي ، وفي شرح [illegible] المعنى ٨ [illegible] [illegible] أو [illegible] [illegible] وفي ح
العروس [illegible] [illegible] لأبي [illegible] الموس

(٢) [illegible] في [illegible] كل [illegible] [illegible] ، ويروى [illegible] مصعر [illegible] اللسان ١ ، ١٥
٢ ١٣٨ ٣ والأمدي ٢ ١١٤ ـ ١١٥ واللسان ([illegible]) .

(٣) [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، وأنشد هذا [illegible] اللسان (رمع) وقال
[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الرجل [illegible] به الأمر [illegible] فيصبح ويحلف ملا
[illegible] ذلك » .

(٤) من بيتين في اللسان (عمر) وسمط اللآلي ١٧٤ والنسبة على أمالي القالي ٣٠ و٣ ٢٠
قامت [illegible] على قبره من لي من بعدك يا عامر
تركتني في الدار ذا غربة قد ذل من ليس له ناصر

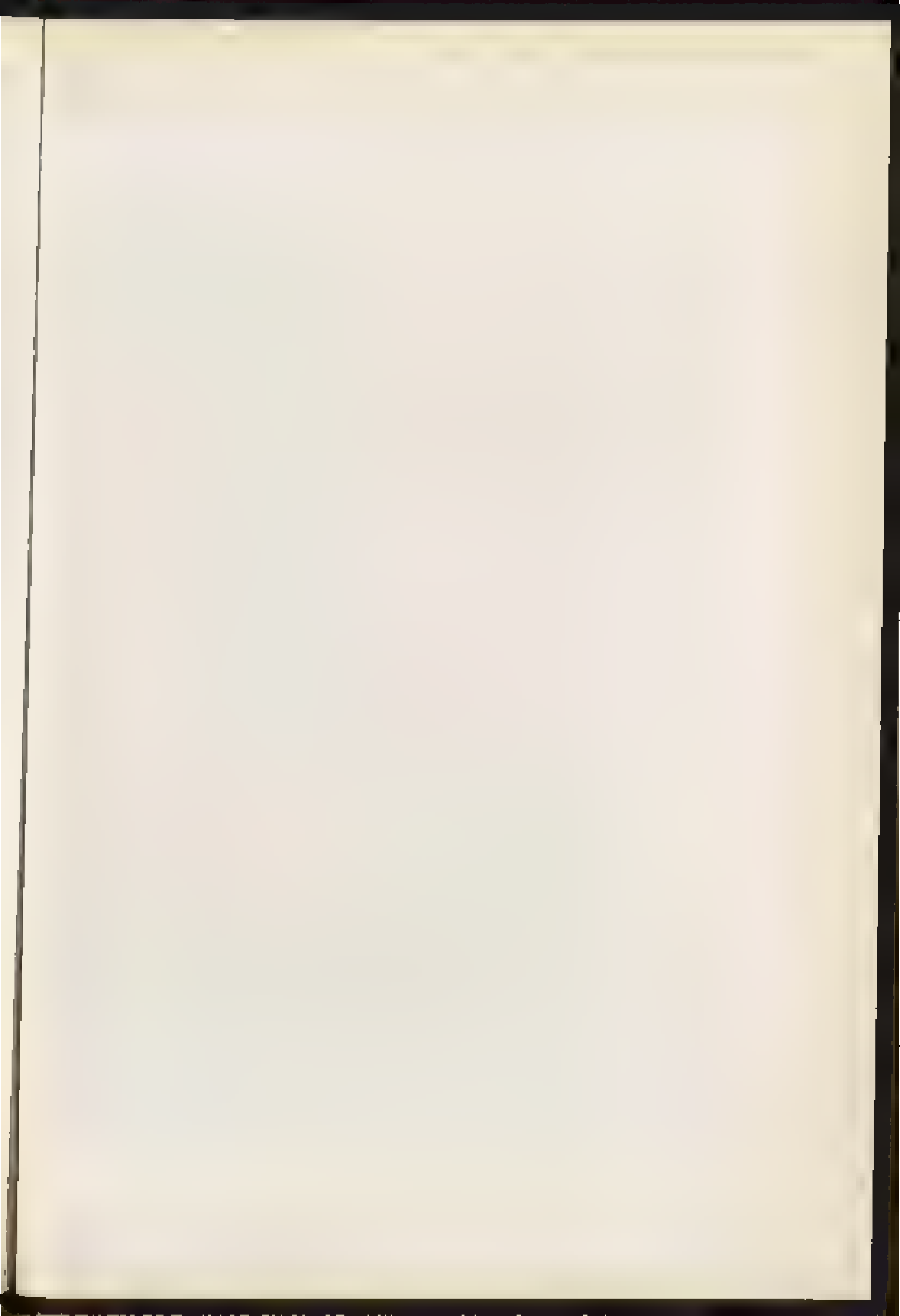

كتاب العصا

لأبي المظفر أسامة بن منقذ

٤٨٨ — ٥٨٤

مقدمة

أسامة بن منقذ (١)

في شيزر [illegible] على بعد [illegible] من [illegible] العربي [illegible] ولد [illegible] بن منقذ [illegible] في يوم الأحد ٢٨ من [illegible] سنة ٤٨٨ [illegible] ([illegible]) [illegible] في [illegible] سنة ٥٨٤.

[illegible] في [illegible] (٥٠٦ – ٥٩٢) [illegible] (٤٩٩ – ٥٧١) [illegible] (٥١٩ – ٥٩٧) [illegible] المقدسي (٥٤١ – ٦٠٠).

[illegible] سنة ٥٣٢ [illegible] نور الدين محمود [illegible]

(١) ترجم له ابن عساكر في تاريخ دمشق والسمعاني في الأنساب في رسم (الشيزري) وابن خلكان في الوفيات، وأبو شامة في الروضتين، وابن الأثير، وصاحب النجوم الزاهرة والذهبي في تاريخ الإسلام، وياقوت في إرشاد الأريب، وعماد الأصفهاني في الخريدة، كما ترجم هو لنفسه في كتاب الاعتبار [illegible] دائرة المعارف الإسلامية، ومقدمة الأستاذ الكبير الشيخ أحمد شاكر لباب الآداب، [illegible] لكتاب الاعتبار. وقد اختصه صديقنا الأستاذ محمد حسين مراقب الفهارس بدار الكتب المصرية بدراسة شاملة هي أوسع وأغزر ما كتب في أسامة.

فدخلها يوم الخميس في [illegible] من جمادى الآخرة سنة ٥٣٩ [illegible] الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله عبد المجيد بن المنتصر العلوي [illegible] الظافر بأمر الله أبو منصور [illegible] من سنة ٥٤٤ [illegible] ٥٤٩ [illegible] على بن السلار الملقب بالملك العادل ، وشهد [illegible] في [illegible] أمن [illegible] نور الدين بن [illegible] .

وبعد [illegible] على بن السلار [illegible] مصر [illegible] سنة [illegible] [illegible] في عهد [illegible] وقد [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] من [illegible] .

[illegible] أسامة من مصر إلى دمشق [illegible] حمص [illegible] صلاح الدين [illegible] على دمشق [illegible] ٥٧ [illegible] أسامة [illegible] عالية عند صلاح الدين [illegible] إلى دمشق [illegible] شيخ قد تخطى الثمانين [illegible] صلاح الدين [illegible] المستضيء [illegible] في دمشق [illegible] .

مؤلفاته

ألف أسامة في ضروب شتى من [illegible] وأشهر [illegible] كتاب (الاعتبار) [illegible] وهو ابن تسعين ، وقد نشر مرتين [illegible] الأخرى [illegible] وكتاب ([illegible]) ألفه وهو ابن [illegible] وسبعين ، [illegible] هو [illegible] الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر [illegible] ([illegible]) في [illegible] شعر [illegible] (الشيب والشباب) [illegible] . وقال [illegible] من [illegible] في [illegible] ورضي الله عنه [illegible] في [illegible] [2] . و(ديوان [illegible]) وقد [illegible] في [illegible] نسخة [illegible] سنة ٦٨٨ [illegible] في [illegible] دار الكتب المصرية في [illegible]

سنة ١٩٤٧ رقم ١٦٨٧٧ ز ، مصورة منها صورتان شمسيتان اعتمدت على إحداهما في معارضة شعر أسامة

كتاب العصا

على أن الذي وصل إلينا من مؤلفات أسامة هو كتاب العصا . وليس [illegible] بدعاً من ابتداع أسامة ، فإنه يذكر لنا في مقدمة كتابه هذا ، الباعث له على هذا التأليف ، وهو [illegible] واحد [illegible] أبي يوسف القزويني [illegible] أبي الحسن [illegible] كتاب [illegible] « العصا » [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والحجاز [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، ولا [illegible] [illegible] [illegible] . ولا [illegible] ذلك [illegible] في [illegible] ، و [illegible] [illegible] وهو في [illegible] [illegible] مشتملاً [illegible] [illegible] كتاباً مستقلاً [illegible] ، على حين [illegible] هو كتاب العصا [illegible] [illegible] في كتابه هذا .

وهذا [illegible] والعصي [illegible] [illegible] [illegible] يعتمدون في [illegible] [illegible] [illegible] الكلام [illegible] ، ولا [illegible] [illegible] ، [illegible] مصرفاً الخواطر ويعترضاً على الذهن أشبه ، وليس في [illegible] ، ولا في الإشارة بها ما يجلب اللحظ [illegible] . [illegible] العصا [illegible] ، وهو [illegible] وصحبة أهل البدو ، [illegible] [illegible] الإبل على الطرق [illegible] ، [illegible] [illegible] » .

(١) في مقدمة لكتاب العصا   (٢) البيان ٣ : ١٢ .

وقد أجرى الجاحظ لهم في إسهاب جميل معظم مزية العصا ومحاسنها ، فهو يسوق الأخبار والأشعار ، ويروي الأمثال واللغات ، والبراهين والحجج على عظم شأن العصا وكرم فضلها ، وشدة الحاجة إليها ، وقيامها مقام سائر السلاح في القتال .

وقد نهج أسامة في صدر كتابه هذا منهجاً مقارباً لمنهج الجاحظ ، ولكن تأليف أسامة [illegible] طابع [illegible] ، وهو [illegible] عليه [illegible] فهو يسرد ما عرض له في حياته من أحداث وما سمعه من أخبار ، ولا سيما أخبار الصالحين والزهاد(١) ، وكذا أخبار [illegible] في حلاوتهم و[illegible] .

وهو لا ينسى أن يثبت في كتابه هذا ما عرض له من شعره ، كما صنع في كتابه [illegible] ، وكتاب لباب الآداب .

وقد [illegible] أن كتاب العصا [illegible] من شعراء [illegible] لأسامة [illegible] ، وهو يسوق [illegible] على شعر [illegible] ، فأدى إليه [illegible] لأبي العلاء المعري ، وهو نموذج من كتاب (القائف) الذي دونه [illegible] .

نسخ كتاب العصا

هذه النسخة نشرت عن نسخ ثلاث معروفة

الأولى نسخة ليدن رقم ٣٧ وتاريخ نسخها ١٠٩٤ . ومن هذه النسخة نشر درنبرج (Derenbourg) مقتطفات مع أخرى من ديوان أسامة بعنوان (Anthologie de Textes Arabes inédits par Ousâma et sur Ousâma) ونشره في باريس سنة ١٨٩٣ .

والثانية نسخة الإمبروزيانا بميلانو ، ورقمها ١٢٥ I وتاريخ نسخها سنة ١٠٦٧ .

والثالثة نسخة [illegible] ، ورقم [illegible] ، وعلى النسخة [illegible] سقطتين في ٣٢ و٤٠ ، وقد حدث في كراسة حديثة [illegible] بعض خرائب ، وقد أمكنني سد النقص من سائر النسخ والإشارة إلى ذلك في مواضعه ، وهي [illegible] قبله .

وهذه النسخة هي التي [illegible] المكتبة ([illegible]) فأشار إلى أن قوم [illegible] في صحة رسول كريم ، فكان

(١) انظر قصة جرير وقصة [illegible] الزاهد .
(٢) أشير إلى ذلك بوضعه بين علامتي التكملة [ ] .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(١) نشر هذا المقال أيضا في فيض الخاطر ٤ : ١٤٣ — ١٤٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه [illegible] أجمعين، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، صلاة دائمة إلى يوم الدين.

وبعد فإن [illegible] في [illegible] الإمام السعيد [illegible] بن علي [illegible] رضي الله عنه، حدثني [illegible] (١) رحمه الله، وهو [illegible] الإمام [illegible] رحمه الله، [illegible] ذي [illegible] أبي الحسن علي [illegible] إلى [illegible] وذلك، [illegible] إلى ذلك، [illegible] من [illegible]، ثم [illegible] في [illegible] التي في [illegible] (٢) [illegible] على [illegible] في [illegible] رحمه الله [illegible] يقول فيه [illegible] ومعنى [illegible]

---

(١) هو السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بن [illegible] بن ميكائيل، جلال الدولة أبو الفتح السلجوقي، ثالث ملوك السلاجقة، تولى الملك بعد أبيه ألب أرسلان سنة ٤٦٥ وتوفي سنة ٤٨٥، هو ووزيره نظام الملك الحسن بن إسحاق، صاحب المدرسة النظامية.

(٢) [illegible]

الإسلام ، [illegible] حيث [illegible] [illegible] إليه من [illegible]
ولده [illegible] [رهَفَ[1]] نصراً رحمه الله ، وسيّر معه خيلا كثيرا
[illegible] وما معه [illegible]
[illegible] رحمه الله [illegible]
[illegible] رحمه الله [illegible]

[illegible] الشيخ أبو الحسن علي بن [illegible] ، وهو كاتب
كان [illegible] رحمه الله ، [illegible]
[illegible]
[illegible]
الشعار[2] ، [illegible] السلامي[3] ، [illegible]
[illegible] وهو [illegible] رحمه الله [illegible]
[illegible]
[illegible] على فرش
له ، وحوله كتب [illegible] ، وهو [illegible] الشيخ أبا الحسن بن [illegible]
[illegible]
[illegible] فأنشد :

[illegible] السلامي[4] [illegible]

ثم عاد إلى [illegible] الشيخ [illegible] كتاب من [illegible]

(١) التكملة من [illegible] ١٠٢ . وهو أبو [illegible] نصر بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ [illegible] سنة ٤٢٩ و[illegible] سنة ٤٩٢
(٢) الدركاه : مصر ، فارسيته دركاه ، ومعناه باب والسدة [illegible] مركب من [illegible] أي باب ، ومن [illegible] أي محل . الألفاظ الفارسية المعربة لأدي شير ٦٢ .
(٣) كذا في الأصل . وفي الألفاظ الفارسية المعربة ٣٣ [illegible] فارسي محض ، ومعناه العظيم ، لقب به الوزير [illegible] كتاب الاعتبار ١٧٤ ــ ١٧٥
(٤) عطاف ، [illegible] من [illegible] ، ولم أجده في معجم

الكتب التي حول فراشه فقال: يدخل الإنسان وسط [illegible] ويقرأ ما عنده[1] من
من الكتب، أي إني من أهل العلم، ما أحوجك أن تكون ما في يديك فوقها
[illegible] من [illegible]، وكان الكتب كتب العصا

وفي سنة [illegible] من ستين سنة أجمع كتاب العصا [illegible] ومختصر
[illegible] وجزيرة [illegible] بكر فلا أحد من [illegible]، وكل [illegible] وحوده ٥
[illegible] على نفسه، [illegible] على أن أجمع هذا الكتاب
وسميته كتاب العصا ولا أدري أكان ذلك الكتاب على هذا الوضع [illegible] على
[illegible] على أني قد [illegible] العصا [illegible]، وكانت حاجة في نفس [illegible]
[illegible] ولا [illegible] في أن موقع ذلك الكتاب وقع [illegible] معنى [illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible] أبي جويرة [illegible][2] وكان في هذا وإن ١٠
كان [illegible] من [illegible] [أعجب][3] [illegible]، و[illegible] العصا
و[illegible] من أحسن وأسهل [illegible]، و[illegible] موقعه من وقت
[illegible] ذكر عصا موسى عليه السلام، ثم ذكر عصا سليمان بن داود
عليه السلام، ثم أفضت في ذكر الأخبار والأشعار التي [illegible] ذكر العصا ولا
أدري أني أتيت على ذكر العصا في [illegible]، و[illegible] أقرب [illegible] وسمته ١٥
و[illegible] [illegible] [illegible] وأعتصم [illegible] من [illegible] يوم [illegible][4]. ومن
رحمته تعالى أطلب الصفح والغفران، عن اشتغالي [illegible] عن تلاوة القرآن، وهو
سبحانه أقرب [مدعو]، وأكرم مرجو.

---

(١) كذا. ولعله [illegible] في [illegible].
(٢) [illegible] [illegible] وقصده. وفي حديث أبي بكر: «[illegible] إلى [illegible]»، أي ٢٠
[illegible] والقصد، والتجويز [illegible] والإصغاء، وليس [illegible] إلى تصحيحها [illegible]:
«[illegible]».
(٣) ليست في الأصل.
(٤) [illegible] من [illegible]، وهو [illegible].

فصل في تسمية العصا

قال أبو بكر محمد بن [illegible] رحمه الله[1]: [illegible] عصا [illegible]
مأخوذ من قولهم: عصى [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible]
الاشتقاق ، [illegible] [illegible] [illegible] فلان [illegible]
وفي الحديث [illegible] [illegible] وسلم : «[illegible]»[3] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
والجمع العصي[4] [illegible] [illegible]
صلى الله عليه وسلم : «لا [illegible] من [illegible]» [illegible] الأدب [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

وقد [illegible] [illegible] الهروي[7] [illegible] في كتاب [illegible]

[illegible] [illegible]

قال [illegible] [illegible] ومورثها
لحسنها وجزالتها ، وهي من محك الشعر ، وقد خرجها أبو تمام حبيب بن أوس
الطائي في حماسته في باب الأدب[8] ، وهي :

---

(١) لم أجد كلامه هذا في [illegible] ولا في الاشتقاق .
(٢) يقال أيضا : «عصى» و«عِصِيّ» .
(٣) في الأصل : «وقيل عصا» . وهو من حديث صلة بن أشيم ، رواه في [illegible] ابن الأثير واللسان (عصا) باللفظ الذي أثبته . وقالا : معناه إياك أن تكون قاتلا أو مقتولا في شق عصا المسلمين .
(٤) يقال بضم العين وكسرها .
(٥) في القاموس واللسان : «جرح عبدانه ولم تمر» .
(٦) [illegible] في الأصمعيات ٢٣ – ٢٤ و[illegible] ١ : ٣٣٦ .
(٧) في الأصل : «وأصلها» .
(٨) الحماسة ٢ : ٢٠ .

ترى ا[illegible] حل [illegible] محصف فردريه   وفي أثوابه أسـ[illegible]ـد مر ر[1]

و نعصحت [illegible] العرير [illegible] فسيبه   فحلف طلث الرحل الصريح[2]

[illegible] حط الآحث هر عحد   [illegible] كى فجم كـ[illegible] وحعر[3]

صعاف [illegible] عمر أصولها حسومد   وه عفل [illegible] اد ولا افتمو

بعاث الطير أكثرها [illegible]   وأمّ الصقر [illegible] تزور

[illegible] احمر ، صعف [illegible] ثلاث [illegible] ، فيحن ، كسرها .

[illegible] لا مس ف ود

عد عص [illegible] بعر [illegible]   [illegible] سعى [illegible] معير

عصرته العصى بكل وحـه   [illegible] على احسف [illegible][4]

[illegible] يكون في [illegible]

و صر به الوحدة [illegible]   [illegible] عير [illegible]

[illegible] ألك في شراركم [illegible]   [illegible] في [illegible] لعمر

ذكر [illegible] هلال العسكرى [illegible] رحمه الله في كتاب الأوائل [illegible] أول من [illegible] خطب على [illegible] وعلى [illegible] ورد عنه من خطبه قوله[5] :

أيها الناس اسمعوا وعوا [illegible] ما هو آت [illegible]

---

(1) المرر : الشديد الفتل القوى [illegible] وفي الأصل « [illegible] » [illegible] في [illegible] ومقاييس اللغة (مرر) ومجالس ثعلب ١٦٢ . ورواه ثعلب « [illegible] الرجل [illegible] »

(2) الطرير : [illegible] ذو الرواء والمنظر وهذا البيت يروى أيضاً [illegible] ، وليس في ديوانه . [illegible] (مرر)

(3) الخير : [illegible] الكرم والشرف .

(4) الوجه : الجهة . والحسف : القل

(5) [illegible] والتبيين ١ : ٨ ٣ ـ ٩ ٣ والأغاني ١٤ : ٤٠ ومجمع الأمثال [illegible] عند قولهم (أبلغ من قس)

مُوطّأة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة. ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا فأقاموا، أم تُركوا فناموا. يقسم قسٌّ بالله قسمًا لا إثم فيه إن لله دينًا هو أرضى وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكرًا.

ثم أنشأ يقول:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إليّ ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

قال المؤلف [illegible]: العرب تقول: فلان ممن قُرعت له العصا، إذا كان يرجع إلى الصواب، وينقاد إلى الحق، ويستقيم عند رأيه[1] إذا نُبّه. ويقول: فلان صلب العصا، إذا كان ذا عزم وحزامة. ويقول إذا وقع الخلاف والاختلاف في العشيرة ومرج الأمر: انشقت العصا. ويقولون للمسافر إذا آب واستقرت به [illegible]: ألقى عصا التسيار، [illegible]

قرع العصا

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «[ما] قُرعت عصا على عصا إلا فرح بها قوم وحزن آخرون».

قال الحجاج بن يوسف الثقفي في بعض خطبه[2]: «والله لأعصبنّكم عصب السلمة، ولأخبطنّكم خبط العضاه، ولأضربنّكم ضرب غرائب الإبل، يا أهل العراق،

(١) [illegible] وفي الأصل [illegible].
(٢) [illegible] خطب الحجاج [illegible] في البيان ٢: ١٣٨ والعقد ٤: ١١٠ وابن أبي الحديد ١: ١١٤ والطبري ٧: ٢١٢، وإعجاز القرآن ١٢٤ والأخرى في البيان ٢: ٣٠٧ والكامل ٢١٥ ليبسك والعقد ٤: ١١٩ وصبح الأعشى ١: ٢١٨ وعيون الأخبار ٢: ٢٤٣ وابن الأثير ٤: ١٥٦

يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوي الأخلاق. إني والله سمعت لكم تكبيرًا ليس بالتكبير الذي يراد به الله في الترغيب، ولكنه التكبير الذي يراد به الترهيب [illegible] العصف وأشباه الإماء(1). إنه مثلي ومثلكم ما قاله ابن براقة الهمداني(2):

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم ... فهل أنا في ذا يال همدان ظالم(3)

متى تجمع القلب الذكي وصارمًا ... وأنفًا حميًّا تجتنبك المظالم

والله لا تقرع عصًا على عصًا إلا جعلتها(4) كأمس الدابر.

وقال وعلة بن الحرث بن [illegible](5):

زعمت أن لا حلوم [illegible] ... إن العصا قرعت لذي الحلم(6)

أفلت [illegible] ... إلا [illegible] العصم(7)

وقال [illegible] بن عبد الرحمن [illegible]

وقد [illegible] وإن العصا كانت لذي الحلم [illegible]

ذو الإصبع، عامر بن الظرب العدواني(8). وكان حكمًا للعرب ترجع إلى حكمه ورأيه، فلما كبر وقعد [illegible] وتغير أحواله، [illegible] عليه الذي من ولده [illegible] من حكمه فقال له: [illegible] أخطأت في الحكم [illegible]. فقال: اجعلوا لي أمارة أعرفها، فإذا زغت فقرعت لي العصا [illegible]. فكان يجلس أمام بيته يحكم ويجلس ابنه في البيت ومعه العصا، فإذا [illegible]

---

(1) [illegible]
(2) هو عمرو بن [illegible] [illegible] ۱۲۳ وهو أحد عدائي العرب [illegible]
(3) في [illegible] (4) في الأصل: [illegible]
(5) كذا [illegible] الحارث بن وعلة [illegible] ۱-٦٤
(6) في [illegible] وزعمتم ألا حلوم [illegible]
(7) العصم: جمع أعصم وعصماء، وهو الوعل بإحدى يديه بياض.
(8) [illegible] في [illegible] (إن العصا قرعت لذي الحلم) [illegible]

[illegible]

[illegible] الأرض»

[illegible] عليه

[illegible]

(١) في اللسان (دي) : « برعية دماها »

(٢) الرشد ، هنا : ضد الرشاد . انظر كتاب الإنصاف والتحري في شروح السقط لأبي العلاء ٤٦٥ .

(٣) لم أجد من ذكر هذا [illegible]

(٤) هذه التكملة من حماسة ابن الشجري ٦٠ واللسان (أبى) . وذكر [illegible] أنه شاعر جاهلي

(٥) رواية في اللسان (دس) . وفي الأصل : « [illegible] » تحريف . [illegible] على « على » ، أي ما حرأك على [illegible] . « كرعك » هي في اللسان : « لمهدك » ولعل هذه « كمهدك » . الغمر ، بتثليث الغين : الذي لا تجربة له . وفي الأصل : « غمر » ، وصوابه من اللسان ، والقاموس الشيخ الكبير

(٦) [illegible] . وفي حماسة ابن الشجري : « لقد [illegible] » . أسأرت : أبقت

(٧) الضرس : العض بالأضراس ، ومثله التضريس . قال الأخطل :

كلمع أيدي [illegible] كل [illegible] يدعين [illegible] الدهر والحطب =

(انشقت العصا) العرب تقول : فلان شق العصا ، إذا كان لا يدخل تحت حكم ولا طاعة [illegible] لأمر الأمراء . ويستعمل شق العصا فيمن فرق عنه [illegible] عنه [illegible] مكسور [illegible] ويروح [illegible] (1) ، عروة [illegible] الله عنه في ذلك .

قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري في كتابه المسمى القائف[2] :

[illegible] كانت شجرة موزونة[3] ، فقضب إنسان منها [illegible] ثم جعل [illegible] من الشجرة [illegible] الشجرة [illegible] وسوف [illegible] في [illegible] يدي [illegible] فقال [illegible] .

وقال قيس بن ذريح :

إلى الله أشكو نية شقت العصا هي اليوم شتى وهي أمس جميع[4]
مضى زمن والناس يستشفعون بي فهل لي إلى لبنى الغداة شفيع

وأول هذه القصيدة :

سقى طلل الدار التي أنتم بها حيا ثم وبل صيف وربيع[5]

[illegible] زهير :
ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

في الأصل : « وصريحها » صوابه في حماسة ابن الشجري . وروى صدره في الحماسة :
وذلك ماعاب الرجال ظلامتي وشابت عين الأشوس الأبيان

(1) باح الشيء [illegible] ظهر [illegible] المكتوم ، يقال [illegible] وأخفيته .

(2) ذكره أبو العلاء في [illegible] كتاب القائف على معنى كليلة ودمنة [illegible] أحرم ثم [illegible] وهو [illegible] الدولة . انظر [illegible] أبي العلاء .

(3) [illegible] .

(4) قصيدة هذه الأبيات تختلط أبياتها بشعر المجنون اختلاطا وتروى حينا للمجنون ، وحينا [illegible] الأغاني [illegible] ١٣٦ — ١٣٧ والحيوان ٥ : ١٩٣ — ١٩٤ وعيون الأخبار ٤ : ٢٦١ والأغاني ٨ : ١٢٦ وحماسة ابن الشجري ١٥٧ — ١٥٨ .

(5) الحيا [illegible] سحائب سود [illegible] الواحدة [illegible] الصيف : المطر الذي يجيء في الصيف . والربيع : أول مطر يقع بالأرض أيام الخريف ، كما في اللسان .

قال المؤلف أعزه الله تعالى: [illegible] هذه الأبيات جميعاً وأثبتها في

ديوان شعري، وأنا ذاكر [illegible] هذين البيتين ما فيهما من ذكر الغضا.

قال عبد الله:

أيرحولي اللاحي من حب محجب[1] ... وفي [illegible] الأسى [illegible]

٥ وما [illegible] حجى فوق حجى ... إلى الله أشكو [illegible] الغضا

هي [illegible] شتى وهي نفس جميع

أطاعت [illegible] مكذب ... وصد [illegible] النحب[2]

فمالك من [illegible] ... [illegible] من [illegible]

[illegible] من [illegible] سعيم

وقال [illegible] الله [illegible] في ذكر الغضا، وهي:

رمت الليالي [illegible] مشتت ... [illegible] ورق الخصب[3]

[illegible] الأهواء واشتقت [illegible] ... [illegible] الهوى كل مشعب[4]

وقد [illegible] من كل [illegible] ... على كل [illegible]

[illegible] من البيت الأول من قصيدة لامرئ القيس بن حجر [illegible]

١٠ واسمه حندج[5]، [illegible] حندجة [illegible][6] وأول القصيدة.

(١) في الأصل: « من [illegible] » [illegible] من ديوان ٣٦٤

(٢) في الديوان: « [illegible] »

(٣) ديوان [illegible] ٦ [illegible] ج ١ ص ٥٥ [illegible] دار الكتب المصرية

٢٠ الخصب، [illegible] ١٨١ [illegible].

(٤) في [illegible] والمستات: « وسمتهم ».

(٥) عرف امرؤ القيس [illegible] امرؤ القيس واسمه حندج بن حجر بن عمرو بن

الحارث وكنيته أبو وهب [illegible] الحارث، ويقال أيضاً ذو القروح. والقيس في اللغة الشدة

٢٥ وقيل هو اسم صنم، قالوا: ولهذا كان يكره الأصمعي أن يروى:

« يا امرأ القيس [illegible] »

وكان يرويه: « يا امرأ الله ». شرح أبي بكر لديوان امرئ القيس.

(٦) وقيل الرملة الطيبة؛ وقيل رملة طيبة تنبت ألواناً من النبات.

خليلى مُرّا بى على أمّ جُندبٍ نقضِّ لُبانات الفؤاد المعذَّب

ومنها البيت

فلله عينا من رأى من تفرّقٍ أشتّ وأنأى من فراق المحصَّب[1]

وقال أبو الحسن مهيار بن مَرْزَوَيْه الدَّيلمى، من جملة قصيدة له:

ما قضيتُ [illegible] الزمن [illegible] تعدو في بعضى وفي بعضى مر[2]

[illegible] مشتبك دائم وما [illegible] أخطاب [illegible][3]

وصاحب كالداء [illegible] أحضنه عَوِرٍ وهو ماثلٌ إذا استقر[4]

وقال مؤلفه أسامة عفا الله عنه

إنى [illegible] حملتها وأصحبنى [illegible] مرتدى على منهج [illegible]

لا [illegible] قرب [illegible] لا يستطيع دفعه من [illegible][5]

أحملها [illegible] عصى [illegible] حتى [illegible] وعصى [illegible] الحلى[6]

فرحم [illegible] أول آدم شىء لمرء عصاه [illegible][7]

(١) فى شرح الديوان: «المحصب [illegible] لا [illegible]» وقال [illegible] المحصب الموضع الذى يرمى فيه بحصى الجمار، وكان مجتمع العرب من [illegible] فيرى الرجل [illegible] ثم [illegible] فى طرق شتى».

(٢) ديوان مهيار ١: ٤١٣ من قصيدة [illegible] وفى الديوان: «يا قصرتا» فيكون هذا دعاء عليه. وفى الديوان أيضا: «فى [illegible]». و[illegible] وهى الطاقة من طاقات الحبل [illegible] الكلام. وفى الديوان: «[illegible]».

(٣) دائم، من فى الأصل «رثة» وفى الديوان «ومشتبك عصب».

(٤) عور، من قولهم عور [illegible] فى الأرض: ذهب فيها وسفل. وفى الديوان: «عوّر» بالمهملة. وفى الأصل: «وهو ماثل» صوابه من الديوان.

(٥) كذا فى ديوان أسامة [illegible]. وفى الأصل: «لا نته عنهم»، تحريف.

(٦) [illegible] الأصابع [illegible] والحال [illegible] الذى يحبون أن يحيه [illegible].

(٧) فى الأصل: «أول امرئ» تحريف.

وقال أيضاً:

[illegible] وكثرة [illegible] … لا [illegible] من حوادث [illegible]

ولا [illegible] كلف … [illegible] اليأس آخر الأمل

[illegible] … [illegible] واحسب شعري [1]

[illegible] … [illegible] كان من [illegible] [2]

[illegible]

[illegible] … كان [illegible]

[illegible] … وحسب من [illegible]

[illegible] وكذب [illegible]

[illegible] « [illegible] » وقال الأسدي:

[illegible] … [illegible] كما [illegible]

[illegible] « [illegible] » ، ولا [illegible] ولا غير ذلك من

[illegible] [3]

([illegible]) [illegible] الشعر . وكان العرب

[illegible] « [illegible] » أي [illegible] ومراده ،

[illegible] الأصمعي [illegible] عبد الملك بن [illegible] -

قصيدة [illegible] جعفر بن يحيى البرمكي [illegible] إليه ، وذكر

[illegible] ، وهي قصيدة طويلة [illegible] لأجل [illegible] ، وهي :

[illegible] … [illegible] الشعر [illegible] [4]

---

(١) في الديوان [illegible] شعري » .

(٢) في الأصل : « [illegible] » صوابه من الديوان .

(٣) الكلام من « [illegible] » مقتبس من البيان والتبيين ٣ : ٣٩ ـ ٤٠ .

(٤) [illegible] بفتح الميم وكسرها ، وهو الخف ، وزيادة الياء في مثل هذا الجمع

جائز عند الكوفيين اطراداً [illegible] الشعر ، [illegible] الشعر [illegible] ، كما يقال جهد

[illegible] ، [illegible]

وقال راشد بن عبد الله(١)

وخبّرها الرُّوَّادُ أنْ ليس بينها ... وبين قُرى نجران والشام كافر(٢)

فألقت عصاها واستقرت بها النّوى ... كما قرّ عينًا بالإياب المسافر(٣)

وقال معقر(٤):

فألقت عصا التسيار عنها وخيّمت ... بأرجاء عذب الماء بيض محافره(٥)

الخيف: ما حول الماء، ممدود أو مقصور، وجمعه أخياف. وقوله «بيض محافره»: يريد أنه حفر في أرض حرداء(٦)، ولا ... في ... سبخة.

وقوله: «خيّمت» أي جعلت [خيمة] وأقامت.

روى أن قتيبة بن مسلم(٧) لما فتح سمرقند ... من ... سره الصديق وشاءه عدوه، فعرف ذلك قتيبة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

من كان سره عدو وساءه الصديق، فلم كما قال الشاعر

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

قال ابن ... أخبرنا ثقة قال: حدثني الأمير ... وابن ... حسن

(١) كذا، وفي اللسان ٣ ... ٤ نسبه للبيت لمعقر بن حمار الأسدي، وفي اللسان (عصا) نسبه إلى عبد ربه السلمي، أو سليم بن ثمامة الحنفي، أو معقر بن حمار البارقي ... ونسب البيت الثاني في المؤتلف للآمدي ٩٢ إلى معقر بن حمار
(٢) السكاكر ... الخطر، كما في اللسان (كفر، عصا) عند إنشاد البيت
(٣) النوى ... الوجه ... وهي مؤنثة، وكذا ورد البيت في ... والمخصص ١٢: ٦١ ، ١٥ ، ١٧٢/١٦ ، ١١، وفي اللسان (عصا) «واستقر» ... ورواية ... عند ... ومن اللسان (نوى) «واستقرت» ... وهذا لا ... الشاهد
(٤) هو معقر بن حمار الأسدي، كما في اللسان ٣ ... ٤.
(٥) في اللسان ... محافره
(٦) في الأصل «سوداء»، وفي اللسان ... وكان ... السوداء ... أراد بالبيضاء الجراف من الأرض لأنه ... لا ... ولا زرع ... أسود ... لاخضرارها بالشجر والزرع.
(٧) الخبر في عيون الأخبار ٢ : ٢٠٩ وعامر ... ١ ... ٢.

علي بن مقلد رحمه الله ، تخطب بعض ولاة حلب

حييت في حلب العواصم بعدما ... قلدت حولك بارح الأقف

لا ترحمهم دار الثواء ولا تفي ... في سلب [illegible] عصب النشر

استحي من أحداث ملك أن ترى ... عرض مسيحة وهي دار قرار

[illegible] أبي [illegible] حدثني من أثق به في شوال سنة تسع وتسعين
[illegible] قال : كان في خدمة الأمير عز الدولة مالك بن [illegible]
[illegible] جعبر(٢) رجل [illegible] حدثني [illegible] في مجلس
الأمير [illegible] وهو يشرب [إلى](٣) سكر ، وانصرفت إلى منزلي ، [illegible]
[illegible] من الليل [illegible] مولاه فقال : الأمير يستدعيك
[illegible] فصعدت معه [illegible]
[illegible] وأمر [illegible]
[illegible] مولاي [illegible]
[illegible] فقال : [illegible] ولكن [illegible] على [illegible]
[illegible] وهو يقول : ما هذا الصوت [illegible] ! ثم [illegible]
وأنا [illegible] فانصرفت وتسحبت من [illegible] إلى خدمته فقال
[illegible] شيء كان من الصوت [illegible] مولاي لا يعلم الغيب إلا الله
[illegible] لأخرجنك من القلعة . فقلت
[illegible] مولاي ما أدري ، [illegible] من صوت [illegible] ولا [illegible] لي [illegible]
[illegible] وأخرجوه . فأخرجوني إلى « البلبل(٤) » فأقمت فيه يوم

(١) مدينة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة بن عمر من ديار بكر
(٢) قلعة جعبر ، على الفرات مقابل صفين التي كانت بها الوقعة ، وكانت تعرف أولا دوسر ، فتملكها رجل من بني نمير يقال له جعبر بن مالك ، فغلب عليها فسميت به
(٣) تكملة ليس لها موضع في الأصل
(٤) البلبل ، كذا وردت

[illegible] ذلك وعدت في الخدمة كما كنت. [illegible] يوماً في الحصن أعني [illegible] في بعض
[illegible] على [illegible] خرجت [illegible] ورأيت رجلا عليه عمامة
[illegible] فسلم علي [illegible] فقصدت [illegible] في الحضور بمجلس
[illegible] مولاي [illegible] كان محداً
[illegible] وما [illegible]
[illegible] وعني.

وحرقه [illegible] كاو
[illegible] مسو
[illegible] ولطته
[illegible]

[illegible] (الأعرج) [illegible] على [illegible]
[illegible]

[illegible] أحدثه في مشيه تملي[1]
وما هو [illegible] كان [illegible] محمل

فصل

قال المؤلف أطال الله بقاءه [illegible] بيت المقدس في سنة اثنتين و[[2]]
وخمسمائة، وكان معي من [illegible] بعض المواضع التي صلى [illegible] [٣٠]،
[illegible] بي إلى بيت [illegible] فقال لي: هذا بيت
السلسلة. فاستخبرته عن [illegible] فقال لي: هذا بيت كانت فيه على عهد
بني إسرائيل سلسلة، إذا كان بين اثنين من بني إسرائيل محاكمة ووجبت اليمين
على أحدهما [illegible] هذا البيت، فوقعت السلسلة، واستحلف المدعى عليه، ثم يمد يده

(١) البيتان في ديوان أسامة ص ١٩١
(٢) تحتمل أن تكون ثلاثين أو ثمانين. والأول هي الأقرب.

[illegible]

[illegible]

(٢) [illegible] ... A fillet especially one worn under the head-dress [illegible]

أي عصابة تلبس تحت لباس الرأس

فعجبت من قوته على الراجل [illegible] ثم سرنا إلى الموضع الذي فيه الزرد طلبته فلم أجده ،
وإذا الوحش قد أكله ، فسرنا ثم افترقنا وكل كان من قصده ، فوصلت
إلى [illegible] وإذا الفرنج قد أغاروا على [illegible] ، وهم منتشرون فيما بيني
وبين قصدي ، فوقع في عيني أن أخرجت [illegible] من تحت عمامتي ووضعته
على رأس العصا ومشيت على الطريق ، والفرنج عن يميني وشمالي وبين يدي ٥
والعصا في يدي وعليها [illegible] . فلا والله ما عارضني منهم أحد ، كأن الله سبحانه
وتعالى أعمى أبصارهم عني ، فنجوت منهم [illegible] حتى وصلت إلى منزلي

* * *

قال المؤلف [illegible] ولعل من يقف على هذا الحديث يدفعه
ويكذبه ، وقد جرى [illegible] ما هو أعجب من هذا ، وذلك أن [illegible] الفرنج ١٠
[illegible] في [illegible] السنين ، وكان [illegible] وهو [illegible] لا يمكن
خوضه ، [illegible] ولا [illegible] فلما [illegible] انتشروا في الأرض
ودخلوا في البساتين يرعون خيلهم ، فجاء [illegible] إلى [illegible] على [illegible]
ومعهم [illegible] ، فتركوها ترعى في قصيل [(1)] في البساتين ونام [illegible] رجال
من أصحابنا وسبحوا إليهم ومعهم سيوفهم ، فقتلوا منهم [illegible] بعضهم ، واشتد ١٥
الصياح في الفرنج وهم في خيامهم فركبوا [illegible] مثل السيل ، [illegible] كل من ظفروا
به قتلوه ، والتجأ بعضهم إلى مسجد [illegible] مسجد أبي المجد بن سمية ،
ونحن نرام ولا سبيل لنا إليهم ، وفي مسجد [[illegible] [(2)]] [illegible] الزاهد
رحمه الله ، وقد [illegible] على سطحه وعليه ثوب أسود صوفا ، وباب المسجد
مفتوح ، فجاء الفرنج [illegible] ودخلوا المسجد [illegible] الشيخ . ٢٠

(١) في الأصل « [illegible] » ولعل [illegible] . والقصيل : الرطبة ، وهو نوع
من المرعى يسمى في مصر البرسيم [illegible] .
(٢) ليس هنا موضع في الأصل . والكلام [illegible]

فلا والله ما قطع صلاته ولا تحرّك من مصلّاه ، وعن ظنّى أنهم يرونه كما أراه ،
إلّا أنّ الله سبحانه وتعالى أعمى أبصارهم عنه ، وحماه من كيدهم ، وخرجوا من
المسجد خائبين وانصرفوا ، والشيخ رحمه الله فى مُصلّاه كما كان . وما العيان
كالإخبار والسماع

* * *

قال المؤلف أعانه الله بمنّه : حضرت بدمشق وقد وقع بين الفقهاء وبين
رجلٍ كان متولّى وقفهم عرف بابن العنف لكنّ حنيف ، فشكوا فيه صاحب دمشق
شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بورى رحمه الله[1] عدّة مرار ، فقال للأمير
مجاهد الدين بزان بن مامين : أى مجاهد الدين ، هؤلاء خنقتنى منهم ، وحقّهم
وأحضر شيوخهم فى المذهب والفضل حاضر بين يدى لأسمع وقعته . وقال لى مجاهد
الدين : تعال واحضر معنا . فجمعهم فى إيوان كبير فى داره ، وحضر الذى
من المشتكى وبه كان فيه ابن الفرّاش ، وحضر المعينان فى نحو من
ثلاثمائة رجل ، فجمعوا قدّامهم ووجه الإيوان ، كلّ واحد ومعه عصا فى يده
وضمّها إلى جنبه ، ثم جوّزوا الحدث ، فكان بعضهم هواه مع الشيخ الأول
ابن الفرّاش ، وبعضهم هواه مع ابن المشتكى ، فتنازعوا وتخاصموا ساعة ولا يتحصّل
بينهم لعلوّ أصواتهم وكثرتهم ، ثم تواثبوا ورفعوا فى الإيوان نحو من ثلاثمائة
عصا فى أيدى المعينين لا يدرون من يضربون ، وعلا الضّجيج والصّياح حتى
تدمّث على حضورى ، فانقضى الأمر حتّى سكتت الفتنة بينهم ، ومشى أمرهم على
ما أرادوا ، وما صدّقت أنهم ينصرفون

(١) قتل سنة ٥٣٣ فى مؤامرة لجماعة من الأمراء . النجوم الزاهرة .

العصا فرس جذيمة الأبرش[1]

قال المؤلف أطال الله بقاءه: وجمعت ما وردني[2] من قول أصحاب السيَر وأشعار الشعراء فلا يخفى ذلك[3] من مارس الحروب وعرف مكايدها، وانفاذ الرجال بتغرير، والخوف من سوء عواقب الحذر وضعف المكيدة. والحزمُ في الحرب أنفع من الإقدام. وقد حاربت الفرنج في مواقف ومواطن لا أحصي عددها كثرة فما رأيتهم قطُّ كسرونا فتبعوا في طلبنا، ولا يزيدون خيلهم عن العنق والتقريب خوفاً من مكيدة تتم عليهم. فكيف يحكم من في رأسه مثقال حبة عقل على نفسه حتى يدخل في غمار مشدودة عينيه[4] وفي ...ت، وكيف يثق الرجال إذا رُكبت عنده عيناه.

وحضرني أن قلت عند انتهائي إلى هذا الموضع أبياتاً أذكرها، وهي:

لو سرت في عرض ... رجلاً حقيراً بالحروب مجرّباً[5]

على الحروب محاذر ومجدلاً أبطالاً إلى أن ... عادهمُ أشيبا

من الأسود ... في ... ... والقد السكي ليخرّبا[6]

---

(١) وهي التي قيل فيها المثل: «إن العصا من العصيّة»، وجذيمة الأبرش هذا، هو جذيمة بن مالك الأزدي ملك الحيرة، وقد نجا قصير بن سعد اللخمي على فرسه هذه فأخذ ... من الزباء. في معجم ... الفرسان (عصا) والخيل لابن الكلبي ٣١ وحلبة الفرسان نشرة محمد عبد الغني حسن ١٥٩.

(٢) في الأصل: «أوردناه فيه».

(٣) أي لا يخفى ذلك.

(٤) شبه أبي ماسعه عمرو بن عدي مشدوداً ... من ... على ... في غرائر ... من ... الزباء. انظر مجمع الأمثال في (خطب يسير في خطب كبير)، والأغاني ١٤: ٧١ ومروج الذهب ٢: ٩٦.

(٥) هذه الأبيات مما لم يرو في ديوان أسامة.

(٦) قال أسامة بن منقذ: ولقد شهدت قتال الأسد في مواقف لا أحصيها، وقتلت عدة منها لم يشركني أحد في قتلها فما نالني من شيء منها أذى. الاعتبار ١٤٤ نشرة فيليب حتي.

لم ألق مثلي من يكاد بريه خُـ ... ـلق الرأى ما قد كان عنه مغيبا

وأرى مسير الألف حتف وردها ... يحمى لمرأى ورده وسكده[١]

فصـــــل

قال الفرزدق فى قصيدة مدح بها هشام بن عبد الملك[٢]

رأيت بنى مروان خير سيوفهم ... عصًا كان فى الأعصر تحت امرئهم[٣]

عصا الدين والعودان والخاتم الذى ... به الله يعطى ملكه كلّ قائم

ـ عصا الدين : السيف ، والعودان : المنبر والسرير

رأيت المشتوان أحسنت حين أعطيت ... هشامًا عصا الدين الذى لم تحطم[٤]

فصـــــل

قال معن بن أوس المزنى

إذا احتسب القدار كنت ردفه ... أمام مصحين لك سبالا[٥]

ولا تعطى عصا خصمه فيهم ... وقد يشكى المقدة والمقالا

وقال آخر فى عصا خطيبه

إذا انهمر الناس قصد العصا ... أطلت من الأرض ميل العصا[٦]

---

(١) الآلف ، هى ألفها من الحوة

(٢) قالها وهو محبوس . ديوان الفرزدق ٨٤٥ ـ ٨٤٧ .

(٣) جلت ، من التجلية ، وهى الإجلاء والطرد .

(٤) هذا البيت لم يرو فى قصيدة الفرزدق .

(٥) البيتان فى ديوان معن بن أوس ، رواية القالى ، ص ٢٥ ليبسك ١٩٠٣ وهما فى البيان ١ : ٣/٣٢٢ : ١٠ . السبال ، جمع سبلة ، وهو مقدم اللحية . ومسح اللحى كناية عن التهدد والتوعد ، أو هو تأهب للكلام . انظر تفسير البغدادى فى الخزانة ١ : ٢٥ . لقول الشماخ :

أتتنى سليم قضها بقضيضها ... تمسح حولى بالبقيع سبالها

(٦) البيان ١ : ٢٢، ٢٣ : ٨

تقول العرب[1]: ما تزال تخطّ أخاك حتى تجد القد، فعند ذلك [illegible] مسحك
أو تمدحت. تقول: إذا هم الخطيب والقاصّ بمد يده فذاك الوقت الذي يخرج
منه[2] مذموماً أو محموداً.

وقال [illegible] عصبة [illegible]

من المقاد [illegible] على [illegible] فإنها [illegible] غروب [illegible][3]

عن عبد الله بن رؤبة بن العجاج قال: [illegible] رجل [illegible] خطب بني
تميم، فقال [illegible] بن [illegible] بن جمة بن [illegible] البعث [illegible] وإذ قيل
له البعث قوله:

بعثت [illegible] بعثت [illegible] أرى [illegible] كل [illegible][4]

قال أبو [illegible]: كانوا يقولون: أخصب بني تميم [illegible] إذا أحد القاصة
عرقه ثم اعتمد بها على الأرض ثم قعد [illegible]

قال [illegible] كان معلماً في الشعر قد عنى في الخطب[5]

العرب تقول: العصي سيوف [illegible] لسيف عصا [illegible] قال عمرو بن الإطنابة:

وفي حرب [illegible] إذا كانت السيوف عصيا[6]

وقال [عمرو بن[7]] بحر:

نزلوا إليهم والسيوف عصيهم [illegible] ذحولا[8]

(١) هو قول أبي المجيب الربعي، كما في البيان ١ : ٢٧٣/٢ ، ١ .
(٢) في البيان: «الذي لابد من أن يخرج ...»
(٣) [illegible] في البيان [illegible] ونسبه [illegible] لعقبة بن [illegible] انظر ديوان [illegible] ٢٣٦ـ٢٣٧.
(٤) البيان ١ : ٣٧٤ ، ٣ : ١٠ .
(٥) انظر البيان ١ : ٣٧٤ / ٢ : ٣٤٣ / ٣ : ١١ .
(٦) البيان ٣ : ٧٧ والأغاني ١٠ : ٢٨ .
(٧) التكملة من الأغاني ١٠ : ٢٨ .
(٨) [illegible] جمع [illegible]، وهو الحقد [illegible] والذحول جمع ذحل، وهو الثأر.

فصل جامع

قال عمرو بن بحر الجاحظ : الدليل على أن [أخذ][1] العصا مأخوذ من أصل كريم، ومعدن شريف، أخذُ سليمان بن داود عليهما السلام العصا لخطبته وموعظته، ومقاماته، وطول صلاته وتلاوته وانتصابه، فجعلها لتلك الخصال [جامعة[2]].

وقولُ الله عزّ وجل: (فلمّا قضينا عليهِ الموتَ ما دلّهمْ على موتِهِ إلا دابّةُ الأرضِ تأكلُ منسأتَه). والمنسأة هي العصا. وقول أبي طالب حين قتل الرجل الذي ضرب أبا قيس[3] (وفي نسخة أبا قيسة) واسمه علقمة[4] حين خاصمه:

أمن أجل حبل ذي رمة ضربته بمنسأة قد جر حبلك أحبلا[5]

و (المحجنة[6]) : العصا المعوجّة. وفي الحديث المرفوع أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الأركان بمحجنه[7]. وفي الحديث أن أبا بكر رضي الله عنه أفاض من جمع وهو يحرش بعيره بمحجنه[8].

والعرب تقول: « كان في العصا سير » [illegible] و [illegible]. قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي

(١) التكملة من البيان ٣ : ٣٠.

(٢) التكملة من البيان.

(٣) الذي في نسخ البيان والقاموس [illegible] ٣ : ٣٠.

(٤) أبو قيسة، ورد [illegible] ٢٧٥ [illegible] قسم لهم الرسول صلى الله عليه وسلم في مقاسم حنين. وترجم له ابن حجر في الإصابة ١١٣٦ [illegible] وذكر في الإصابة أن علقمة هو والد أبي قيسة، [illegible] علقمة بن [illegible] بن عبد مناف. وقد ورد ذكر علقمة بن [illegible] بن عبد مناف في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٦٦.

(٥) البيت في البيان ٣ : ٣٠ [illegible] في ديوان أبي طالب [illegible] دار الكتب. وهو مع بيتين آخرين في اللسان (نسأ) و [illegible] اللسان والبيان: « أمن أجل حبل لا أباك ».

(٦) يقال محجن ومحجنة.

(٧) في البيان ٣ : ٨٥ واللسان : « بمحجنه ».

(٨) جمع : هي المزدلفة. وفي البيان ٣ : ٨٥ « بمحجنه ».

يـ لك من هِمَّةٍ ورأى ـذ أنه فى عصاك مَسِير[1]

رـةَ قين أحمى كثيراً كمطر سوه مُطيرُ

صبرَ على الحادثات صبراً ـه فعل الله فهو خبيرُ

وتقول العرب : قد أقبل فلان و[لانت[2]] عصاه ، إذا أخذه النشاف

وهو ذهاب لبن وهو [ـه] [illegible] وليس معه إلا العصا ، فإنه لا بد لها

إن كان معه لبن أو لا . قال محمد بن ثور

واليوم تخرج عصا من [illegible] وعوْد نبى سـه مُطبق[3]

قيل : كانت العرب تسمى بالعصى ، فهذا قول الأعشى ميمون بن قيس

ابن جندل

لسنا نُضـارب بالعصـى ولا نقذف بالحجارة[4]

إلا كلَّ مهنّد عضب من البيض الذُّكاره[5]

فعبر نضـارب [illegible] شق القوس من الحرابه[6]

وقال جندلُ الطهوى

حتى إذا دانت عصاه تجرى[7] صاحت عصى من قنًا وسِدْر[8]

تقول العرب : « العصا من العُصَيَّة والأفعى من أفعيه » . ترى أن الأمر

الكبير يحدث من الصغير

(١) الأبيات [illegible] فى ديوان أبى تمام وهى فى البيان ٣ : ٦٧ ورواية الأولى « مالك من همة وعزم » .

(٢) التكملة من البيان ٣ : ٥٢ .

(٣) فى البيان ٣ : ٥٢ « تخرج العصا » وفى مجالس ثعلب ١٩ والبيان (عص) : « واليوم نخرج » .

(٤) ديوان الأعشى ١١٥ والبيان ٣ : ١٥ .

(٥) الذكاره ، بالكسر : جمع ذكر ، والذكر من الحديد أيبسه وأشده .

(٦) القصم : الذى تكسر حده مما طال عليه الدهر وكثر به الضراب .

(٧) فى البيان ٣ : ١٥ « وهى لا تجرى » [illegible] .

(٨) قال أبو منصور : القناة من الرماح : ما كان أجوف كالقصبة

والعرب تسمّى الشيخ [illegible] رأسَ العصا. وكان عمرو بن حممة[1] صدر الناس، فقال فيه سويد بن الحارث:

من مبلغ رأسَ العصا أن بيننا ... ضغائن لا تنسى وإن قدُم الدهرُ

وقال آخر[2]:

[من مبلغ رأس العصا أن بيننا ... ضغائن لا تُنسى وإن هي سُلّت]

رضيت [illegible] الفصيل وقد كنتُ ... أخا راغبٍ [illegible]

أي: [illegible] رضى لك بالفصيل

وقال أبو الصعدية [illegible] وكانت [illegible] صغارا:

رؤوس عصىّ كُنّ فى عود أشمرٍ ... بها قادح [illegible] وآخر مخرّبُ[3]

وفى حديث تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد[4] رضى الله عنها وقد [illegible] أبو طالب وذكر [illegible] فقال قائل منهم[5]: «ذاك الفحل لا يُقدَع أنفه». وذلك أن الفحل [illegible] فى الإبل ضربوا أنفه بالعصا.

وفى خطبة الحجاج: «والله لأعصبنّكم عصب السلمة، ولأضربنّكم ضرب غرائب الإبل». وذلك أن الأشجار تُعصب أغصانها لتجتمع، ثم تُخبط بالعصا لتسقط ورقها وهشيم العيدان [illegible] لماشيته.

* * *

(١) عمرو بن حممة بن سعد بن عدى [illegible] سنين، وكان يكنى أبا المثنى. المعارف ٢٨٩.

(٢) هذه التكملة من البيان ٣ : ٤١.

(٣) القادح: أكال يقع فى الشجر والأسنان. انظر البيان ٣ : ٤١.

(٤) الخبر يروى فى تزوج خديجة، كما فى اللسان (قدع، قرع)، ويروى فى زواجه من أم حبيبة.

(٥) القائل فى خبر خديجة هو ورقة بن نوفل أو عمرو بن أسد بن عبد العزى، كما فى اللسان. وفى خبر أم حبيبة أبو سفيان بن حرب، كما فى البيان ٣ : ٤٤.

قال المؤلف أطال الله بقاءه: زرت قبر يحيى بن زكريا عليهما السلام بقرية يقال لها سبسطية[1] من أعمال نابلس، فلما صليت خرجت إلى ساحة بين يدي الموضع الذي فيه القبر محوّط عليها، فوجدت بابا مردودا ففتحته ودخلت، وإذا كنيسة فيها نحو من عشرة شيوخ رؤوسهم مكشوفة كأنها القطن المندوف، وقد استقبلوا الشرق وفي صدورهم عصي في رؤوسها عوارض معوجة على قدر صدر الرجل، وهم يتعبدون عليها، ويقرأ بين أيديهم قارئ[2]، فرأيت منظرا رقّ له القلب، وساءني وأحزنني إذ لم أر في المسلمين من هو على مثل اجتهادهم. فمضى على ذلك مدة، فبينا أنا يوما مع معين الدين أُنُر[3] رحمه الله وأنا معه سائر عند دار الطواويس، فقال لي: أريد أن أنزل أسلّم على المشايخ. قلت: الأمر كذلك. فنزل ومشينا إلى مكان عريض[4] طويل، فظننا أن ما فيه أحد، وإذا فيه نحو من مائة سجادة، وعلى كل سجادة رجل من الصوفية عليهم سكينة، والخشوع عليهم ظاهر، فسرّني ما رأيت منهم، وحمدت الله عز وجل، ورأيت في المسلمين من هو أكثر اجتهادا من أولئك القسوس، ولم أكن قبل ذلك رأيت الصوفية في دارهم، ولا عرفت خبرهم.

ثم قالوا «يوم أقصر من ظل العصا، وأقصر من [illegible]». قال عبد الله بن الدمينة[5]:

ويوم كظل الرمح قصّر طوله ... دمُ الزق عنا واصطفاق المزاهر[6]

(١) كذا وردت الكلمة بهذا الرسم.
(٢) كذا وردت هذه العبارة.
(٣) كذا ورد مضبوطا في الأصل، ويضبط أيضا بضم النون. انظر النجوم الزاهرة ٥ : ٢٨٦ وكان معين الدين وزيرا لحاكم دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري، وتوفي سنة ٥٤٤ كما في النجوم الزاهرة.
(٤) كذا. ولعلها «عريض».
(٥) الصواب يزيد بن الطثرية كما في الحيوان ٦ : ١٧٩.
(٦) دم الزق: عنى به الخمر في جربها. والمزاهر: جمع مزهر، وهو العود الذي يضرب به.

ويقال رجل كالقناة، وفرس كقناة. وقال عروة بن الورد[1].

متى ما يجئ يوماً إلى المال وارثي ... يجد جمع كفٍّ غير ملأى ولا صِفْرِ[2]

يجد فرساً مثل العنان وصارماً ... حساماً إذا ما هُزّ لم يرض بالهبر[3]

ويقال للرجل إذا لم يكن معه غناء: بهن، وناقة بهل إذا كانت بغير صرار[4].

فصل

في ذم ما جاء في عيب السكر.

ومن قول مؤيد الدولة مؤلف هذا الكتاب أطال الله بقاءه في معنى:

أسفي على عصر الشباب تصرمت ... أيامه لا بل على أيامي[5]

أبكيه أسفاً على [illegible] ... ووصل [illegible] وشرب مدام

لكن على حيني وحوضي [illegible] ... [illegible] فيه الموت من إقدامي

[illegible] ... يوم الوغى أحده في الهام

وعطر معقد [illegible] حضنه ... في صدر كبش كتيبة قمقام[6]

[illegible] لجب وكأنه ... فرق هوت فتحمى ومسامي[7]

وعلى أسد [illegible] ... كالرعد قعقع في متون غمام[8]

حتى إذا لا [illegible] أسد له ... [illegible] حتى الأجسام

---

(١) الصواب أنه لحاتم الطائي. ديوانه ١٢١ والحماسة ٢: ٣٧٤. والبيتان في البيان ٣: ٥٩ بدون نسبة.

(٢) جمع الكف، بالضم، هو أن تجمع أصابعها وتضمها. يقول: لا يجد عندي الوارث كثيراً ولا قليلاً، بل شيئاً بين بين.

(٣) الهبر: قطع اللحم. يقول: يأبى إلا أن يخالط العظم.

(٤) الصرار: خيط يشد فوق خلفها لئلا يرضعها ولدها. البيان ٣: ٧٤.

(٥) هذه الأبيات مما لم يرو في ديوان أسامة. تصرمت: تقضت.

(٦) الكبش: الرئيس والقائد. والقمقام: السيد الواسع الفضل.

(٧) الفرق: الطائفة [illegible].

(٨) القعقعة: صوت معه ترجيع.

لو أن عينَيْ أبي زُبَيدٍ عاينت ... فتكاته لأقرَّ بالإحجام[1]
حملتُ من بعد الثمانين العصا ... [illegible] [illegible] [illegible]

وقال أحد [illegible] الله [illegible] في العصا:

مع الثمانين عاث الضعفُ في جلدي ... وساءني ضعفُ رجلي واضطرابُ يدي[2]
إذا كتبت فخطي خطُّ مضطربٍ ... كخطِّ مرتعشِ الكفين مرتعدِ[3]
وإن مشيت وفي كفي العصا ثقلت ... رجلي كأني أخوض الوحل في الجَلَدِ[4]
فاعجبْ لضعف يدي عن حملها قلمًا ... من بعد حطم القنا في لبّة الأسد
فقل لمن يتمنى طول مدته ... هذي عواقبُ طولِ العمر والمددِ

قال مؤلف [illegible] دخلت على [illegible] الموصل سنة ست وعشرين وخمسمائة [illegible] رجل من أهل الموصل نصراني يعرف [illegible]، وهو شيخ كبير يمشي على عصا [illegible] على، وأنشدني والعصا بيده قبل السلام:

أحمدُ الله أن سعيتُ إلى أن ... صرت أمشي وفي يدي عكّازه
نعمة لست [illegible] عليها ... [illegible] لا [illegible] فوق جنازه

وقال آخر:

عكازتي [illegible] شرح [illegible] ... [illegible] العصي شرح الشيب أطلعها
أحملها ثقلي ويحسب كل من ... [illegible] كأني [illegible] قد حملتها

---

(١) أبو زبيد الطائي، حرملة بن المنذر، كان نصرانيا [illegible]، وكان أوصف الناس للأسد، [illegible] [illegible] بن عفان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الشعر والشعراء ٢٦٠ والأغاني ١١: ٢٣ – ٣٠ والمعمرين ٨٦ والمحبر ١٣٢ والخزانة ٢: ١٥٥ – ١٥٦.

(٢) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الأعصار ١٦٣. وهي [illegible] في [illegible] ١: ٦٣ [illegible] [illegible] ١: ٥٠٠ مصورة دار الكتب.

(٣) في الأصل [illegible]: «[illegible] مرتعش»، والوجه ما أثبت من الأعصار.

(٤) الجلد: الغليظ من الأرض.

وقال المؤلف رحمه الله

حملتُ ثِقلي في استهال العصا ... وبتُّ في حين حاوت الحزونا[1]

وقد [illegible] رحلي حاملي فلا ... عدى للعصا في أن تخونا[2]

قال المؤلف وأنشدني العميد أبو الحسن علي بن أبي الأمان الموصلي في سنة

٥ ست وعشرين وخمسمائة ، وهو من [illegible]

ما [illegible] كلات الرتب ... حتى مشيت على العصا كالأحدب[3]

[illegible] رحلي [illegible] ... فكأنني أمشى [illegible] في المطلب[4]

[illegible] وأمشي على [illegible] ... مشي [illegible] لقد [illegible]

[illegible] ... أو [illegible] أمشي [illegible][5]

قال وأنشدني المفتي السيد أحمد بن [illegible] في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ،

لشاعر [illegible]

قوس [illegible] ظهري ... واستوى [illegible] أي دوس

فمشى والعصا تمشي أمامي ... كأنها [illegible] وتر القوس

قال المؤلف رحمه الله : أنشدني الخطيب [illegible] أبو عمران موسى بن

١٥ [illegible] الشريعة [illegible][6] رحمه الله ، [illegible] في

شعبان سنة إحدى وستين وخمسمائة :

---

(١) في الأصل : « وتب في حين [illegible] » ، وصوابه في الديوان ٣٢٣ . [illegible] وهو ما علقه من [illegible] .

(٢) في الأصل : « في [illegible] خونا » ولا [illegible] ، وصوابه في الديوان

(٣) شاكله شيء [illegible] .

(٤) في الأصل [illegible] في العطاب .

(٥) ستيق ، لعلها « شيني » .

(٦) [illegible] كذا ، وهو [illegible] على [illegible] بن آمد [illegible] ابن عمر [illegible] بكر [illegible] ، هو أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين الحصكفي الخطيب .

٢٠ ترجم له في خريدة القصر ، وسرد طائفة من خطبه وأشعاره .

كبرتُ إلى أن صرتُ أمشي على العصا

تحيّر ما أعدى الزمانُ على الدهرِ(١)

قوس ما تشكي وهل من شكاية

تشدّ على الإنسان من كبر السن(٢)

قال: وأنشدني أيضاً لنفسه:

ولكنني ألزمت نفسي حملها لأحسب أن أنهض على سفر

قال: وأنشدني أبو الموفق نصر بن سعدان لنفسه:

كل أمر إذا تفكرت فيه وتأملته رأيت ظريفا

كنت أمشي على اثنتين قويّا صرت أمشي على ثلاث ضعيفا

قال مؤلفه رحمه الله:

إذا قوّس ظهر المرء من كبر فعاد كالقوس يمشي والعصا وتر(٣)

فالموت أروح شيء يستريح به والعيش فيه له التعذيب والضرر(٤)

وقال أيضاً في المعنى(٥):

إذا عاد ظهر المرء كالقوس والعصا له حين يمشي وهي قدامه وتر

ومن تكاليف الحياة وطولها وأضعفه من بعد قوّته الكبر

فإن له في الموت أعظم راحة وأمناً من موت الذي كان يحذر

وقال المؤلف رحمه الله:

حنتني الدهر وأفنتني الليالي والعمر

فصرتُ كالقوس ومن عصاي للقوس وتر

(١) في الأصل: « ليجر »
(٢) تشكيت، لغة في شكوت.
(٣) في الأصل: « عادة القوس »، صوابه من الديوان ٣١٨.
(٤) في الديوان: « أروح آت »
(٥) الأبيات التالية في ديوانه ٣١٩.

أدِبُّ في مشيي وفي خطوي فتورٌ وقِصَرْ
كأنني مقيَّـــــد وإنما القيـدُ الكِبَرْ
والعمر مثل الكأس يرسب في أواخره أتى الكدرْ

وأنشدني الأمير السيد شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين العلوى
٥ الحسنى بالموصل في شوال سنة خمس وستين وخمسمائة ، لبعض المغاربة :

لي عصا في طريق الشيب أحمدها [illegible] في تأخيرها قدمي
كأنها وهي في كفي أهش بها على ثمانين عاماً لا على غنمي
كأنني قوس [illegible] وهي لي وتر أرمى عليها رمايا الشيب والهرم[1]

قال المصنف رحمه الله . وحدثني الشريف الإمام شمس الدين أبو الحسن على
١٠ ابن على بن الدمر [illegible] بالموصل في [illegible] رمضان سنة خمس وستين
وخمسمائة [illegible][2] في سنة [illegible] ، وهو [illegible] هذين البيتين

[illegible] نفس قوة [illegible] على قوة [illegible][3]
كأني والعصا [illegible] موسى [illegible] بلا [illegible]

[illegible] وأنشدني [illegible] ، أنشدني والدى أبو الحسن على قال : أنشدني والدى
١٥ أبو [illegible] قال : أنشدني والدى الأمير أبو شجاع وقد علت سنه وحمل العصا

[illegible] ما كان أحسنى أمشى [illegible]
أمشى بها وهى تمشى لى معونة ما كان أحسنى أمشى بلا عون

---

(١) [illegible] وفى الأصل : « رماه »
(٢) هو نظام الملك الطوسى الحسن بن على بن إسحاق . انظر ما سبق فى صفحة ١٨٦ ، ١٨٧
(٣) هذان البيتان [illegible] نظام الملك ، كما فى وفيات الأعيان . وهذه النسبة لا [illegible]
و [illegible] نظام الملك ولد سنة ٤٠٨ وقتل سنة ٤٨٥ ، [illegible] إلى [illegible]
و [illegible] أبى الحسن محمد بن أبى الصقر الواسطى ، كما فى الوفيات فى ترجمة نظام
الملك . وابن أبى الصقر هو محمد بن على بن الحسن ، ولد سنة ٤٠٩ وتوفى سنة ٤٩٨
ورواية ابن خلكان . « قد [illegible] » . وكلمة « [illegible] » [illegible]
٢٠ وفيها « الصبر » بدون هاء .

هذه كنت آلفها وصيرتها · إلى بأربعٍ مني قرّة العين
مع الشباب وجاء الشيب يصحبه · ثالثها صحةٌ سقى بلا بين

قال المؤلف رحمه الله :

ويح الشيخ ومرّه · ماذا به هي وعناه
حملت عصاي وما كبرت · شغلي بكفي شغله
محمولة هي في الصبا · وفي الخفقة حامله
والعجز أحدى الحب · والضعف شجونه
والعيش محسوب به · في حين سر عقله
وحبيبٌ مكروه تب · في أمشه المعدوبه

قال المؤلف رحمه الله[١] :

قصّر خطوي وثنى صعدتي · مرور دهر خاتل خاتل
وصرت أمشي متكئا للعصا · من بعد حمل الأسمر الذابل
أمشي ضعيفا وخطوي على · عصاي مشي الشادن الخاذل
كأنني لم أمش يوم الوغى · إلى نزال البطل الباسل
ولم أشقّ الجيش لا أنثني · من بأسه كالقدر الباسل
فانظر إلى ما فعل العمر بي · من طوله لا أحمد العاقل
يا حسرتا إن غدا ميّت · على وأنثى ميتة الخامل
هلا أتى الموتُ يوم الوغى · بين القنا والأسلِ الناهلِ

وقال أيضا[٢] :

نظرتُ إلى ذي شيبة متهدّم · أفنى وكم أفنى من الأعوام
يمشي وتقدّمه العصا وقد انحنى · فكأنه وتر لقوس الرامي

(١) الأبيات التالية مما لم يرد في ديوانه .
(٢) وهذه الأبيات أيضا مما لم يرد في ديوانه

ورثت سمات الأريحية والندى ... ودلائل المعروف والإقدام

واستحوذت [illegible] امرؤ ... [illegible] من كرام الشم

[illegible] الدار به وصدق [illegible] ... [illegible]

قالت من أي الناس أنت فقلت من ... أولاد منقذ في ذرى وسنام

من معشر [illegible] رماحهم ... [illegible] الأعلام

تحمي البلاد سيوفهم [illegible] ... تحميه دونهم سيوف الحامي

[illegible] بكل ثغر خائف ... والآمنين معرة الأجرام(١)

وإذا [illegible] الآمنون [illegible] ... عاذوا ثقال الظهر بالأبعاد(٢)

كم فيهم عند الحقوق إذا عرت ... من [illegible] بذل [illegible](٣)

تعطي يداه إذا هم [illegible] ... في محل عن صوب الغمام الهامي

[illegible] ... [illegible] الآساد في الآجام(٤)

قالت [illegible] ... دهر [illegible] على الأيام

ووددت لو [illegible] كأس الردى ... ووردت قبلهم حياض حمام

[illegible] مثلي [illegible] ... ومعاشر [illegible]

وبعاد أمر لا ترد [illegible] ... فيم قضى القاضي من الأقوام(٥)

لا بد [illegible] ... [illegible] ومرامي

[illegible] ... [illegible] من الزفير الحامي

وقال أيضا :

[illegible] بعدما [illegible] ... [illegible]

---

(١) المعرة : الأذى والجناية . والأجرام : جمع جرم ، وهو الجناية . وفي الأصل : « الجرام ».
(٢) الجو : ما انخفض من الأرض . وفي الأصل : « شعورهم ».
(٣) في الأصل : « مسرع ».
(٤) السطا ، أراد بها السطوات
(٥) أي إن القاضي يخضع له ، فهو يطيع ما يقضي به أمره .

ومشت به مشيَ الحسير بوقره ... لا يستقل مقيدا مِشياره[1]

ما آده ثقلي ولكن ثقل ما ... أبقى الشباب عليّ من أوزاره[2]

ورعى معقودَ عن أعطى أخا الشعبين عهدة عقده من ثاره

وقال أيضاً[3]:

عرضتُ من الحياة فكلُّ مرئ ... تبرّم بالحوادث والخطوب[4]

فما سعدت يدى بسرورِ يومٍ ... بغير هموم حادثةٍ مَشوب

[illegible] كانت كرعقبه سالب ... تقضّى بالوقائع والحروب

وولّى بعده شبٌّ نعيص ... فلا أسفاً لأيام المشيب

أرى طيب لذاتي ولهوى ... بعدٌ من الجهالة والعيوب

وأدنانى إلى كبرٍ وضعف ... وأدواء خفينَ على الطبيب[5]

إذا رمتُ النهوض حسبت أنى ... حملتُ ذرى الشناخيب من عسيب[6]

فإن أنا قمت بعد الجهد أمشى ... فمشيي حين أعجل كالدبيب

تسيّرني العصا هوناً وحلو ... مسير الموت كالريح الهبوب

وأفنى الموتُ حولى وقومى ... وأترابي فها أنا كالغريب

وربما قد لقيت ردًى وموتٌ ... ولكن ليس قلبى كالقلوب

(١) في الأصل: «مشاره»، صوابه من الديوان ٣٢٣.
(٢) كلمة «على» ليست في الأصل، وإثباتها من الديوان.
(٣) الأبيات التالية مما لم يرد في ديوانه
(٤) يقال عرض عرضاً، من باب تعب: أي أدرك الملال والضجر. وفي الأصل: «عوص». وقال أسامة أيضاً في ديوانه ٤٦:

عرضت من الهجران والشمل جامع ... ولم يتصدّعا بفرقتنا الدهر

(٥) في الأصل: «وأدواء خفين».
(٦) حسبت، هي في الأصل: «حست». انظر البيت الرابع من المقطوعة التالية. والشناخيب: جمع شنخوب، وهو رأس الجبل وأعلاه. وعسيب: جبل بعالية نجد.

وقال أيضاً :

إن ضعفتُ عن حمل ثقلي رحلي ورمى [illegible] في [illegible]

مشى كما يمشي [illegible] في [illegible] مشى الأسير موثق [illegible]

[illegible] شدى [illegible] ثلثي[2] إلى [illegible] و ضعفت عن حمل

وقال أيضاً وكتب بها في كتب إلى ولده [illegible] في [illegible]

[illegible] إلى مصر يطلب منه [illegible] من آبنوس[3] :

أريا [illegible] من آبنوس [illegible] [illegible] من استعدت قوى رجلي

ولا [illegible] موسى [illegible] لآدها على [illegible] من [illegible]

و[illegible] [illegible] [illegible] وكل [illegible] [illegible] وكل [illegible]

إذا [illegible] المرء [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] الرجال

وقال أيضاً[4] :

لما [illegible] من [illegible] إلى مدى قد [illegible] أهواه شيئت [illegible]

[illegible] طول العمر [illegible] في [illegible] [illegible]

ضعفت قواي و[illegible] [illegible] من [illegible] و[illegible] حين شرف المدى

وإذا [illegible] [illegible] في [illegible] حملا و[illegible] [illegible] مشيت مقيدا

وأدت في [illegible] [illegible] و[illegible] في الحرب [illegible] أسيرا ومهندا

وأبيت في [illegible] [illegible] مسهدا [illegible] كأنني افترشت [illegible]

والمرء [illegible] في [illegible] و[illegible] لم [illegible] و[illegible] [illegible] كأنما

وقال أيضاً[5] :

[illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] له وهو على معرض [illegible]

---

(١) في الأصل : « [illegible] » ، صوابه في الديوان ٣٢ .
(٢) يقال [illegible] : [illegible] . (٣) الأبيات [illegible] في ديوانه
(٤) الأبيات التالية ليست في ديوانه .
(٥) الأبيات التالية [illegible] [illegible] [illegible] في كتاب [illegible] ص ٢٢٦

وكم [illegible] من السيوف [illegible] ولكن [illegible]

[illegible] وتقصت [illegible] العيش الذي فيه [illegible][1]

[illegible] عن [illegible] كان [illegible][2]

[illegible] من [illegible] وأحلى من حياتي وأعذب[3]

[illegible][4]

[illegible] كان [illegible] على [illegible]

قوله « [illegible] » [illegible] وهو [illegible][5]

[illegible] حيث [illegible] الأوهام

[illegible] الأعطاف على مثل [illegible] من [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] لا [illegible]

[illegible] هذا الكتاب رحمه الله . هذا آخر ما [illegible]

[illegible] الكتاب [illegible]

---

(١) [illegible] العيش و [illegible]

(٢) الأ[illegible] الذي كأنما [illegible] في شق [illegible] أي [illegible] .

(٣) في [illegible] الآداب : « [illegible] » . (٤) الأبيات [illegible] في ديوانه .

(٥) في الأصل « [illegible] » . (٦) في الأصل : « وإنما الحلم أي [illegible] » .

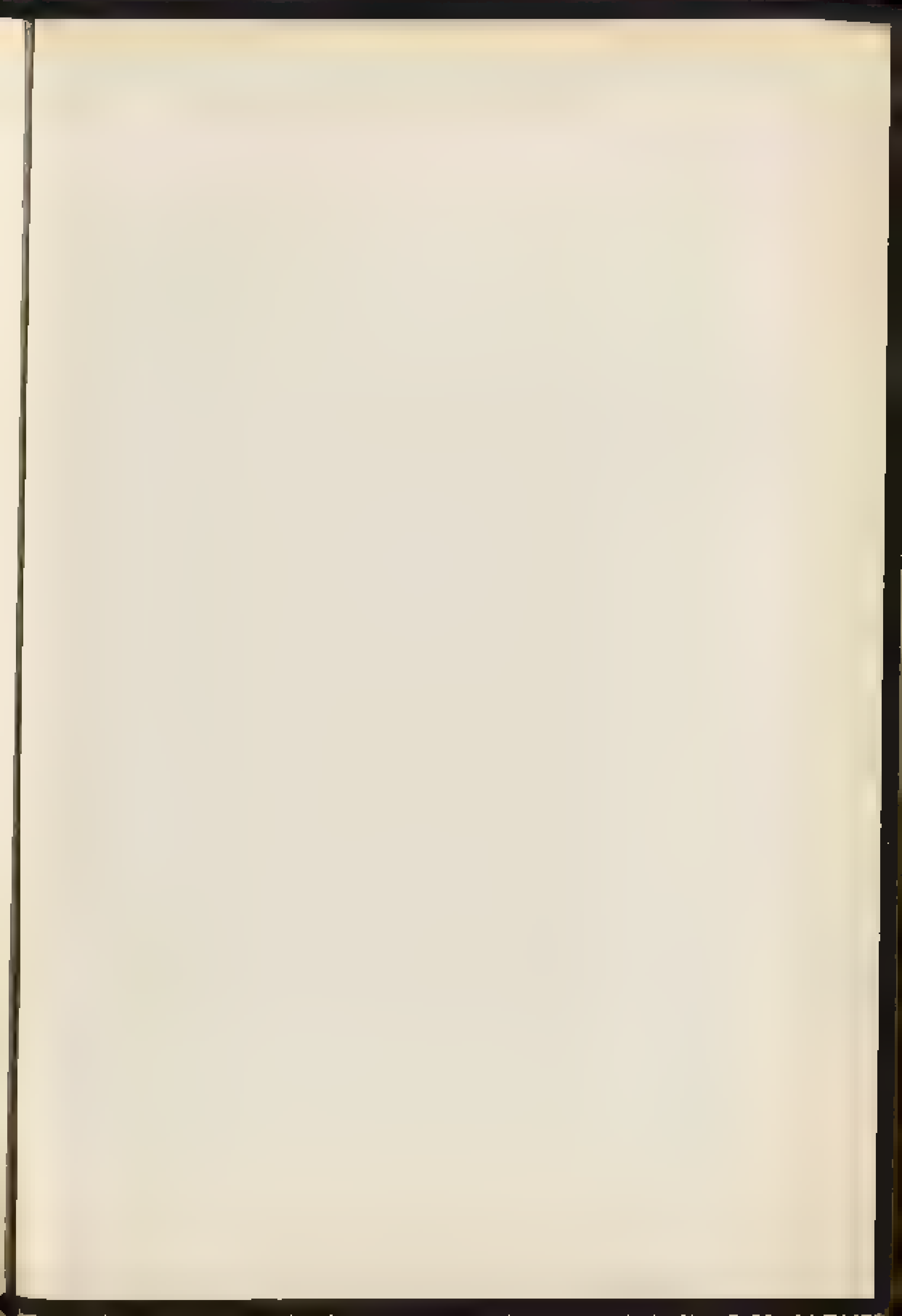

رسالة الصيد

لعبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣

مقدمة

عبد القادر البغدادي

في سنة ١٠٣٠ وفي مدينة بغداد [illegible] عبد القادر بن عمر البغدادي ، [illegible]
ونشأ في [illegible] وعلى أيام شاه [illegible] والدولة العثمانية .
وفي سنة ١٠٤٨ [illegible] جيوش مراد
مع [illegible] من الإيرانيين ، حيث رحل عبد القادر [illegible] فكان
[illegible] ولما [illegible] حتى [illegible] إلى القاهرة
دخلها سنة ١٠٥٠ وكان [illegible] الخفاجي [illegible]
من الخفاجي [illegible] سنة
١٠٦٩ [illegible] عبد القادر [illegible] أخرى [illegible]
[illegible] وفي سنة ١٠٧٧ وهي السنة التي [illegible]
[illegible] كريماً . وكان [illegible] ملازماً له [illegible]
[illegible] سنة ١٠٨٥ فرجع [illegible] أحمد
[illegible] محمد [illegible]
[illegible] (خزانة الأدب) [illegible]
[illegible]
في سنة ١٠٩٣ (١) .

[illegible]

كلمة [illegible] بالأصول العربية في [illegible]
في [illegible] ابن دريد في الجمهرة ٢ : ٣٧ وابن فارس في مقاييس اللغة ١ : ٣٥٣
[illegible] في [illegible] ٩١ ، والخفاجي في شفاء الغليل بأنها ليست عربية الأصل
ومهما يكن [illegible] هذه الكلمة سامية الأصل ، [illegible]
[illegible] من العربية . [illegible] ([illegible]

(١) انظر خلاصة الأثر للمحبي ٢ : ٤٥١ — ٤٥٤ ومقدمة الأستاذ محب الدين
الخطيب لخزانة الأدب [illegible] سنة ١٣٤٧ — ١٣٥١

(سوسكى) أن نسبها لأول مرة [illegible] ، على القاعدة في حصرها،
وهي قاعدة ([illegible]) [illegible] حروف الكلمات [illegible] الثلاثيات
[illegible] ، وفيه [illegible] أصل ثنائي للكلمة موجود في العربية وهو « لد » الدال
على شدة ، ومنه شق « لدم » الدال على الضرب ، ثم قلب إلى « لمد » [illegible] ،
[illegible] ومنه التلميذ

وأنا أرى أن هذه [illegible] في كثير من الكلمات [illegible] ،
[illegible] أن يرد كثير من كلمات العربية [illegible] وهذا لا يستقيم،
[illegible] في [illegible] هذه الكلمة ،

(في السريانية) . « [illegible] » [illegible] ، « [illegible] » : [illegible] ،
[illegible] ، « [illegible] » طالب علم ، متعلم ،

(في الآرامية) « تلميذا » : طالب علم

(في [illegible]) « [illegible] » : [illegible]

(في العبرية) « لمد » [illegible] ، عاقب ، روّض « ملمد » :
[illegible] به للعروس ، [illegible] « لمود » [illegible] ، [illegible]
« [illegible] » : متعلم ، دارس

(في الحبشية) « لمد » ، [illegible] ، [illegible] ، « لمود » : معود ،
[illegible] « [illegible] » [illegible] « [illegible] » طالب علم ، دارس

(في الأكدية) : « لَمَادُو » : علم ، عرف « [illegible] » : علم ، عرفان .
« مُلَمِّدُو » : معلم ، أستاذ . « تَلْمِيدُو » : دارس ، طالب علم

(في العربية) . « لمد » : تواضعه بالذل « [illegible] » [illegible] (بالنصب)
« تلمّذ له ، وتلمذ » : صار له تلميذا ، تخرج عليه « التلميذ » : المتعلم أو المهنة .

(١) مجلة الثقافة العدد ٦٤٢ إبريل سنة ١٩٥١ . والمقال كتب تعقيبا ومعارضة للأستاذ الجليل أحمد عبدالغفور عطار ، عنوانه (التلميذ في لغة العرب) نشر في مجلة الثقافة العدد ٦٣٤ فبراير سنة ١٩٥١

رسالة التلميذ

كنت قد نشرت هذه الرسالة أول مرة فى مجلة المقتطف (عدد مارس ١٩٤٥) . وقد رأيت إعادة نشرها فى (نوادر مخطوطات) لندرتها ولما ثار حولها وحول موضوعها فى هذه الأيام من بحث جديد .

وقد ذكر البغدادى فى صدر رسالته أنه لم يجد كلمة « تلميذ » فى الجمهرة ، والصحاح ، والمحكم ، واللسان ، والقاموس . فعقب عليه الأستاذ المحقق (أحمد عبد الغفور عطار) فى مجلة الثقافة . أنه وجدها فى جميع هذه الكتب ، ولكن فى غير مظانها ، أى فى مادة (تلذ) . وأما صاحب العباب فإنه لم يذكر هذه الكلمة لأن تأليفه لم يصل إلى مادة (بكم) فقد مات قبل إتمام معجمه . وزاد على ذلك أن الكلمة وردت فى مادة (تلم) من المجمل [illegible] والمخصص ١٣ : ٢٥٧ والقرطبى [illegible] .

ولكنه قد غاب عن الأستاذ الباحث عطار أن البغدادى لم يعن بكلامه فى صدر رسالته أنه لم يجد الكلمة فى تلك الكتب ، بل أراد أنه لم يجدها فى مادتها التى يتوقعها فيها الباحث وهى (تلمذ) ، بدليل أن البغدادى نفسه أورد فى رسالته نصوصاً من الصحاح والقاموس واللسان من مادة (تلذ) وفيها ذكر التلميذ والتلامذة .

أصول رسالة التلميذ

أصول هذه الرسالة ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية . أحدها برقم ٦ مجاميع ش ، والثانية برقم ١٨١ مجاميع ، والثالثة برقم ١٢٢ مجاميع . وقد رمزت إلى هذه النسخ بالرموز ا ، ب ، حـ على التوالى . وأصح هذه النسخ وأكملها هى نسخة ب ، وكل ما أثبته بين علامة الزيادة فهو منها .

وفى الخزانة التيمورية نسخة بخط [illegible] به علامة أحمد تيمور باشا كتبت ... سنة ١٣٢٢

وهذه رسالة التلميذ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

[أما بعد] فهذه كلمات ذكرت فيها معنى التلميذ، وبيان أخذ مفرد هذه الكلمة مذكورة في كتب اللغة المتداولة، المدوّنة [لبيان] الجليل والحقير، وذكر النقير والقطمير، كالجمهرة لابن دريد، والصحاح للجوهري، والمحكم لابن سيده، والعباب للصغاني، والقاموس لمجد الدين الفيروزابادي، وغيرها، إلا في لسان العرب لابن مكرم، فإنه أورده في مادة (تلمذ) وقال: «التلاميذ: الخدم والأتباع، واحدهم تلميذ»، مع أنها كلمة متداولة بين العام والخاص، وكثيرة الاستعمال في تآليف العلماء الأعلام.

وكان الباعث لهذا أني صرفت كثيراً من الوقت، ووقفت على قوله في باب العين «يُحكى لي أن بعض مشايخ الإقراء أعرب تلميذه بيت معقّر[1]» رأيت شارحه الفاضل إبراهيم بن ملا الحلبي[2] قال: «التلميذ: المتعلم على الشيخ ولم أقف عليه في شيء من كتب اللغة المتداولة كالصحاح والقاموس وغيرهما».

فحينئذ تتبعت بطون الدفاتر، من مصنفات الأوائل والأواخر، حتى رأيته في كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري، فإنه ساق[3] فيه شعراً للبيد بن ربيعة العامري الصحابي وفيه هذا البيت:

فالماء يجلو متونهن كما … يجلو التلاميذُ لؤلؤاً قشبا[4]

وقال بعد إنشاد الأبيات: «التلاميذ غلمان الصُّنّاع. والقشب والقشيب الجديد، والجمع القُشُب».

(١) المفصل للزمخشري في النحو. انظر شرح ابن يعيش ٢: ٩٤. والبيت هو:
لا يبعد الله التلبب والغا … رات إذ قال الخميس نعم
(٢) هو إبراهيم بن الملا محمد الحلبي المتوفى سنة ٩٧٩. ذكره في كشف الظنون. وفي ا، ب: «حلي» موضع «الحلبي» تحريف. (٣) ا، حـ: «سابق» والصواب في ب.
(٤) ديوانه ١٤١ بشرح الطوسي. وفيه: «التلاميذ غلمان الصاغة.. التلاميذ فارسي».

وأما [illegible] فى شعر أمية بن أبى الصلت ، وهو شاعر [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] وتغلب شعره فى [illegible] الآخرة [illegible] ، وهو [illegible] قال فى قصيدة :

والأرض [illegible] وكانت [illegible] [illegible] وفيها نولد
[illegible] على [illegible] [illegible] (١)

[illegible] « [illegible] على ملائكه »

[illegible] فى قصيدة أخرى

[illegible] [illegible] جهال [illegible]
لا [illegible] [illegible] فى أقطارها [illegible] (٢)

[illegible]

وأما فى [illegible] من [illegible] قوله : « [illegible] على [illegible] ، [illegible] (٣) » فى شرحه [illegible] :
« [illegible] ، [illegible] ، والجمع [illegible] » [illegible]
[illegible] « [illegible] » اهـ

١٠ [illegible] ، قال أمية بن أبى الصلت فى القصيدة [illegible]
إنشاد [illegible] :

[illegible] واسجد [illegible] [illegible]
قال شارحه : « [illegible] ، أى [illegible] الملائكة [illegible] .
« [illegible] » [illegible] . وأراد [illegible] الملائكة [illegible] العرش . وقوله :
« [illegible] » [illegible] الله عز وجل . واسجد [illegible] لا [illegible] .

(١) [illegible] ، وهى [illegible] لحال [illegible] :
[illegible] منها .   (٢) [illegible] : السواد .
(٣) [illegible] لم [illegible] : « [illegible] »
[illegible] : ٢٩ [illegible] وأما [illegible] الذى [illegible]
٢٥ على قول [illegible] الحريرى [illegible] الأذى [illegible]
[illegible] . انظر [illegible] ١ : ٣٠ .

فلان رأيه ، [illegible] على [illegible] ، [illegible]

و [illegible] أصحابه ، [illegible] ، وأن له [illegible]

[illegible] ، [illegible]

[illegible]

وإطلاق [illegible] على [illegible]

وقول [illegible]

[illegible] ، وصوابه [illegible]

[illegible] أي [illegible]

في [illegible] عن الأكل ، استعير [illegible]

والمصدر [illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible][3] [illegible]

والجمع [illegible] الأعجمي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible][4] [illegible]

[illegible]

[illegible]

في الشمس [illegible]

---

(١) [illegible] أي [illegible]

(٢) [illegible] ولا يستعمل هذه التعبير ، ولا أظنه [illegible]

(٣) كان البغدادي يذهب إلى أنه عربي

(٤) كتبت [illegible] والصواب [illegible]

والجمع . مدمج أحد سة الطوال ، و حدها جمو شبه من البقرة الوحشية بها.
ذكر الجواليقي في المعربات[1] «التلام أعجمي معرب ، قيل هم الصاغة ، وقيل
غلمان الصاغة ، وقيل هم التلاميذ» . وأنشد هذا البيت

وأنشد ابن بري في حاشية الصحاح قول مالك بن سلمة التقي[2] أيضاً :

وسربال مضاعفة دِلاصٍ   قد أحكم شكلها عَمَلُ التلامِ

ويروى «التلام» في البيتين بفتح التاء وكسرها . أما الفتح فعلى أنه مرخم
التلاميذ ضرورة . وقد فسر عليه صاحب الصحاح ، وقال : «التلام التلاميذ
فقصر منه . انتهى .

وصاحب الصحاح تبع في هذا لأبي علي ، قال في المسائل العسكرية[3] :
«من قبح الضرورة قول الشاعر :

* مثل الحريم تعدى التلام *

«أراد التلامذة ، فحذف . وقد يمكن أن ذلك يكون على الترخيم
في غير النداء إلا أنه قد جاء من هذا نحو ما لا يكون في الترخيم كقوله[4] :

* دَرَسَ المَنَا بمتالعٍ فأبانِ *

قالوا : يريد المنازل . ومثل ذلك ما أنشدوه لأبي دؤاد[5] الإيادي :

* فكأنما تذكي سنابكها الحُبا[6] *

قالوا : يريد الحباحب ، أي نار الحباحب . وفي التنزيل : «فالموريات قدحاً»
انتهى كلامه .

(١) المعرب للجواليقي طبع دار الكتب ص ٩١ .
(٢) شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . الإصابة ٦٩١٨ والأغاني ١٢ : ٤٣ – ٤٧ .
(٣) المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ . نقل منها البغدادي نصوصاً جلة في مواضع شتى من الخزانة . انظر ١ : ٩ ، ١٤ / ٢ : ٦٢ ، ٢٧٥ ، ٤٠٢ ، ٣/٥٢٢ : ٤٦ / ٤ : ٦٧ ، ٧٣ ، ٥٨٢ ، ١٠ ، وفي ح : «مسائل العسكرية» تحريف .
(٤) هو لبيد بن ربيعة . والبيت مطلع قصيدة له في ديوانه طبع فينا ١٨٨٠ وعجزه :
* وتقادمت بالحبس فالسوبان *
(٥) ا ، ب : «لأبي دؤاده» محرف . (٦) روى البيت في اللسان ١ : ٢٨٨ هكذا :
يخرجن من خلل الغبار لجونها   فكأنما تذكي سنابكها الحبا

وأما بالكسر فعلى أنه جمع « تِلْم » بكسر فسكون ، بمعنى الغلام . قال ابن

مكرّم(1) : قيل(2) رواه : التلامي ، بفتح التاء ، وإثبات الياء ، أراد التلاميذ ، يعني

بالتلاميذ الصاغة . هكذا رواه أبو عمرو ، وقال : حذف الذال من آخرها(3) ومن

رواه : التلام ، بكسر التاء ، فإن أبا سعيد قال : التلم الغلام ، قال : وكل غلام تلم ،

تلميذاً كان أو غير تلميذ ، والجمع التلام . وقال ابن الأعرابي : التلام الصاغة ، ٥

والتلام الأكرة » اهـ

وأقول : « الصاغة » تصحيف من الصحيح(4) [illegible]

ويدفعه بيت الشاهد(5) .

وقال صاحب القاموس : « التِّلْم ، بالكسر : الغلام ، والأكّار ، والصائغ

أو مسحاة الصوالج ، وكسحاب : التلاميذ ، حذفت ذاله . ولم يذكر الجوهري غيرها ، ١٠

وليس من هذه المادة [و] إنما هو من باب الذال » اهـ

أقول : أما قوله : « الأكّار والصائغ » فأخذه من قول ابن الأعرابي ، على

أن الصاغة والأكرة فيه جمع صائغ وأكّار .

وأما قوله : « أو مسحاته » فقد أخذه من قول مصحفهم ، وقد غلط فيه

نقل الأزهري عن الليث أن مصحفهم قال : التلام الحماليج التي ينفخ بها . ١٥

قال : وهذا باطل(6) .

والعجب من صاحب القاموس ، أنه اعترض على صاحب الصحاح في ذكره

التلام في باب الميم ، مع أنه تبعه مثله ، ولم يذكره في باب الذال .

[[illegible]]

(1) في اللسان بعض هذه المادة . (2) في الأصل : « وقيل » وصوابها من اللسان . ٢٠

(3) أسقط البغدادي هنا قول ابن منظور : « كقول الآخر :

فما أشارير من لحم تتمره ... من الثعالي ووخز من أرانيها

أراد من الثعالب ، ومن أرانبها » . وهذا البيت لأبي كامل اليشكري كما في اللسان ٥ : ١٦١

(4) ح فقط : « في الصحيح » . (5) يشير إلى بيت غيلان بن سلمة .

(6) في اللسان : « قال أبو منصور ــ وهو الأزهري ــ : قال الليث : إن مصحفهم قال ٢٥

التلاميذ الحماليج التي ينفخ فيها . قال : وهذا باطل ما قاله أحد » .

فهرس المجموعة الثانية

تصحيحات

١٣٤ : ١٢ ملق

١٥٧ : ٣ . تصح

١٦٩ : ٣ مستتق

١٨٠ ١٣ من مكتبة

١٩٤ : ٨ [أن]

نوادر المخطوطات

٣

تحقيق
عبد السلام هارون
الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

المجموعة الثالثة

[الطبعة الأولى]

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٧٣ هـ – ١٩٥٣ م

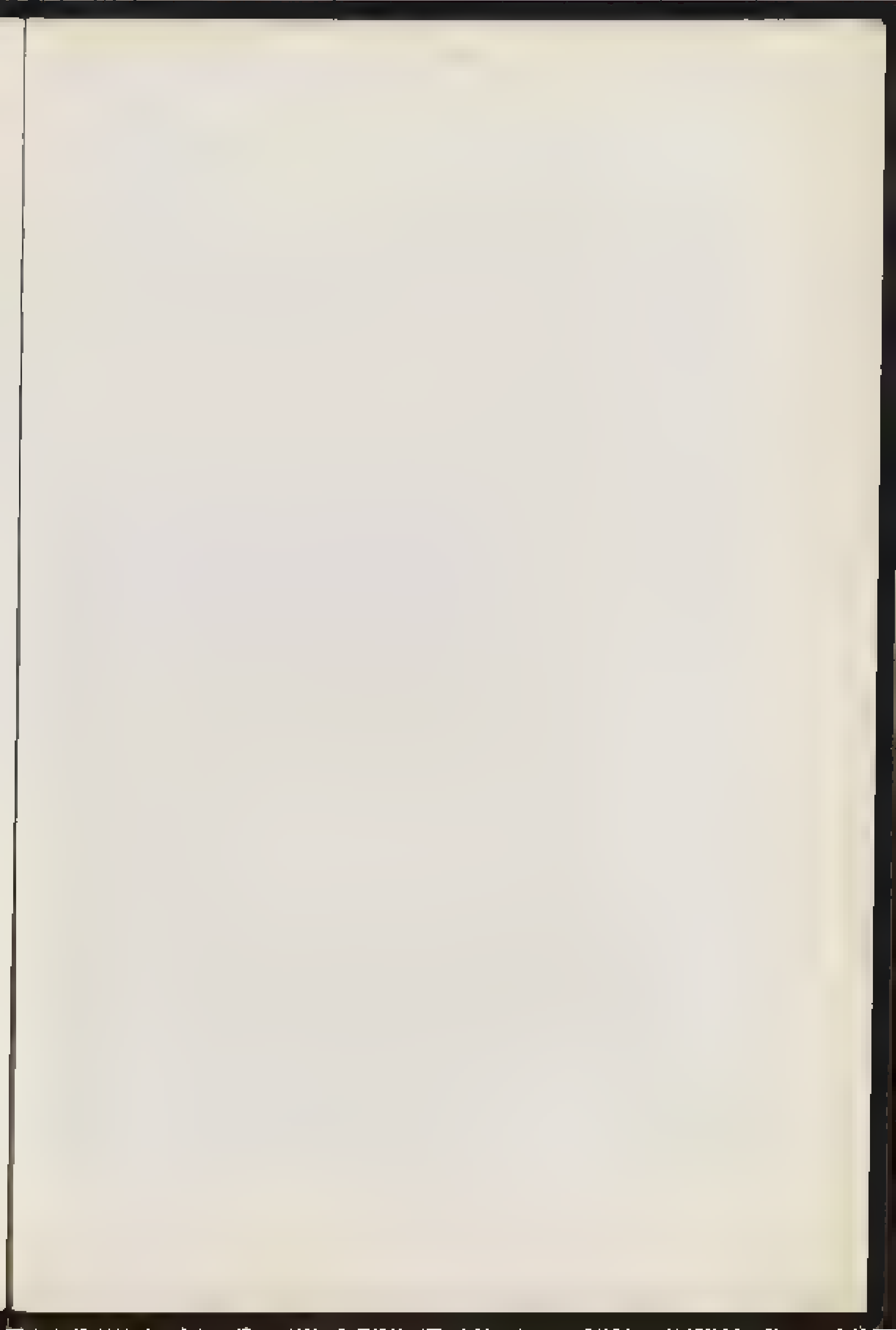

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه هي المجموعة الثالثة من (نوادر المخطوطات) ، وهي وثيقة هامة تقدم إلى خاصة الأدباء والباحثين مادة غزيرة في ناحية ممتعة من نواحي الأدب العربي ، وتعرض لوناً من ألوان الحياة الثقافية والاجتماعية والدينية في بلاد الأندلس في القرنين الخامس والسادس .

وقد كان للصديق الفاضل « الدكتور شوقي ضيف » فضل تعريفي برسالة ابن غرسيّة التي لم أكن أعرف عنها إلا الاسم فحسب ، وقد عثر عليها في أثناء تفتيشه لذخيرة ابن بسام[1] .

وعند ما رجعت إلى الذخيرة وجدت النص فيها مضطربا شديد التحريف ، فبحثت عن مرجع آخر يسعف في تحقيق هذا النص فساقني المطاف إلى فقر متناثرة نشرها المستشرق الألماني الكبير إجنتز جولد تسيهر Ignaz Goldziher في أثناء بحثه في (الشعوبية عند مسلمي الأندلس) الذي قدمه إلى مؤتمر المستشرقين الثاني عشر بمدينة روما في أكتوبر سنة ١٨٩٩ ونشره في مجلة الجمعية الألمانية الشرقية[2] .
وقد رأيت أن أطلع على هذا البحث المكتوب باللغة الألمانية ، فاتصلت بالصديق الفاضل « الدكتور عبد الحليم النجار » الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، الذي كان له فضل إمدادي بترجمة دقيقة لهذا البحث استوجبت جزيل شكري وعظيم التقدير .

---

(١) القسم الثالث من مخطوطة جامعة القاهرة رقم ٢٢ ٢٦ ص ٢١٩ — ٢٣١ .

(٢) Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft المجلد ٥٣ ص ٦٠١ — ٦٢٠ ليبسك ١٨٩٩ .

وكان في النية أن أنشر هذه الترجمة النفيسة في هذه المجموعة، ولـكنى وجدت فيما بعد أن نطاق المجموعة يضيق عن استيعاب نص هذا البحث المسهب، فآثرت أن أوجزها إيجازاً، وأن ألحقها بنهاية هذا التقديم.

وقد دلنا جولد تسيهر على مخطوط في مكتبة الإسكوريال برقم (٥٣٨) يتضمن هذه الرسالة وبعض الردود عليها. وهو مخطوط نادر مكتوب بخط مغربي مجهول التاريخ وإن كان يبدو عليه سمة القدم، كتب في صدره:

«الحمد لله. مجموع فيه مبايعة على بن أبي طالب أبا بكر الصديق رضى الله عنه وتفسير ألفاظها لغة، ومكاتبات الأمير على بن يوسف بن تاشفين، ومعاطبة الراهب الفرنسي وجوابه للإمام أبي الوليد الباجي، ومكاتبات أهل سبتة لأهل الجزيرة الخضراء، ومضحكات وغرائب. بالله يثق وعليه يتوكل ويعتمد مالكه محمد ابن يوسف بن محمد. وفيه المراسم الجدلية ومسائل من أصول الفقه. والحمد لله وحده».

وهذه العنوانات هي بعض ما ورد في مجموعة الإسكوريال، وهناك عنوانات أخر لرسائل كثيرة تضمنها هذا المجموع النادر.

وبذلك اجتمع لنا نصان يستعان في نشر هذه الرسائل النادرة.

نص الذخيرة ونص مجموعة الإسكوريال

أما نص الذخيرة[1] فإنه يشتمل على رسالة ابن غرسية، ورسالتين أخريين هما:

١ — رد أبي جعفر أحمد بن الدودين.

٢ — ثم رد أبي الطيب بن من الله القروى.

وأما نص المجموعة فإنه يشتمل على الرسالة وعلى ردود أربعة، وهي:

١ — رسالة أبي يحيى بن مسعدة.

٢ — ثم رسالة لم يصرح باسم كاتبها، وأرجح أنه أبو يحيى.

٣ — ثم رسالة أبي جعفر بن الدودين.

---

(١) مما يجدر ذكره أن جولدتسيهر لم يطلع على هذا النص، ولم يشر إليه في بحثه، وكان ذلك سبباً في عثرته التي أشرت إليها في ص ٢٤٢.

٤ — ثم رسالة أبي الطيب بن من الله القروى .

ومما هو جدير بالذكر أن صاحب مجموعة الإسكوريال قد نقل الرسالتين الأخيرتين من الذخيرة ولم يصرح بذلك ، فإنا نجد نص رسالة أبى جعفر بن المودين هو نص الذخيرة ، لا يفترقان إلا فى القليل .

ويلى صدر رسالة أبى الطيب فى المجموعة هو عبارة ابن بسام وسجعه فى الذخيرة بالحرف الواحد : « وممن رد عليه وأجاد ، ما أراد ، أبو الطيب بن من الله القروى رسالة طويلة أثبت منها بعض الفصول ، تخفيفاً للتثقيل » .

ثم نرى توافقاً تاماً فى تقسيم فصول الرسالة وطرحها ، إذ يبدو لنا أن هذا النص مؤلف من فصول مختارة من الرسالة ، وليس نصاً كاملا .

ثم نطالع هذه العبارة فى الورقة (٥١ ا) : « قال صاحب الكتاب : وبين أبو الطيب بطلان كلامهم فى احتجاج طويل ، تركته تخفيفاً للتثقيل » . وهذه هى عبارة الذخيرة بنصها . وصاحب الكتاب هو ابن بسام صاحب الذخيرة بلا ريب .

فلأن نص مجموعة الإسكوريال أعظم قيمة من حيث هى أقدم خطاً ، وأصح متناً ، وأكثر استيفاءً فى النص ، واشتمالا للردود — جعلتها أصلا فى نشر هذه المجموعة ، وجعلت نص الذخيرة للمقابلة والاستعانة فى التحقيق .

أبو عامر بن غرسية :

أفرد له على بن سعيد صاحب المغرب المتوفى سنة ٦٨٥ ترجمة خاصة[١] قال فيها :

« أبو عامر بن غَرسيَة[٢] من عجائب دهره ، وغرائب عصره ، إن كان نصابه

(١) المغرب ٤ : ٢٣٦ مخطوطة دار الكتب ٢٧١٢ تاريخ .

(٢) غرسية تعريب « جارسيا » : Garcia ومعناه فى الأسبانية ذو الحيلة ، أو الثعلب أو الماكر ، كما ورد فى معجم المجمع الملكى الأسبانى (Diccionario de la Lingua Española) وهو علم شائع فى بلاد الأندلس تسمى به كثير من ملوكهم وأمرائهم وفرسانهم . وذكر ابن حزم فى جمهرة الأنساب ٤٦٧ تحقيق بروفنسال « غرسية » ملك البشاكسة الذى زفت إليه أورية بنت فتى ، فولدت له « موسى بن غرسية » . ومن أبرز علماء المشرقيات الأسبانيين المعاصرين صديقنا الأستاذ « إميليو جارسيا جوميز » Emilio Garcia Goméz الأستاذ =

فى العجمية ، فقد شهدت له رسالته المشهورة بالتمكن من أئمة العربية ، وهو من أبناء نصارى البشكنس[1]، سبى صغيراً وأدبه مجاهد مولاه ، ملك الجزر ودانية . وكان بينه وبين أبى جعفر بن الجزار صحبة أوجبت أن استدعاه من خدمة المعتصم بن صمادح ملك المرية ، ناقداً عليه ملازمة مدحه وتركه ملك بلاده » .

ثم قال : ومن شعره :

إن أصلى كما علمت ولكـ ... ـن لسانى أعز من سحبان

وأنا من خير الملوك بمصدر ... هل ترى بالقناة صدر السنان

ويحمل هذا النص :

١ — أن مولد أبى عامر كان ببلاد البشكنس ويفهم ذلك أيضاً من نصوص البلوى فى كتابه ألف باء ١ : ٣٥٠ .

٢ — وأنه انتقل إلى دانية من أعمال بلنسية فى سباه وقدم عليه وهو صغير ، حيث ربى فى كنف أبى الجيش مجاهد العامرى[2]

= عاصمة معروفة . ومما يجدر ذكره أن هناك عالماً جليلاً من علماء الأندلس يشترك مع أبى عامر فى نسبته ، وهو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر بن غرسية القرطبى الدانيكى ، ويعرف أيضاً بابن الحصار ، ولاه ... علي بن حمود الحسنى القضاء سنة ٤٠٧ وتوفى فى شعبان سنة ٤٢٢ وله ثمان وستون . ذكره الذهبى فى سير النبلاء (القسم الأول من الجزء ١١ مصورة دار الكتب رقم ١٢١٩٥ ح) . قال الذهبى : « ولم يعن بعده قاض مثله » .

(١) البشكنس أو البسك Basques ويسميهم المسعودى « بشكنس » هم قوم يسكنون ما بين جنوب فرنسا وشمال شرقى من أسبانيا مما يجاور خليج « بسكاى » ، ويمتازون عن جيرانهم بلغتهم غير الآرية ، وهم ميل إلى الأخذ بالخرافات ومحافظة على القديم ، وهم ذوو حماسة وكرم وتمسك بمعتقداتهم الدينية ، والمبادئ الأخلاقية ، يبلغ عددهم نحو ٦٠٠ ألف منهم ١٢٠ ألفاً فى الأقاليم الفرنسية . انظر المعلمة البريطانية ، وكذا Great encyclopedia of universal .

(٢) هو أبو الجيش ، الموفق مجاهد بن عبد الله العامرى ، مولى عبد الرحمن الناصر ابن المنصور محمد بن أبى عامر . نشأ بقرطبة ، ولما جاءت الفتنة وتغلبت العساكر على النواحى بذهاب دولة بنى عامر ، قصد إلى الجزائر التى فى شرق الأندلس فغلب عليها وعلى دانية ، ثم حاول الاستيلاء على سردانية ففتح ثم عصته الروم ، ثم استولى على دانية وما يليها ، وتوفى سنة ٤٣٦ . جذوة المقتبس ٣٣١ — ٣٣٢ تحقيق محمد بن تاويت .

وفى المغرب ٤ : ٢٢٦ : « وكان جليل القدر . له عنوان فى النصارى فى البحر =

٣ — ويبدو أن أبا عامر كان له شأن عظيم في دولة مجاهد ، الأمر الذي حمله على أن يستدعي صديقه أبا جعفر بن الجزار لينضم إليه في خدمة مولاه مجاهد . كما يفهم من نص لابن الأبار[1] أنه كان لابن غرسية ولد سماه « أبا جعفر أحمد » كان له مؤدب خاص من بين العلماء ، وهو « أبو العباس الجريري » . قال : « وسكن دانية وكان بها يؤدب أبا جعفر أحمد بن أبي عامر بن غرسية الكاتب » . فهذا دليل على أنه كان من خواص الدولة ، ودليل أن عمله الرسمي كان الكتابة .

٤ — ويفهم أيضاً من هذا النص ومن ترجمة مجاهد التي سقتها من قبل أن ابن غرسية وجد في كنف مجاهد مرعى صالحاً لشعوبيته ، إذ أن مجاهداً كان مولى من موالي الروم ، وهم مطية الحقد على العصبية العربية .

وفي ذلك يقول أبو يحيى بن مسعدة في أواخر رسالته :

أيا عبد عبــــد ألا تستحي ولا لك دون النهي زاجر

فهو يعيره بأنه مولى مولى .

بل يبدو أن « مجاهداً العامري » كان مأوى وملاذاً للشعوبيين ، فكما نشأ ابن غرسية في بلاطه ، نجد عالماً آخر لانداً بكنفه وهو اللغوي ابن سيدة صاحب المخصص . جاء في سير النبلاء[2] في ترجمته : « كان شعوبياً يفضل العجم على العرب » ثم قال : « وكان منقطعاً إلى الأمير مجاهد العامري » .

٥ — وهو يحاول أن يجتذب صديقه أبا جعفر بن الجزار من كنف ملك عربي ، هو المعتصم بالله أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي[3] ، وكان المعتصم

═ مشهورة ، ومن أعظم فتوحه جزيرة سردانية الكبيرة ، وكان محباً للعلماء محسناً لهم ، كثير التولع بالمقربين للكتاب المرير حتى عرف بذلك في وقته ، وقصد من كل مكان ، وشكر في الأقطار بكل لسان ، وقد أثنى عليه ابن حيان في كتاب المتين بهذا الثناء . وقد وفد عليه أفراد الشعراء كإدريس بن اليمان ، وجلة العلماء كابن سيده » .

ومما يجدر ذكره أن مجاهدا كان « رومي » الأصل . وانظر المعجب للمراكشي ص ٤٨ طبع السعادة . وانظر أخباراً أخرى لمجاهد مع الشعراء في جذوة المقتبس ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢٩٣ .

(١) في المعجم ص ٢٩٩ .

(٢) سير النبلاء ج ١١ القسم الثاني ص ١٨٠ مصورة دار الكتب .

(٣) انظر ترجمته في قلائد العقيان ٤٧ ، ووفيات الأعيان ، والحلة السيراء ١٧٢ . وكانت وفاته سنة ٤٨٤ . وتجيب : بطن من كندة .

ملـكا على المرية ، وهى مدينة كبيرة من كورة ألبيرة من أعمال الأندلس ، وكانت هى وبجانة بابى الشرق .

٦ — وهو فى ذلك يعتب عليه ، لتركه مدح مجاهد واقتصاره على مدح ابن صمادح ، كما يفهم من نص المغرب مقروناً إلى نص ابن بسام التالى .

٥ تاريخ الرسالة :

مما لا يتطرق إليه الشك أن الرسالة كتبت فى حياة مجاهد ، مولى أبى عامر ابن عرسية ، بعد استيلائه على « دانية » . وتمتد حياة مجاهد السياسية ما بين سنتى ٤٠٦ و ٤٣٦ . وكانت دانية آخر ما استولى عليه من البلاد ، وفيها وطد ملـكه[1] .

أبو جعفر بن الخراز :

١٠ نص المغرب فى ترجمته لأبى عامر بن عرسية[2] يبين أن الذى أرسل إليه أبو عامر رسالته هو « أبو جعفر بن الخراز » .

وكذلك نص ابن بسام فى الذخيرة يقول إن أبا جعفر بن الخراز هو الذى أرسلت إليه الرسالة . قال ابن بسام فى صدر ترجمته لأبى جعفر أحمد بن الدودين البلنسى[3] :

١٥ « وأخبرنى برسالته التى رد فيها على أبى عامر بن عرسية ، وكان — حاطه الله وأمده — قد استقر بمدينة دانية فى كنف مجاهد ، فخاطب الأديب أبا جعفر بن الخراز معاتباً له لتركه مدح مجاهد واقتصاره على مدح ابن صمادح التجيبى .. » ثم قال : « وهذه نسخة رسالة ابن عرسية يخاطب الشاعر ابن الخراز »

١٥ ونص ثالث فى التكملة[4] فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

---

(١) جذوة المقتبس ٣٣١ — ٣٣٢ .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٢٣١ — ٢٣٢ .

(٣) القسم الثالث من الذخيرة ص ٢١٩ مخطوطة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٢٢ .

(٤) التكملة ١ : ١٥٧ .

ابن سهل الأنصاري المعروف بابن الخراز ، قال : « وكان أبوه أبو جعفر أيضاً شاعراً[١] ، وهو الذي خاطبه أبو عامر بن غرسية بالرسالة المشهورة » .

فهذه المراجع جميعها تنص نصاً واحداً ، أن الذي كاتبه أبو عامر بن غرسية إنما هو « أبو جعفر بن الخراز » .

ولكنا نجد في صدر هذا النص من مجموعة الإسكوريال أن الذي كاتبه أبو عامر إنما هو « أبو عبد الله بن الحداد » .

ويزيد في هذه الشبهة أننا نجد شاعراً كان يلزم ابن صمادح ويمدحه ، وهو « أبو عبد الله بن الحداد » واسمه محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم القيسي ، كما ذكر ابن خلكان[٢] .

ويقويها أيضاً ما ورد في سير النبلاء للذهبي[٣] في ترجمة ابن صمادح : « ومن وزرائه أبو بكر بن الحداد الأديب » .

والقول في ذلك أنهما — كما يبدو — شخصان مختلفان في الاسم والنسب والانتساب ، اتصل كل منهما بابن صمادح ومدحاه ، ولكن الذي أرسل إليه ابن غرسية الرسالة إنما هو « أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن سهل الأنصاري » المعروف بابن الخراز .

ومما يعزز ذلك أن صاحب المغرب نص عليه في ترجمته لأبي عامر بن غرسية ، وصاحب المغرب يعرف ابن الحداد أيضاً ويترجم له في موضع آخر من المغرب[٤] ، قال : « أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد القيسي . وصفه الحجاري وابن بسام

(١) من شعره ما أنشده المقري في نفح الطيب ٥ : ٤٣ :

ومازلت أحيى سنة والدهر ممحل ... ولا غمر يجبي ولا زرع يحصد
تمد أياد عاليات قطوفها ... لأوراقها ظل على مجتد
يرى جاريا ماء المكارم تحتها ... وأطيار شكرى فوقهن تغرد

(٢) وفيات الأعيان ٢ : ٣٥ في ترجمة محمد بن معن بن أحمد بن صمادح . وأنشد ابن خلكان وكذا المقري في نفح الطيب ٤ : ٢٤٦/٥ : ٢٤٠ مدائح لأبي عبد الله بن الحداد في المعتصم ابن صمادح .

(٣) القسم الثاني من الجزء ١١ ص ٢٨٤ مصورة دار الكتب .

(٤) المغرب ٥ : ٢٣٥ من النسخة ١٠٣ تاريخ م .

بالتفنن فى العلوم ولا سيما القديمة . وديوان شعره كبير جليل ، وكان أكثر عمره عند المعتصم بن صمادح ملك المرية ، ثم فر عنه إلى ابن هود صاحب سرقسطة » .

فهو يعرف الرجلين ويميز بينهما .

وأما ما ورد فى صدر مجموعة الإسكوريال فلا يبعد أن يكون من تصرف أديب أو ناسخ ، ساقته معرفته لصاحب العلاقة المشهورة بابن صمادح أن يجعله هو أيضاً صاحب أبى عامر بن غرسية الذى ساق إليه الرسالة ، ومما أسعف فى ذلك قرب إحدى الكلمتين فى الرسم من الأخرى ، أعنى « الجزار » و « الحداد » .

أصحاب الردود على رسالة ابن غرسية :

كان أجدر بأبى جعفر بن الجزار أن يرد على صديقه أبى عامر بن غرسية موافقاً أو مخالفاً ، ولكن لم تذكر لنا المصادر التى عرفها أنه كتب رداً ، فضلا عن أن تحمل إلينا ذلك الرد . بيد أن هذه المجموعة التى حفظتها مكتبة الإسكوريال قد نقلت إلينا ردوداً أربعة[1] :

(أولها) رد أبى يحيى بن مسعدة . ويبدو أنه كان شيخاً جليلا فى حضرة ملوك المغرب . ويجد فى هذا الرد ذكر الإمام المهدى أبى عبد الله محمد بن عبد الله القرشى العلوى . ومحمد هذا هو المعروف بمحمد بن تومرت[2] ، وكان قيامه بالأمر سنة ٥١٥ ووفاته سنة ٥٢٤ . ونجد فى الرد أيضاً ذكر عبد المؤمن بن على[3] ، وكانت ولادته سنة ٤٨٧ ووفاته سنة ٥٥٨ وهذه التواريخ تبعد كثيراً عن التاريخ الذى كتبت فيه رسالة ابن غرسية ، هذا التاريخ الذى لا يصح أن يتجاوز سنة ٤٣٦ وهى سنة وفاة مجاهد ملك دانية .

(١) يبدو أن جولدسيهر لم يقع إليه إلا رسالة ابن غرسية فقط كما يفهم من كلامه فى بحثه إذ ذكر أن صديقه Louis Barrau قد نقل صورة شمسية من الرسالة عن مخطوطة الإسكوريال .

(٢) المعجب ١١٥ — ١٢٥ .

(٣) المعجب ١٢٥ — ١٥٣ .

ويستغرق هذا الرد من مجموعة الإسكوريال الورقات من ٢٩ — ٤١ . وهذا الرد هو أكبر الردود وأحفلها .

(ثانيها) رد لمجهول ، وعنوانه في الأصل « رسالة ثانية في الرد على ابن غرسية » . من المحتمل أن تكون رسالة ثانية لأبي يحيى بن مسعدة ، أو تكون لأحد الذين قد جرى لهم ذكر في التاريخ أنهم تناولوا الرسالة بالرد ، وسأذكرهم فيما بعد . وإني أرجح الاحتمال الأول ترجيحاً ، لسببين .

١ — التشابه الشديد بين أسلوبي الرسالتين ، ويبدو ذلك واضحاً لمن درس الرسالتين ولمس الروح السارية في تضاعيف كل منهما .

٢ — التقارب الشديد بين بعض العبارات مما ينطق بأن صاحبهما واحد . ومن أمثلة ذلك :

ا — ما جاء في الرد الأول في الورقة ٣٢ ا : « لقد دهمتم من العار بجمه ورمه ، ولعجل السوء يبدأ بأمه » وفي الرد الثاني ٤٢ ا « ذهبوا والله من العار شمه ورمه ، وعجل السوء يبدأ بأمه » .

ب — ٣٣ ا « الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل » وفي الثاني ٤٢ ا « ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل » .

حـ — ٤٠ ا « ونحن الحصل كله للعرب ، والفصل للسبق على العرب » وفي الثاني ٤١ ا « فتعلم أن الناس للعرب ، وأن السبق ليس من العرب » .

د — ٣٦ ا « وأبرهة ذي المنار ، وعمرو ذي الأذعار » هو بنفسه في الثاني ٤١ ا .

هـ — ٣٦ ا « يزدجردكم وشهرياركم » هو بنفسه في الثاني ٤١ ا .

و — ٣٦ ب ، ٤١ ا اتفق اقتباس هذا البيت :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا على المجد حتى عد ألف بواحد

ز — ٣٨ ا ، ٤١ ا تطابق اقتباس هذا البيت :

والليث حيث آب من أرض فذاك له عرين

إلى غير ذلك كثير ، مما يقرب القطع بأن صاحب الرسالتين كاتب واحد .

وهذا الرد يستغرق من مجموعة الإسكوريال الورقات من ٤١ — ٤٣ . ولم يذكر جولدتسيهر هذا الرد ولا أشار إليه .

(ثالثها) رد أبي جعفر أحمد بن الدودين[1] البلنسي ، وكان هذا معاصراً لابن بسام صاحب الذخيرة[2] ، قال في صدر ترجمته : « هو أحد من لاقيته وشاهدته ، وأملى على نظمه ونثره [بأشبونة[3]] سنة سبع وسبعين[4] ، وأخبرني برسالته التي رد فيها على أبي عامر بن غرسية » .

وقد فات « جولدتسيهر » أن يذكر هذا الأديب في ثبت من ردوا على ابن غرسية . انظر الحاشية (١) من ص ٢٣٦ . مع أن هذه الرسالة في ضمن مجموعة الإسكوريال من الورقة ٥٣ — ٥٤ .

وهذه الرسالة لم يذكرها البلوي ولا صاحب كشف الظنون .

(رابعها) رد أبي الطيب بن من الله القروي ، وهو الفقيه الأديب أبو الطيب عبد المنعم بن من الله الهواري القيرواني ، كما في الصلة لابن بشكوال[5] ونسبة « القروي » هي الثابتة في نص مجموعة الإسكوريال ، وأما كتاب ابن بشكوال فيجعلها « القيرواني » .

---

(١) في الذخيرة (القسم الثالث الورقة ٢١٩ مخطوطة جامعة القاهرة) : « الدودي » وفي مسالك الأبصار (القسم الثاني ج ١١ الورقة ٤٤٩ من النسخة رقم ٢٥٦٧) وكذا النفح الطيب (٥ : ٢٩٠) : « الدودي » .

(٢) خلط بعض المؤرخين بين ابن بسام صاحب الذخيرة وبين البسامي الشاعر الهجاء ، ومنهم صاحب كشف الظنون ، وصانعو فهرس دار الكتب ، جعلوا وفاة ابن بسام (سنة ٣٠٢) وهذه الوفاة إنما تصدق على البسامي ، واسمه أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن منصور بن بسام . وأما ابن بسام صاحب الذخيرة فهو أبو الحسن علي بن بسام التغلبي الشنتريني ، ترجم له ابن سعيد في المغرب ١ : ٤١٧ تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، وياقوت في معجم الأدباء ١٢ : ٢٧٥ والمقري في نفح الطيب ٥ : ٩ . وأرخ المقري وفاته (سنة ٥٤٢) .

(٣) التكملة من المسالك عن الذخيرة .

(٤) أي وأربعمائة .

(٥) الصلة رقم ٨٣٥ .

قال[1] : « قدم الأندلس وحدث بشرقيها عن أبى بكر محمد بن على بن الحسن بن البر التميمى ، وكان أديباً شاعراً ، وتوفى يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ٤٩٣ » .

وقد حفظ لنا البلوى فى كتابه[2] عنوان رسالته ، وهو « حديقة البلاغة ، ودوحة البراعة ، المورقة أفنانها ، المثمرة أغصانها ، بذكر المآثر العربية ، ونشر المفاخر الإسلامية ، والرد على ابن غرسية فيما ادعاه للأمم العجمية » . وعرف هذا العنوان أيضاً صاحب كشف الظنون .

ردود تاريخية :

وأعنى بها الردود التى حفظ التاريخ أسماءها ولم تصل بعد إلينا

١ — رد الفقيه أبى مروان عبد الملك بن محمد الأوسى . ذكره البلوى وصاحب كشف الظنون ، وعنوانه « رسالة الاستدلال بالحق ، فى تفضيل العرب على جميع الخلق ، والذب والانتصار ، لصفوة الله المهاجرين والأنصار » .

٢ — رد الكاتب ذى الوزارتين أبى عبد الله محمد بن أبى الخصال الغافقى المتوفى سنة ٥٤٠ سمى رسالته « خطف البارق وقذف المارق ، فى الرد على ابن غرسية الفاسق ، فى تفضيله العجم على العرب ، وقرعه النبع بالغرب » . ذكرها البلوى وصاحب كشف الظنون ، وقد رآها البلوى[3] وقال : « فأما ابن أبى الخصال ، فأخنى عليه وصال ، بحجاج أمضى من النصال ، ما له عنها انفصال » .

وقال ابن الأبار[4] فى ترجمة ابنه عبد الملك : « ووجدت إسماعه من أبيه فى نسخة من رسالته التى رد فيها على ابن غرسية فى جمادى الآخرة سنة ٥٢٨ » .

٣ — رد أبى محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجى الغرناطى ، وكان

---

(١) الصلة رقم ٨٢٥

(٢) ألف باء ١ : ٣٥٠ .

(٣) ألف باء ١ : ٣٥١ .

(٤) تكملة الصلة رقم ١٧٠٠ .

يعرف بابن الفرس ، ذكر ابن الأبار[1] جده وقال : « وكان هو وابنه محمد وابن ابنه عبد المنعم بن محمد فقهاء ثلاثة في نسق » .

وذكر الباهي في تاريخ قضاة الأندلس[2] عبد المنعم هذا في قضاة غرناطة ، وذكر وفاته في سنة ٥٩٧ . وترجم له أيضاً ابن الأبار[3] .

وقد عرف هذه الرسالة البلوي وصاحب كشف الظنون ولم يذكرا لها عنواناً .

٤ — رد عبد الحق بن خلف بن مفرج ، ذكر في تكملة التكملة[4] .

رد أبي الحجاج البلوي :

وهو أبو الحجاج يوسف بن محمد المالكي الأندلسي ، المعروف بابن الشيخ ، من أدباء القرن السادس . وقد وقعت إليه رسالة ابن غرسية مع طائفة من ردود الأدباء ، وفي ذلك يقول[5] بعد أن ساق ثبت ردود الأدباء على ابن غرسية : « وقد أراني جميع ذلك بعض الأصحاب ، ممن هو في العلم كالسحاب ، وفي جملتها كلام ابن غرسية المذكور في رسالته الدالة على فساد القول وفسالته ، التي فضل فيها على العرب العجم ، وأراد أن يعرب فأعجم ، فقلت وقد غاظني ما رأيت لهذا الجاهل من الاعتراف ، وأنا بالعجز عن معارضة من سفلى من العداء ذو اعتراف » . ثم أنشأ في ذلك ما يشبه المقامة الهزلية التي يختلط فيها الشعر بالنثر .

ويعد هذا الأثر الأدبي أول رسالة أظهرتها المطبعة مما يمت بصلة ظاهرة إلى رسالة ابن غرسية .

(١) في المعجم رقم ٢٢٣ .
(٢) ص ١١٠ بتحقيق بروفنسال ، طبع دار الكاتب المصري .
(٣) في تكملة الصلة ١٨١٤ .
(٤) انظر تكملة التكملة ص ٤٢٢ مع فهرسها ص ٦٦٢ .
(٥) ألف باء ١ : ٣٥١ .

موجز بحث جولدتسيهر

الشعوبية عند مسلمى أسبانيا

قسم جولدتسيهر بحثه فصولا ثلاثة :

الأول فى الشعوبية الأسبانية — والثانى فى تحليل رسالة ابن غرسية — والثالث فى الكلام على صدى هذه الرسالة .

الشعوبية الإسبانية :

اتصل بالعناصر العربية والبربرية فى أسبانيا عنصران آخران هما :

ا — المولدون ، وهم نصارى أسبانيا الذين اعتنقوا الإسلام .

ب — الصقالبة ، ويراد بهم السلافيون بوجه خاص ، وأسارى الحرب والأرقاء من مختلف الشعوب الشمالية بمعنى عام .

ومن المولدين من اندمج فى الكيان العربى اندماجاً جعل بعضهم يتدعون أنساباً عربية ، ومن هؤلاء أسرة بنى مغيث الرومى الأصل .

وكما كان للمولدين فضل كبير فى خدمة الثقافة العربية — ومنهم بقى بن مخلد القرطبى ، وأبو محمد بن حزم ، وعبد الملك بن سراج القرطبى — كان للصقالبة أيضا فضل لا ينكر ، ومنهم جؤذر مولى الحكم الثانى ، وفاتن مولى المنصور بن أبى عامر الذى اشتبك مع صاعد الأندلسى فى جدل على خرج منصوراً عليه مظفراً .

وقد كان العرب يتعالون على هؤلاء القوم مما دعا بعضهم أن ألف كتاباً سماه « كتاب الاستظهار والمغالبة ، على من أنكر فضل الصقالبة » أشاد فيه بذكر مشاهير الصقالبة فى شتى فروع الثقافة العربية . ولعل هذا الكتاب أول محاولة للكتابة فى دائرة الشعوبية وإن لم تكن فى صميمها ، لأن مؤلفه دافع عن عنصره ولم يهاجم غيرهم .

أما الميل الحقيقى إلى الشعوبية فقد أخذ طابعه الكامل فى محيط المولدين ، ويعتار

هذا الميل فى أسبانيا تحرصه على أن ينسجم مع العقيدة الإسلامية ، على حين نجد شعوبية المشرق على النقيض من ذلك ، إذ نرى ممثلى الشعوبية فيه من الملاحدة والزنادقة فى أكثر الأمر .

ومن أقطاب شعوبية الأندلس محمد بن سليمان المعافرى ، وكان شديد العصبية للمولدين . ومنهم أبو محمد عبد الله بن الحسن المتوفى سنة ٣٣٥ وكان معروفاً بشدة تعصبه للعجم ، ومحاولته الغض من شأن العرب .

ويبدو أنه لم يتح للنزعة الشعوبية الأندلسية أن تستعلن فى إنتاج أدبى إلا بعد أن انقسمت الدولة إلى دويلات صغيرة تناهب الحكم فيها صقالبة ومولدون ، فسمع حينئذ من أبى عامر بن غرسية صوتاً شعوبياً قوياً يحاول إثبات فضل العجم على العرب .

ثم ساق « جولدتسيهر » ترجمة استفتاحية لابن غرسية لم يخالفه الصواب فى بعض رواياتها ، فهو يظن أنه كان فى خدمة المعتصم بن صمادح على حين تشير المصادر التاريخية إلى أنه كان فى خدمة مجاهد ملك دانية ، وأنه كان يريد تنفير صديقه أبى عبد الله من خدمة ابن صمادح ، ويحثه على ترك خدمته . وبنى « جولدتسيهر » على هذا الظن ظناً آخر ، أن ابن غرسية عاش زماناً فى المرية حيث المعتصم بن صمادح . وهو افتراض لا يصح .

ثم يعلل جولدتسيهر النشاط الشعوبى لابن غرسية بأنه كان يعيش فى صقع ضعف فيه النفوذ العربى وبغلب عنصر الصقالبة ، ويقول . « وما كان لعامل من العمال الرسميين فى مجتمع تنحصر مقاليد السلطان به فى أيد عربية أن يحدث نفسه بإثارة مثل هذا الهجوم الجرىء على العرب ثم يترك وشأنه دون عقاب أو قصاص » .

تحليل الرسالة :

لم يأت ابن غرسية بجديد من وجهة النظر الموضوعية ، ويبدو أنه أطلع على كتابات الشعوبية بالمشرقية واستقى منها أهم الحقائق ولم يبتدع هو إلا الملابسات والدواعى الخاصة . وكان جدل الشعوبية بالمشرق من جهة الأسلوب أبعد عن

الصناعة الفنية ، ومن جهة المبدأ أقرب إلى الموضوعية العلمية منه إلى الذاتية الشخصية ، على حين نجد كتابة ابن غرسية رسالة شخصية يستعمل فيها كل التعبيرات الفنية من ترادف وطباق ، وتلاعب بالألفاظ ، وتربيص ، وتضمين واقتباس ، ورمز إلى حوادث أدبية وحقائق تاريخية مما يطبع الرسالة الفنية بالطابع المطلوب . كما أن نمو وسائل الأسلوب الفنى وتنوعها على الصورة التى يستخدمها كتاب القرن الخامس قد أثارت فيه أحياناً لون التهكم والفكاهة الذى استمى منه جدل الشعوبية بالمشرق .

ومما يجدر ذكره أن المشرقيين حين يقولون « العجم » فإنهم يعنون الفرس ، على حين يتسع مدلول هذه الكلمة عند الأسبانيين فيشمل الروم وبنى الأصفر .

وقد قارن ابن غرسية بين المميزات الطبيعية والخصال الخلقية بين عنصرى العرب والعجم ففخر بياض العجم على سمرة العرب . ثم هو يقابل بين حياة العرب القدامى بين الإبل والشاء ، وحياة الأكاسرة والقياصرة فى ظلال السيوف والرماح ، ويعقد مقايسة بين هاجر أم العرب ، وسيدتها سارة أم العجم ، ويتكلم فى قناعة العرب بالشهوات الدنيا ، كالطبل والزمر ، ومعاقرة الخمر ، ويذكر أن العجم يمتازون فى لباسهم وطعامهم وشرابهم ، ثم يفخر بأمجاد العجم السياسية والحربية والعلمية . وأما أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) كان عربياً فلا فخر فى ذلك للعرب ، فإن التبر من الترب ، والمسك بعض دم الغزال ، والماء العذب يستودع حلق المزادة البالى .

ثم ختم ابن غرسية رسالته بعبارات يستظهر بها التقوى ، توهيناً لما قد يشتم من كلامه مما قد يمس العقيدة الدينية ، وهو فى ذلك لا ينسى أن يتملق أميره بمدح ، ويخلط باللين عنفاً فى مخاطبة صديقه .

ثم يتحدث جولدتسيهر عن مدى سرعة انتشار شعر أبى العلاء المعرى فى الأندلس إذ تمكن ابن غرسية من الاستشهاد به . ويذكر من نماذج تأثير المعرى فى الأدب الأندلسى تأليف ابن أبى الخصال رسالة عارض بها « ملقى السبيل » ، ومعارضة رسالة « الصاهل والشاحج » لأحد شعراء الأندلس ، وتأليف ابن السيد البطليوسى شرحاً كبيراً لديوان أبى العلاء ، ولما يكد يمضى نصف قرن على وفاته .

صدق رسالة ابن غرسية :

ذكر جولدتسيهر في هذا الصدد خمسة ردود ، هي رد أبي يحيى بن مسعدة ، وعبد الملك بن محمد الأنصاري ، وأبي الطيب عبد المنعم بن من الله القيرواني ، وعبد المنعم بن محمد الخزرجي ، ثم مقامة البلوي التي نجدها في كتابه ألف باء .

* * *

وقد تناولت الكلام على هذه الردود فيما سبق ، وردت عليه ردوداً ثلاثة أخرى تهديت إليها .

وكنت على أن أتناول هذه الرسائل بالشرح بعد تحقيقها ، ثم رأيت أني لو فعلت ذلك لأربى حجمها على الأضعاف ، وخرجت بذلك عن المنهج المرسوم لهذه المجموعة ، لذلك لم أفسر إلا ما يقتضيه التحقيق وموازنة النصوص ، أو ما يشكل على بعض الخاصة أن يتبينوه في مظانه ، من الإشارات الأدبية والتاريخية وغيرها ، أو ما يلقى شيئاً من الضوء على جوانب بعض المبهمات ، حتى ينفذ النور إليها جميعاً .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ؟

مصر الجديدة في ربيع الأول سنة ١٣٧٣ عبد السلام محمد هارون

رسالة ابن غرسية

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة خاطب بها أبو عامر بن غرسية أبا عبد الله بن الحداد[1] يعاتبه فيها ويفضل العجم على العرب، وكتب بها من دانية

٢٦ / أ

سلامٌ عليك ذا الروىّ، المروِىّ، الموقوفَ قريضُه على حلّةِ بجّانة[2] أرشِ اليمن[3]، بزهيد الثمن، كأنْ ما فى الأرض إنسانٌ، إلّا من غسّان، أو من آل ذى حسّان. وإنْ كان القوم أمّوك، وعن العلمَ أصمّوك، على حسب المذكور، فما هذا الإعمال للكور، وتركُ الوُكور. وقلّ ما تأخذ الشُّعرة[4] فى الرّحيل، إلّا عن الرّبع المُحيل! ولو أنّ القومَ حفظوك بلال، لما أحوجك إلى الخَبط فى الآل[5]. مَهْ مه، مَنْ أحوجَكَ إلى ركوب المهمه، وتثقف[6]، وودُّك لا تقف، كَلّ من اضطرّك إلى الإيغال، وباعك بيعَ المُسامِح بك لا المُغال، وعوّضك من الأندية[7]، بجوب الأودية، ومن المآلف، بقطع المتالف، وحلاك عن محالفة الحَصان، ومحالفة الحِصان، وركَلك تمسَح الأرض، ذاتِ الطُّول والعرض، فإذا يمّمت تبالة، تقالَه[8]، وصرت ضِغثاً على إبّالة، تتصل باليمين. ضِنٌّ بالعِلق الثمين.

٢٦ / ب

(١) كذا فى نسخة الأصل. والصواب أنه «أبو جعفر بن الجزار». انظر ما سبق فى ص ٢٣٤ — ٢٣٦ من التقديم.

(٢) حلة: جمع حال بمعنى نازل فى المكان. وبجانة، قال ياقوت: مدينة بالأندلس من أعمال كورة ألبيرة، خربت، وقد انتقل أهلها إلى المرية، وبينها وبين المرية فرسخان.

(٣) أصل معنى الأرش العيب فى السلعة.

(٤) جمع شاعر. ولابن غرسية ولوع بهذه الصيغة من الجموع.

(٥) الآل الأولى بمعنى الأهل، وهذه بمعنى السراب.

(٦) يقال ثقف، إذا صار حاذقاً فطناً. انظر ما سيأتى فى ٤٤ ب.

(٧) الأندية، جمع الندى، وهو مجلس القوم يجتمعون فيه. الخريدة: «من قطع الأندية».

(٨) تبالة: بلدة مشهورة من أرض تهامة فى طريق اليمن. وتقاله: تصنع الملاءمة.

أحسنك(1) ازدريت، وبهذا الحيل التحيل ازدريت، وما دريت، أنهم الصهب الشهب، ليسوا بعرب، ذوى أينق جرب، أساورة، أكاسرة، مُجُد، نُجُد، بُهَم(2)، لا رعاة شويهات ولا بَهَم(3)، شغلوا بالمآذى والمُرّان، عن رعى البعران، وبحلب العز، عن حلب المعز، جبابرة، قياصرة، ذوو المغافر والدروع، المتنفس عن روع المروع، حماة السروح، بناة الصروح(4)، صقورة، غلبت عليهم شقورة(5)، وشقورة الخرصان، لكنهم خطبة بالخرصان(6)

ما ضرهم أن شهدوا مجادا(7) أو كافحوا يوم الوغى الأندادا

ألا يكون لونهم سوادا

أرومة رومية، وجرثومة أصفرية(8).

نمتهم ذوو الأحساب والمجد والعلى من الصهب لا راعو غضا وأفانى(9)

من القدم، الملس الأدم، لم تعرق فيهم الأقباط، ولا الأنباط، حسب حرى، ونسب سرى، أمكم لأمه كانت أمه، إن تنكروا ذلك تلفوا ظلفة، ولا تهايل(10)، فى المكايل، فما مسنا قط قرودا، ولا حكنا برودا(11)،

---

(1) فى الأصل: «أحسنك»، صوابه فى المرجحة.

(2) بهم بفتح، جمع بهمة بالضم، وهو الفارس لا يدرى من أين يؤتى، لشدة بأسه.

(3) البهم، بالتحريك، وبالفتح أيضاً، جمع بهمة، وهى الصغير من أولاد الضأن.

(4) السروح: جمع سرح، وهو المال يسام فى المرعى. والصروح: القصور.

(5) عنى بالشقورة الشقرة، وهى الحمرة. أى عرتهم كحمرة الأسنة تعلوها الدماء.

(6) الخرصان: جمع خرص، وهو سنان الرمح، وهو الرمح أيضاً. عنى أنهم يخطبون النساء وينكحونهن بالحروب. ومثله قول الفرزدق فى ديوانه ٧٣٧:

وبنت كرام قد نكحنا ولم يكن لنا خاطب إلا السنان وعامله

(7) المجاد: مصدر ماجده إذا عارضه بالمجد.

(8) يقال للروم بنو الأصفر. انظر نهاية الأرب ٢ : ٣٢٢. وقد أورد ابن خلكان فى ترجمة ياقوت بن عبد الله الرومى تعليلا غريبا لتسمية الروم بنى الأصفر.

(9) الأفانى: جمع أفانية، وهو ما يسمى «عنب الثعلب».

(10) هال الدقيق ونحوه: صبه من غير كيل.

(11) الحوك: النسج. والبرود: جمع برد، وهو ثوب فيه خطوط.

ولا لـكنا عُرودا[١] ، فلا تهاجُر ، بنى هاجَر ، أنتم أرقّونا وعبدتُنا ، وعتقاؤنا وحَفَدتنا[٢] ، مننّا عليكم بالعِتق ، وأخرجنا كم من رِبق الرّق[٣] ، وألحقنا كم بالأحرار ، فمطنُ النّعمة ، فصمنا كم صَنعا ، يشارك سَـفعا[٤] اضطرّكم إلى شـكوَى الحِجار ، وألجأ كم إلى ذات الحاز رُرُنٌ ، رُصُن .

حالَ ذى الأرضِ كانوا فى الحياة وهمْ　　بعد المماتِ جَمالُ الـكُتْب والسِّيَر[٥]

إذا قامت الحربُ على ساق ، وأخذتْ فى انْساق ، وقُرِعت الظَّنابيب ، وأشرِعت الأنابيب ، وقَلَصت الشّفاه ، وصر الهِدانُ فاه[٦] . وولّى قفاه ، ألفيتَهم دَمَرَة النّاس[٧] ، عند احرار الباس ، الطّعنُ بالأسَل ، أحلى عندهم من العسَل .

مُستسلِمين إلى الحُتوف كأنما　　بينَ الحُتوف وبينهم أرحام[٨]

من أمثالهم ، حُفولُ مِيثاتهم ، لهم على القُدمة اليدان[٩] ، على الثّنانى والقِدان .

مِن الأُلى غيرَ زجرِ الخيل ما عرَفوا　　إذ تعرف العُرب زجرَ الشّاء والعَكَرِ[١٠]

بُضُر ، صُبُر ، تزدان بهم المحافل ، والجحافل ، فُيول على حيول ، كأنها فيول ، كواكب ، المواكب ، نجوم ، الرُّجوم ، من العجَم ، ضراغمة لأجَم ، بموعاب ،

---

(١) العوك القسم والعرود . جمع عرد وهو الشديد الصلب من كل شيء . انظر هذه الـكناية فى ٤٤ ا من الأصل .

(٢) الحفدة : الأعوان والخدمة ، واحدهم حافد .

(٣) إشارة إلى أن هاجر كانت جارية سارة ثم عتقت وتزوجها إبراهيم

(٤) السفع : اللطم .

(٥) البيت لأبى العلاء المعرى . شروح سقط الزند ١٤١

(٦) الهدان ، بالـكسر : الوخم الثقيل فى الحرب .

(٧) دمرة : جمع دامر ، وهو الذى يدمر القوم ، أى يحصبهم ويحثهم .

(٨) البيت لأبى تمام فى ديوانه ص ٢٨١

(٩) القدمة : الاسم من الإقدام . قال :

تراه على الخيـل ذا قدمة　　إذا سربل الدم أكفالها

(١٠) لأبى العلاء المعرى . شروح سقط الزند ١٤٠ . وقد غير إنشاد البيت ليتساوق مع الـكلام وكان أوله « ذياب الأنى » . والعكر : القطعة من الإبل ما بين الخمسين إلى المائة .

المتنقّفون من كلّ عاب، لم تلدْهم صواحبُ الرّايات[1]، بل تبجّحت عليهم سارةُ الجمالِ ربّة الإياة[2]، شُمّخ، بُذّخ، بررة أقيال، جررةُ أذيال. بخٍ بخٍ، أحلّتهم سيوفُهم سِطَةَ الأرضين، فاقتعوا بذلك ولا رَضين، حتّى دوّخوا المشارقَ والمغاربَ، واستوطنوا من المجد الذّروة والغارب.

بضربٍ يُزيل الهامَ عن سَكِناتِه   وطعنٍ كتَشهاق العَفا هَمَّ بالنّهقِ[3]

شُغِفوا بِرنّات السّيوف، لا برنّات الشّنوف، وبركوب السّروج، عن الكلب والفرّوج، وبالنّفير، عن النّقير[4]، وبالجنائب، عن الحلائب، وبالخَبَب، عن الخِبّ[5]، وبالشّليل، عن السّليل[6]، وبالأسّ والدّسّ[7]، عن معاقرة الخمر والرّمس، وبالقُنْيان، عن العِقيان[8]، وعن قِيان القِيان، طِلْباتهم، خَطّيّاتهم[9]، وأقتالهم، آلاتهم، وحصونهم، خُصُصهم، أقيال، آباؤهم من بين الأنام أقتال[10]

أولئك قومي إن بنوا شيّدوا البنى   وإن حاربوا جدّوا وإن عقدوا شدّوا

وُضُح، رُجُح، لا حَفَزة عَكَر[11]، ولا حَفَرة أُكَر[12]، ملوكٌ جِلّة، لا مُحرّقو

---

(١) كانت البغايا في الجاهلية يجعلن على بيوتهن رايات ليعرفن بها. تفسير الطبري (١٨ : ٥٧).

(٢) سارة: زوج إبراهيم، وكان اسمها «ساراى» ثم غير إلى «سارة» ومعناه رئيسة. انظر سفر التكوين أصحاح ١٧ ... ١٨ وهي بالراء المخففة. ولا عبرة بما ورد في اللسان (هجر، سخم) من ضبطها بالراء المشددة. والإياة: أصلها ضوء الشمس وحسنها. وفي فتح الباري (٦ : ٢٧٩) أن يوسف أعطي شطر الحسن، وسارة شطره الآخر.

(٣) البيت لأبي الطمحان حنظلة بن شرقي. اللسان (سكن، عفا).

(٤) النفير: القوم ينفرون للقتال. والنقير: النكتة في ظهر النواة.

(٥) الخبب، بالفتح: مصدر خبّ خبًّا، وهو ضرب من العدو. والخِبّ، بالكسر: الخداع.

(٦) الشليل: الدرع. والسليل: سنام البعير.

(٧) الأسّ: الحسّ والحثّ.

(٨) القنيان: اقتناء الأطلال. والعقيان: الذهب.

(٩) الطلبة: الحاجة والوطر. والخطيات: الرماح المنسوبة إلى الخط بالبحرين.

(١٠) جمع قتل بالكسر، وهو المثل والقرن، والمقاتل.

(١١) حفزة: جمع حافز، والمراد به السائق. والعكر، سبق تفسيره.

(١٢) الأكر: الحفر في الأرض، جمع أُكرة.

حِنّة ، نُدُس ، عَنُوا بالإستبرق والسُّندس ، عن النَّتّ ، المُقَيَّط المُشتّ ، المجموع من الثُّنيّجات الستّ[١] . نُسُل ، لاحُرّاس مُسُل[٢] ، ولا عُرّاس فُسُل ، مُلّك لَقاحٍ[٣] ، ليس منهم فى وِردٍ ولا صَدَرٍ شُرّابُ دَرِّ اللِّقاح ، بل شرابهم النَّبيذ ، وطعامهم الحَنيذ ، لا زهيد الهَبيد[٤] ، فى البيد ، ولا مُسكون[٥] ، الوكون ، ولا منهم مَن احتشى ، بمذموم الكُشَى[٦] ، ولا فى سائر الأحماش[٧] من وليدٍ وناش ، مَن اغتذى بالأحناش ، فلا يُقعقع لهم بالشِّنان[٨] ، ولا يُرعرع لهم بشنآن[٩] ، فكُفّ أيها الشَّان[١٠] فإنهم عظيم الشان ، واليدُ الطولى إذ نخصوكم من أكف الحُشّان ، صنيعٌ ، منيع ، ومِنّة ، لا يشوبها مَنّة ، فيا لها مِنحة ، لكنها أعقبت مِحنة ، إذ صادفت كَفرة ، لا شكرة لها ، إذ تأنَّطتم تيها ، معشر الدُّداة ، العُداة . اعتقدتم غِلاً ، فاستغرتم صِلاً[١١] أما علمتم أنّ الدولة الأنوشروانية ، والمملكة الأردشيرية بَقَروا أجوافكم ، وخصوا أكتافكم ، ثم عطفوا ، ورأفوا ، وملّكوكم الحِيرة ، بعد الحَيرة ، قُلُلا ، ذُلُلا ، تتخيّرون الثنات ، عند الثبات ، مهورات ، لا ممهورات ، فبرِم من ذلك غَسّانكم ونُعمانكم ، وكان تَرَمُّه سبباً لدره أمانكم ، فأصبح بعد حر

(١) يصح قول الراجز :

من يك ذا بت فهذا بتى مقيظ مصيف مشتى
تخذته من نعجات ست سود جعاد من نتاج الجست

(٢) المسل : جمع المسيل ، وهو الجريد الرطب .

(٣) اللقاح : الحى الذين لم يدينوا لملوك . يعنى أنهم يحمون من لم يحمح

(٤) الهبيد : حب الحنظل

(٥) المكون : جمع مكن ، وهو بيض الضب

(٦) جمع كشية ، وهى شحمة بطن الضب .

(٧) جمع حمش ، بالكسر ، وهو الصغير من بيوت الأعراب .

(٨) الشنان : جمع شن ، وهى القربة الخلق الصغيرة .

(٩) فى الجريدة : « ولا يرعرع له بالشنان » .

(١٠) أى الشانئ ، وهو المبغض .

(١١) الصل : الحية القاتلة .

الذُّيول ، مَدُوساً بأخفاف الفُيُول[1] . والكرامُ بنو الأصفر ، الأطهرِ الأظهر ، عطفتهم عليكم الرحم الإبراهيمية ، والعُمومة الإسماعيلية ، فسمحوا لكم من الشام بأقصَى مكان بعد ما كانَ ، مِن سيل العرِم ما كان ، يؤدِّي نُعاسكم ، وعُثانكم ، لقروم الأعاجم ، الإتاوة على الجماجم .

هذى المكارمُ لا قعبانِ من لبنٍ شِيبَا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالا[2]

مهلاً بنى الإماء ، عن اللمز والإيماء ، فنحن عُرُق ، غُرُق ، فى الأنساب الصَّميمة ، والأحساب العميمة ، فمَن يهولنا أو يروعنا ، وقد رسَخَت فى الحمد أصولنا وفروعنا ، ومَن يَطُولنا ، وكلُّ الورى قد شمله فضلُنا وطَولُنا .

شَرَفٌ ينطح النُّجوم بِرَوْقَيـ ـهِ وعزٌّ يقلقِلُ الأجبالا[3]

حُمُ ، عِلم ، ذوو الآراء الفلسفية الأرضية ، والعلوم المنطقيّة الرياضية ، كحملة الأسترلوميقى[4] والموسيقى ، والعلَمة بالأرثماطيقى والجومطريقى ، والقوَمة بالأنولوطيقى والبوطيقى[5] ، [والنهضة بعلوم الشرائع ، والطبائع ، والمهرة فى علوم الأديان ، والأبدان .

---

(١) كان كسرى طلب إلى النعمان بن المنذر أن يزوجه إحدى بناته فأبى النعمان ذلك كبراً ، وأخفى بناته وأموله فى أحياء العرب ، وعلم بذلك كسرى فاستزار النعمان ، وألقاه طرحه تحت أقدام الفيلة . انظر الأغانى (٢ : ٢٨ — ٢٩) وفى ذلك يقول الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محرزق

(٢) لأمية بن أبى الصلت . الشعراء ٤٣٣ .

(٣) البيت للمتنبى فى مدح سيف الدولة . ديوانه (٣ : ١٠٤) شرح العكبرى .

(٤) يراد بها علم النجوم . وعند الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ٨٠ « اسطرنوميا » .

(٥) الأرثماطيقى : علم العدد والحساب . انظر ابن خلدون ٤٢٠ . والجومطريقى عند الخوارزمى ١١٧ وابن النديم ٣٧١ « الجومطريا » . ابن النديم : « إقليدس صاحب جومطريا ومعناه الهندسة » . الخوارزمى : « وهى صناعة المساحة ، وأما الهندسة فكلمة فارسية معربة ، وفى الفارسية أندازه ، أى المقادير » . وفى صبح الأعشى (١ : ٣٢٦) : « والجومطريقى وهو علم المساحة والهندسة » . وأما الأنولوطيقى فقد تكون محرفة عن « أنوطيقا » ومعناه الشعر . إخبار العلماء للقفطى ٢٨ أو « أنولوطيقا » ومعناه تحليل القياس ، والبرهان . وفى مفاتيح العلوم ٨٩ أنولوطيقا معناه العكس وأما « البوطيقى » فهى فى الأصل « البوطيقى » محرفة . وفى مفاتيح العلوم ٩٢ « بيوطيقى ومعناه الشعر ، يتكلم فيه على التخييل ، ومعنى التخييل إنهاض نفس السامع إلى طلب الشىء ، أو الهرب منه وإن لم يصدق » .

هم ملكوا شرقَ البـلاد وغربَها ‏ وهم منحوكم عـند ذلك سؤددا[1]]

ما شئت من تدقيق، وتحقيق، حبَسوا أنفسهم على العلوم البدنية والدينية، لا على وصف الناقة الفَدَنيّة[2]، رضيهم لبسَ بالسفـساف، كفعل نائلة وإساف[3] أصغرْ بشأنكم، إذ بزِقّ خمر باع الكعبة أبو غُبْشانكم[4]، وإذ أبو رِغالكم، قاد فِيلَ الحبشةِ إلى حرَم الله لاستئصالكم[5]. [غُضُّوا الأبصار، فهذا الذِّكر إلى الفحش أصار[6]].

أرِيدك أم كمـــالك وداك أنى ‏ رأيتك في امتحانك كنتَ أحمقْ

فلا فخرَ معشرَ العُربان، العِربان، بالقديم، المعرَّى للأديم[7]، لكن الفخر بأن عمًّا، الذي بالبركة عمّنا، الإبراهيمي النسب، الإسماعيلي الحسب، الذي انتشانا[8] الله تعالى به وإياكم من الغَواية، والعَماية. أما نحن فمن أهل التثليث وعِبادة الصُّلبان، وأنتم من أهل الدين المَليث وعبادة الأوثان[9]، ولا فخر وأن

---

(١) التكملة من الذخيرة

(٢) الفدنية: المشبهة في علوها بالفدن، وهو القصر المشيد.

(٣) يزعمون أن إساف بن عمرو، ونائلة بنت سهيل، فجرا في الكعبة فمسخا حجرين ثم عبدتهما قريش. شروح سقط الزند ١٣١٥.

(٤) يذكرون أن أبا غبشان كان يلي أمر البيت، فاتفق أن اجتمع مع قصي بن كلاب في شرب بالطائف، فخدعه قصي عن مفاتيح الكعبة بأن أسكره، ثم اشترى المفاتيح منه بزق خمر وأشهد عليه، ودفع المفاتيح في يد ابنه عبد الدار بن قصي وطيره إلى مكة، فلما أشرف عليهم قال رافعا عقيرته: معاشر قريش هذه مفاتيح أبيكم إسماعيل قد ردها الله عليكم! وأفاق أبو غبشان من سكره أشد ندامة من الكسعي. شروح سقط الزند ١٩٨٢.

(٥) كان أبرهة عامل النجاشي على اليمن قد عزم أن يهدم البيت، ونزل في طريقه على ثقيف بالطائف، فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة. السيرة ٣١ — ٣٢.

(٦) التكملة من الذخيرة

(٧) الذخيرة: «فعلى عرى الأديم».

(٨) في الأصل: «انتشانا»، تحريف

(٩) المليث من اللث، وهو أن يعد الرجل الرجل عدة لا يريد أن يفي بها.

كان مسكم حِبرُه وسِبرُه ، فى الرّعام يُلقَى تِبرُه ، والمسك بعضُ دم الغزال ، والنِّطاف العِذاب مستودَعات عَمْك القِزال[1].

لله مما قد برا صفوة وصفوة الخلق بنو هاشم[2]

وصفوة الصفوة من بينهم محمد النور أبو القاسم[3]

بهذا النبىّ الأمّىّ ، أفاخر من تفخّر ، وأكاثرُ من تقدّم وتأخّر ، الشريف السلَفين ، والكريم الطّرَفين ، المتّفق بالرسالة ، والمتّفق للأداء والدّلالة . أصلّى عليه عددَ الرّمل ، ومَدَدَ النّمل ، وكذلك أصلّى على واصِل جناحه ، سيوفه ورماحه أصحابه الكرام ، عليهم من الله أفضل السلام

يا بنَ الأعاربِ ما علينا باسٌ لم أعتدِكَ إلا ما حكاه الناسُ

هذا .

ولم أشتمْ لكم عرضاً ولكنْ حَدَوتُ بحيثُ يُستمَع الحُداء

ثم أتحوّل لشاعر غسّان ، لا ساسان ، فى هذا الصيد ، بالوعيد ، وأحيد فى هذا الفصل ، بعدم الوصل . لقد غمّ آخرك ، لكن بالرّغم أخرك ، إذ أضربتَ عن مديح ، عِلقٍ الرَّبيح ، مُعِزّ الدولة شهميا الرئيس ، وشهمينا النفيس ، قَيْل الأمم[4] ، وسيل الأمَم[5] ، معنى المعانى ، ومعنى المعالى ، ذى الرياسة الساسانية ، والدّعامة الغسانية . فاذهبْ ، باعثْ لمذهب ، وابتغ فى الأرض نفقا ، أو فى السّماء مرتقى ، فهذه أُنيّة ، حسبت عليك بليّة . أو حلّك من البسيط والمديد ، ما تستجير به من بطشنا الشّديد ، إذ نحن معشرَ الموالى ، لا نوالى ، إلّا من هو

(١) عمك ، بالفتح : الخلد . والقزال : جمع قزلاء ، وهو من الزيادة الأصل .
(٢) فى مروج الذهب (٢ : ٢٧٤) : « مما قد برا » .
(٣) فى مروج الذهب : « وصفوة الصفوة من هاشم » .
(٤) القيل : الملك ، وأصله القيّل من ملوك حمير .
(٥) الأمم ، بالتحريك : القصد الذى هو الوسط ، وهو القرب أيضاً

لعظيمتها موالى ، وحذارِ حذارِ أن تقرع سنّ الندم ، ولات حينَ مندم ، قبل أن تُجمَع ذَنُوبك ، على ذَنوبك[1] ، وكَرْبُك في كَرَبك ، فمن أبصر ، أنصر ، وما حرّف ، مَنْ صديقه خوّف .

فلا تتشعْ بمصِّ العتـــا ... بِ يبقاك يوماً بلقياه لاقِ[2]

فإنّ الدواء حميـــدُ المآلِ ... وإن كان مرًّا كريهَ المذاق

يا مستقِلَ علمَ الشِّعر ، والمستقِلّ نقلَ النظم والنثر

قد استحييتُ منك فلا تكلّفي ... إلى شيء ســوى عُذرٍ جميل[3]

وقد أعــددتُ ما حقّ عليــه ... قبيحُ المحو أو شـتمُ الرسولِ[4]

وذاك على انفرادك قوتُ يوم ... إذا أنفقتَ إنفاقَ البخيــل

وكيف وأنت عُلويُّ السّجايا ... وليس إلى اقتصادك من سبيل

وقد يُقوى الفصيحُ فلا تُقابلْ ... صحيفةَ الســـرّ إلا بالقَبول

وإنّ الوزن وهو أصــحّ وزن ... يُقام سِنـادُه بالحرف العليل[5]

فإنْ يَكُ ما بعثتُ به قليــلا ... فلي حالٌ أقلُّ من القليــل

نَجَزَتْه من كلام المعرى .

والسّلام عليك ما سَبَحَ الفَلَك ، وسبّح المَلَك[6] . ورحمة الله وبركاته .

---

(١) التيمورية : « في ذنوبك » . والذَّنوب ، بالفتح : الدلو .

(٢) التيمورية : « فلا تتشع ... يلقاك ... لقاء » .

(٣) للمعرى في شروح سقط الزند ١١٤٤ — ١١٤٩ .

(٤) يعنى الرسول الذى أتحفه بالرسالة .

(٥) التيمورية : « وإن الشعر وهو أتم وزن » وما في الأصل يطابق ما في الشروح .

(٦) الفلك : للأفلاك .

رد أبي يحي بن مسعدة

الرد على ابن غرسية منشئ الرسالة المتقدمة، مما عني بإنشائه وتأليفه الشيخ المبارك الأفضل أبو يحيى بن مسعدة نفعه الله بها وجعلها حجّةً له عند الحاجة إليها[*]:

ومن يَعصِ أطرافَ الزِّجاج فإنَّه ... يطيعُ العوالي رُكِّبت كلَّ لَهذَمِ[1]

إياكَ أعني أبا عامر، ولا أقول خامري أمّ عامر[2]، بل أعراك نخلة غَرسيّه[3]، فالتقط بالقبط غَرسيّة[4].

هيهات حنّت إلى دِفلى تحرّكها ... مستطعِمٌ عندما حرّكتَ فالتقطِ[5]

شُربك الحبّ، وشمّرى لك حاميم[6]، فاخلعْ عن مقلَّدك البَريم[7]، وذق إنك أنت العزيز الكريم

رُميت بما لو أنّ الجنّ تُرمَى ... به لتهيّبتها الإنسُ نهبا

لئنْ بعثتَ يا عثيثُ من هامد دَخَنك أُوارا، وأرّثتَ من خامد أُبَنك نارا[8].

وإنّ النّار بالعودين تُذكَى ... وإنّ الحرب يَقدُمها الكلامُ[9]

(*) هذا الرد لم يرد في نسخة الذخيرة

(1) البيت من معلقة زهير.

(2) أم عامر: كنية الضبع. يقال لها خامري، أي استتري.

(3) أعراه نخلة: أعطاه إياها يأكل رطبها. وغرسيه، أي غرسي، زاد هاء السكت

(4) يعني أن أباه غرسية التقطه وتبناه.

(5) الدفلى كذكرى: شجر مر أخضر حسن المنظر يكون في الأودية

(6) جاء في حديث الجهاد: «إذا بيتم فقولوا حاميم، لا ينصرون». معنى مما يستظهر به على استنزال النصر على العدو. وأنشد أبو عبيدة لشريح بن أوفى العبسي:

يذكرني حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم

(7) البريم: خيطان يكونان من لونين.

(8) جمع أُبنة بالضم، وهي العيب والوصمة.

(9) من أبيات مشهورة لنصر بن سيار. البيان والتبيين (1 : 158) والطبري (9 : 92). ويروى: «أولها الكلام».

مثلك يا دَعِىَّ العَجَم، وذَنِىَّ العُجْم، تعدّى للأعراب مَواليه بسَفَه، أو تصدّى لمعارضة فخارِها بسبتِ شفة؟! غرّك أن ولَّيتها بحكم اتّقاسم[1]، وأن طارت أمُّك لها أحورَ من جآذر عاسم[2]. كلّا:

* فى الكَرَجُ الدُّنيا ولا الناسُ قاسمُ *

[٢٩ ب] ما استعلاك الدوُّ يا آبقُ إن سفَرت، ولا حلا لك الجوّ حتى نفثت وصفَرت، فى مثل هذا المعتَرَ، قِرْ واصفِرْ[3]، وبهذا المحضَر، يا مصفّر استِه حمرٌ وصفرٌ[4]، بموقف لا يعزّ على الأوس بن ثعلب، أن تهان وتُغلب[5].

رُوَيدك حتى يلحق الدارِبُون، أصحابُ الجياد المكبُّون[6]، وتالله لا تُصلك منى الحواريُّون[7]، بعد أن أتقدّم لتأديبك، وأصبح فى الحقّين عِذرةَ أديبك[8] مُناقِلك فى الأراجيز، ونازلك إلى مَعرِض التمييز، شيخ الاعتزال، وصريع أهل السنّة إذا تداعَوْا نزال، الأعمى البصر والبصيرة، وشعوبىُّ هذه الجزيرة[9].

عمىٌّ حدوك الغىّ أىّ مجيبة ... أعمى دليلُ هُدًى أوَ اخرسُ ينطق[10]

(١) يعنى مقاسم العدم.

(٢) عاسم: اسم ماء لكلب بأرض الشام.

(٣) أخذ فيه من رجز طرفة:

يا لك من قبرة بمعمر ... خلا لك الجو فبيضى واصفرى

ونقرى ما شئت أن تنقرى

(٤) رمى به بالأبنة. والتحمير والتصفير استعمال الزعفران والطيب. انظر اللسان (حمر، صفر).

(٥) فى الأصل: «وتعلب».

(٦) منه نظر إلى قول الراجز وأنشده فى المقاييس واللسان (دور):

لبث قليلا يلحق الداريون ... ذوو الجياد البدن المكبون

وفى الأصل هنا: «أصحاب الجناب».

(٧) الحوارى: القصار الذى يبيض الثياب، ومنه حواريو المسيح عليه السلام، لأنهم كانوا قصارين.

(٨) أصله من المثل «أبى الحقين العذرة» وهى بكسر العين العذر. ومنشأ المثل أن رجلا ضاف قوما فاستسقاهم لبنا وعندهم لبن قد حقنوه فى وطب، فاعتلوا عليه واعتذروا فقال: أبى الحقين العذرة! أى إن هذا الحقين يكذبكم.

(٩) لعله يعنى ابن سيده. انظر ما سبق فى ص ٢٣٣.

(١٠) فى الأصل: «حدوك الى» حداه: أعطاه ووهب له.

لشد ما سمّع بك فى الأملاء[١]، وسرّك بالإجراء فى الخلاء[٢]، وأرسلك سائمًا ورتع فى حلاء، كفتنه فى معانى القرآن وحلوقاته الزّل الصُّل، وكتبه فى نحوه وعزاته التى يَدمَى منها الأطَلّ، مُمَايِحُكَ فى الدِّلِيّ والدّوِىّ[٣] ومُطارِحُك السلامَ على ذى الروىّ المروى، لقد أعلّك بواصِحِها وأَنَلّ، وأعلّك من قارحها ما أسَـل[٤]، ورماك يا رجيم بدائه وانسلّ، فتصمّمت عُمارِ حُلاه، وتنطّقت عما تلاه، وتشمّمت بالعار الذى تولّاه، كالخصِىّ يفخر بمتاع مولاه.

كثفية لحـل مستعار بأذنيها فشا بها الثقوب[٥]

فردّت خـلىّ جارتها إليها وقد بقيت بأذنيها ندوبُ

أولى لك ما رُوِّ، يا أمتَ عيرٍ يحكه النفر، حين نهقت، وبلسان العربِ سُبَاتك[٦] نعقت. فقلت:

أولئك قومى إن بنوا شيّدوا البُنَى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا

مالَكَ بأوقاح، ولهذا الحىّ اللَّقاح[٧]. تموّهت بكلامهم، وتَيهت عن أماميم[٨]، وأهلت بشعارهم، وعثلت بأشعارهم، وشحجت فى أحيارهم، وما نارك من نارهم[٩]. هلّا رتقت بقطانك، وتعلّقت بمُجمتك ورطانتك.

(١) التسميع: التشهير. والأملاء: جمع ملأ، وهم أشراف القوم.

(٢) يشير إلى المثل: «كل عر فى الخلاء يسر»، والمجرى: الذى يجرى وحده، فهى فى الخلاء لا منافس لها.

(٣) المماتحة: مفاعلة من المتح، وهو جذب رشاء الدلو. والدلى: جمع دلو. والدوى: المفازة.

(٤) يقال: أسله الله فهو مسلول، شاذ على غير قياس.

(٥) لابن هرمة فى الأغانى (٥ : ٢٨).

(٦) السباة: جمع ساب، من السبى وهو أخذ الناس عبيدا وإماء.

(٧) حى لقاح: كسحاب، لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم فى الجاهلية سباء.

(٨) عمه: أعيا وكل وصعب.

(٩) النار: السمة، وأصلها سمة الإبل، يجعل كل قبيلة لإبلها سمة خاصة.

٣٠/ا أظنك شاهدتَ لياليهم بالجمع[1]، أو قعدتَ منهم مقاعدَ السَّمع، ودانيت السُّرار فاسترقت[2]، وصُمْتَ السِّرار فأغدقت[3]، وأعجلك النَّزْعُ فأمرقت[4]، وأورقت وما أثمرت، ثم مَنَنْت، وظننت أنك طُلْت، بل سَفُلت، وحيث وجب لك أن تسجد سُدْت.

وقيـــل يارَخَمُ انطـــق في الطـــير إنكِ شر طائر[5]
فأنتَ بمـــا هي أهـــلُه والمرءُ من شـــر العناصر[6]

أما كان لك يالئيمَ الجدود، ومَدَرًا الحدود، ولآبائك لفظٌ تحكيه، أو لذوي وَلائك من العجم قبر بجِلِّق تبكيه[7]، أو نحوٌ ملسانك تضعه، أولحنٌ في شأنك تمصصه وترمه، فتناولت العربَ ملسانِ هامان، وناصلتها طمطمة بيحائيل وروبان فقدرها تسير ما حَقَّقت، وتصير لسانك على تَكَلُّبك لمَّا صدقت.

فما على البدر من نبح الكلاب ولا يوماً على البحر يُرْمَى فيه بالحجرِ

هذا حزاؤها في تدريبك وتعليمك، وتصريفِ أنفاتها في خلقة ميمك، فلا ماء وجهك أبقيت، ولا جرحَ أنك الدَّفلاء أنقيت. ما أنتدك يا سيدُ لدمائها، وأقل شكرك على كعالتها لك وإلفه أقلامها[8]، لكن أمِنتَ سورةَ إقدامها،

---

(١) جمع هي المزدلفة، وفيها يقول ابن هرمة:
سلا القلب إلا من تذكر ليلة بجمع وأخرى أسعفت بالمحصب
(٢) السرار، بالكسر: المسارة. استرقت، يريد استرقت السمع.
(٣) السرار، بالفتح: جمع سرارة، وهي من الوادي أفضل موضع فيه.
(٤) أمرق السهم إمراقا: جعله يمرق من الرمية وينفذ.
(٥) للكميت. الحيوان (٣: ٥٢٠) وأوله فيه: «وقد قيل».
(٦) كذا ورد في الأصل.
(٧) إشارة إلى قول النابغة:
لئن كان للقبرين قبر بجلق وقبر بصيداء التي عند حارب
والقبران يعني بهما صاحبي القبرين، وهما يريد بن الحارث الأعرج، وأبوه الحارث الأعرج، والنابغة يمدح عمرو بن يزيد بن الحارث الأعرج ويمدح أباه وجده.
(٨) فيه نظر إلى تاريخ الأحبار وزكريا في كفالة مريم وإلقائهم الأقلام لتحكم أيهم يكفلها.

وضمنتْ عن مثلك سعة أحلامها ، فساجلتها بخَلَق أرمامها[1] ، وجاذبتها فضولَ كلامها . « ليسَ قطًا مِثلَ قُطَيّ » ، ولا الرُّشد من الغيّ .

يموت الفتى من عثرةٍ بلسانه ... وليسَ يموت المرء من عثرةِ الرِّجلِ[2]

فرُوغي جَعَارِ[3] ، وبَدارِ الإنصافَ بَدار .

مَن يَهُنْ يسهل الكلامُ عليه ... ما لجـــرحٍ بميتٍ إيلامُ[4]

وبعـد قَرْع صفاك ، وصَدْع قناك ، ننتقل إلى تَقْفِيَة أديانكم ، وجهلة أحباركم ورُهبانكم ، وإقامة أقانيمكم الثلاثة في سجودكم الستّ وهذيانكم ، ثم نُرسِل عليكم خيـل البيان شُزَّبًا غِراثًا[5] ، ونسمعها ملاحم تُنسِي الكُلابَ وملهمًا وبُعاثًا[6] ، وتنقض ما عرفَتْ أمك الورهاء بعد قوّةٍ أنكاثا

ما الشِّطاط يحول حولكما ... لأقطعنّ بإمرار حبالكما[7]

اشدُد حيازيمك لمناقش ، واجذُذ جراميزك عن المهوش ، فمن أهانها دلّت بأذنابها براقش ، أتظنّ أن تقنع منك التيمن بالأرش ، أو ينسأ الحاضرونَ ردَّ العرش[8] ، هذا يا صبّ أشدّ من الحرش ، مكرتَ يا مُكير ، ويا عُوير ، أن تتعاطى الشُّقرةُ أبؤسها بالعُوير ، لو حلّ رائدُها أرضَ تبالة ، لما حُرِم ولا توالة ، ولكنّما أعرضتْ عنه تبالة ، ورأى أكمةً فتاله ، وترك الصمتَ ولا إبالة ، وتهدّد أن

(١) يقال حبل أرمام ، أي بال ، وصف بالجمع ، كأنه حبل كل جزء منه واحدا ثم جمع . وفي الأصل : « أزمامها » .

(٢) البيت لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين . العقد ٢ : ٤٧٣ .

(٣) جعار ، كقطام : اسم للضبع . والمثل تمامه : « روغي جعار وانظري أين المفر » . يضرب لمن يروم أن يفلت ولا يقدر على ذلك .

(٤) البيت للمتنبي في ديوانه (٢ : ٣٣٨) بشرح العكبري ، برواية : « يسهل الهوان » .

(٥) شزب : جمع شازب ، وهو الضامر . والغراث : جمع غرثان ، وهو الجائع .

(٦) الملاحم : الحروب الشداد . الكلاب وملهم وبعاث : مواضع كان بها بعض أيام العرب .

(٧) المرار : الحبل الذي أجيد فتله .

(٨) في الأصل « الحاضرين » ، تحريف . وهو نظر إلى قول الأعشى :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ ... يبنون من دون سيله العرما

يلحق آلَه وثِماله ، وقال مَن ابنُ يزيدَ ومن ثُمالة[1] .

تيامَنْ نحاهَكَ تلقَ الكلا ... مُبيراً وتأمَنْ في المسلكِ

إيه ليت شعري مَن عِلْقك الرَّبيعُ في الزَّمان ، وهل أحاط بسُقْعه هدهد سليمان[2] ؟ أملك تعي الموفّق ، ذا السحار المتفق ، صاحب الظاهر ، ومملوك معافر[3] ، عجَم دابية ، وعَرَك مرداية[4] أين أمُّك[5] ، ثكلتك أمك ، وهو سوى رِعِمة من زعانف الريف ، وسعسع السيف ، المُراة لحِقوين ، الشُراة كسُنِّري القين[6] ، المتصعبين بالخيزرانة عند الأين[7]

ومن يَسكن البحرينِ يعظمْ طحاله ... ويُغبَطْ بما في بطنه وهو جائع[8]

متى جرى يا عُقدَ عُقَدِ الأوثان ، مدحُ النعم على آساني من لسان[9] ، أو تيمهم قائلٌ بإحسان ، عياذًا بشر وأمَيّة وحسّان ، وحقٌّ للمعروف تقريضه ، الموقوف على خلّة نحّانة قريضه[10] وإنْ كانت أرضَ اليمن ، فيها تُودِيَ عيسكم

---

(1) إشارة إلى قول عبد الصمد بن المعذل في هجاء محمد بن يزيد المبرد ، وهو من قبيلة ثمالة :

سألنا عن ثمالة كل حي ... فقال القائلون ومن ثماله
فقلت محمد بن يزيد منهم ... فقالوا زدتنا بهم جهاله
فقال لي المبرد خل عني ... فقومي معشر فيهم نذاله

(2) السقع ، بالسين : لغة في الصقع ، وهو الناحية .

(3) معافر ، بفتح الميم : حي من اليمن .

(4) العرك : جمع عركي ، وهو صياد السمك .

(5) الأم : القصد .

(6) سرى القين مثل في الكذب . يقولون : « إذا سمعت بسرى القين فإنه مصبح » . وأصله أن القين بالبادية يتنقل في مياههم ، فيقيم بالموضع أياما فيكسد عليه عمله ، فيقول لأهل الماء : إني راحل عنكم الليلة ! وإن لم يرد ذلك ، ولكنه يشيعه ليستعمله من يريد استعماله

(7) إشارة إلى قول النابغة في صفة الفرات :

يظل من خوفه الملاح معتصما ... بالخيزرانة بعد الأين والنجد

الأين : الفترة والإعياء . والنجد : العرق والكرب .

(8) عرفت البحرين قديماً بأن أهلها مطحولون . الحيوان ٤ : ١٣٩ .

(9) الآسان : البقايا ، الواحد أسن بضمتين .

(10) التقريض : التقريظ ، وهو مدح الإنسان حياً والثناء عليه . وانظر ما سبق في ص ٢٤٦ .

بأبخس الثمن، أن يزدرىَ نفرعك المجيل، وحبلك النحيل، من النخل والتنجيل[1]، يا أشلاء الرخم البجيل، والنظر السحيل، وقد راعتكم من غسّان وحَوْلان، وصَمِيمِ قيسٍ وعيلان، الرائع النحيل، أصحابُ الغُرَر والتحجيل، الذين مَثَلُهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل[2]، يا تَبَعة الخوص، وقَرَعة القرن والناقوس، ألشبه بالقوس، وأنتم بالقربوس[3]، عَبَدَةَ التثليث، وشَرَدة أجزاء الثالوث، لقد أحتم الثمرة المقاصد، وجئتم بما فضحتْ قومَها غامد[4]، الجوهر وروح القدس وابن الإنسان إله واحد، صَمِّى صَمامِ، لا بالصائح ولا الصمام باتحادٍ ما اتفقتْ لكم تلك الأقانيم الثلاثة فى قرونٍ من الدهر، وقد كان بين أقنومين منها بزعمكم ستمائة شهر. لقد ضلّ أقنومٌ بين سودسين[5]، واتّحدَ أهلُ التكليف منكم خلال اتحاد الكلمة بالنفسين، وليتها كانت نسمةً فانقرض عليها جبلُكم، وانقرض من الاختلاف إجيلكم. يا قُرْبَ ما تنفّقت لكم هذه الألوهةُ دون تكليف، وتنزّهتْ وحدانيتها عن التأليف بالتسويف. وعلى أنّ الجاثليق قد أتاكم فى الزيادة عليها ببعض القول، وردَّ فرضَ أحكامكم المنسوخة إلى العول[6]. كفى ما بين الملكانية والنسطورية[7] من فسادٍ فى الوضع،

(١) النحل: الهبة، نحله أى حباه.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى صفة أصحاب الرسول الكريم: «ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه» آخر سورة الفتح.

(٣) القوس: بالضم رأس الصومعة. والقربوس، بالتحريك: القاع أو الوادى الأملس.

(٤) فيه إشارة إلى قول امرأة من غامد فى هربة ربيعة بن مكدم لجمع غامد وحده:

ألا هل أتاها على نأيها	بما فضحت قومها غامد
تمنيتم مائتى فارس	فردكم فارس واحد

انظر البيان (١: ٢٤٩).

(٥) الأقنوم: واحد الأقانيم وهى الأصول. والسودس هو المعروف فى مصر بالسنهودس، وهو المجمع الدينى. انظر مروج الذهب ١: ٣١٨ — ٣١٩ والتنبيه والإشراف ١٢٢، ١٣٦.

(٦) العول: عول الفريضة فى المواريث، وهو أن تزيد سهام الورثة فيدخل النقصان عليهم، كأن يكون لأحدهم الثمن فيصير له التسع.

(٧) الملكانية: فرقة منسوبة إلى «ملكا»، ومعناه الملك بالسريانية، والمراد بهم أتباع =

واختلاف فى الأناجيل الأربعة بغير إسناد ولا قطع ، لهؤلاء جزء من الإله ولهؤلاء جزء ، أليس هذا يا هُزأة عين الفكاهة والهزء .

وحاطبِ جاء بعارٍ يحطِبُ فيه من ذاك حِجارُ الأثلبِ[1]

ثم ما لكم ويلكم ، توسّمتم فى الكيان وصيّرتم معبودكم بتصاريف المكان ، ونقلتموه من عالم العقل إلى عالم الحسّ ، وأفردتموه من الإنسانية عن رُوح القُدُس ، ٥ فنقصتم الأسلوب ، وقِستم لجمْعَ المربوب ، وعدمتم منه الجزء المطلوب . أبدِع بهذا البِدْع ، وأقدِر بشَعْبِ[2] هذا الصَّدْع ، وأقذِرْ بالسَّبّ والقذْع[3] ، وأحقِرْ بأمّة لم تنقذ معبودَها من الجِذْع ، أتظنّونه أعفاكم من طلب ثاره ، وأعادَ لكم يومَ ٣١ ب هول المُطّلَع من ناره ، أم تراه إذا نادكم للعَرْض وأوقفكم بين يديه للجزاء يأخذ عُقْه منكم ويوفّيه ، أم يترك النّاسوت هدراً ثلاثة فيه . ١٠

جاءوا بِعِقْيٍ ثم قالوا شرًّا[4] يا ويحَهم أحَمُقوا أم جُنّوا

ولمّا أعياكم التطيين والتحليق ، وأعيا عليكم التّدخين والتخليق ، وخلف على دينكم الجاثليق ، جعلتم خشبةَ المسيح بعد رفعه مسجداً ، وتوليتم مكانها عيداً ومسجداً ، هلّا نصرتموه فى حياته ، أو نحذّيتم تأليف أمّته قبل وفاته .

هلّا جعلتم رسولَ الله فى سَفَطٍ من الألُوَّة أحوى مُلبَساً ذهبا[5] ١٥

— مذهب قياصرة الروم ، الذى يسمى أيضاً المذهب الخلقدونى ، الذى أقره المجمع المعقود فى خلقيدونية سنة ٤٥١ م . انظر تاريخ الأمة القبطية (الحلقة الثانية ٩١ — ٩٢) . والنسطورية : أتباع نسطورس ، وكان بطريركا بالقسطنطينية سنة ٤٢٨ وأتى ببعض البدع ، فحكم عليه السنهودس الثالث المعقود فى أفسس سنة ٤٣١ بالعزل والنفى ، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد إخميم والنوبة ، ومات بقرية يقال لها « سيطلع » . انظر ما كتبته فى حواشى الحيوان ٢٠ (٤ : ٤٥٨)

(١) الأثلب : التراب والحجارة .

(٢) فى الأصل : « شعب » . وشعب الصدع : لأمه وأصلحه .

(٣) فى الأصل : « وأقزز » .

(٤) العِقى : أول ما يخرج من بطن الولد . وبى بالمكان : أقام .

(٥) الألوة : ضرب من العود . والبيت فى اللسان (ألا) لعبد أعرابى من بنى النبى صلى الله ٢٥ عليه وسلم وهو يدعى .

ثم مَهْيَمَ ، يا أبا مريم ، وهات الحديث عن مريم ثالثة آلهتكم والنُّصُب الذى تُوفِضون إليه صلاتكم ، أليست العذراء البتول ، المُحْصَنة أمّ الرسول ، الطيّبة النَّجر ، الطاهرة الإزار ، ما لكم قذفتموها يا سكار المهدِ قبل قذفها بيوسف النجار .

صلامة كخمر الأَنْك لا خَدَع فيها ولا مُذك[1]

يا عُواةَ الهُدَى ، وغُواةَ الصُّدَى ، لقد حدّثتكم ضلالاتُ السُّرَى ، وخدعتكم خيالاتُ الكَرَى

أطرِقْ كَرَا أطرق كرا إنّ النعام فى القُرى[2]

أىُّ حدة من أديكم يُرْقَع ، أم أىُّ حَلْى لسانكم يُقعقَع ، الإلحادكم الصاحبة الرحمن ، أم رميكم بالكذب ابنة عمران ، تصدّقون من مشيختكم لوقا ويُحَنّا ، وتكذّبون من قال لو أردنا أن نتّخذ لهوا لاتّخذناه من لدنّا . يا أصحاب ، وهل أمامَ هذه السوأة من حجاب .

حانيةٌ من عبقٍ أو بيشا تحنق حلق الثورة الحبش

لمثل هذا سقاك اسقه واتمه ، رحمت أمّنا لأفكم أمة .

أسمعُ صوتاً ولا أرى أحدا من [illegible] الشقِّ الذى أبح دمه

حاشى لإبراهيم أن يكون لكم أبًا وإن كنتم سببه فمه . ثم مه ، وهنكتَ هاجر أمة ، بَخْ بَخْ ، أرَمَ مقتبلك الفخّ ، يكاح ، أم سِفاح ، وكم بينَ محظورٍ

(١) الصلامة ، القوم المشهورون فى الحسب والشجاعة والسخاء . والأنك : موضع تنسب إليه الخمر . والمذك : المس والزجر لقطية بنت بشر الأسامية ، من بها مروان بن الحكم وهى تزجر بعدا وتدرج يدلو على إبل لها ، فخطبها فتزوجها فولدت له بشر بن مروان الأغانى (١ : ١٢٩ — ١٣٠) .

(٢) الكرا ، لغة فى الكروان ، وهو طائر صغير يشبه به الذليل والمثل يضرب للرجل الحقير إذا تكلم وغيره أولى منه بالكلام .

ومُباح . أبي لنُصعِ أمّاتكم الحنيفية جُنوح ، أو في نكاح عمّاتكم ما أوصى به نوح ،
لقد دهيتم من العار بجُمّه ورُمّه ، والفحل السَّوء يبدأ بأمّه . في الفرق بين السَّراري
والمهيرات ، وخيرهنّ الدائم وأبنائهنّ للأنبياء والخلفاء والسّادة السَّراة ، ما يرفع
الالتباس ، ويعرِّف بمُنجبات الناس . وسل عن منبِط داود وسليمان ، وبني
عبد المطلب وخلائف[1] بني العباس على أنّ العرب لا تتبجّح للأمّهات ،
ولا تتبجّح بذكر الحُرُمات ، ولا رضيتْ الشَّمارَ كفعلكم بالبنات ، بل وأدتها
الحفيظة قهرا ، ووردت بها حياضَ الثّكل صبرا ، واختارت لهنّ جُننَ
القبور صِهرا .

* والموتُ أكرم نزّالٍ على الحرمِ[2] *

وتقدّر يا قُدار[3] ، ما صيّرتَ لآلك في ذكر سارة[4] من حديثٍ مُدار .
ربّةِ الإياة[5] أمّكم ، بل أمه هاجرَ عمّكم ، ذارية السِّبط ، وعاريةُ صادوف
طرخان القبط ، إذ غصبها[6] ، ولولا عصمة النبوّة لعصبتها ، فتداركها اللهُ بأمنها

(١) في الأصل : « خلاف » .

(٢) من بيت لإسحاق بن خلف ، في الحماسة بشرح المرزوقي ٢٨٣ . وصدره :

* نهوى حياتي وأهوى موتها شفقا *

(٣) هو قدار بن سالف ، الذي يعني له أحمر ثمود ، عاقر ناقة صالح ، وهو مثل في الشؤم .

(٤) سارة ، ضبطت في اللسان (سلم ، هجر) بتشديد الراء ضبطا بالقلم . والوجه فيها تخفيف الراء . وفي سفر التكوين ١٧ : ١٨ « وقال الله لإبراهيم : ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي ، بل اسمها سارة » . وفي الحواشي أن معنى « سارة » رئيسة . انظر الكتاب المقدس طبع الأمير كانية ١٩٠٦ . وفي التنبيه والإشراف ١٤٣ أن هرقل ملك الروم أنكر على الروم تسميتهم العرب « ساراقينوس » ومعناه عبيد سارة ، طعنا منهم على هاجر وابنها إسماعيل . قال المسعودي : « والروم إلى هذا الوقت تسمى العرب : ساراقينوس » .

(٥) أصل الإياة ضوء الشمس وحسنها . وكانت سارة بارعة الجمال .

(٦) في القاموس أن الطرخان اسم للرئيس الشريف ، خراسانية . وفي فتح الباري (٦ : ٢٧٨) أن اسم الذي حاول اغتصابها عمرو بن امرئ القيس بن سبأ ، وكان على مصر ، ذكره السهيلي ، وهو قول ابن هشام في التيجان . وقيل اسمه « صادوق » وحكاه ابن قتيبة ، وكان على الأردن . وقيل سنان بن علوان بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاود بن سام بن نوح . حكاه الطبري . وانظر قصة اغتصاب فرعون لها في سفر التكوين ١٢ : ١١ — ٢٠ واغتصاب أبيمالك ملك جرار لها في ٢٠ : ١ — ١٨ .

ذات المسك المحس ، ومخلصتها من ملك عين الشمس(1) ، إذ نافحت عنها بإرهاص الوحي والتنزيل ، وشهدت ببراءتها عند إبراهيم الخليل ، فاختارها على أمكم لوراثة أمره ، وتسرّاها بعد غابرٍ من عمره ، فكانت بكرَ سلالته ووصيّ أبينا إسماعيل صلوات الله عليه حامل رسالته ، وما زالت أمكم حتى نافستها في السلام ، ووسمتها بثلاثٍ لمذرها فهن سنّة في الإسلام(2) ، ولم ترض لها بيسان بيتا فرضي الله بالبيت الحرام .

لزّت بها ضرّةٌ زهراء واضحة ... كالشمس أحسن منها عند رائيها

ورحلت عنها أثرة العراق ، طاهرة الأعراق ، سائرة مع جبريل على البراق ، فبحقٍّ تزهى بنو هاجرَ ، بالتهاجر ، وتنتفى بالتكاثر والتفاخر ، يا فاخر .

رأيت اللســـان على أهله ... إذا قاده الجهلُ ليثا هصورا(3)

وأما ما جلبتَ عليه بإحدى رجليك ، وكنتَ به حذاء صدرك بصالَ نبلك من ذكر صواحب الرايات(4) ، والشارين بأمثال أمك التيبات ، فقد رجعتَ في ذلك بإشامٍ على أدراجك(5) ، وبحثتَ عن مُديةٍ لأوداجك ، حلاّ أمَّ عامرٍ(6) عاثرٌ ناديها من أقرب طِيّة ، ورحتْ بك إليه عُروق(7) من سُميّة . دونك هيلي بكيلك الوافي ،

* واعرنزمي ميّادَ القوافي(8) *

---

(1) من عين شمس ، المدينة المصرية المعروفة ، قال ياقوت : « اسم مدينة فرعون موسى » .

(2) في اللسان (هجر) : « هاجر أول امرأة جرت ذيلها ، وأول من ثقبت أذنيها ، وأول من خفض . قال : وذلك أن سارة غضبت عليها فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها ، فأمرها إبراهيم عليه السلام أن تبر قسمها بثقب أذنيها وخفضها ، فصارت سنة في النساء » .

(3) أنشده ابن قتيبة في عيون الأخبار (١ : ٣٣٠) برواية :

* إذا ساسه الجهل ليثا مغيرا *

(4) انظر ما سبق في ص ٢٤٩ . (5) الشام : التكبر ، يقال شم ، أي تكبر .

(6) تهكم بكنيته « أبو عامر » انظر ما سيأتي في ص ٢٨٠ س ٧ .

(7) في الأصل : « عرق » .

(8) لابن ميادة ، واسم الرماح بن أبرد . وميادة أمه ، كان يضرب جنبيها ويقول لها :

* اعرنزي ميّاد القوافي *

=

سُمَيَّةُ أخيذةٌ من أُسَراكم(1) ، وسريّةٌ تصيّرت إلى أبي جَبْر(2) ثم إلى الحارث ابن كَلَدة من هدايا كِسراكم ، فزوّجها الحارث مسروحًا(3) في حيٍّ مُضاع ، وبيت قعيدتُه لَكاع ، تسرح في حِيَال(4) ، ويبيت عندها مصطلبًا شيخُ العيال(5) فإن كان وافَتْها حبيبةَ عهد ، أو سافحها أو خاللها عن قصد ، فسافحته بما سافحها . ثم صارت إلى عُبَيد ، بغير عقد ، وظنّت أنّ في كل أوديتها بني سَعْد(6) .

كعادتها فيما مضى من شبابها ... كذلك تدعو كلَّ مرءٍ أراملُه

أتراها من اللاتي عشر ألفًا بميَّن ، ببلاد الأرمن ، حاضرةِ مُلككم ، وسُمَيساط(7) واسطةِ سِلككم ، اللاتي حظرهنّ طاغيكم عن التزويج ، وأباح

= يريد أنه يهجو الناس فهم يهجونه ويذكرون أمه . والمرزم : تخس ، وفي الأصل : « والمرى » ، صوابه في الشعراء ٢٤٧ والأغاني (٢ : ٨٦) . وبعده

واستمسعين ولا تماق ... ستجدين ابنك ذا قذاف

(١) كانت سمية من أهل زندورد ، وهي مدينة كانت قرب واسط . معجم البلدان والمعارف لابن قتيبة ١٢٥ .

(٢) في الأصل : « ابن حبر » ، تحريف . وفي المعارف والعقد (٥ : ٤) « أبو الخير » تحريف كذلك . وأبو جبر كان أحد ملوك اليمن ، واسمه كنيته ، وقيل هو أبو الجبر يزيد بن شراحيل الكندي ، وقيل أبو الجبر بن عمرو الكندي . وفيه يقول ابن دريد في مقصورته المشهورة :

وسامهت نفس أبي الجبر الجوى ... حتى حواه الحتف فيمن قد حوى

انظر ابن خلكان (٢ : ٢٩٤) في ترجمة يزيد بن مفرغ .

(٣) وكذا عند ابن قتيبة في المعارف ، لكن ضبط « مسروح » بالقلم . لكن في العقد وابن خلكان أن زوجها هو « عبيد » ، وهو عبد وهبه أبو الجبر للحارث بن كلدة مع سمية . وهو الصواب ، فقد ورد فيما روي من خطبة لزياد بن أبيه : « فأما عبيد فإنما هو والد مبرور ، أو ربيب مشكور » . انظر العقد (٦ : ١٣٢) ومروج الذهب (٣ : ١٦) . وما ذكر هنا يجمع بين الروايتين .

(٤) نوق حيال وحول : لم تحمل .

(٥) يقال صلب العظام واصطلبها : جمعها وطبخها واستخرج ودكها ليؤتدم به . قال الكميت :

واحتل برك الشتاء منزله ... وبات شيخ العيال يصطلب

(٦) إشارة إلى المثل : « في كل واد بنو سعد » .

(٧) في الأصل : « سيماط » ، تحريف . وسميساط : مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي العراق ، ولها قلعة في شق منها يسكنها الأرمن . معجم البلدان .

مروحهنّ لمراميل الدُّلوج ، بوظيفة دينارين ونصف دينارٍ فى السنة على كل واحدةٍ وقَفَها على مأكله ومشربه ، وجعلها سُنّةً باقيةً فى عقبه .

فلولا الرِّيح أُسمع من بحجرٍ صليلَ البيض تُقرع بالذُّكور(1)

فيا لها سمعةً ، أضاعت طِلبةً ، وعمّتْ إفادةً ، حسبتها زيادةً ، وركاه حراج ، يخص رُبْدَه إدخال وإخراج ، وعلا فى كل بيقةٍ عن أبى سُواج(2) ، أتحيط ، يا بليط ، بهذه الروايات حسبانا ، أو تحصّل لها بظورا أو حُوقانا . لقد نبّهت بهذا السماع هاما ، وصقلت لإقراع بها بَلَدًا وشاما . أظنّك هذا اعتمدت ، أو جمعت فافاتِ الكندى(3) وأنشدت :

شرف ينطح النجوم بروقَيـ ـهِ وعزٌّ يقلقل الأجبالا(4)

مهلا يا جاهلُ ، وشرّ مُجاهل ، سقّت البيت الثانى بعده والثالث(5) ، وصفتهما بشرف قومك على إيقاع الثانى والثالث ، أأردت يا صمّ أن تخلع غارها النغلىّ ، وتكسوه مغلوبه الدمستق(6) السبىّ ، إذ أذاقه سيفُ الدولة بأسًا ونكالا ، وغطّى منه ثنيّة الحدَث حِينًا وقذالا(7) .

(1) البيت لمهلهل . والرواية المعروفة : «بأهل حجر» . وانظر حواشى البيان (1 : 124) .

(2) أبو سواج : رجل من ضبة كان له جوار فى بنى يربوع [illegible] وأهله ، فاحتال فى [illegible] وهو صرد بن حمزة اليربوعى — بأن [illegible] ، فعير بنو يربوع بذلك . انظر شروح سقط الزند 1785 — 1788 .

(3) يعنى المتنبى ، وهو أحمد بن الحسين الجعفى الكندى الكوفى .

(4) من قصيدة له فى مدح سيف الدولة . الديوان (2 : 104) بشرح العكبرى . وانظر ما سبق فى ص 251 .

(5) هو قوله :

حال أعدائنا عظيم وسيف الـ ـدولة ابن السيوف أعظم حالا
كلما أعجلوا النذير مسيرا أعجلتهم جياده الإعجالا

(6) الدمستق ملك الروم ، وفى الأصل : «الدمستق» .

(7) يعنى ثنيّة الحدث قلتها . والحدث : مدينة بين ملطية وسميساط .

وحماها بكلِّ مطرَّدِ الأكـ ـعابِ حَوْرِ الزمانِ والأوجالا[1]

ألم يأنِ لك أن ترجعَ في الروايات إلى رِبِّيتك ، وتأخذ هذه الصحة من رِبِّيتك[2] ، وتستر دونها من عُوَارِي ، وتغطِّيَ هذه الفضيحة بأطمارى ، فارتعْ لا ربعت ، ولا طِرتَ مع النَّوكى ولا وقعت .

ومُذْ زمانٍ يَطُرُّ أنفك واحمرَّ أيرُ أبيكِ الفسلِ كُرّاثُ عاسمِ[3]

وأمّا غوسك بالإيمان[4] ، وتوسعك في خبر أبي رِغال[5] ، فتاهيك من تفوّق مثالِب ، وباحثٍ أثلةِ عدوِّهِ ناصب ، صبّه القَشَر ، وصابه الأمر ، فساق[6] لأعدائه الأعراض والوسوم ، ووصف لهم الأطلالَ والرسوم ، حتى بلغ حتفه أبا يكسوم ، فأبرّه بالمعمّس سعد حبائله ، وأرلّه عن محمودٍ غير محمود لاستنصاره[7] ، وأسلمه الصّلّيم الصالم ، فهل هو في دايال همْدان ظالم[8] ؟

وعلى أنّ العربَ لم تُغفِر دينه في استكانته للأعدى ، ودلالته للحبش بفيل المعدِي ، ورَجمتْ قبره كما رَجمتْ قبر العبادي[9] .

---

(١) في الأصل : « والأحالا » ، صوابه من الديوان

(٢) ربى . الحبر العالم . والربى أيضاً : الجماعة الكثيرة

(٣) الفرزدق في هجو سنسى ، كما في الحماسة بشرح المرزوقي ١٤٨٧

(٤) في الأصل : « عوسك » تحريف والغوس ، بالمهملة : لعوف بالناس ، وهو أيضاً الوصف

(٥) أبو رغال . رجل من ثقيف ، وهو الذى دل أبرهة أبا يكسوم على الطريق إلى مكة ، وخرج معه حتى أنزله المغمس ، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك فرجمت قبره العرب . السيرة ٣٢ جوتنجن . (٦) في الأصل : « فساب » .

(٧) محمود : اسم الفيل الذى وجه إلى الكعبة .

(٨) إشارة إلى قول عمرو بن براقة الهمدانى ، في الأمالي (٢ : ١٢٢) :

وكنت إذا قوم غزونى غزوتهم فهل أنا في ذا يال همدان ظالم

(٩) في الأصل : « العبادى » ، تحريف وفي مروج الذهب (٢ : ٧٩) : « وفي طريق العراق إلى مكة — وذلك بين الثعلبية والهبير نحو العذاب — موضع يعرف بقبر العبادى ترجمه المارة إلى هذه الغاية كما ترجم قبر أبي رغال » .

ها إنها عِدرةٌ إلّا تكُنْ نفعت فإنّ صاحبها مشاركُ النُّكدِ[١]

وتعرف ، يا مُقرف ، إذ أحترقتَ نشْنه ، وسَخِرت لانتصاف قُصَيّ من أبى غُبْشانا ، والأصح فى الآثار ، عن نقلة الأخبار ، أنّ أبا غُبشن ما أضاع البيت ولا باعه ، وأن عبد مناف وأخاه رواحاً علبا عليه خُزاعة[٢] ، وانتزعاه منه عنوةً ورأى اللهُ انتزاعه ، وإن صحّ البيع فى منفرد لإسناد ، وانتسب إلى أهل الجدَل والعناد ، فخُزاعة لم تُعرقْ فى السِّدانة ، ولا كان لها طوقٌ بحمل تلك الأمانة ، فربحت بخسِها ، وصَحّت عن غلبه ، وأسلم أبو غُبْشان مفاتح الكعبة لأهلها ، وورثة الدّعوة الإسماعيلية ، وخالصة الملّة الإبراهيمية ، فُرعة ولد إسماعيل فى قصيّ وعبد مناف ، والعِترة الهاشمية أولى الرِّحلتين والإيلاف

الخالطين فقيرهم بغنيِّهم والظّاعنين لرحلة الأصياف[٣]

أربح بها صفقةَ تمر ، وولاية أسرٍ ودس ، وشراء أمّ رحمٍ بزق خمر[٤] .

شرت القلوبَ رخيصةً أعلاقه ومضى يمصُّ بنانه المغبونُ

أين مِثلُ هذا ، من حواريِّكم يهوذا ، الذى هو عندكم أفضل من موسى بكر التنزيل ، وخير من نوح وسرافيل[٥] والخليل ، إذ سامَ بالمسيح عيسى على دعواكم سَوْمَ العبيد ، وباعه بثلاثين درهماً من اليهود ، فتلوه الحَبْط ، وسقوه الخلّ وأوشوه السَّبط[٦] ، ثم حبسوه ، ومسحوه وصلبوه ، ثم — وقال الله تعالى : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ وما فتئتم بعد تولون يهوذا التّعزير والتبجيل ، وتأخذون

---

(١) للنابغة الذبيانى فى ديوانه ٢٧ .

(٢) انظر ما سبق فى حواشى ص ٢٥٢ .

(٣) لمطرود بن كعب الخزاعى فى السيرة ١١٤ جوتنجن . وروايته فيها :

للسمين إذا النجوم تغيرت والظاعنين لرحلة الإيلاف

(٤) أم رحم : اسم من أسماء مكة .

(٥) كذا . ولعله « إسرافيل » ، وهو الملك الموكل بالنفخ فى الصور

(٦) السبط : ضرب من النبت . وانظر إنجيل متى ٢٧ : ٣٣ — ٣٤ ومرقس ١٥ : ٣٦ ولوقا ٢٣ : ٣٦ ويوحنا ١٩ : ٢٨ — ٣٠ .

عنه مختلفات الإنجيل ، وتسجدون له ولصاحبيه مَرْقُسَ[1] ومَتّى ، وتزعمون أنّهم يمشون على الماء ويُحيون الموتى . شاهت تلك الوجوه ، ولا عُدم اللّطيم منها والمنجوه[2] .

إذا لم تخشَ عاقبة اللّيالي ... ولم تستحيِ فافعلْ ما تشاء

ذلك كلّه والنّبوّة عَصَبةٌ تمانها ، وعَصا المسيح بقرنها ولحائها ، والوحي من ورائها ، والمَلَك على أرجائها ، والعهد جديد ، والحقفة حديد . لكنّهم :

رعوا سهمٍ قطيعةٍ تهوي به ... ريشُ العقوقِ فسارَ غير سديد

فأينَ سُعاة الضّروح وسُتاة السّروح ، بل عَصَبة السّموح ، ولَمقة الدّم المسفوح ، متى ملكوا الأرَضين ، أو أعطُوا من جزيرة العرب مارِجين[3] ، أبعد أن استباحتهم الخنادس ، وضُربت عليهم الجزيةُ وكانت أوّلَ حراجٍ بالزّمان . فما زالوا تشغلونهم من أبنائكم بالأماثيل ، ويعملون لهم ما يشاءون من محاريب وتماثيل ، حتّى أخدموكم بيوتَ النّيران ، وقدّموكم للحرث مع الثّيران ، فما أنِفَ ذو جاهِكم ولا أنْقَر ، ولا أحلى ولا أمقر[4] ، كذلك الكلاب على البقر[5] . أهده الأَجُد البُهَم ، لا رعاة شياهٍ ولا بَهَم[6] . ومَنْ أرعى الشّوَيهات يا كَشاجم[7] ، غير الفُتَعاء والأعاجم ، سُوّاس الخنازير ، وحُرّاس

---

(١) كذا بالشين المعجمة ، وهو مرقس ، ويسميه المسعودي « مرقس » .
(٢) نجهه : استقبله بما يكره ، وزجره وردعه .
(٣) سبق مثل هذا التعبير في ص ٢٤٩ .
(٤) أمر . كف وأقدم . وأمقر : كان مرا وفي الأصل : « أمعر » ، تحريف .
(٥) هو مثل ، يقال بالرفع والنصب ، أي أرسلها على بقر الوحش ومعناه خل امرأ وصناعته
(٦) انظر ما سبق في ص ٢٤٧ .
(٧) كشاجم : لقب لشاعر معروف ، واسمه محمود بن الحسين . توفي سنة ٣٥٠ أو ٣٦٠ . الفهرست ٢٠٠ ، وسير النبلاء القسم الثاني من الجزء ١٠ ص ٢١٨ ، وحسن المحاضرة ١ ٢٦٨ وشذرات الذهب ٣ . ٣٧ . قالوا سمي بذلك لأنه كان كاتبا شاعرا جوادا منجما ، ثم مهر في الطب فقيل « طكشاجم » .

الحزير، مَدْحة الأكَر[1]، ولَقْمة الشَّعر لا السُّكَّر، ما حاكوا — فلُتَّ —
بُرودا، ولا ساسُوا تُرودا، ولا لاكوا عُرودا لقد أوضحتَ لو وافقت، ووصفت
لو أنصفت، هل لى فى رَدْم البرودَ بنيسابور، وغَرْسِ زيتونَ العراق لسابور
إذْ غلَّ أيديكم، وكسر صُلبانكم، وسير على البَلْبلة نشعاء العُلْمة ولدانكم،
٥ تمشُدّم وعضّدم، وسوَّرهم وخلدهم[2]، وطوَّقهم وقرطقهم[3]؛ وماشهم
وطَرّقهم[4] وبعد ذلك أخذ فى حَذّكم ونفسكم، وزنق قفحة هرقلكم،
فصارت فى ملوككم مُثْلة، ولهذا لم تُرْتَق بعدُ فى أرضكم بلة، إمَّا لتحرُّج من
الأعداء[5]، أو تحرُّج من شماتة الأعداء، يفعل هذا بالدَّليل يابنى الصَّيداء[6]!
تُرَى، يا قَثَم وادى القُرى، حَضَر هناك لسلفكم حوكُ بُرود، ورشفُ تَرود،
١٠ ولوك عرود، ورُزْها، يا رُزْهى، عدامة بهود، كما رعمت وسياسةِ قرود، وتذكَّرْ
حال أيامك، وقدِّر على هذا لاصبع ثمة حَيْدِمك.

ولا تجزعنْ من سيرة أنت سِرتَها وأولُ راضٍ سيرةً من يسيرها[7]

٣٤ / ب

---

(١) يقال تدحت الشيء تدحا، إذا وسعته . والأكرا: جمع أكرة، وهي الحفرة فى الأرض

١٥ (٢) خلدم: خلاخل بالخلد — بكسر ففتح — وهى الأقراط

(٣) القرطق، بضم القاف وفتح الطاء: القباء. معرب « كرته ».

(٤) أصل المَيْش خلط الصوف بالشعر، والطرق ضرب الصوف والشعر بالقضيب لينتفشا . قال :

عاذل قد أولعت بالترقيش إلى سرا فاطرقى وميشى

٢٠ (٥) الأعداء : جمع عدى، وهو الزرع لا يسقى إلا من ماء المطر ولعلها « الإعداء ».

(٦) إشارة إلى قول زيد الخيل، وكان بنو الصيداء — وهم من بنى أسد — قد أخذوا فرسه :

يا بنى الصيداء ردوا فرسى إنما يفعل هذا بالذليل

الأمالى (١ : ١٢) والأغانى (١٦ : ٤٧) والعقد (٣ : ٣٤١) .

٢٥ (٧) لخالد بن زهير الهذلى . الشعراء ٦٣٧ وديوان الهذليين (١ : ١٥٧) .

وما ذكرت من إتاوة غسّان، لسَليح يا خَطِل اللسان[1]، فتلك سارية من خلال الأزد، وفَلّالِ عَرِم السّدّ، زاروا لقومهم البلادَ فصَلُوا، ووَفَدوا ملأهم فقلّوا، فما عدام، أن داهنوا عِدام، حتّى استقلّوا، وأسِروا دمّلوا ولمّا تداركَ غارُهم، ودعا دَرَاكِ جارُهم وعاصمهم، فضرّوا حُطامهم، وقصروا مَطامهم، وأعطام جِذعٌ من سيفه ما أعطام[2]، ثم حمل قومَه بعدُ ضربوهم في الأعراض والرّواجب، ويفاوضونهم بين الصّمَّرة والرّواجب[3]، حتّى استرهنوا منهم قوسَ حاجب[4]، رغبةً في خدمهم، وإجارة سفرهم، وتحوير ظعنهم، وتحويز حطائمهم[5]، وحسنتْ ملوككم تخوّفنا بالحمائل والوصائع، وتمنحنا ضروب الوشي والقطائع

وإساءاتُ ذى الإساءة يذكر نك يوماً إحسانَ ذى الإحسان

هذه أمياتكم لا كاسرة، وأحياؤكم القياصرة، لاهَ الله[6]، لا العبوج المتقاصرة، وعُلُوج تحت نصر وناصرة[7]، عاملو المهن، وحاملو الأُهُن[8]، وبادلو

---

(١) سليح، بالحاء المهملة: هم بنو سليح بن حلوان، بطن من قضاعة. وفي الأصل: «لسليح»، تحريف. وكانت غسان تؤدي إلى ملوك سليح دينارين كل سنة عن كل رجل. العقد (٣ : ١٢٢).

(٢) جذع، هو جذع بن عمرو الغساني، وكان سبطة بن المنذر السليحي يلي ضرائب غسان، فجاء يطلب جذعاً بالدينارين، فدخل جذع منزله واشتمل على سيفه ثم خرج فضربه به وقال: «خذ من جذع ما أعطاك»، فامتنعت غسان من الدينارين بعد ذلك.

(٣) الرواجب الأولى: جمع راجبة وهي مفاصل أصول الأصابع. والثانية أراد بها الغزوات التي في شهور رجب.

(٤) هو حاجب بن زرارة التميمي. انظر قصة قوسه في ثمار القلوب ١٠٥ والعقد (٢ : ٢٠)

(٥) جمع حطيمة، بمعنى خطم الناقة، وجمع على أنها الحطام. وفي الأصل: «حطائمهم».

(٦) ها الله، بمعنى والله، وها التنبيه قد يقسم بها

(٧) ناصرة: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا.

(٨) الأهن: جمع إهان، وهو العرجون.

السَّكَن ، والهَن ، يا طَغام الأحلام ، وحُمّال أوتار الحُلّام[1] أهذه الحلال ،
واستقراء الأحوال بهذا الاستدلال ، نحن أرقاؤكم وحمدتكم ، وعُتقاؤكم
وعبدتكم ؟! لو سائرة شوارٍ كلّمتنى ، أو ذات سِوارٍ لطمتنى ! ألم تدر يا أمنز[2] ،
يا مُحيىَ الحنز[2] أنّ جدّنا يعربَ هو الذى أرقاكم ورصكم ، وصقع البجّ من
صقعكم ، ووسمكم بسوادِ جلدته وسفعكم ، وأجلاكم عنكم إلى ريف عُمان
وماسان ، وأطراف خراسان ، فلمّا غمطتم نعمته ، وأمطتم إمّته[3] ، عادكم من
عبده ، وسابقةِ وعبدهِ ، ذو نواسٍ[4] عاسكم وداسكم ، وخرّب نواويسكم ،
وبهر أنفاسكم ، وحدّكم عن ماء المعمودية[5] ، وردّكم إلى دين اليهوديّة ، فمن
أىّ دينٍ تحتسون ، أو إلى أىّ رحم تُنسبون ، أ إلى الأنبياء الثّورية ، أو إلى
الأعبياء النّسطورية[6] ، والأدعياء الصّفّورية[7] ، نسبٌ موضوع بين العار
والكفر ، ومنتسبٌ مقطوع فى رومة ونهر الصّفر .

تخالفُ فلا والله تهبط تلعةً من الأرض إلا أنت للذلّ عارفُ

(١) الحلام : القتيل الذى ذهب دمه باطلا . قال مهلهل :
كل قتيل فى كليب حلام حتى ينال القتل آل همام

(٢) الأمنز : المطلق اليدين . والحنز : [illegible] ، وهو حامض صغير لم يشكل ولم تنوه . فى الأصل : « أختز » و « الختز » ، تحريف .

(٣) الإمة ، بالكسر : النعمة .

(٤) أحد أذواء اليمن . وكان أهل نجران على النصرانية ، فسار إليهم ذو نواس فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك والقتل ، فاختاروا القتل ، فخد لهم الأخدود وصنف فيه النيران حرق من حرق ، وقتل بالسيف حتى أسرف فى ذلك . وفى ذلك نزل قول الله تعالى : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود » . السيرة ٢٢ — ٢٥ .

(٥) فى الأصل : « المودية » ، تحريف . والمعمودية ، بتخفيف الياء ، وتقال بتشديدها : ماء للنصارى يغمسون فيه ولدهم للتطهير . وفى تاج العروس أنه معرب من « معموديت » ومعناها الطهارة .

(٦) انظر ما سبق فى حواشى ٢٦٢ — ٢٦٣ .

(٧) نسبة إلى صفورية : بلد بالأردن .

وما لكم ، والذي كَثَّرَ آلكم ، وأنتم أعجز الأمم سولا ، وأجبرها فحولا ، وأثقلها ظهراً مرحولا ، ومنكم الأسقفّ والمطران ، والبطرك والبطران[1] ، وفيكم الخَبَبُ والخصاء ، والمدّ في وَدْعة المياس والإحصاء[2] ، إلى إفراد رئيسكم ورهبانية شمّاسكم وقسيسكم ، وأنتم مع ذلك أكثر أهل الكتاب عدداً ، وأنثق نسائهم ولداً[3] ، ما ذاك إلّا أن ضربت فيكم الأكراد والأنباط ، والحبشة والأقباط ، فمنكم الصُّفر والسُّمر ، والعُفر النُّمش الحمر ، يظاهرون عقربهم لا منجبيهم ، والأمُّ تضحك منهم لعلمها بأبيهم :

ألا أنها تسري إذا نام أهلها ... فتأتي بشيء ليس في الظنّ يخطُر

وما فخرت به يا حمار ، يا ميراث أعار ، من صنعة الأسترلوميق ، وعلم الأرتماطيق والأوطيق[4] ، كعمر الأمة بحذج رتبتها ، ذلك لمستعطى يونان وساسان ، وكينية بابل وكلدان وكاسان ، أصحاب العلوم الأرضية ، والعالم الرياضية ، من الطبقة الفيثاغورية ، والفلاسفة الهرمسية . معالم عفت منكم آثارها ، وطمست أنوارها ، بغواية قسطنطينكم ، وغباوة المعلق لدينكم ، ابن الهلانية[5] ، وتم الملة الطاغية .

حبوت النصارى بها مُحسناً ... لهـا غيرَ كاتمِ أسرارِها

ولم أدرِ أنك من قبلها ... تحبّ السّياط بأثمارها[6]

---

(١) البطرك والبطريرك ، هو بالرومية « بطريركس » تفسيره رئيس الآباء » . انظر التنبيه والإشراف ١٢٣ .

(٢) المراد بالمياس الماسحة . ويقال ودع الماء يدع ، إذا سال .

(٣) نثت المرأة : كثر ولدها .

(٤) انظر ما سبق في ص ٢٥٩

(٥) يعني قسطنطين بن هيلانة . قال المسعودي : « وهو أظهر دين النصرانية وحارب عليها حتى قبلت وانتشرت في البلاد » . التنبيه والإشراف ١١٦ . وانظر الفصل (٢ : ٧٣) .

(٦) ثمرة السوط : عقدة طرفه . وذكر الثعالبي في الكنايات ١٨ أن ثمرة السوط يكنى بها عن الفقد . وأنشد دعبل :

إني لأعجب من تقطع ثمارها ... قد صار ما سجدنا للشمس والقمر

أراد أنها لم يحسا . وانظر الكلام على هذه الكناية نادرة حواشي الحيوان (٣ : ٢٢٨ — ٢٢٩)

اللهمّ ماقلة بكم من فارس[1] ، وحَذَمة تلك المدارس ، لقنوا من آثار اللحون طريقَة ، وحكَوها تقليداً لا حقيقة ، يتدون بها فى نوحكم ، ويقصِون عليها فى سَمابيكم وبِصحكم ، فما أنتم وذا ، لا قُدِّيت[2] أعينكم من قذى ، إن قلتُ : لكم بوطيق لا موسيق ، وأرضرثيق لا جومطريق[3] ، وصفتُ قومَك ، وعرّفت سومَك .

إيّاك يعنى القائلون بقولهم إنّ الشقىّ بكلّ حبل يخنق

وأمّا بيتُ يا سفساف ، من العرب فى نائلة وإساف ، فذانك صخرتانِ نُصِبَتا كاللّات ، وثالثتهما مناة ، وجدُوها على رسم مَوائِلَ جُثْما[4] ، وطافوا بها ظنّاً أن تقربهم الى الله زُلَفَى . فإن صح الخبرُ ووضح الأثر ، فمسحهما عبرةٌ لمقارفة العبث ، وموافقة الفسوق فى حرم الله والرفث ، وزيادةٌ فى الإنذار ، وأحد فى تعظيم شعائر الله بالإعذار . أين هذا المعقّد يا بنى الأستاه ، الأجلاه ، من جحود السماء عندكم سبحانه سنة أن بعث لكم اسم ابن الله ، وأن يُحيِا المغيثَ المنزلَ المطر[5] ، الآتى من أسُس[6] فى الكلامة والجلاد بالبهت المُسْطَر[7] ، مسجّى فى بيته الآن ، من ذلك الأوان ، عبيط الدم ، عصىّ الأدَم ، مشيراً باليد والقدم

يحج مأمومةً فى قَعرِها لجَفٌ فاستُ الطبيب قذاها كالمغاريد[8]

---

(١) اللهم ، كلمة تستعمل فى الاستثناء بمعنى إلا . انظر شفاء الغليل ٢٠
(٢) قذى عينه تقذية : أخرج منها القذى .
(٣) انظر ماسبق فى ص ٢٠١
(٤) حلقه ، لعلها « جثما » جمع أجثم ، وهو الصنم ، أو الحجر الظهر
(٥) فى الأصل : « بلعنت لمنزل المطر » . (٦) فى الأصل . « أسيس » تحريف .
(٧) المسطر . المكتوب . وفى الكتاب : « وكل صغير وكبير مستطر » .
(٨) البيت لعذار بن درة الطائى ، كما فى اللسان (حجج) . يحج : يعالج . والمأمومة . الشجة تبلغ أم الرأس . وفى الأصل : « مأمونة » صوابه فى المقاييس (حجج) واللسان (حجج ، لجف ، غرد) والحيوان (٣ : ٤٢٥)

وأنسيت ياهامان ، ما وعوعتَ به وجمجمت في قبر كسرى والنعمان .

يا مدّعى شُـو ران مدل جدّه قل لى لمن أهماسُ والفيّـــوم[١]

أحرار الفرس كفاؤنا ، وأعداؤنا أكفاؤنا ، محلد ومحطم ، وكما قال أحو لقمان . « ألعمك إذا لم أجد من أُطم » . فما للروم والفرس ، أولى الأراكنة المُلس[٢] ، ولأماريت الخُمْس . « حَنَّ قِدحٌ ليس منها » ومع هذا فقد أنبأتك الأممُ الخوالى ، والزم الموالى ، أنّ العرب لا تنكح العجم ولا الموالى ، لذلك أحبّ أرور أن تصيّرها تهامته ، وأراد من أبي قابوس أن ينكحه إحدى

٣٦/أ أخواته ، ويستولى على حُرَمه وحُرُماته ، فرغب عن صِهره ، على عظيم أمره ، وطوى الحديث معه على عزّه ، وأغراه في قومه بالسّواد . وأحاله على تقرّ السّواد ، فكان في حقّ الإباء ، وكرم الآباء ، ألا يلوى إليه صفحا ، ويصرفَ عنه الذكر صفحا ، ويأبى بكسرويّته ، ويشمخ بقوميّته ، ولا يرجع لمدره وكَيدِه ، ويستزيده خدعة وقد نصب لصيده .

ذئب ملاقٍ كيدُه دارع صادف ليثاً كيدُه حاسرُ

والذى دلّ على فَسالته ، وخفّة نُسالته[٣] ، رأيه العاجز بعد موته ، في حرائبه ونُزُله[٤] وتهافته على أخذ ماله وأهله ، فحماها عنه ذُؤْبان العرب وخُمْسها ،

---

(١) سوران ، أصلها « سودان » أو « سوراب » وهما من بلاد الفرس . وأهماس : قرية قريبة من الفسطاط ، ذكر بعضهم أن المسيح عليه السلام ولد بها . ياقوت .

(٢) في القاموس (ركن) : « والأركون ، بالضم : الدهقان العظيم » ومثله في اللسان . وفي معجم استنجاس ٣٨ أن الأركون هو الرئيس أو الحاكم والكلمة يونانية الأصل دخلت في الفارسية والعربية .

(٣) النسالة ، بالضم : ما سقط من الريش .

(٤) الحرائب : جمع حريبة ، وهو المال المسلوب . وفي الأصل : « حرائبه » .

شَيْبانها ومازنها وأوسها ، وصدُّوه عن حَوزته إلى الأطرار[1] ، واتّبعوه بحربِ ذي قار ، ثم أزالوه عن مُلك ظَفَار[2]

إذْ جنبنا خيلنا من ظفار ثم سرنا بها مسيراً بعيدا[3]

فاستبحنا بالخيل مُلكَ قُباذ وابن أغلود جاءنا مصفودا[4]

فبعد أن زوركم ، لا أبنَ عيركم ، لدى مذاكره تمخّضتْ ، وعدّته رخّضت ، هو الذي دوّخ أبدانكم ، ووطئ أكنافكم[5] ، وأورثنا وراثته الملك من أسيافكم ، وحطّكم من الحزوم ، وأقصاكم إلى أسد النجوم ، وبه نزلتْ فيكم («الم غُلِبَت الرُّوم») ، فأخذنا الخؤولة فيكم بشرفه ، ونَضَحنا بالحية من عارها[6] ، وتداعينا بقصر الحمراء ودورها ، وبالأهرام الحربية ، والمصانع اليمنية والمصرية ، من أبناء ذي مَرْثَد[7] والصَّباح ، وحديثة الوضّاح ، وأبرهةَ ذي المنار ، وعمرو ذي الأذعار ، وناشر النِّعَم[8] والرائش ، وسمة ذي فائش ،

---

(١) الأطرار : الأطراف ، جمع طر بالضم

(٢) ظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء . وفي الأصل : « ذفار » في هذا الموضع والبيت بعده ، تحريف

(٣) من قصيدة منسوبة إلى تبع في أخبار عبيد بن شرية ٤٥٨ وروايته :

وسلْ عن مسيرنا من ظفار بجموع تؤم عورا بعيدا

(٤) في أخبار عبيد ٤٥٩ :

واستبحنا جميع ملك قباذ وجبيناه صاغرا مصفودا

(٥) الأكناف : النواحي . وفي الأصل : « أكتدكم » ، تحريف

(٦) النضح : الذب والدفع . وفي الأصل : « نصحنا » ، تحريف

(٧) في الأصل : « من ذي أبناء مرثد » ، تحريف . وذو مرثد ، هو الرائش الأصغر ، واسمه الحارث بن الهمال ذي شدّد ، أحد ملوك اليمن . التيجان ٧٨ — ٧٩

(٨) انظر مروج الذهب (٢ : ٧٦) والتيجان ٢١٩ وأخبار عبيد بن شرية ٤٢٥ حيث ذكر في الأخير علة تسميته

والمدهاد ، وابن عبّاد ، والحارث بن شدّاد ، والفيّاض [1] والضحاك [2] والبرّاض [3] ، والحارث بن مُضاض

٣٦ ب

هو مشهد الفصل الذى ما بحانه سكسرى بن كسرى لا شامٌ ولا عَرَبُ

فما هو إلا أن وضح التمييز ، ورجح التبرير ، وقيل هذا دِرَفْش [4] راية أزديرز ، فلاحين موِّصا سينه ، وحللا سّنداه ، ورلما بوابه ، وأحدما بيرانه .

ولم أرَ أمثال الرجال تفاوتوا على المجد حتى عُدَّ ألفٌ بواحدِ

ولله أيامٌ بالقادسية واليرموك ، وغدةٌ منهم مواليكَ وأولكَ وحوك ، يا عَبيد العبيد ، وعَبيد العبيد

لو كنت من عجمة الموالي إذاً لم تنتشوا في نُخبة العرب

إذ حشدوا أحقاد الرمل ، وأعدّ دَ الجمل ، قد احتشدوا ، واحتدموا واحتقدوا ، فمن دمائهم ما حاصروا ، واصطلائهم ما أوقدوا . وبعد ما تنادوْا يا أساورة تأهّبي [5] ، وقلنا يا خيلَ الله أركبي

بضربٍ تُرَضُّ الأحشاءُ منه وتَبطُل مهجةُ البطلِ النجيدِ

---

(١) هو عبدالله بن جدعان انظر خبره فى الاشتقاق ٨٨ — ٨٩ والحيوان (٢ : ٢٠٢) .

(٢) الضحاك أحد ملوك الفرس ، وهو المسمى بيوراسب وفى التنبيه والإشراف ٧٦ أن اليمانية من العرب تدعى الضحاك وتزعم أنه من الأزد » وفى جمهرة الأنساب لابن حزم ٨ : « والضحاك بن معد هو الذى أغار على بنى إسرائيل فى أربعين فارساً من تهامة » .

(٣) هو البراض بن قيس بن رافع الضمرى ، وهو الذى قتل عروة الرحال بن جعفر ابن كلاب . الحيوان (١ : ١٦٦) والتنبيه والإشراف ١٧٨

(٤) فى معجم استينجاس ٥١٣ أن « درفش كاوان » اسم راية فريدون . وفى التنبيه والإشراف ٧٥ — ٧٦ أن رجلا إسكافيا من الفرس يسمى « كابى » رفع راية من جلود ، ودعا إلى حرب الضحاك وتمليك أفريدون ، فلما تم الأمر تيمن القوم بتلك الراية فسميت « درفش كابيان » إضافة إلى كابى صاحبها قال المسعودى : « والدرفش بالفارسية الأولى الراية ، وهذه الفارسية الأولى الحرر . وحليت بالذهب وأنواع الجواهر الثمينة وكانت لا تظهر إلا فى حروب عظيمة ، تنشر على رأس الملك أو ولى عهده أو من يقوم مقامه »

(٥) الأصل : « تاهبين » .

فمنهم شَطرٌ في العوالي وشَطرٌ في لظى حرّ الوقود

فما أغنى عنكم في تلك المشاهد أنوشروانكم وقُباذُكم، ويزدجردكم وشهربازكم، وشهبوركم وخُرّداذُكم، ونسطوركم ويعقوبكم، ونسطسُكم ونروسكم[1].

غدَت عِيرانهم لهمُ قبورا كمت فيهم مؤونات الأسود

أهؤلاء الفيول، كما ذكرت على حيول، كأنّه فُيول، بل الحُسل الفُيول إذا لاذت الجيسل بالكيول[2]، وإلاّ سألتكِ يا أمّ عامر[3] بحرمة الصليب، وجري المذكّيات في طعسكم واليعاسيب، أيّةُ حيولٍ لأسلافك، أم أيّ حَلْبة شاهدتها لآبائك وأجدادك، متى عرفتَ دَوْلكِ لها اسما، أو حكوا عنها شية أو وَسما. أسمَها تحدّثت من جدّكم في السوابق، أو حفظت من تقدّمكم بآل الوجيه وأعوج ولاحق، أو راهنت بها الدائد والسكب، وفرزل[4] والمحموم والقطين وزاد الركب، أو داحس والغبراء، أو الخنفاء والشقراء، أم هل من بردكم المجلّي والمصلّي، والصحف والمذهب والملّي[5]

غمر الحدث إذا ما حوّلوا سفرا ولزرق منها إذا حنوا أماريسا[6]

لكم الكَوْدن والأطيم، والسكّيت الأحس والمسكين الحطم

تشكّى عليهنّ معاطف في الدجى وهن لديهنّ ذقيت كواسد

---

(١) كذا، ولعلها «واريوسكم»، وأريوس كان قسا بالإسكندرية كان في زمن قسطنطين الأول، وكان قسطنطين هنا على مذهب أريوس. انظر (١: ٤٨).

(٢) الفيول الثانية: جمع فيل، والفيل: الثقيل الخسيس. السكيول: آخر المعروف في الحرب.

(٣) تهكم به وتكنيته أبي عامر، جعله «أم عامر» واحد منصوص في ٢٦٦ س ١٣.

(٤) في الأصل: «حردل»، وليس في أعلام خيلهم. وانظر نقض السكامي ٢٧ وأسماء خيل الأعرابي ٧٥ والعمدة (٢: ١٨٢) وشرح الحماسة للمرزوقي ١١٩٤.

(٥) الملي: التالي. وفي الأصل: «الملي»، ولا وجه له.

(٦) الأماريث: القفار، جمع أمرات، وهذا جمع مرت. والبيت لأبي العلاء المعري. انظر شروح سقط الزند ١٦١٠.

شَنِج زعمت رُمُج ، مُدَّخ وُضُح ، دُن الشُّنج الوسخ الوُذُح . من امتحم قُلتَ القَدَمِ ، نَمَ لَشكْوَى المُدَم ، الحَزْمُ لِـكن عنّ مع الحُلْم ، نُصُرٌ صبرا ! بُصُر بأوقات السحر ، وأُمول القمر ، ودبيب الضّراء والخَمَر[1] ، صُبُرٌ على الدّهر والقدر ، ودَوْرِ القَمَر ، وأطَرِ الـكَمَر ، وبحْرُ مُرَرٍ ترمى نشرر كالقصَر[2] . مُلْس الأُدَم ، قلتَ ، هذا وأبيك والاغتكاك يا دُوُوث والخبيث ، وعِرْض الشقاء الخابيث[3] ، لقد تَنَهْتَ [يا] هذا الخبيث ، وقلنا إليك يساق الحديث .

تصيح المَبَاةَ أسماعَها إصاخة النّاشد لِلْمُنْشِد[4]

حَرِرَةُ أذيال ، لـكن على دَمَل وأوال[5] ، لا كرمنا الموالى للإموال ، وإعلام الأشبال منّا للاحيال ، ريش الرئال[6] .

اقْتَنْ من الأصفرِ المصفَرّ كاسمهم صُفْرَ الوجوه وجلّتْ أوجه العربِ[7]

آيِفًا يا خَضَاجِر[8] ، يا باردا في شهر ناجر ، وصَمْتَ العربَ بمعاقرة الدِّنان ، ودُميان القيان ، ولأنّ هجرتَ عليهم بالنّبيذ والسّميد ، والحذى الحَنيذ ، لم لا تفخر بالفالوذج والوليد ، وأكل البيِّنة بعد التّشميذ[9] . وأمّا حيـنئذ

---

(١) يقال دب له الضراء ، ودب له الخمر ، إذا ختله وخدعه . وما واراك من أرض فهو الضراء ، وما واراك من شجر فهو الخمر .

(٢) الناس من الآية الكريمة . والقصر ، بالتحريك قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد والحسن وابن مقسم . تفسير أبي حيان (٨ : ٤٠٧) في سورة المرسلات .

(٣) العرض ، بالكسر : الرائحة .

(٤) للمتنبي الصدى في الـكامل ٦٣ ليبسك وليبان (٢ : ٢٨٨) . وانظر شروح سقط الزند ٣٧٦ والأمالي (١ : ٣٤) . وصواب الرواية : « يصيخ للبأة أسماعه » ، لأن قبله في صفة ثور :

كأنما ينظر من برقع من تحت روق سلب مذود

(٥) الدمال ، كسحاب : السرقين ونحوه . وفي الأصل : « داما ل » ، تحريف .

(٦) الرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعام .

(٧) لأبي تمام في ديوانه ١٢ .

(٨) خضاجر : اسم للذكر والأنثى من الضباع .

(٩) التشميذ ، لعل المراد به الاجتماع . وأصل الشمذ رفع الذنب والإزار .

الحِداء والحُملان ، وكُوم متون الهجان ، فلن منها البضيع بعد الذّكاة والسَّديف ، والوشيق المسرهد والقدير المحشّى والشّواء الضّفيف .

لنا الجفنات الغُرُّ يلمعن بالضّحى — وأسيافنا يقطُرْن من نجدةٍ دما[1]

٣٧ ب

وأما القِيان والقُيان ، والمعصرة والدِّنان ، فنحن معشر حيرتهن ، وأخبرنا صفوها وعفوها ، وأحذقنا في الجاهلية وصفها ، وأهدى أنفاسَ النسيم شذاها وعَرفها ، ومسكم غارس حُبَلها وآرها ، ومنفّضو وزارها ، وسالف سيلها وعاصرها ، ومنّا أبو عُذرها وفاطرها ، ومديرها بحديث الرُّكبان ومصادرها ، تدوسونها لنا بالأرجل ، وتنقلونها قبل حلول الأجل ، ثم تحابونها من حُوانى والرمن ، وتسبونها من أطرُبُلَ وبيتِ راس ، وتحمِلون بها بيتكم أكواب الساج ، ومدارع الدّيباج ، فيرشفها بالشّفاه قبل الزّجاج ، وبهذا توفّرت على ضمها في المِزاج ، وأخذتْ من ر؟ وسنّا ثأرها عند أرحل الأعلاج ، فمنّا النخب ، وعليكم الحلْب ، ومنّا الأجر ، وإليكم التّجر ، ومن مصانع القهر ، ثمن الدّمع والشّكر ، وكالئُ المهر[2] .

مُســتردَفات فوقَ جُردٍ أودِيَتْ — أكفالُها من رجْعِ الأكفالِ

١٥ ولا حَرَب ، أن شُدِهت العرب ، بربّات الشّنوف ، وولِهت بوُطْف الجفونِ ودُلف الأنوف ، ودُلّهت بعزف القيانِ والشّرب بالمُقمّ المَشوف .

فإذا ما شربوها وانتشَوا — وَهَبوا كلّ جوادٍ وطِمِرّ[3]

ثم راحوا عَبَقُ المِسكِ بهم — يُلحِفون الأرضَ هُدّابَ الأُزُرْ

لهم عُرِف النّسيب والتّشبيب ، وعليهم وُقف التّسهيد والتّعذيب ، ولهم

---

٢٠ (١) لحسان بن ثابت في ديوانه ٣٧١ .

(٢) الكالئ : النسيئة المتأخر .

(٣) لطرفة بن العبد في ديوانه ٦٨ .

الجآذر في زي الأعاريب[1] ، شهروا بالحب والهوى ، وخبروا بالتحرق للفرق والنوى ، وعزوا للموت كرماً ودنوا للهوى هم حدوا الركب بالحنين والإرزام ، وعارضوا الشحب ببكى عروة بن حرام[2] ، بكوا الديار ، وبدوا بصدق عهودهم الطلول والآثار ، وحموا الذمار ، وردوا أيديهم عن حرمة الجار

قومٌ إذا حاربوا شدّوا مآزرهم دونَ النساء ولو باتت بأطهارِ[3]

رضوا لفصل النيل بفصول العروق والقيل ، وتبرءوا من رضاع الغيل[4] ، ولم يعرفوا غير داعي النداء وزجر الخيل .

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دُجى الليل حتّى نظّم الجزعَ ثاقبُه[5]

أرزاقهم في السير والإسآد ، وإطعامهم من أكف الآساد .

والليث حيث ألثّ من أرضٍ فذاكَ له عرينُ

أبوا المساحة والفلاحة ، وألفوا الاستباحة لاملاء الراحة ، ملكوا الأرض وما ملكتهم ، وتخيّروا البقاع فما تملكتهم ، صارلهم من المعمورة بمكان الغرة ، وحظهم من الفلك رأس المجرة ، أعدهم من الأعمال المدنية ، والمملكة البدنية ، إيضاع الشدنية ، وإنضاء الناقة الفدنية ، طلباً للاعتزاز ، وضرباً في مجاهل الأرض للابتزاز ، وكمائم عارض القرّ ، وأرض الرّسّ[6] ، إيثارهم على النفس ،

(١) فيه لمحة إلى قول المتنبي :

من الجآذر في زي الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

(٢) فيه نظرة إلى قول المتنبي :

فكأن كل سحابة وكفت بها تبكي بعيني عروة بن حرام

(٣) للأخطل في ديوانه ٢٠ وشرح شواهد المغني ٢٢٠ .

(٤) الغيل : أن ترضع المرأة ولدها على حمل .

(٥) البيت للقيط بن زرارة في الحيوان (٣ : ٩٣) والشعراء ٦٩٢ . ويروى أيضاً لأبي الطمحان في الحماسة ١٥٩٨ بشرح المرزوقي والكامل ٣٠ ليبسك والوساطة ١٥٩ .

(٦) الأرض : الرعدة والنفضة . والرس : أول الحمى .

والاستقبالُ بأسْتِهم مطالعَ الشمس ، فَنعِموا بأفلاذ الحَشَا ، والاحتشاء من الكُشَى ، عن الدَّرْى في القدور ، والتعرّى لوَهَج التَّنّور

يقرص تُصَلَّى ظهرَه سماتيةٌ شُشورها حتّى يطير له قِشَر

فأمّا البَهَطُ وحيتانُكم فما زِيلَ منها كثيرُ السَّقَم[1]

ومكّنُ الضباب طعام العُرَيب ولا تشتهيه نفوسُ العَجَم[2]

تُوقِفُ الطَّبَاعَ على الضَّيم والخلاصة ، وتُوقِى به شحَّ النَّفس والخَصَاصة ، سوا كالنّهمة الخَفَرة ، الأكلة الحَفَرة ، حَفَرة الحمان ، وحَفَرة الأعنق للنيران ، أعدُّوها للمُحصنين ، لا للمحسنين ، وأوقدوا بها على الطِّين للطبيخ ، لا للمتوطّنين ، إذ لم يُغنهم الفقر عن الحَصَر ، ولا عَقْد العِسر عن الأسر ، أعجلتهم الغُرثان ، العريان ، عن الاستماع ، بالتفجع ، والاعتصام ، بالأعصام ، والاحترام[3] ، بالأحرام .

ولذاك كانوا لا يَخْشَون الوغى إلّا وقد عمّوا مكانَ المهربِ ٣٨ ب

وأما العسل ، والمُثُل ، فقد أعطاها الله من اغتراسكم واحتراسكم ، وطهَّر النخلة عنّتها من أدناسكم ، ونخرِ أنفاسكم ، وحبا العربَ بها عُجالةَ صائغهم ، ولُهنة طاعمهم ، وبقيعةَ ضيفهم ، وفاكهة شتائهم وصيفهم ، وحدمة الكبير ، وصنعة الصغير ، وتحرسة مريمَ ابنة عمران ، من الراسيات في الضحل ، الراسخات في الوحل ، المطعمات في المَحْل[4]

(١) شعر لأبي الهندي ، كما في الحيوان (٦ : ٨٨ — ٨٩) . وانظر محاضرات الراغب (٢ . ٣٠٢) والفصول والغايات ٤٧١ والمخصص (١٦ : ٨٣/ ١٧ : ١٠) والبهط : الأرز يطبخ باللبن والسمن ، معرب من الفارسية عن الهندية انظر تحقيقه في حواشي الحيوان ورواية الحيوان : « فما زلت منها » .

(٢) العريب بالتصغير : العرب ، قال ابن منظور : « صغرهم تعظيماً » .

(٣) الاحترام ، أراد به أنه دخل في حرمة لا تهتك . والمعروف « الإحرام » .

(٤) وصف النخلة هذا ينسب إلى أبي خثمة ، وهو عبد الله — وقال عامر —

فاخرات زروعها في ذُراها وأخاضَ النيدانُ والحبّار

فأينَ صنيع قومك الجِلّة، من صنيع مُحرِق البقر والجِلّة، لما أمسوا الأهعار، وحوتو أشدّ جدب(1)، وأمست بارم العصى والأثان(2)

ضربوا بمدرجة الطَّريقِ قبابَهم يتقارعون بها على الضِّيفان

فلم يبقَ إلّا الجِلّة والبعر، أو خامةُ طِرافٍ من أديم أو بيتٍ من الشَّعَر، ٥
حتّوا فحلّوا، وعلَوا وتحلّوا.

* هناك إن يُستخبَلوا المالَ يُخبِلوا(3) *

عُنوا بالجِلّة عن الجلين، ومن الحُلّة بالشَّبيل(4)، وبالخُوذ عن المُوق، وبالحَلَق عن الخِرَق، والسُّندس والإستبرق، من كلّ مدبَّج.

سُمْرُ القنــا بإهابه أولى من السِّربالِ ١٠

ما أكلَ ذو جارٍ لم يهواه(5)، ولا استأثر على مَن حلّ ربعه وثَواه(6)، متى جاع أشدّ أم مثواه، أيا ابنة مالك وابنة عبد الله(7):

[illegible] ساعده، عامر الخرس الأسدي (٢ : ٥٨) وفي عبد الرحمن بن محمد البخاري
[illegible] البكري ٥٥ [illegible] بن صفوان، اللسان (خرس) والخرسة: طعام النفساء.
(١) [illegible]: مأسدة قرب الكوفة ١٥
(٢) الأثان: [illegible]، واحده أثبه، ويسمى كذلك [illegible]، فربما يبس
فهو الحائط.
(٣) صدر بيت لزهير في ديوانه ١١٢، وعجزه:
* [illegible] وإن ييسروا يغلوا *
(٤) الحلة، [illegible] والإزار والرداء، والشبيل [illegible] الدرع. ٢٠
(٥) يهواه، أي [illegible]، وبني [illegible] لجاره فيما يطعم، بحكمه في ذلك، مبالغة في
الرعاية. في الأصل: «ذو جارهم يهداه».
(٦) يقال ثوى بالمكان وثواه أيضاً.
(٧) نظر إلى قول حاتم الطائي — وليس في ديوانه —:
أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد ٢٥
الحماسة ١٦٦٨ بشرح المرزوقي. والبيت التالي هو قرين هذا البيت.

إذا ما صنعتِ الزّادَ فالتمسى له أكيلاً فإنى لستُ آكِلَه وحدى

هذا المجد السرىّ، والفخر الجرىّ، والنسب الحرّىّ، لا ما تقوّلته حاك الله وله أمث، وحيا من أما، من فخر ما تقديم، المُعرى للأديم: أعميت نائبة، «من يطل أيرُ أبيه ينتطق به».

٥ أيمص جوهَر العرب المصنّى ولم يمصصْهمُ مولًى صريحُ

فما لك حيلة فيهم فتُحدِى عليكَ بل تموتُ فتستريحُ

٣٩/١

أما لكَ فيهم بعد الملوك العاربة، والكواكب الطالعة الغاربة، من الثمودية والعادية، والطسْمية والجديسيّة، والقمارية[1] والأُميميّة، من يقرع صماك، ويقمع على الملام صماك، إلى حاقةٍ من المغرّبة[2] صفت جلابها، وارتضعت في البأس والجود أخلافها، وإن كانت من حصكم كالبعرة في البيداء، والشعرة ١٠ البيضاء في اللّمة السوداء، حطّت ذراكم من اليفاع، وخطّت في صدوركم خُطى الخطى لا باليراع، يستعلون من أسيئة الآجال[3]، ويبهدون بيكم قلوب أسدٍ في صدور رجال، أقلامهم الرديتيات واليزنيات، وصحفهم المشرفيات والشريجيات، ١٥ ولجمهم أبو ضباه الداودنّات، وسُرُرهم المقرّبات الغرّ الأعوجيات.

إذا ركبوا الخيلَ واستلأموا تحرّقت الأرضُ واليومُ قُرّ[4]

بروّياتهم لا برواتهم، وبِراياتهم لا بِدِراياتهم[5]، نصبوا الأحياء، وسبوا الأشياء، وشقّقوا الأسماء، وسمّوا على حصص البُروج الدهر، فوصموا النجوم،

---

(١) نسبة إلى «قمار» وفى الأصل: «الأنارية»، تحريف. وانظر البيان ٢٠ (١: ١٨٧) ونهاية الأرب (٢: ٢٩٢).

(٢) المغربة هم بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة وسكنوا ديارهم. نهاية الأرب ٢: ٢٩٢. وفى الأصل: «المقربة»، تحريف.

(٣) الأسيئة: جمع نسيء، بمعنى مؤخر. ويستعلون، أى يعلون. على أنهم يكرهون الآجال المؤخرة فهم يستعجلون الموت.

٢٥ (٤) لامرئ القيس فى ديوانه. (٥) فى الأصل: «ودرياتهم لا بداراتهم».

وعرّفوا الرُّجوم (1) ، وزجروا السانح والبارح ، وأثاروا الصيد وعلّموا الجوارح ، ثم كرّوا نهر مِهْران (2) ، وسموا قصر غُمْدان ، وحدَوا بالركب للنخل من ودّان (3) ، فخاموا الأقطاب ، واجتنوا الرُّطاب ، وملؤوا الأوطاب ، وميّزوا التوكيت والتذنيب والإرطاب (4) ، وانفردوا بالحكمة وفصل الخطاب .

سُوَرُ القرآنِ الغُرُّ فيهم أُنزلت ... ولهم تُصاغ محاسن الأشعارِ

وقد كان يكفي بوادئ التحيين ، ونبوح الحيّ (5) ، في بعض محادّاتك ، وعُرْض مساجلاتك ، أن هدّدتَ شيبك بسحلك الحوذيّ ، وأمددتَ حصيتك بعثنات أبي العلاء المعرّي ، ووقفت فيها ضعفك بالحرف العليل (6) ، وبُعِثتَ فوق صهوة بأشم (7) ، ما هو أمرّ من الفيل ، فأزحت (8) عن غثاثك وحولك ، وأبحتَ هجوك وشتم سواك ، ثم شكوتَ فقر حالك ، وأنت واهي نُزْلك برور استحالاتك ، فحسبتُ بهذا العَضْب فرضاً وجزاء (9) ، والانتهاء إلى الفهاهة لأمالك وعثره ، وانقساماً لأذيتك (10) بيد التدبير أجزاء .

---

(1) في الأصل : «الوجوم» ، تحريف . والرجوم : النجوم التي يرمى بها .

(2) كرّوا : حفروا .

(3) ودّان : موضع بين مكة والمدينة . وفي معجم البلدان : «وقرأت بخط كراع الهنائي على ظهر كتاب المنضد من تصنيفه : قال بعضهم : خرجت حاجا فلما جزت بودّان أنشدت :

أيا صاحب الخيمات من بعد أرثد ... إلى النخل من ودّان ما فعلت نعم

فقال لي رجل من أهلها : انظر هل ترى نخلا ؟ فقلت : لا . فقال : هذا خطأ ، إنما هو النخل ، وهو الوادي الذي بجانبه» .

(4) التوكيت : أن يصير في البسرة نقط من الإرطاب . وفي الأصل : «التركيب» ، تحريف . والتذنيب : أن يصير فيها نكت من الإرطاب من قبل ذنبها .

(5) كذا ، ولعلها «نبوح» ، وهو صخب الحي وأصوات كلابهم . والنبوح أيضاً : جماعة النابح من الكلاب .

(6) إشارة إلى قول أبي العلاء وقد سبق في حواشي رسالة ابن غرسية :

وأنت الوزن وهو أصح وزن ... يقام بناؤه بالحرف العليل

(7) بعثت : أعنت على التعب . وفي الأصل : «بعثت» .

(8) في الأصل : «فزحت» . (9) العضب : اللسان الذليق ، يتهكم به .

(10) في الأصل : «لأذيك» .

إنَّ العبيـــدَ إذا أذللتهم صلحوا على الهوانِ وإن أكرمتهم فسدوا

لعلَّك ، لا لعاً لك ، فضحك الميّ ، أوضحك النبيّ ، فتندمت على بادرة خذلانك ، وسقطات لسانك ، وهفت من غلوة الشنى ، أو لمناسى ، وقلت من الآسى ، من حزّ هذه المواسى ، لياذاً بالإسار ، عن دعوة الأصار ، وعياذاً على الإعلان والإسرار ، من مستكبر الكفر والإصرار ، وتيمُّ لهاشميين بدعوة أبي عُبيدٍ المختار ، والمعظَّم سيدنا ونبيّنا محمد المختار

« متى كان الخيامُ بذى طلوح[1] » ، أو جمعنا الرحم في سام بن نوح ، أغرّضَ عليكم ثوبُ المُلبّس[2] بالتحامل على نافث ، والتراقى في الإلحاق به على القائف والنافث ، ولأى عيصٍ إليها ضمّكم ، أو بأى ركن حضّكم صلى الله عليه وسلم أو عمّكم . ما عمّك ، من أعمّك ، ولا دمّك من أدمّك[3] ، وسمّك وأخيك ، وقتل أباك وسبّك وأمّك . ابن عمّكم الطاغوت وسيدكم البرهمن والبرهوت[4] ، شتانَ ما بين النجوم الطارقة والشموس البارقة ، وبين سُقّاط الجرامقة ومُقّاط الأفارقة[5] ، الوُضر الأدنال ، والبُخر السّبال ، لا غُسلَ ولا طهارة ، ولا نظافة لطامثٍ ولا عِطاره

قومٌ إذا حزّ جانٍ دونهم أنِفوا من لؤم أعراضهم أن يقتلوا قَوَدا[6]

(١) صدر بيت لجرير في ديوانه ٥١٢ . وعجزه :

* سقيت الغيث أيتها الخيام *

(٢) يضرب مثلا لمن كثر من يتهمه . الملبس : المطلى ، وهو المتهم .

(٣) أدمه : وجده ذميا . وفى الأصل : « أرمك » ، تحريف .

(٤) برهمن ، هو الذى ينسب إليه مذهب البراهمة الهنود . جاء في دائرة المعارف الإسلامية أنه ملك مترهب عالم ، عبد مجا من الحكماء وسن لهم قواعد الدين ، كما وضع نظرية الأدوار الفلكية واخترع أرقام العدد . . وأما البرهوت فهو واد بحضرموت تحته جبل بركانى عند سفحه بئر تعرف ببئر برهوت ، يذكرون أن أرواح الكفار تأوى إليه . دائرة المعارف الإسلامية ومعجم البلدان . وانظر أيضا مروج الذهب ١ : ٧٩ .

(٥) الماقط : مولى المولى .

(٦) الحكم بن هبيرة ، أو عويمر القواف . انظر ما كتبته في حواشي الحماسة بشرح المرزوقي ٢١٩

لأناصرُ أهلَ أمِّ القُرى   لأمِّ الذبيحِ ألا ناصرُ(١)

أناصرُ عمدًا ومَن بالصَّفا   وإن لم يكن بالصَّفا سامرُ

وإلا فإن حِمَى يعربٍ   حفائظُ لم يَحمِها عابرُ(٢)

فيا للوصىِّ وأسنانه   ومَن ولدت أمَّه هاجرُ(٣)

وللعُرْب أعراقِ وَنْد الثرى   أكابرُ أورثها كابرُ

أخثمتْ قُصَىٌّ وأحلافها   ونصر وعامرُها الجادرُ(٤)

لمملوكِ من أخى عَيبةٍ   لغير أبٍ مُلحدٌ كافرُ

يهزُّ ذوابةَ أعطمها   بمكة قد ضمَّها قابرُ

وخالصُها فى ثرى طيبةٍ   نبىُّ الهدى القمرُ الزاهرُ

نقتى الجماهر من هاشم   ومن يمنٍ عمرٌو أو عامرُ

وهزّت حمون كأس الكرى   وسحّ بها دمعها الماطر

لئن لم أجاهده لا حَرَّ لى   فما الخطُّ فى الصُّحف الخاطرُ

أبا عبدَ عبدٍ ألا تستحى   ولا لكَ دون النُّهى زاجرُ

مَواليك أخسرتَ من شأنهم   ستعلم وَيلكَ من الخاسرُ

فإن تنجُ منّى نزعَ الشَّوى   كما أنق الضبعُ الباسرُ(٥)

فما فى ضُلوعك من نُطفةٍ   وماء الكِراض دمٌ مائرُ(٦)

---

(١) أم الذبيح ، يعنى بها هاجر .

(٢) عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح .

(٣) يعنى أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت .

(٤) يعنى عامر الأجدار ، وهم بطن عظيم من كلب ، وهو أخو عامر بن صعصعة لأمه . انظر حواشى شرح المرزوقى للحماسة ٣٤١ . وفى الأصل : « الجافر » ، تحريف . وفى اللسان (جدر) أنه سمى بذلك لسلع كانت فى بدنه .

(٥) فى الأصل : « كما أنف » .

(٦) الكراض : ماء الفحل . فى الأصل : « فما فى سوعك » .

هلّا طمعتَ يا معمر، يا آكل الأشلاء لا يخفى ضوءُ القمر، في استدراك المقال، ولافتكاك من هذا المقال. كلّا لو تعلو بمعيارك، وتمحو طومارك، وتقلّم أظفارك، وتدرع صلبانك وزنّارك[1]، وتُعفي سبالك، وتنصب قذالك، وتقول ذا لك، وتجعل الفضلَ كلّه للعرب، والقصص المنبئ على العرب كفاك أنّ منهم أسادَ الله، وصبراءَ الله، وسيوفَ الله[2]، ولهم بيتُ الله، ومنهم رسولُ الله، وعترتُه أولياء الله، أئمة الهدى، وثمة البأس والندى، وخيرُ من انتعل وارتدى المؤثرون على أنفسهم ابن عمّنا صدقا، وهادينا ومرشدنا وسيدنا حقّا، سيّد البشر، وخاتم رسل في محكم الزُّبُر، شفيع هذه الأمة، وهاديها إلى عِلّيّين في خير أمّة، سيّد يوم العرض، وإمام أهل السموات والأرض، منتهى لُبنة الأحساب، في الأحساب، الناطق بكلامه داعي أهل الجنة ومنادي الحساب، الحاشر العاقب، الشهاب الثاقب، السابق الصائب، المتخيَّر من ذؤابة لؤي بن غالب، الذي به نسخنا مِلَلكم، وفسخنا نِحَلكم، وكثّرنا صُلُبكم، وعوّرنا قُلُبكم، وطهّرنا بِيَعكم، واستظهرنا قِمَمكم، واستوطنّا مساجدكم، واستعبدنا ولائدكم.

أُعجِلْنَ عن شدّ البُرَى ولطالما ... عُوّدنَ أن يمشين غيرَ عجالِ

بهذا النبيّ الأميّ، السيّد العربيّ، ساحر البشر، وساكن المطر، وشاطر الشمس والقمر، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وأصهاره، وصحبه وأنصاره، وحزبه، ومن مات على حُبّه، كفاء العجّ والثجّ، والملبّين بالحج، وسلام الله ورضوانه على سلالته الطاهرة، ووارث ملته المنصورة، الإمام المهدي أبي عبد الله

---

(١) الصلب والزنار مما كان يميز به المسيحيون. وفي الأصل: «طاباتك». وانظر ما ورد من كثرة القران بين الصلب والزنار في الديوان الشامي ١١٣، ١٣٢ وما أنشد من قول أبي نواس:

وبالصلب المطلية حين تبدو ... وبالزنار في الخصر الدقيق

(٢) كان يقال لحمزة بن عبد المطلب: أسد الله. ثمار القلوب ١٦. وفي اللسان (صبر): «وفي الحديث أن قيسا صبراء الله». والمعنى أنهم شجعان، تشبيها لهم بالسباع الضارية. وكان يقال لخالد بن الوليد: سيف الله، سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن آثاره في الإسلام، وصدقه في قتال المشركين. ثمار القلوب ١٦

محمد بن عبد الله القرشى العلوى ، الفاطمى المحمدى[١] ، وخليفة أمره العلىّ ، ومقامه القرشى ، سيدنا الإمام الرضىّ العربى ، المضرى القيسىّ أبى محمد عبد المؤمن بن على[٢] . والدُّعاء لحفظة سِرِّه النبوىّ ، وخلافةِ أمره الدينىّ والدُّنياوى وأمدَّ الله حضرة مولانا أمير المؤمنين سيدنا الإمام أبى عبد الله الرضى ، الشاب التقى ، الناصر لدين الله العلى ، بمواد النصر الحق ، والعُمر القصىّ ، وسائر العترة المهتدين ، والسَّادة الأكرمين ، والعصابة الموحِّدين[٣] ، ورضى الله عنهم أجمعين ، عدد الرمل والرش ، والطلّ والنَّمش ، والملائكة الحافّين من حول العرش ، ما رسا ثَبِير ، وعَسَا جَبِير[٤] ، وسمَر ابنا سمير ، وسلّم تسليما .

يا باحثًا بالظِّلف عن حتفه ... أذكرت أشياعك مَن ماسا
لا تمْرِ أخلاف الرَّدى ضلّةً ... إنّ مع الإبساس إبساسا[٥]
وميِّز قرارَ الحق من نوسه ... ليس من زاغ كمن ناسا[٦]
أعداك حبل الفجر مُجنًا بها ... فأوسِ يا عَير نزى الناسا[٧]

والسلام على من رضى الإسلام ، ووحّد السلام ، وأبدى الاستسلام ، ورحمة الله وبركاته .

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن تومرت ، المسمى بالمهدى . ولد بسوس ورحل إلى المشرق سنة ٥٠١ فى طلب العلم وانتهى إلى بغداد ولقى أبا بكر الشاشى والمبارك بن عبد الجبار ، ويقال إنه لقى الإمام الغزالى بالشام . ثم قام بدعوته فى المغرب سنة ٥١٤ . ولد سنة ٤٨٥ وكانت وفاته سنة ٥٢٤ . المعجب ١١٥ وابن خلكان (٢ : ٣٧ — ٤١) .

(٢) كان عبد المؤمن بن على هو الساعد الأيمن لمحمد بن تومرت ، وقد ولى الأمر بعده واستولى على وهران وتلمسان وفاس وسلا وسبتة ومراكش . ولد سنة ٥٠٠ وتوفى سنة ٥٥٨ . المعجب ١٢٥ وابن خلكان (١ : ٣١٠ — ٣١١) .

(٣) انظر تعريفا دقيقا لهؤلاء القوم فى المعجب ١٣٠ ، ٢٢٥ .

(٤) عسا الليل : اشتدت ظلمته . والجبير : الجبل المعظم .

(٥) فى الأصل : « خلة » ، تحريف . والإبساس : صويت الراعى يسكن به الناقة عند الحلب .

(٦) الميز : التمييز . وفى الأصل : « ومن قرار » . والنوس : التذبذب والاضطراب .

(٧) أوس : زجر للمعز والبقر .

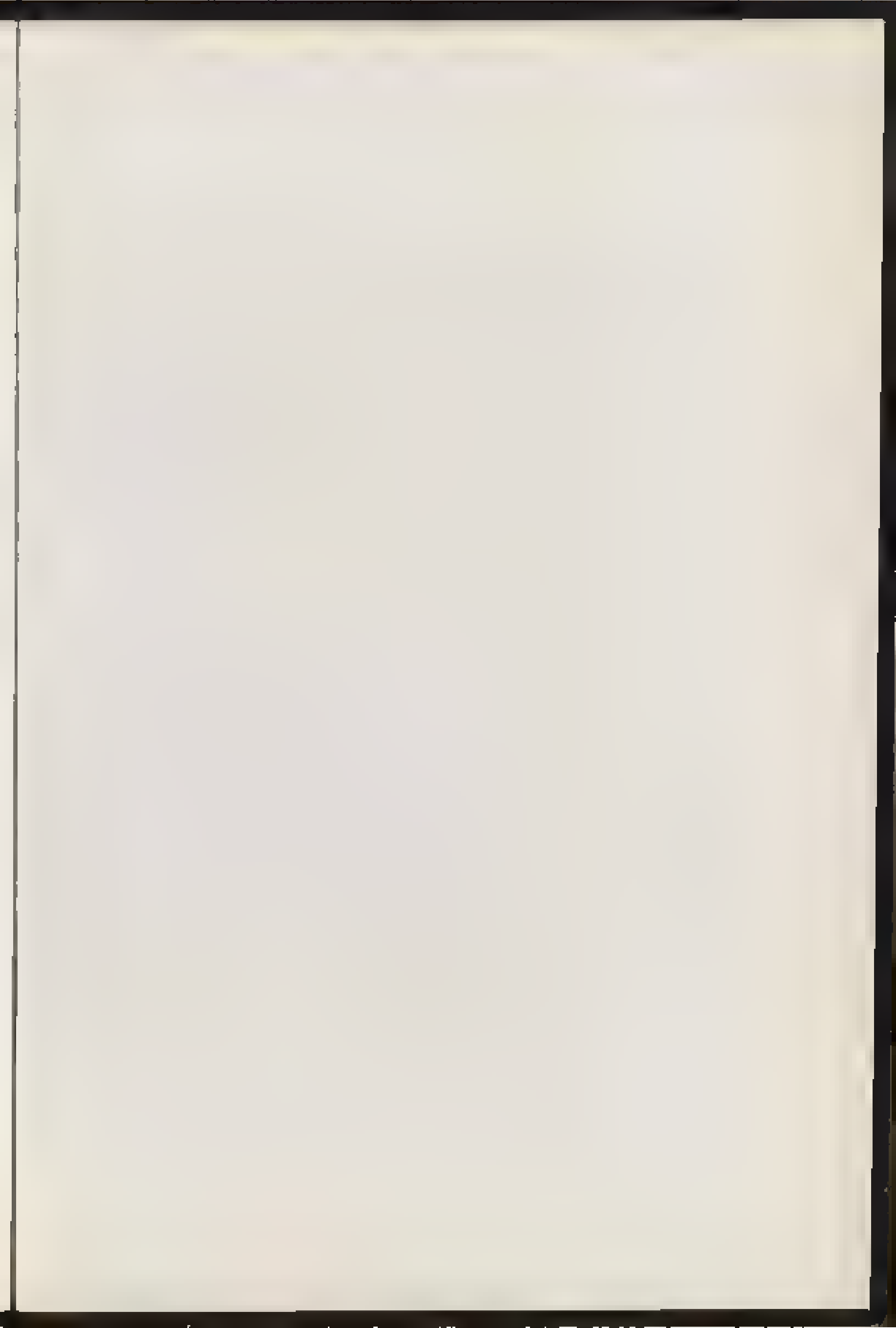

رسالة ثانية

في الرد على ابن غرسية

رسالة ثانية في الرد على ابن غرسية (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما

أيةَ نارٍ قدحَ القادحُ ... وأيَّ سهمٍ فوَّقَ الكاشحُ (1)

* إحدَى لياليكِ فهِيسِي هِيسِي (2) *

لشدَّ ما استهواك أيها الشعوبي شيطانُك، والتفَّت على نزعك أشطانك، أدَرَيْتَ، حين زَرَيْتَ، أيَّ أديمٍ فرَيْتَ، وأيَّ طَوْدٍ للمكارم عروريت، رميتَ بكلِّ أفوقَ ناصلٍ رميّ (3)، وأرهفتَ غيرَ حدٍّ، وراهنتَ عن الجحش كلَّ مستبقٍ أعوجيٍّ، من الأُدْمِ القُدْمِ، بسوابقِ نُهُبٍ خُرْسٍ، ولا بمحوصِ فرسٍ، أعِدْ نظراً في الأمم العادية، والأجيال الجُرْهمية، والجبابرة الطَّسْمية، والعماليق العُنُف الإرَميّة، ما يروعك، ولا يُبرِح له رَوْعك. وفي مضرَ الحمراء وأقيال عدنان، والتبابعة من يعرب بن قحطان، وأبرهة ذي المنار، وعمرو ذي الأذعار، ما يوقفك من سِنَة هواك، ويحجُزك عن باطل دعواك. أنوفٌ شُمَّخ، وجبالٌ رُسَّخ، ومجدٌ تليد، وعزٌّ مشيد

رسا أصلُه تحتَ السَّما وسما به ... إلى النجم فرعٌ لا يُنالُ طويلُ (4)

(*) انظر ما سبق في المقدمة ص ٢٣٧.

(1) البيت لأبي نواس في ديوانه ١٩٢ ولباب (٣ : ١٩٨) وانظر الحيوان (١ : ٩) والرواية فيها جميعاً: «وأي جد بلغ المازح».

(2) هاس هيسا: سار. والرجز في المقاييس واللسان (هيس) ومجالس ثعلب ٢٩٣ والمخصص (٧ : ١١٣). وبعده:

* لا تنعمي الليلة بالتعريس *

(3) الأفوق: السهم المكسور الفوق وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر. والناصل: الذي سقط نصله.

(4) للسموأل بن عاديا، في الحماسة ١١٤ بشرح المرزوقي، برواية: «تحت الثرى».

احساً فلن تعدوَ الأصفريةُ أقدارَها ، ولن تصدم الحوشُ ثارها . أرومتنا إسماعيلية نبويّة ، لا عِيصوية أصفرية[1] ، حُرِم أبوكم بين ذويه ، دعوة إبراهيم أبيه[2] سُلِخ لها من النبوّة سلخَ الأديم ، وعُدِل بها عن الحنيفية ملّة إبراهيم ، فما أنتَ والفخرَ بالقديم ، إلا كذابةٍ وقد حَلِمَ الأديم . منّا الحى القَاح ، أولو النَّجدة والسَّماح ، لمّا عدت عليهم عَوادى الزمن ، تفرقوا عن سبإ اليمن ، أيادىَ كما انتشر الخيل ، وانحدروا إلى أطوار الشام قُدُماً كما انحدر السَّيل ، فحلوا ، ريثما استقلّوا[3] .

والليثُ حيثُ أتى من أرضٍ عداكَ له عرينُ[4]

لحين ستموم الأساورة رموكم بسهمٍ ما أعطاكم ، وأحسدتم من جذع ما أعطاكم[5] ، مُحَدُ ، نَحُدُ ، بن بارعتم ويَدُما الأقوى ، [أ] وفاخرتم فالكرم التقوى[6] ، ما شمنا جبر رأ ولا تدما ماراً ، ولا عقدنا على الذُّل زُنّاراً ، بلى ملكنا ، نفوسنا وقسماً[7] ، على الأملاك ، الملوك ، حتّى أمد الله حكمه فى الدّعوة الإبراهيمية فأمّها ، ولأمَ بها عاديد العرب ولمّها ، لحين نطمها من الدّين ناظم ووضح لها من الإيمان معالم ، وثوّب بالفلاح مُنَدِّبها ، وتطاوحت إلى هاديها هواديها ، أقبلتكم الخيلُ دوائس[8] ، عقباناً تحت أسد عَوابس[9] ، فثلّتْ

(١) العيصوية : نسبة إلى عيصو ، وهو العيص بن إسحاق عليه السلام . وفى نهاية الأرب (٢ : ٣٢٢) . « وولد روم بن العيص بن إسحاق بنى الأصفر ، لأن روم كان رجلا أصفر فى بياض ، فلذلك سميت الروم بنى الأصفر » . وانظر سفر التكوين ٢٥ : ٢٤ — ٢٦

(٢) فى سفر التكوين أن الذى بارك يعقوب وحرم عيسو أباه الأكبر إنما هو إسحاق أبوهما . الأصحاح ٢٧ : ٢٧ — ٤٠ .

(٣) الاستقلال : الارتحال (٤) سبق فى ص ٢٨٣

(٥) إشارة إلى المثل : « خذ من جذع ما أعطاك » . وانظر ص ٢٣٧ لتصحيح هذه أيضاً إلى ماورد فى ص ٢٣٧ من دلائل تحرير نسبة الرسالة ، وكذا ما فى ٢٩٨ س ٤ .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

(٧) كذا وردت العبارة .

(٨) فى الأصل : « دواس » ، تحريف . وفى اللسان : « أتتهم الخيل دوائس ، أى يتبع بعضهم بعضاً » . (٩) فى الأصل : « عواس » ، تحريف

عروشَ أنو شِروانكم وقباذكم ، وفَلَّتْ غربَ يزدجِردكم وشهربارِكم[١] . وسدُّوا مسالككم ، وخلعوا خَلْعَ الحائل ممالككم ، وحطُّوا عن مفارقكم تيجانكم ، ونسخوا بفِصحكم ومهرجانكم ، وورِثوا أرضكم ودياركم ، وأطفئوا بنور الله ناركم ، أصِخ أيها الغُمر ، فقد آن لك أن توقد بصيرتك مدارجُ العمر[٢] ، ، فكم قتيل باليرموك وحتْ جنوبُها ، وأشلاء بالقادسية عصفَ عليها من المنون هَبُوبها[٣] ، تهافتوا عليها أمثالَ الدَّبا ، لم تُغنِ عنهم الأسنّة ولا الظُّبا ، فتعلّمَ أن البأسَ للعرب ، وأن النبعَ ليس من الغَرَب[٤] .

ولم أر أمثالَ الرِّجال تهادَوْا على المجد حتى عُدَّ ألفٌ بواحدِ

ثم طردوكم من أكناف الشام ، ورُستاق العراق ، طردَ غرائب النِّياق ، وحدوْكم عن تخوم بابلَ وخُراسان ، حدَّ العير الصِّلّيان[٥] .

بضربٍ يُزيل الهامَ عن مُستقرِّه وطعنٍ كإيزاع المخاضِ الضَّوارب[٦]

مُنكَرٌ ، نُكُر ، لم يتّخذوا القصور وُكورا ، ولكن مَدا كيَ ذُكورا . بنيتم بالشِّيد ونَيّما[٧] واحدقتم بالحيطان ، وأحدقنا بعوالي المُرّان ، وأتخذتم الأبنية والأندية ، وجُبنا في طلب العزّ المهمهَ والأودية ، وأذلتم الدبابيج والمرس[٨] ، وذلّت المناجيج الضُّمَّر . حرزةُ عَوال[٩] ، وبذلة بوال .

---

(١) في الأصل . « شهر مدكم » ، تحريف . وانظر ما سبق في ص ٢٨ .

(٢) في الأصل : « الغمر » .

(٣) الهبوب : الريح تثير الغبرة .

(٤) انظر ما سبق في ص ٢٩٠ .

(٥) الصليان : ضرب من الشجر . (٦) النابغة في ديوانه ٨ .

(٧) لعل هنا كلمة ساقطة يتم بها السجع مع « الشيد » .

(٨) الدبابيج : جمع ديباج ، وهو ثوب يتخذ من الإبريسم ، وفارسيته « ديباه » . ويقال ديباج كسروى . والمرس : ضرب من تطليع ثياب النساء . وفي الأصل : « الدبابيج والمرس » .

(٩) عوال : جمع عالية ، وهي أعلى الرمح ورأسه ، والعالية أيضاً القناة المستقيمة .

فما دبَّ إلا فى بيوتهم الندى ولم تَرْبَ إلا فى حجورهم الحربُ

دِنتم بالراح ، ودنا بِدِرَّات اللِّقاح ، فشتَّان بين محظور ومباح [1] . ماذا الإبغال ، فى أبى رعال ، وقد غاله من الإله ما غال ، حين دلَّ على بيت الله أغربة الأحابش ، كما دلَّت على أهلها رافش ، فهلك وهلكوا ، وحَدَا بهم حادى الرَّدى أيَّة سلكوا . وصُحٌ ، صُرُحٌ ، لم تعرِق فينا سُحْمة الحُبْشان ، جئنا صُفْر الألوان ، ذوِى نُطَف أمشاج [2] ، بين الزُّوج والأعلاج . أشهد أنَّ السَّاسانية ، العديمة الإنسانية ، نكحت أمَّهاتِها وبناتِها ، وتشبَّهت بالبهائم فى شهواتها ، الأ رجرَم عنه معقول ، أو دِينٌ عن الأمم منقول ، ذهبوا والله من العار بثُمِّه ورُمِّه [3] ، وحلُ السُّوء يبدأ بأمّه ، أغرا بالحنيذ ، والنَّبيذ ، هلاَّ بقِرى الضُّيوفِ والسُّنونَ غُبْر ، وعِزَّةِ الجارِ والأسنَّةُ حُمر ، وكرمِ الوفاء إذا استُوْزِر بالغدر ، وكتْم السِّرِّ حينَ تجيش مراجلُ الصَّدر .

دع المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها واقعُد فإنَّك أنت الطاعم الكاسى [4]

أيها الزارى علينا نشان ، أبى عُثْمان ، وماذا على رجلٍ تحوَّف مصرِف على أربابها السَّدانة ، ووفَّى فأدَّى إلى أهلها الأمانة ، دون خُدعةٍ ولا خِلاب ، وجَرَى المذكِّيات غِلاب [5] . صُحُحٌ ، رجح ، لا تَطيش بهم الأحلام ، ولا تساجلهم الأيام . فمهْ أيُّها المتعاطِى لما لا يُدرِكه ، المتشبع بما لا يملك ، المتبجِّح فى دعواه ، كالحصىّ يفخر بمتاع مولاه . إن حظَّكم من الأسترلوميق [6] والأرثماطيق ،

(١) فى الأصل : « صدور » ، وهو تحريف سمج .
(٢) أمشاج : مختلطة . وفى الأصل : « ذوعطف » .
(٣) أى بقليله وكثيره . انظر ما سبق فى ص ٢٦٥ س ٢ .
(٤) للحطيئة يهجو الزبرقان . ديوانه ٤ .
(٥) المذكى من الخيل : المسن . والغلاب : المغالبة . والمثل يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه فى حلبة الفضل .
(٦) انظر هذا وما بعده ما سبق فى ص ٢٥١ .

والتعاليم المنطقية والموسيقى ، والفنون الفلسفية والجومطريقى — حظُّ الزمان من من الحرم[1] ، والحُمُرُ من تأليف النَّمِر ، لكنّها والله أقوى منكم لَحْيا ، وأقومُ هَدْيا ، وأثقب خواطر ، وأصدق مصائر . تلك علومُ يونان ، ومبادئُ كَلدان ، ونتائجُ هِرمِسيّة[2] ، ونِسَبٌ فيثاغورية ، لا ما أنتم بنو الأستاه منه متعاطون[3] ،

٤٢ ب

٥ وفى عشوائه خابطون ، إنّ العرب بأمّيّتها لأدركت محلوبها ، ما أدركته الأوائلُ بتعاليمها ، أهلُ البيان وأربابه ، لم تُفتحت أبوابه ، ورمت بالنِّعاج قبابُهُ ؛ نزل القرآنُ بلسانها ، فدلّ على إحسانها .

بنو أنْ السماء دتْ لمجدٍ ومكرُمةٍ دنت لهم السماء[4]

عُتُق صُدُق ، جعلَ الله لها الكعبةَ البيتَ الحرام قياما ، والحنيفيّة السمحةَ

١٠ دواما ، وإنّ بيتا رفعَ منه إبراهيمُ القواعدَ وإسماعيل ، ونطقَ بفضله التنزيل ، وسفرٌ بين ساحتيه جبريل ، لمَحِطّةُ خيرات ، ومصَبُّ بركات ، ومَنجم آياتٍ معجزات ؛ مشاعر معظّمة ، ومناسك مكرّمة ، وملتقى آدمَ وحوّاء ، ومَهبِط الوحى من السّماء ، ذلك بيتُ الله لا بيوت نِيرانِكم ، وشعارُه لاشِعار صُلبانكم ، ومدارس الذِّكر لا مدارس البُهتان ، ومعارج الملَك لا مدارج الشّيطان ، إنّ

١٥ القرآن ليس بديوانكم ، ولا الكعبة من زخاريف إيوانكم .

إنّ الذى سَمكَ السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطوَلُ[5]

---

(١) أى ليس لهم حظ من تلك العلوم والفنون ، كما ليس للزمان حظ من الحرم ، فإن الزمان مائم الشباب .

(٢) انظر الكلام على « هرمس » ابن النديم ٤٩٤ وابن أبي أصيبعة ١ : ١٦ — ١٧

٢٠ والقفطى ٢٢٧ حيث ذكر هرمس الثانى والثالث . وأما هرمس الأول ، وهو هرمس الهرامسة ، وهو إدريس عليه السلام فقد ذكره فى ٦ — ٢ . وراجع ما أسلفت فى حواشى الرسالة المصرية ص ٣٩ .

(٣) العرب تسمى بنى الأمة : بنى استها . وانظر ص ٢٧٦ س ١١ .

(٤) لأبى الفرج القاسم بن حسل ، فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٦٥٩ .

٢٥ (٥) الفرزدق فى ديوانه ٧١٤ .

بيت في كِسرِه احتلج محمد صلى الله عليه وسلم ودرَج ، وفيه دبَّ و إلى السماء عَرَج ، ثمرة دوحة ٍ ركت في مُضَر منابتُها ، ونَما في النَّضر بن كِنانة نابتُها ، ووشَجت إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم أعراقُها ، وتولَّفت من هاشم أغصانُها وأوراقها ، سمت صُعُدا بين السَّنا والسناء ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، صلواتُ الله عليه وعلى آله الطيِّبين الطاهرين ما فاحت الأفواه ، ووُرِدت المياه ، واستغفرَ الله كلُّ منيب أوّاه ، وعلى صحبه وعِترته نجوم الهُدى ، ورُجوم العِدى ، الرُّكَّع السُّجود ، القُوّام الهُجُود ، أصحاب الغُرَر والتَّحجيل [(١)] ، وحملة التنزيل ، والعلمة بالتأويل ، ﴿ ذلك مَثَلهم في التَّوراة ومَثَلُهم في الإنجيل ﴾ . إليكَ فقد بيّن الصُّبحُ لذي عينين ، وطبّق بين الخافقين . فلا تعرَّ أيها الأثيم الأفاك ، فقديم سعدها فاك ، ولئن أوجعناك ، فبما قدّمت يداك أجل ، صديق المرء عقلُه ، وعدوُّه جهله ، ولا يحزنك دم هَراقه أهلُه .

عَرَفتَ صناتى عرةً فوجدتها من العِزّ يأبى عودُها أن يُكسَّرا
فإنْ تغضبوا من قسمة الله بينها فلله إذ لم يُرضِكم كان أبصرا

كملت الرسالة والحمد لله رب العالمين

---

(١) في الحديث « أمتي الغر المحجلون » ، أي بيض مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام . وكتب إزاء الكلمة في الهامش : « والمحجول » . وانظر ماسبق في ص ٢٦٢ س ٣ لتضمه إلى ما سبق في ٢٣٧ من دلائل تعزز نسبة الرسالة مشفوعا بما نبهت عليه في الحاشية رقم (٥) من ص ٢٩٥ .

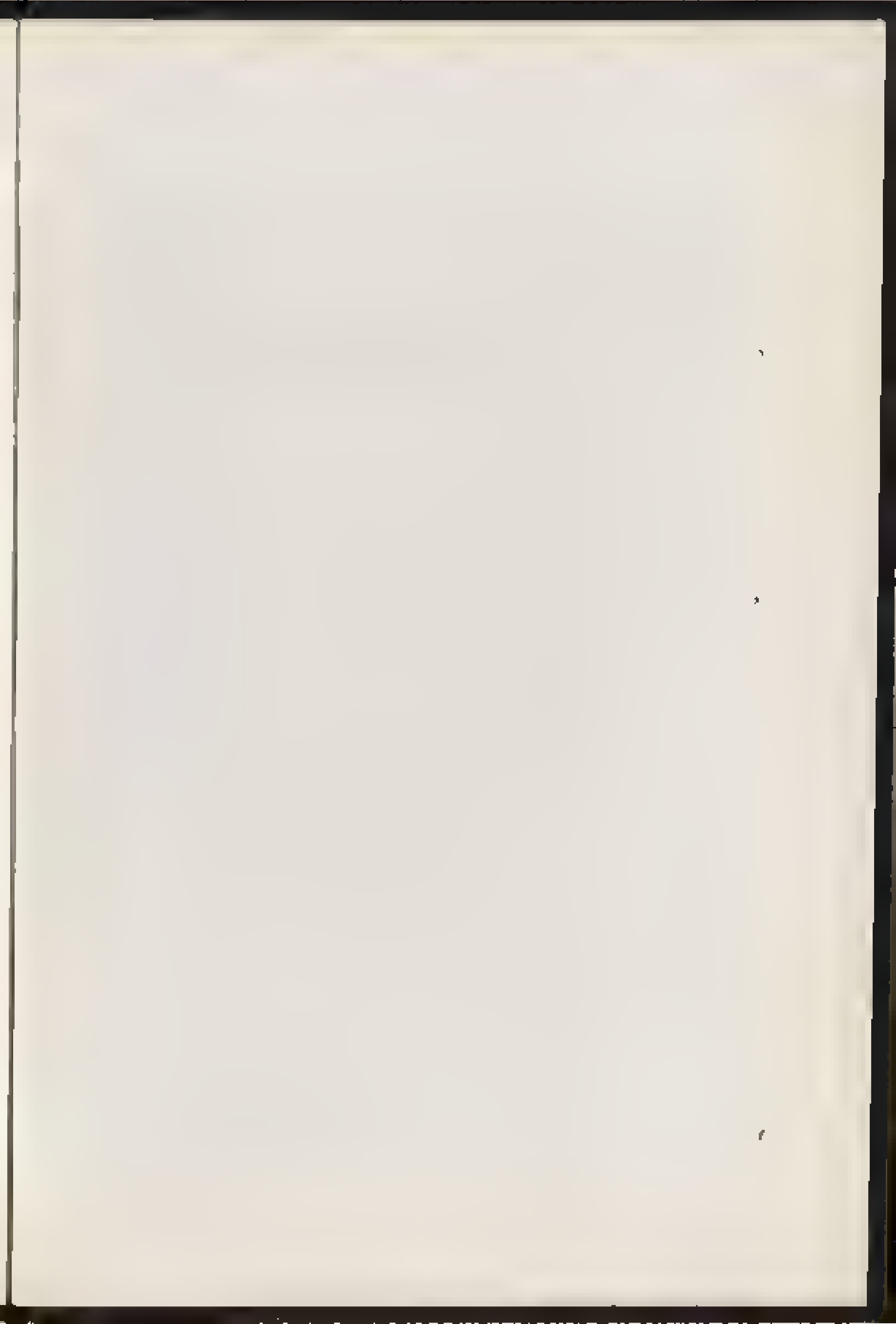

رسالة ثالثة

فى الرد على ابن غرسية

لأبى جعفر أحمد بن الدودين البلنسى

رسالة ثالثة فى الرد على ابن غرسية

أجابه بها الأديب أبو جعفر أحمد بن الدودين البلنسى [1]

اخسأ أيها الجهول المارق ، والمرذول المنافق ، أين أمك ، ثكلتك أمك .
أو ما علمت أنك سُحبت من عِقالك لِعُقالك [2] ، وقدّمت أوّل قدمك ،
لسفك دمك ، وسطت مكفوف كفّك ، لسلطان حتفك ، وفلّت شبا أقلامك ،
لاصطلامك ، وحرّت بجرّك ، لذهاب حرزك ، وشققت فى قرطاسك ، لشقّ
راسك ، فما حقيقة جوابك ، على خطل خطابك ، إلا تنبّك عن إهابك ، وصلبك
على بابك ، ولو كان بالحضرة أقيال ، وحضرتك رجال ؟ ! لكنّك بين همج هامج ،
ورَعاع مائج ، « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء » . فأقسم ببارئ
النسم ، وناشر الأمم من رفات الرمم ، لا صبّن عليك أيها السخيف ، المصموف ،
على مدالك ، ورسالتك ، عرض البساط [3] ، أضيق من سمّ الخياط ، ولأخلدنّ لك
سمرا عابرا [4] ، ومثلا سائرا ، أو تشوه محيّاك ، وتحلق [سبتالك [5]] من
قفاك ، وتحترم بزنارك ، وتلحق بأديارك . مالك ، ومقرآتك [6] ، [و] أسرتك
الأرذلين ، وعترتك الأرذلين [7] ، الشهب السبال ، من ولع الدم وشرب

---

(1) انظر ما سبق فى التقديم ص ٢٣٨ . وفى الذخيرة . « فرد عليه أبو جعفر برقعة قال فيها » .

(2) عقل البعير : ثنى وظيفه مع ذراعه وشدهما جميعا فى وسط الذراع ، وذلك الحبل هو العقال . والعقال ، كرمان : ظلع فى قوائم الدابة . فى الذخيرة : « إنما سحبت » .

(3) البساط ، بالفتح : الأرض الواسعة .

(4) العابر : الباقى .

(5) التكملة من الذخيرة . وفى أصلها . « سبالك » . والسبت : الحلق

(6) القر : دق السق .

(7) فى الذخيرة : « الأنذلين » .

الأوال، أكَلة الجيف، وحَمَلة الكُنُف[1]، «الوُضَّح، الرُّجَّح»، رُجُح
٤٣ ب الأكفال، وُضُح كذوات الأحجال، لله أبوك لقد أجدتَ في قومك الوَصف،
وبسطتَ لنا منهم النَّصَف، وأنا الآن أنصِف، وبقَدْرك أصِف. «عُمٌّ، حُمٌّ»
عُمٌّ بالتداوي من القَرَم، وممدح القلم، حُمٌّ عن كل مجاور الحُلم. «جُنُح طُمَّح»
٥ الآنَ صدقتَ، وعنطك استدركتَ، جُنُح في الإحجام، عن الإقدام، طلبَ
الفرار، يوم الانتصار وإدراك الثار، طُمَّح إلى كل دَمُوح طَموح، يَصُول الشَّزْر،
ويُطيل النَّزْر، مُقَّاف، مقلَّف[2]، ذي خَلْقٍ مرصوص، وهامة كالفصوص[3].
إنك وأمانيك، أن يمحوَ كتابَك.

«حداة السروح عند الصُّروح[4]»، التصغة، يا كُشاجم لا الأمة[5]،
١٠ غُضَّ قليلاً من طرفك، وأمسِكْ عن طرفك، ولتنكز في ذلك إلى طرفك،
هل يصحُّ في التحصيل، أو يجوز في المعقول، أن يحمي قومك سروحَ شائهم،
وقد أباحوا فُروجَ نسائهم، أليس هذا عينَ المحال، ومغالطة الجهال. فهلا
توهَّمت يا فتى الجواب، قبل الخطاب، وأبصرت الورطة، قبل السَّقطة.

وأمّا ما قعقعت به وفرقعت، من صواحب الرايات، فهنّ وأبيك بعض
١٥ ربة الإياة[6]، إماؤنا المسبيات المنتهبات، متكشفاتهن طلبا البيض الهندية،
وشَبا السُّمر الرُّدينية، فما عجبنا منهن عما عوَّدتموهن من البغاء، للاسترضاء،

(١) حملة: جمع حامل. انظر ما سبق في ص ٢٤٦. والكنف: جمع كنيف، وهو كل ما ستر من بناء أو حظيرة.

(٢) المقاف: المسن. وهذه الكلمة ليست في الأصل، وبدلها في الذخيرة «مطف».
٢٠ والمقلف: ذو الغلاف، والمراد به العلفة، وهي الجبة تقطع عند الختان. وبدله في الذخيرة: «ملقب».

(٣) الفصوص من الفرس: مفاصل الركبتين والأرساغ.

(٤) في الأصل: «بناة الصروح» ووجهه من الذخيرة مطابق لما سبق في ص ٢٤٧.

(٥) انظر لكشاجم ما سبق في ص ٢٧١.

(٦) انظر ما مضى في ص ٢٤٩.

فيكم معشرَ العُربان ، من ولد سارتكم الإماءِ والعُبدان[1] ، وفيك من ذلك أصحُّ دليلٍ وأوضح برهان . مهلًا يا فتى تَقِفت ، ودونَ هذا الفصل وَقَفت .

« بُصر صُبُر » ، بُصر بتركيب عَصَب أنابيبِ الشَّرر ، ومنافعها بزعمهم لجسم والبصر ا صُبُر على إيغال ، العَرَاميل الطُّوال .

« سُرُج ، وهُج » سُرج المَصَابيح ، لا يَطفأ وَهَجانُ ذلك السَّمُر ، إلا بدافق ماء السَّكَر

« مُلْس الأدُم ، ما حاكُوا قطُّ بُرودا ، ولا لاكُوا عُرودا » . هذا وأبيك من التَّعريض الرَّقيق في مقالك ، وآلك ، وذلك أنك وصفتَهم بامِّلاس الجلود ، وقفَّيت بنَفْي لَوك العُرود ، وإيجابُ ذلك ، لا يليق إلَّا بيالك[2] . فهذا لعمرك من بديع التَّحقيق ، فافخرْ بهاتان صِنفان سُلِّقتا لكم . وأما لَوْكُ العُرود فإن ذلك أوضحُ[3] من السِّراج الوهَّاج ، في اللَّيل الدَّاج[4] . قد تحدَّثَ[5] أنَّ وِلدانكم عطَّلُوا في وقتٍ سُوقَ سائكم ، فنُمِي ذلك إلى مليككم[6] ، فحكَم ، أكرِمْ به من حَكَمٍ[7] ، أن يبيع النِّسوان ، من أسمنِ ما أناخ الوِلدان ، وامتثل ذلك فانَّسقت الحالاتُ ونفَقت السُّوقان ، وما سُمِع في الأزمان ، بأغربَ من هذا الشَّأن ، فاشمخْ بأنفك ، والحُر بِصَلفك[8] .

---

(١) الإماء بكسر الهمزة وضمها : جمع أمة ، وهي المرأة المملوكة
(٢) في الأصل : « ألا يليق إلا ببالك » .
(٣) هذا ما في الذخيرة . وفي الأصل : « فأوضح » .
(٤) الداجي : المظلم .
(٥) الذخيرة : « قال المحدث »
(٦) نمى : رفع ونقل ـ يقال نموت الحديث أنموه وأنميه . وفي الأصل : « نهى » تحريف ، صوابه من الذخيرة . وإنما يقال نمه أنهيت إليه الخبر فانتهى وتناهى .
(٧) الذخيرة : « من محكم » .
(٨) الصلف ، الإصلاف . الذخيرة : « بصلفك » .

وأما حوككم البرود ، فناهيك من العمارة الإبرعجية[1] إلى الديباجة الرومية ، والبستان ، بذلك تشهدان

وأما فخرك برنة الإبلة فباليتها حين ولدتكم تبكلكم ، فقد سر الشعوها عاراً محذداً ، وعصبتم بها شناراً مخلداً ، حين جنتم عن الكفاح ، حذر الصوارم والرماح ، فأسلمتم لعداتها ، من سادتها ، كل طفلة رداح[2] ، جائلة الوشاح ، ٥ ذات ثغر كالأقاح ، وغرة كالمصباح ، أعصين عن لوث أزرهن ، واعتجار خمرهن ، فعوضن من الإدلال بالإذلال ، ومن الحجال بالرحال

خلف الضاريط لا يوفين فاحشة مستمسكات بأقتاب وأكوار[3]

وعيرت العرب بالأعداء بالحيات ، لتغذيكم بالدماء والميتات ، فيسار الصدّ ، وبقع الخد ، بين من ماتت حرائه ، وماتت همته . على أن لا افتخار ١٠ في مشرب ولا مطعم ، لعرب ولا لعجم . وكذلك ما عيرتهم به من حرق الحلة والبعر ، غزوا بإضرام النيران ، لإكرام الضيفان ، وإطعام المقرور الجوعان ، إلى أن عدموا الأرطى والغضى ، وموجود السمر ، وسائر أنواع الشجر ، فلجؤوا إلى الحلة والبعر .

وكذلك وصفك قومك بأن « ليسوا حفرة أكر ، ولا حفرة عكر » ، ١٥ ٤٤ ب الله أجل الأكران يحفروها ، والعكر أن يحفزوها ، لكنهم حفرة حفشان ، وحفرة كهوف وغيران ، اتخذوها مخبأ عن حبائل الفرسان[4] ، وملجأ من وقع

---

(١) العمارة . مثل العسوه يلقيها الرجل على رأسه تحت الدرج ثم يلبس البيضة فوقها ، وربما جعلت من ديباج وحرير أسفل البيضة . والإبرعجة ، قال ياقوت : « ثم في شمال الأندلس نحو الشرق إلى روميه » . وانظر الفهرست ٣٠ ، ٣٤ ومروج الذهب ٢ : ٣٤ والقاموس .

٢٠ (٢) الطفلة ، بالفتح : المرأة الرخصة الناعمة . والرداح : الصبراء الثقيلة الأوراك التامة الخلق .

(٣) للنابغة الذبياني في ديوانه ٤٢ . الضاريط : الأتباع والأجراء .

(٤) الذخيرة : « عن حبائل » .

الصّوارم والمُرّان، مثل الخِزّان واليرابيع والجِرذان(1).

وأمّا تحرّك علمهم الشرائع، فمن أبدع البدائع، «استنّت الفصالُ حتّى القَرعى(2)»، وجهلهم بذلك أوضح، من أن يُشرَح، وأبين، من أن يبيَّن، لكن أنكتُ من ذلك نُكتة، وأبيدُ منه بُدّة، تصممهم صمما، [و] زدُّ صُهب أدُمهم سُمعا. وأن يكون ذلك، هُبِتَ لأيك، ولم يأخذوه عن نبيّ، ولا تَلقَوه عن حَوارِيّ، ولم يزالوا يتجاوزون أصلهم الإنجيلَ بالزيادة والنقصان، إلى أن أصاروه في حَيِّز الهذيان. وحسبك منهم جهلاً أنّهم يعتقدون إلهاً ربَّهم، يسمّونه بالربّ المعبود، ويصيّرونه بعدُ مصلوبَ اليهود، فاعجبْ لجهلٍ يجمع بين هذين الطرفين، واعجبْ من ذلك أنّهم يجمعون(3) أنّ عيسى ينزلُ إلى الأرض، لحسابِ الخلائقِ يومَ العرض، فما ظنّك يفعل باليهودية(4) على ما قدّموه على زعيمهم من صلبه، فهل يصحّ بهذه الآراء الضعيفة، والعقول السخيفة، دين، أو يثبتُ لهم معه يقين. ولولا أنّي أُجلّ علمي، وأنزّه كلمي، عن سخافاتهم، في دياناتهم، ورسومهم، في أحكامهم، لأوردتُ من ذلك ما لا يستجيزه إلّا مثلُ قومِك التَّبَجّ، عقولِ البُوم والرَّخَم.

وأمّا علم الطبائع فسلّمْ بعضَها لهم، لما تقدّم في أثناء الرسالة، من علمهم بخواصّ تلك الآلة، والصِّدقُ أزينُ ما به نُطِق، وإليه سُبِق.

وما ذكرته من أبي رِغال، فذلك جدٌّ محتال، إنّه عدا(5) عمّا منه باستئصالهم

---

(1) الخزان: جمع خزز بضم ففتح، وهو ولد الأرنب.
(2) استنت: جرت في نشاط. والقرعى: التي أصابها القرع، وهو بثر. يضرب مثلا للرجل يدخل نفسه في قوم ليس منهم.
(3) التيمورية: «يجمعون».
(4) في الأصل: «بعل اليهودية»، صوابه من التيمورية.
(5) بدله في التيمورية: «بأدواء عماه».

من اختيارهم إلى بوارهم، فعجل الله بأرواحهم إلى نارهم.

وقصيّة أبي غُبْشان التي عظّمت، ليس الأمر كما توهّمت، لأن الكعبة بيت الله لا شريكَ له وضَعَه تعالى للعباد، وسَوّى بين العاكف فيه والباد، وأبو غُبْشان إنما باع خِدمتَه في البيت، وهذا قصية سميها الغوى[1]، أين تقع في قصية إمامكم يَهُوذا الحوارىّ، إذ باع نبيّه روح القدُس، من أعدائه بالأبْخَس[2]، فكذّبَ الله ظنّه، وأخزى سنّه، فدونك ضع قصية سميها في كِفّة وفي أخرى قصية إمامك، ورجّح بينهما بعض حنانك.

وأمّا وصفُك قومَك أنهم «عُدٌ، نُجُدٌ، شُمُخٌ، بُذخٌ، عُرقٌ، غُرقٌ»، فهيهات ذلك منهم، تلك صفاتُ قومنا العربِ ذوي الأنساب، والأحساب، والعلوم، والحلوم، أولي الألْسُن، والبيان واللَّحَن[3]، والإسهاب، في الصواب، والحكمةِ وفصل الخطاب، فُرسانِ الإعراب، وأرباب القِباب، ومُعْمِلي الصوارم والحِراب، أنديتهم عِراصُ المنيّة[4]، وأرديتهم بيضُ المشرفيّة، ولَبوسهم مُضاعفةُ اللاذية[5].

سَهِكين من صدإ الحديد كأنهم ... تحت السَّنَوَّر جِنّـــةُ البَقّارِ[6]

مجالسهم السُّروج، وريحانهم الوشيج، ومُوسيقاهم رَنّات الأدبيّات،

---

(١) الذخيرة: «وقصة سميها العرق».

(٢) كان ثمنه ثلاثين من الفضة، متى ٢٦: ١٥. وقد ندم بعد ذلك ورد الثلاثين ثم مضى وخنق نفسه ٢٧: ٣ — ٥.

(٣) اللحن، بالتحريك: الفطنة.

(٤) عراص: جمع عرصة، وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

(٥) اللاذية: السهلة اللينة. والمضاعفة: الدروع التي نسجت حلقتين حلقتين.

(٦) للنابغة في ديوانه ٣٠ والحيوان (٦: ١٨٩، ٤٩٥). البقار: موضع كثير الجن.

وطُوبيقام السُّريجيات[1] ، لم تكن عادتَهم النَّساء ، ولا رادَتَهم فى آحالم النَّساء[2] .

يَســتمدِون منايام كأنَّهمُ لا ييأسون من الدنيا إذا قُتلوا[3]

عُنُوا بعدَ أطناب الأبنية ، عزّةً وأنفةً عن تشييد الأسية ، بُحا فى الصَّحاصِح والبيد ، وملَ الأساود والأسود ، قُصورهم الدهل ، ومعاقِلهم الذَّوابل ، صُبُرٌ ، وُقُرٌ ، إذا ثارَ الغبار ، واسودَّ النهار ، وحسُنَ الفِرار ، وذَهِبت الأذهان ، وأبهم العين[4] ، وتجلج اللّسان ، وتلاطمت السيوف ، وحَمِيت الحتوف ، وقدّحت الشَّماء ، وعصَبَ الرِّيقُ [بالأفواه[5]] ، وتعانقَ الشُّجعان ، وتشاجر الأقران ، وبرِم الحِمام ، وملَّ الحسام ، وحَمِيَ الوطيس ، والتقت الأقدام والرءوس ، فلا ترى إلا حزَّ الغلاصم ، وشَيْمَ الصَّماصم فى الجماجم[6] فهناك نفهم ، لا دَهِمكَ اقْتِحامُ ، أقيالَ الأقيال ، ثمرةَ الأذيال ، أُسود الأغيال ، حماةَ الأشبال ، لا مُلْسَ أدمٍ ولا حمرةَ الأذيال ، وهكذا فليَكن أقيالُ الرجال ، يا مسلوب الحمال[7]

كُتِب القتلُ والقِتال علينا وعلى الغانياتِ جرُّ الذُّيولِ[8]

وما كان أغناك يا كُشاجم ، عن كشف عَورات آلك الأعاجم ، لكن خفَّفَ عظَرَك ، حداكَ إلى هَذَرِك ، وسوء أدبك ، وأتى بك على عطبك ، سأل الله سِتراً يمتدّ ، ووجهاً لا يسودّ .

---

(١) الطوبيق ، سبقت فى ٢٠١ ، ٢٢٩ بلفظ « وطبيق » . والسريجيات : سيوف منسوبة إلى قين معروف .

(٢) رادة : جمع رائد . والنساء ، بالفتح : تأخير أداء الدين إلى أجل .

(٣) لأبى تمام من قصيدة يمدح فيها المعتصم . ديوانه ٢٢٩

(٤) الذخيرة : « وأبهم » .

(٥) التكملة من الذخيرة .

(٦) شام السيف : أغمده . والصماصم : جمع صمصام ، وهو السيف القاطع .

(٧) المحال : جمع محملة ، وهى بيت كالقبة يستر بالثياب يكون له أزرار كبار على أنه مهتوك الستر .

(٨) لعمر بن أبى ربيعة فى عيون الأخبار (٢ : ٤٩) والأغانى (٨ : ١٣٣) وزهر الآداب (٣ : ٧٦) .

رسالة رابعــــة

فى الرد على ابن غرسية

لأبى الطيب بن منّ الله القروى

وعنوانها كما فى كتاب البلوى وكشف الظنون

حديقة البــلاغة ، ودوحة البراعة ، الورقة أفنانها ، الثمرة أغصانها ،
بذكر المآثر العربية ، ونشر المفاخر الإسـلامية ، والرد
على ابن غرسية فيما ادعاه للأمم الأعجمية .

وممن ردّ أيضاً عليه ، وأجاد ما أراد (أبو الطيب بن منّ الله القروى) برسالة طويلة أثبتُّ منها بعض الفصول ، تخفيفاً للتثقيل ، قال فيها[1] ، وافتتحها بهذه الأبيات

وذى خطل فى القول يحسب أنه ... مُصيبٌ فما يُلمِمْ به فهو قائلُه[2]

تَهَدّدتُه حتى تبيّنتُ عيبَه ... من الجهل واستولتْ عليه مقاتلُه

تمنّى مُعَرّى عـــلامَ شدّدْتَ ... قُوَى العير حتّى أحرزتْك مَحَاصِلُه

أيّها الشاعر بزعمه ، بل الفاجر بزعمه ، ما هذه النسالة ، فى الفسالة ، ما هذه الجسارة ، على الخسارة ، لقد تجرّأت ، ومن الملّة تبرّأت ، أبالعرب تمرّست ، وفى مجدها تفرّست ، وعلى شرفها تعدّيت ، وإلى سُؤددها تخطّيت .

(وفى فصل) . فأخبرنى عنك أما كانت العرب بدءاً تشكرها ، أو منّة تذكرها أما جبرَتْ قبيصتك ، أما رفعت خسيستك ، أما استنهضتْكَ من وهدك ، أما أيقظتْكَ من [غفلتك و[3]] رقدتك ، ألم ترُبّك فيها وليداً[4] ، ألم تتخِذك لها تليداً[5] . ألم تمُنّ بتخريجك[6] ، وتدريجك ، أما أسعفتْك بعد المحنة ،

---

(١) إلى هنا ينتهى ما فى الأصل والذخيرة ، وما بعده إلى نهاية الأبيات الثلاثة ليس فى الذخيرة وانفردت به نسخة الأصل . أما النويرى فى أنف باب فقال : « أما أحدهم فافتتح الرد عليه بقوله :

وذى خطل فى القول يحسب أنه ... مصيب فما يلمم به فهو قائله »

ولم يعين ذلك الأحد . وانظر الكلام على هذه الرسالة وعنوانها ما سبق فى ص ٢٣٩ .

(٢) البيت لزهير فى ديوانه ١٣٩ . والبيتان بعده لم يردا فى الديوان .

(٣) التكملة من الذخيرة .

(٤) فى الأصل : « ألم نربك فينا وليدا » . تحريف سببه الحرص على نص الآية .

(٥) فى الأصل : « ألم تتخذك » . والتليد : الذى ولد ببلاد العجم وحمل صغيراً إلى بلاد العرب .

(٦) فى الأصل : « ألم تمن » ، وفى الذخيرة : « ألم تمكن » ، كلاهما محرف .

أما أسلقتك بعد السُّكنة[1] ، حتى إذا اشتد كاهلك ، وغلظ حاملك ، وقوِىَ ساعدك ، ورقّ صاعدك ، كفرت نعمتَها لديك ، ونزعت عصمتها من يديك ، وأخذت تطاولها بأرسانها ، وتقاولها بلسانها ، وتناضلها بسهامها ، وتُهاطِلها برهامها[2] أحين فككتَ أسرك من أقدورة القلف[3] ، وأحددت نصلك[4] من أهوية السلف ، وشددت ظهرك للمتان[5] ، واعتمدت ظُهرك بالمتان[6] ، ناهضتَها بحسامها ، وجاهضتَها بكلامها ، ورميتَها [بسهامها[7]] ، عن قوسٍ هى سوّتها ، ومن عصبة هى فتلتُها

أعلّمه الرماية كلّ يوم   فلما اشتدّ ساعده رمانى[8]

([وفى فصل[7]]) . وهاتِ أربا معاجرك ، بُرك مساحرك . أنت صاحب الشُّهب ، الصُّهب ، والسنة شهباء ، والعقم صهباء . كذلك أنتم لا خيرَ ولا مير ، ولا عُمرو ولا عُمير ، ليس للسنحاء برؤية اسم ، و[لا[7]] للوفاء فى الصحبية رسم . أين أنت عن السُّمر ، القمر ، البيض غُرّا وصباحا ، السُّود طُررا وأوضاحا ، الدُّعج عيوناً ورِماحا ، البُلج وجوهاً وسماحا ، قِممٌ فى العمائم ، وهِممٌ فى العمائم ، سعّروا عليكم نارَ الحرب ، فتلك الأسنّة الجُرب ، فكسروا أكاسركم ، وقصّروا

(١) السلق : رفع الصوت ، وبلاغة الخطيب . والمعروف « سلق » وأما « أسلق » فلم يرد فى المعاجم المتداولة .

(٢) المهاطلة : مفاعلة من الهطل ، وهو تتابع المطر وسيلانه . التيمورية : « تماطلها » ، تحريف . والرهام : جمع رهمة ، وهى المطرة أشد وقعا من الديمة وأسرع ذهابا .

(٣) القلف : مصدر الأقلف ، وهو الذى لم تقع عليه الختان . فى التيمورية : « الثقف » بالثاء ، وهما سيان .

(٤) التيمورية : « بصميك » .

(٥) المتان : مصدر ماتنه ، أى باعده فى الغاية . والمتان أيضاً : جمع متن ، وهو الظهر .

(٦) فى الأصل : « ظهرك » ، صوابه فى التيمورية .

(٧) التكملة من التيمورية .

(٨) لمعن بن أوس فى البيان (٣ : ٢٣٢) واللسان (سعد) . وقد اتفقت النسختان هنا على رواية : « اشتد » ، وهى رواية مصحفة ، والأصح « فلما استد » بالسين المهملة .

قياصرتكم[1] . وأخمدوا نار صولتكم ، ومحوا آثار دولتكم[2] ، وطهّروا
الأرض المقدسة من أنجاسكم ، والمسجد الأقصى من أرجاسكم ، الذين ينخوون
ولا يستحيون ، ويتجنّبون ولا يتطيّبون[3] ، رعاة الخنازير ، وأكلة السنانير ،
أمّا رجالكم فقُلْفٌ غُتْم ، وأما نساؤكم فقُذْرٌ بُظْر[4] ، لا يعرفون الختان
ولا الحِيَض ، ولا يأمنون شيئاً ولا العيب ، وعلى ذلك آثرت ، وبمن كاثرت ،
أما استحييت ، أما استحييت ، من كانت العرب لا تكثر بعزّة ، وذخر ، وفخر ،
وذخيرة[5] شعرها القنا في الموت المحتوم ، وسكن أرض يرغب عنها أولو البطشة ،
ويرغب فيها ذوو الفصه[6] ، حفظ فيهم أحسابهم ، وطهّر بها أدناسها[7] ،
واختارها ليختار منهم صفيّه[8] ، وميّزها ليميز منهم خفيّه ، ثم اختصّها بالأحلام
الزكية ، والأفهام الذكية ، والأنفس الأبيّة ، إن جاورتهم نصروك ، وإن حاورتهم
قصروك ، وإن قاصدتهم قصدوك ، وإن ناصبتهم نصفوك ، وإن طاولتهم طالوك ،
وإن استملتهم أملوك ، يمشي أحدهم إلى الموت مشية وطّانه ، وسيحة حفوته ،
شديدة سطوته ، حريص على الكمِيّ جنانه ، دَرِبٌ بتصريف القناة بنانه[9] ،
بصيراً بفتح الله رعين سنانه ، وأنتم كما وصفت نُكْس ، لُكْس ، لا تميرون ولا تغارون

(1) في الذخيرة : « كاسرتكم » و « قياصرتكم » : وجمع كسرى على « كياسر » أو « كياسرة » غير معروف ، وإنما يجمع على « أكاسر » و « أكاسرة » و « كاسرة » و « كسور » . وأما « قيصر » فجمعه على « قياصر » و « قياصرة » قياس صحيح

(2) هذا الوجه الأولى من الذخيرة . وفي الأصل : « صولتهم » و « دولتهم »

(3) التجنب : أن يصير في حال جنابة ، يقال أجنب وتجنب ، وجنب ككرم وعلم . في الذخيرة : « ويجنبون ولا يتطهرون »

(4) البظراء : الطويلة البظر ، وهو ما تقطعه الخاتنة .

(5) الذخيرة : « وخيفة »

(6) في المنتخب : « ذو الفصه »

(7) هذا الصواب من الذخيرة . وفي الأصل : « وظهرها أدناسها » ، تحريف .

(8) هذا الصواب من الذخيرة . وفي الأصل : « ليتنار بها صعبه » .

(9) عرباء ، بعدها في الذخيرة : « لقنا » . وفي قول مالك بن الريب :

وكنت إذا ما الخيل شمصها القنا ... لبيقا بتصريف القناة بنانيا

ولا تُسمعون ولا تَسمعون، قلوبكم نَوَاه، وأفئدتكم هواء، وعقولكم سواء،
قد لانت جلودُكم، وهَدَت بهودُكم، واحمرّت خدودكم، تحلقون اللِّحَى
والشَّوارب[1]، وتتهادَوْنَ القتل في المشارب[2]. والعرب تذمُّ بالدَّعة، وتهجو
بالشِّبَع، وتفخر بالجلادة، وتمدح بالصَّلادة، فإن فاخرتَها بجميع الطعام والشراب،
ولكنْ بالطِّعان والضراب، وما عليك من أولئك القُرود، أجفتَ إمحارَها،
وعَشَّيتَ إعوارَها، أَلكَ حاجة إليها، أم لك حرصٌ عليها. لشدَّ ما أدركتْك
الحميَّة فيها، وحرَّكتك العصبية لها[3]. هذه نادرة لم تقصِد قصدها. ومن
الآيات، ذكر صواحب الرايات، والمباضَعة، عندكم كالمراضعة، وما في الشُّكْر،
عندكم نُكْر، تُبيحون وُلوج العلوج، على بدور الخدور، الزِّنا عندكم سَناء،
والفِجار، بينكم فَخار، فكيف أنكرتَ ما ذكرتَ، وأنت على سَنَن، تلك
السُّنن، الحال قائمة، والقصَّة دائمة، «وأوّل راضٍ سيرة من يسيرها»[4].

([وفي[5]] فصل): فساروا مُعرِّدين، وعلَوا مشرَّدين، لا تردُّهم ردّة،
ولا تصدُّهم صدّة، حتى أهلكوا ساسان وكاسان، وملكوا خراسان وماسان،
وملكوا ما قَهر، ما وراء النهر، فأدخلوكم الدُّروب، وألزموكم الكُروب،
بجريدة خَيل، وطَريدة ويل، وأمضَوْا فيكم العزائم، وأرضَوْا منكم الهزائم،
حتّى أجحروكم رومية[6] الكبرى، والقسطنطينيّة الأخرى، ونازلوكم منها على
دراقين، وصرعوكم بين المصراعين

---

(١) اللحى: جمع لحية. وهذا ما في الذخيرة. وفي الأصل: «اللحاء»، وهذا إنما هو جمع لحى بالفتح، وهو ما ينبت عليه العارض.

(٢) المشارب: جمع مشربة، وهو الموضع الذي تشرب منه، على نهج الأمواه.

(٣) الذخيرة: «أدركت» و«حركت».

(٤) عجز بيت لخالد بن زهير الهذلي. ديوان الهذليين (١: ١٥٧). وصدره:

* فلا تجزعن من سنة أنت سرتها *

(٥) التكملة من الذخيرة.

(٦) هذا ما في الذخيرة. وفي الأصل: «رومه». ورومة: أرض بالمدينة فيها بئر رومة التي ابتاعها عثمان وتصدق بها.

ألم تبلغك ضربةُ يزيدَ بعموده(١) ، وخبر خالد بن يزيد في أخدوده ؟

والرايةُ المعلمة ، والآيةُ المحكمة ، مسجد مسلمة(٢) .

٤٧/ا

ثم كم قائلة ، عائطة ، وصائمة ، عليكم طائمة . ثم غطّوا مغرّبين ، وللأرض معرّبين ، فما تركوا من الأعاجم عاجماً ، ولا ناجماً . ولا بقوا من البرابر غابراً ، ولا عابراً ، وساروا قُدُماً يذمون البرّ دعماً ، ويسبحون البحر سبحاً ، حتى طرفكم طارفُهم في هذا الطَّرَف ، ورشقكم راشقُهم في هذا الهدف ، واقتحموا عليكم هذه البلاد فأوطئوها ، وكأنما رموها بالحجارة فما أخطئوها ، فملكوا أرضكم ساحتيها ، وأحاطوا بها من ناحيتيها .

وضمّوا جناحيكم إلى القلب ضمّةً   تموت الخوافي تحتها والقوادمُ(٣)

فهو أضحك لقوم سلكوا بلادكم ، واستعبدوا أولادكم . ثم إنهم حين قَدَروا ، عذروا ، ووضعوا الإتاوة على حاسر ، الأعاجم ، والرسوم في راجم ، السّلاجم(٤) فلا يحضرون لعِشار ، إلا بالمِثار ، ولا يشهدون الأسواق ، إلا بالأطواق ، فإن

---

(١) كان يزيد بن معاوية قد حاصر القسطنطينية وهو ولي عهد وذلك في سنة ٤٩ أو ٥٠ وأبلى بلاء حسنا في إمارته . ولعل ذكر « ضربته بعموده » إشارة إلى حادثة تاريخية معينة في تلك الحرب .

(٢) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بنى مسجد القسطنطينية في أيام أخيه الوليد . وقد أطلعني الأخ الثقة الدكتور جمال الدين الشيال على نص هام لابن واصل في (مفرج الكروب) الذي يقوم بتحقيقه ونشره . جاء في الورقة ٤٠٢ من مخطوطة باريس رقم ١٧٠٢ : « وذكر أن سبب بناية هذا الجامع المذكور ، في كتاب تذكرة ابن حمدون ، أنه بني في سنة ست وتسعين للهجرة ، ووقع الصلح مع الروم على أن يبنى بالقسطنطينية جامع فبني ، فلما جاءت مدته هدموه جميعا . وقال غيره : إن الصلح تقرر بين المسلمين والروم على أن يبنى جامع على الفور حتى يتم ، وتعرف الأعمال في ذلك ، ثم سفر الحال عند المسلمين بالحط حتى قدموه لسورا وهدموها ، فأنكر الروم ذلك ، فقالوا المسلمون : إن هذا حط حتى ما يردنا عليه شيء وتم الاتفاق عليه ، فسكتوا . وقيل إن بانيه مسلمة بن عبد الملك بن مروان في أيام أخيه الوليد » . وانظر الروضتين لأبي شامة ٢ : ١٦٠ والسلوك تحقيق الدكتور زيادة ١ : ١٧٢ .

(٣) أصل البيت للمتنبي ديوانه ٢ : ٢٧١ وقد يتمثلون به في الكلام . وإنشاده : « ضممت جناحيهم على القلب ضمة » .

(٤) السلجم : الطويل من الرجال . في المخطوطة : « الملاجم » .

دخلتم في الدِّين قُطِعت أساميكم(1)، وإن خرجتم منه أُحدِثت التي فيها شماميكم(2)،
وكنتَ أنت من رذايا، تلك السَّبايا، ومن عَبايا، تلك الخبايا(3)، ومن حطايا، تلك
العطايا، فلا تَرِدْ حَرْدَ المقهور، ولا تصحرْ صَحَرَ المبهور، ولا تحنق حَنَق
الأسير [على القِدّ(4)]، ولا تغضب غضب المستقي على العِدّ(5)، ولا بأس عليك
فقبلك نصَروا الأمم، وهَصَروا القمم، وهم أبكار الزمان، وأبكار الأوان، ٥
لهم العرب العاربة، ومنهم عادٌ القديمة، ذات(6) الأحلام الشِّداد، والأجسام
الشِّداد، وإرمَ ذات العماد، التي لم يُخلق مثلها في البلاد، ومنهم لقمانُ
صاحب النسور، وباني القُصور، ومنهم ثمودُ الذين جابوا الصَّخرَ بالواد، ونحتوا
البيوتَ في الأطواد، والعمالقة، الفراعنةُ أتم لها أكارون، وجرهمة عكارون،
والإباضية، والمزهر(7)، وذو القرنين صاحب السَّدّ، وشمر مجرب سمرقند ١٠
٤٧/ب قال الله تعالى: ﴿أهم خيرٌ أم قومُ تُبَّع﴾، فصيرهم مثلا في الجلالة. ولهم الملوك من
حمير والمقاول [من كهلان(8)].

كانوا سماء الورى قبل النبيّ وهم | لما أتى الحقُّ يوم أنجم زُهُرُ(9)
سموا بملكهم قبلَ الهدى وسَمَوا | مع الهدى فهمُ آوَوْا وهمْ نصَروا

---

(1) كناية عن الختان
(2) كناية عن الرءوس. في الأصل: «أحدث التي فيه»، وفي الذخيرة: «أحدثت ١٥
التي فيه»، وكلاهما محرف عما أثبت.
(3) عبايا: جمع عبثة، وهو الشيء المخلوط. وهذا ما في الذخيرة. وفي الأصل:
«عبايا». والخبايا: جمع خبيئة وهو ما خبئ. في الأصل: «الحبايا»، صوابه في الذخيرة.
(4) التكملة من الذخيرة. والقد: السير يشد به الأسير.
(5) «العد» بالضبط من الذخيرة. وفي الأصل: «غضب الأسير على القد». والعد ٢٠
بالكسر: الماء الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها، مثل ماء العين وماء البئر. وغضب المستقي
عليه غايته في الحنق
(6) الذخيرة: «ذوات».
(7) كذا وردت في النسختين.
(8) التكملة من الذخيرة ٢٥
(9) في الأصل: «لما أتى الخلق»

ولاة ، علاة ، سعاة [حماة(1)] ، لهم العلوّ والعلاء(2) ، وفيهم الصاهلة والأدواء

(3)

همُ الأنفُ في وجه الزمان وخدُّهم على صفحات الدهر ليس بجلمد

وسدّوا على يأجوجَ لما تتابعت على الصين في قُطر من الصين مسعد

ترى كلّ معطوف الوشاحين أحمسٍ على كلّ محطوف الجناحين أجرد

(4)

فمن أسودٍ في السلم في جيد أشيب ومن أشيب في حرب في جول أسود

بأيديهم البيضُ الرقاقُ كأنّها جداول ماء الموت فيل لها حدى

وأين حصاتك من حلمهم ، أم أين سَعاتك من بالمم(5) .

(وفى فصل) : وعلام حنثتَ أصلك من الأسافل ، وأرحت فضلك عن الأوساط(6) ، ما كان دينهم إليك ، وعداوتهم عليك ، حتى أخرجتهم عن جملة الأعاجم ، ونفيتهم عن حملة أصحاب التراجم(7) ، بسبب كريمتهم ، ومن أجل شريفتهم ، لتسبَّ العربَ ولادةٍ من علق بك ، وتشمّت عدوك . أما علمتَ أنّ أحقَ أعدائك ، وأحرق أقوالك ، سبُّك عدوّك ولادةِ امرأةٍ من أهلك ، أما هذا من جهلك .

---

(1) التكملة من الذخيرة .

(2) الذخيرة : « العلاء والنلواء » .

(3) هذا ما في الذخيرة . وفى الأصل : « وهم على صفحات الدهر ليس تخلد » .

(4) هذا ما في الذخيرة . وفى الأصل : « في ثوب أسود » .

(5) السعاة : واحدة السعى ، وهو الشوك . في الأصل : « سعاتك » ، وفى الذخيرة « سعاتك » ، والوجه ما أثبت .

(6) ناظر إلى قولهم : « لا أصل له ولا فصل » ، أى لا حسب له ولا لسان . انظر اللسان (أصل) . وفى الأصل : « فضلك » وفى الذخيرة : « فصلك » .

(7) التراجم : جمع ترجمان ، وكان لملوك الفرس والروم تراجم . في الأصل : « البراجم » ، وما أثبت من الذخيرة

ولما قال ابن فَضالة(١) فى ابن الزُّبير :

ومالى حين أقطع ذاتَ عِرقٍ   إلى ابن الكاهليّة من مَعادِ(٢)

قال ابن الزُّبير : لو علم لى أمًّا هى شرٌّ من عمّته لسبّنى بها ونسبنى إليها !
أفلا ترى كيف علا عليه ، وسقط(٣) شعرُه فيه ؟! وحاشا من كنّا فى ذكره
من هذا الشَّرف الأبلج ، والسَّناء الأمتع(٤) . هذا عن أفضل نسبك رومان ،
فإن كنت من ولد كسان فما أبعدَ دارك ، وأشحطَ مزارَك ، وأطمسَ آثارك .
وأمّا الخيلُ فصافناتُ العربِ ركوبُها ونتوجها ، وحِلٌّ بينهم وبين عيونها ، فلا حظَّ
لك ولا لأصحابك فيها . حسبكم ببراذين الحذفة(٥) ، والكوادن الموكَّفة . الخيلُ
حزبُ العربِ وصَددُها ، وعُدّتها وأرصادها ، وإنك تعلم أنّ خيلهم أشهر من
ملوككم(٦) أسماءً ونعوتًا ، وأطهر من نسولكم أنسابًا وأعراقًا . قالوا : فمنها
أعوج ، وآل الوجيه ولاحق ، وبنات العسجدى ، وآل ذى العُقّال ، وداحس
والغبراء ، والجرادة والحنفاء(٧) ، والنَّعامة والشَّيماء ، وحاتم والشقراء ، [والزَّعفران

(١) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الأسدى . الأغانى (١٠ : ١٦٢) على أن الشعر ينسب أيضاً إلى عبد الله بن الزَّبير (بفتح الزاى) يقوله فى عبد الله بن الزُّبير (بضم الزاى) . زهر الآداب (٢ : ١٦٤) وخزانة الأدب (٢ : ١٠٠) .

(٢) الكاهلية هى زهرة بنت حنثر ، من بنى كاهل بن أسد ، وهى أم خويلد بن أسد بن عبد العزى ، كما فى الخزانة والأغانى .

(٣) الذخيرة : « حتى سقط » .

(٤) يقال متع النهار متوعاً : ارتفع وطال . الذخيرة « الأسنع » بالنون .

(٥) الحذفة : المقطوعة الأذناب . فى الأصل : « الحدفة » ، وفى الذخيرة : « المخرفة » والوجه ما أثبت .

(٦) فى الأصل : « من أسماء ملوككم » .

(٧) الكلمة مبيض لها فى الأصل ، وهى فى الذخيرة : « الحيفاء » ، والوجه ما أثبت . انظر القاموس واللسان (حنف) والخيل لابن الكلبى ٩ وابن الأعرابى ٧٠ والمخصص (٦ : ١٩٦) ونهاية الأرب (١٠ : ٤١) والعمدة (٢ : ١٨٢) . وهى أخت داحس لأبيه .

والحَرُون، ومِسكون والبَطين، والعرج وقُرزُل، والعصا[1]]. وأسماؤهم كثيرة وألقابها شهيرة، ولعلك أن تذكر لنا من خيل آبائك الأولين، وأفراس أفراقك الأقدمين[2]، فرسا مشهورا، وفارسا مذكورا. ولو كنت فاخرت العرب بنصب الدّواليب، وعطف الكلاليب، وغرس الأشجار، في الأحجار، وقطع ما عظم من العيدان، وعمل الفلاة والشّدان، وصيد، وسعتنا فأما بحر[3] الخيل، وآداب الخيل، ووطء الفلاة، بأيدي اليَعْمَلات. وشنّ الغارات، وطلب الثارات، فلا عليكَ أن تخلّي بينهم وبين شصائصهم[4]، والأسد وعهم في حصائصهم، فإنهم إليهم أقرب، وهم بها أدرب، وهي بهم أليق وأعلق، [وهم إليها أسبق[5]] يركبون إلى الحرب، في ثياب الشَّرب، ويسقون الفوارس، كما يسقون الأوانس.

(وفي فصل): وما عِبت من قوم يبرون البَراع، ويشرعون اليَراع، ويرعون العباد، ويُنظمون الرُّماد.

لو يدرون بنجد نار بادية ... لا يحضرون وفقدُ العزّ في الحضرِ[6]
إذا همى القطر شبّتها عبيدُهُمُ ... تحتَ الغمائم للسّارين بالقُطُر

---

(١) التكملة من الذخيرة. على أنه ينقص الكلام تتمة هذه السجعة ولعلها «وعجس». انظر اللسان والصحاح والقاموس (عجس) وديوان لبيد ٣٦ فيينا ١٨٨١ يقول لبيد:

تكاثر قرزل والجون فيها ... وعجلى والنعامة والخبال

وقرزل جاءت محرفة في أصلها «قرن»، والوجه ما أثبت. انظر الخيل لابن الكلبي ٢٧ وابن الأعرابي ٧٥ ونهاية الأرب (١٠ : ٤١) والعمدة (٢ : ١٨٢) والحماسة بشرح المرزوقي ١٤٩٤.

(٢) أفراق: جمع فرق، وهذه جمع فرقة.

(٣) الذخيرة: «بحر» وهي صحيحة. والبحر: الشق.

(٤) في الأصل: «فلا على» الشصائص: الشدائد، يقال: بن الله عنك الشصائص.

(٥) التكملة من الذخيرة.

(٦) الأبيات لأبي العلاء في سقط الزند. انظر الشروح ١٤٢

وما أدرى من أين كان عَقْدُ الأحساب لو عقدوها مَثابةً [وليست معدودةً فى حسب ، ولا نسب[1]] ، ولقد اهتديتَ إلى طريقة ، وانتهيتَ إلى لطيفة[2] ،

٤٨ ب سبحان الله ما أصدقَ حِسَّك ، وأسبق حدسك . تدقَّقت وترفّقت ، حتى توثّقت وتحققت ، لا ولكنك تمنّيت ... تحققت ... من كان الأمرُ كما ذكرت ، فأين غَضَى نجدٍ وقُلّامه ، وأين رَنْده وتشامه ، وأين عَرْعَره وتَيْمه ، وأين سفه ٥ وسَنْمه ، وأين العرَمُ والمعجان ، وأين الـ...م والدن ، وأين الشُّبرَى والأثاب ، وأين الرَّتَف والشَّوحط[3] ، وكيف عرّفوا دوحَ الكنهبل ، ومساويكَ الإسحل ، وكان الشباب تشهد عليك ، بما فيه من لأمك

(وفى فصل) : وكيف استجرت على فَضْلِك الباهر ، وشرَفِك — زعمك — الطاهر ، أن تسيبَ على لحرك عـلاف الحق[4] ، وتعدو فى تهوّرك إلى غير ١٠ الصِّدق[5] ، هل كان النعمانُ إلاّ مَلِكَ أملاك ، وشمسَ أفلاك ، أصلُه عريق ، وفرعُه وريق ، نزل الحيرة ، وأنتم له جيرة ، ملكٌ شهم ، من لدن مالك بن فهم ، له منْقُ لعرات يجبى خراجَا[6] ، ويستعبد أعلاجَه ، فسكنا كم العربَ حمعاء ، من حاق إلى صنعاء ، يدبُّ عسكم عاله ، واحتماله ، بعد عَقْدٍ موكد ، وعهد منكم مؤكد ، وأجارت العربُ من أجار ، وأعارت على من أعار[7] ، وحسُنَتْ حال ١٥ الفرس بمكانه ، وعزّت سلطانه ، فلمّا شمخ على أعلاجكم ، وامتنع من زواجكم ،

---

(١) التكملة من الذخيرة .

(٢) الكلام بعده إلى « كما ذكرت » ساقط من الذخيرة .

(٣) عدم المراد السجع هنا بشعر سقط . والكلام بعده إلى نهاية هذه الفقرة ساقط من الذخيرة .

٢٠

(٤) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « سير الحق » .

(٥) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « فى تهرك » .

(٦) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « سقيا » و « يجبى » كذا وردت بالنون فى الأصل ، والأولى « يجبى » بالياء ، وفى الذخيرة : « يبنى » .

(٧) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل « وأعارت ما أعار » .

وقال لباغي السَّواد ، عليك بقر السَّواد ، استفززتموه ، فنذرتموه[1] . فكيف رأيتم غضبَ العرب لشرفها ، وطلبَها لأوتارها ، ألم تصدمكم بذي قار ، صدمةَ ذي احتقار ، فأدركَتْ فيكم رضَى الرحمن ، وأخذت بثأر النعمان ، وطحطحت بني ساسان وآل كاسان ، ولم تقم لفُرْس بعدها قائمة ، ولا رعَتْ لها سائمة . ولم تزل في نواصف تتقذف ، وعواصف تترادف ، حتى تمّم الله آفتَها ، واستأصل الإسلام شأفتَها . وأما آل غسّان فالشرفُ الأقدم ، والبناء الذي لا يُهدَمُ ، سالت من بلادها حينَ سال سيل العرم جائلة ، وساحت من أرضها جائلة[2] ، هاجرةً لأعطانها ، نافرة عن أوطانها ، وجاوزت الحجاز وهبطت الشام[3] فوجدت بلاداً ريفاً حريفاً[4] ، ورجالا جُوفاً عُجُفاً[5] ، لا يحمون ولا يحمون ، فقالت : غنيمة باردة ، وبهيمة شاردة ، فنزلت الزَّوراء ، والغوطة الزَّهراء .

١٠

وحلَّت على الجَولان ثم تصيَّدت ... صُماة صَيداء الذي عند حارب[6]

فألقتْ عصاها واستقرَّتْ بها النَّوى ... كما قرَّ عيناً بالإياب مسافرُ[7]

على رغم أنوفكم ، وقطع شُنوفكم ، ونحو خدورِكم ، على غيظ صدورِكم .

وما نُقِيا عليَّ تركتماني ... ولكنْ خفتُما صَرَدَ النِّبالِ[8]

١٥ منهم قصبة كريمة ، ونعمة عميمة ، وسور له باب ، [باطنُه[9]] فيه الرحمة

---

(١) يقال غدره وغدر به ، إذا نقض عهده . الذخيرة : « شردتموه ففررتموه » .

(٢) في الأصل : « وسالت » والذخيرة « سالت » ، والوجه ما أثبت .

(٣) انظر العمدة (٢ : ١٧٧ — ١٧٨) .

(٤) الذخيرة : « حريفا » .

٢٠ (٥) هذه الكلمة ساقطة من الذخيرة

(٦) حارب : موضع من أعمال دمشق .

(٧) البيت لمعقر بن حمار البارقي ، أو عبد ربه السلمي ، أو سليم بن ثمامة الحنفي اللسان (عصا) . ونسبه الجاحظ في البيان (٣ : ٤٠) إلى مضرس الأسدي الذخيرة : « استقر » و « المسافر » .

٢٥ (٨) للبيت للنقري يهجو جريرا والفرزدق اللسان (صرد) .

(٩) التكملة من الذخيرة .

وظاهره من قِبَله العذاب، لا يُسكَنُ الغَرْبُ إلا بالغَرْب، ولا يُقطَع الحديد إلا بالحديد، ودفع الشر بالشر أحزم. فمتى أدّوا إليكم الإتاوة، وحملوا لكم الإدارة[١]، وهم يحمونكم حتى تقدُم أشبالها، ويمنعونكم منع الأسودِ أشبالَها. أم تُراكم تركتم لهم الشامَ رعيًا لذمامهم، وصلةً لأرحامهم!!

(وفي فصل): وفخرت بالرياضية والأرضية، فحدثت وتعنّتَ في الجواب. هي كالرياضِ سريعةُ الذبول، كثيرة الفضول، زهرٌ مشرق، ونورٌ مطرِق، لا ثمر، ولا كَثَر[٢].

وهل في الرياض لمستمتعٍ سوى أن يرى حُسنَ أزهارِها

وكالأرض الأريضة، ذات الفرصة العريضة، لا سماء فيُعتمَد، ولا سماء فيُظِلّ[٣]، يُدفن فيها الأموات، وتُخمد فيها الأصوات.

وأما الأسطرلوميق الهندسية[٤] فعلم عملي مبني على التقاسيم، والتراسيم، وكله آلات للمحلات، وأدوات للذوات، ومساحات للساحات، وأمداد للأعداد، وفي أنابيب القوانين، ليس فيها معنى من تحصيل دقائق الفصول، ولا تفصيل حقائق المحصول، فأهلها عُمّال ممتهنون، وبأشكالها مرتهنون، والعرب بعيدةٌ من المهنة، نافرة من الخدمة. ومن قولكم أنّ قسم العلم أفضل من قسم العمل فهي إذن أرذَل القسمين، وأسقطُ العلمين.

٤٩ ب

والجو مطريقي علم الهيئات، والطوالع وكوزها، وجنسها ذو نوعين[٥]، وبابه على مصراعين، القضايا، وليست وصايا[٦]. أما الأوّلون فقسموها[٧] على

---

(١) الذخيرة: «وأملوا».
(٢) الكثر، بالفتح وبالتحريك: طلع النخل. وفي الحديث: «لا قطع في ثمر ولا كثر».
(٣) السماء مؤنثة، وإذا ذكرت فمعناها السقف. اللسان (سما).
(٤) انظر ما سبق في ص ٣٠١.
(٥) هذا ما في الذخيرة. وفي الأصل: «وجنسها ذو نوعين».
(٦) هذا ما في الذخيرة. وفي الأصل: «وليست وصايا».
(٧) الذخيرة: «قسموها».

أنّ الطوالع مدبرة مقبلة، وهي أصولٌ فاسدة، وسوق كاسدة. وقال آخرون: هي كالعيافة، والزَّجرِ والقِيافة. وهذا باب مسلَّمٌ للعرب لهم فيه اليدُ الطُّولى، والمنزلة الأولى، لهم السَّوانح والبوارح، والقَواعد والنَّواطح[1]، وعلم الأيامن والأشائم، والأواقي والحواتم، وغير ذلك من التمائم والرتائم، وفيهم من لا يعتقده ولا يرتضيه، وفي أشعارهم[2] شواهد على ذلك. وأما الكهانة فكانت فيهم فاشية، ولهم غاشية، وقد سمعت بِشِقّ وسَطيحٍ، وزرقاء اليمامة وطُليحة الأسدي، ومُسيلمة الحنفي، والأسود العنسيّ، وزُهير بن جناب الكلبي، وكاهن نَجران، وحازي غَطَفان[3] فلما جاءت الدِّيانة، بطلت الكهانة، ولمّا نزل القرآن، زُجِر الشَّيطان.

وكذلك المنزلة الأخرى، فالعربُ بها أحذق وأحرى، وهي معرفةُ الشهور والأيّام، وحساب الدُّهور والأعوام، والأفلاك وأدراكها، والأبراج وأدراجها، والنيِّرات وتدويرها، والدَّراري ومداورها[4]، عرفوا السَّماء ومعالمها، والأرض وحشائشها، ووضعُوا الطَّوالع والغوارب، ورتَّبوا الثوابت وأنواءها، والكواكب وأدوارها، والأزمنةَ وأهواءها، فلا يطلع نجم إلّا سمَّوه، ولا ينبت نَبْتٌ إلا وَسَموه، ولا عيشَ في سائر الأقطار، إلا مصادر الأمطار[5]، كما لا ثبات للحيوان إلّا بالنبات، فقد عرفوا إذن طريقَ الحياة، ووضعوا طريقَ النَّجاة، وما سوى ذلك فضلٌ، ليس فيه فضل.

(١) جمع قاعد وناطح، ويقال أيضاً قعيد ونطيح. فالقعيد: ما أتاك من ورائك من ظبي أو طائر، يتطير منه، بخلاف النطيح.

(٢) في الأصل: «ولا في أشعارهم» وكلمة «لا» مقحمة. وهذه الجملة ساقطة من الذخيرة.

(٣) الحازي: الكاهن. وفي الأصل: «حاري»، صوابه في الذخيرة. وانظر حواشي الحيوان (٦ : ٢٠٤) واللسان (١ : ٢٨٩ — ٢٩٠)

(٤) مثله في الذخيرة: «الأعراب أدرى بها».

(٥) الذخيرة: «بجاير الأمطار».

وأما الطبُّ فجمعته العربُ فى كلمين ملوستين ، ولفظين محفوظين ، على رأيها فى الاقتصار ، ومذهبها فى الاختصار ، فقالت : « المعدة بيت الداء ، والحِمْية رأسُ الدواء » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « أصل كلّ داء البَرَدة[1] » ، وقالوا : « كلْ وأنتَ تشتهى ، ودعْ وأنت تشتهى » ، فجمعوا الطبَّ بأطاريره ، والصلاحَ بحذافيره ، وإذا فتشتَ أصولَ سُقراط ، وتتبعتَ فصول بُقراط ، لم تجد مُستزادا مستجادا ، ولا مستزداً مستفادا ، وليست هذه الأمورُ مما ينفرد بها أفرادُهم ، ولا يختصّ بها آحادهم ، بل ينطق بها صغارُهم وكبارُهم ، ويعرفه سادتهم ، ويهتف به إماؤهم ، وأشعارُهم بذلك ناطقة ، وأخبارهم عنه صادقة ، ما تلوا فيه سلوًّا ، ولا قرءوا به مقرؤًا[2] ، لكنها الطبائع الصافية ، والقرائح الكافية ، والغرائز السليمة ، والنحائز الكريمة ، تلتقط الحكَمَ من مخاطباتهم ، وتسير الأمثال من محاوراتهم ، على منهاج واحدٍ من الفصاحة فى المحاورة ، والمشاورة ، وعلى طريقةٍ واحدة من البلاغة فى المسألة ، والمراجعة ، والمواجزة ، مع المناجزة ، ولا يتعلمون ولا يتأملون ، بل يرسلون الحِكَم إرسالا ، ويبعثون الفِطَن أرسالا . والموسيقى علم اللحونِ [فما[3]] بالعجَم إليه حاجة مُجحِفة ، وضرورة مُجحِفة ، لعجز[4] طباعِهم عن الأوزان ، وقلة اتساعهم فى الميدان[5] ، لأنّ لغاتِهم قبيلة ، وقُوام كليلة ، لا تستجيب إلّا بوسائط ، ولا تستقلّ إلا بوسائط ، ليس عندهم شعر موزون ، ولا كلامٌ مرصون ، ولغة العربِ واسعةُ العبارات ، ناصعة الإشارات ، لها الشعر الموزون ، والنظم المكنون ، والكلام المنثور ،

(١) البردة ، بالتحريك : التخمة ، لأنها تبرد المعدة فلا تنضج الطعام .

(٢) الذخيرة : « ولا قرءوا فيه مقروا » .

(٣) التكملة من الذخيرة .

(٤) الذخيرة : « لنبو » .

(٥) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « الميزان » .

والسَّجع المأثور، والرَّجَز المشطور، والمُزدوِج المنثور، ولعبيدها في ذلك كله اللُّحون الشجيّاتِ، المطربات، والصائل والمعامل(١)، والأهزاج والأرمال، وغير ذلك من الأعمال، كالزُّكباني والأعرابي، والنَّصبي(٢) والمدَنيّ، والثقيل الثاني، وعود المدني، والماخُوريّ والشُّرَيجي(٣)، وخفيف المدني، وهي كثيرة، أثيرة، تُسوّى معها الأرغَن(٤) والسلياق(٥) والصَّنْج(٦) والكنكلة(٧) والمنذورة(٨) والقيثارة(٩)، فلا يعرفن ولا يؤلفن.

وما أظنُّ متّبداً والتريضَ وأصحابهما قرءوا قطّ موسيقى، ولا سمعوا بطيقاً.

---

(١) كذا بإهمال في الأصل . وفي الذخيرة : « والتهاليل والتماثيل » .

(٢) النصبي : ضرب من الغناء . وفي الأغاني (٥ : ١٧٣) في أخبار أحمد النصبي : « النصبي هو صاحب الأصوات وأول من غنى بها ، وعنه أخذ النصب في الغناء » . في الأصل : « للنصبي » مع إهمال النون والباء ، صوابه في الذخيرة .

(٣) الماخوري هو خفيف الثقيل الثاني ، وهو نقرتان خفيفتان ثم واحدة ثقيلة . مفاتيح العلوم ١٤١ . وورد بكثرة في أغاني أبي الفرج ، انظر منها (٥ : ٢١ ، ٥٨) طبع دار الكتب . والشريجي : نسبة إلى سريج المغني . والكلام بعده إلى « السلياق » ساقط من الذخيرة .

(٤) الأرغن : آلة موسيقية عن اليونانية : « أرغن » Arghan أو أرغنون Arghanun معجم استينجاس ٣٨ . وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي ١٣٦ : « الأرغنون : آلة لليونانيين والروم تعمل من ثلاثة زقاق كبار من جلود الجواميس يضم بعضها إلى بعض ويركب على رأس الزق الأوسط زق كبير ، ثم يركب على هذا الزق أنابيب صفر ، لها ثقب على نسب معلومة يخرج منها أصوات طيبة مطربة مشجية على ما يريد المستعمل » . ونحوه في كشف الظنون في رسم (الموسيقى) ، ونسب كتاب حيل صنعته إلى « أرسطو » . وانظر ابن النديم ٣٧٧ حيث ذكر الأرغن البوقي ، والأرغن الزمري .

(٥) كذا . وفي مفاتيح العلوم ١٣٦ : « السلياق : آلة ذات أوتار لليونانيين والروم تشبه الجنك » .

(٦) الصنج : آلة وترية ، وهي بالفارسية « چنگ » مفاتيح العلوم ١٣٧ ومعجم استينجاس . في الأصل « الصلنج » بدون إعجام . وفي الذخيرة « الصنج » ، صوابه ما أثبت .

(٧) في معجم استينجاس أن « كنكره » اسم آلة موسيقية تستعمل في الهند . وفي الذخيرة : « والكنكلة » .

(٨) وردت الكلمة في الأصل مهملة . وفي الذخيرة : « المنذورة » .

(٩) الكلمة مهملة في الأصل وفي الذخيرة : « القيثارة » . والقيثارة معرب من : Kithara اليونانية

فاعرض إن شئتَ ألحانَهم المطبوعة ، على أوزانكم المصنوعة ، فأظهِرْ غلطَهم فى التنغُّم ، وخطأَهم فى الترنُّم .

على أنّه من السلم المذموم ؛ روى فى الحديث : « إنَّ أولَ مَن غنّى وناح إبليس حينَ أكلَ آدمُ من الشجرة » . قيل : وهو أوّلُ من عمِل الطُّنبور ، فلا مرحباً بعلم إبليسُ اللعينُ فيه الأستاذ .

وقد كان منهم مَن إذا غنّى تَنَت الوحشُ أجيادها ، وفارقت اعتيادَها ، وعطفت خُدودَها ، وتركت شُرودَها ، مصغيةً إليه ، مقبلةً عليه ، فإذا قطع عاودَتْ نِفارها ، وطلبت أوكارها ، هذا مثلُ الأوابد ، والوحوش الشوارد ، فما ظنُّك بالقلوب الرقيقة ، والفِطَن الرّشيقة . ولقد ألّفَ الإسلاميّون فى الأغانى ، وما يتّصل بها من المعانى ، ما إنْ نظرْتَ بمَيْزٍ وحكمتَ بعدل ، وقفتَ[1] على الفصل ، فى هذا الفصل ، ولم تُحوِجْك العصبية ، والنّفسُ العَصَبيّة ، إلى شهادة الزُّور ، والجور المأزور .

وأما الأنوطيق والوطيق[2] فهنالك جاءت الاحوقُ ، والأُحروقُ ، وظهر عجزُ القوم وبانَ أنّهم أغمار ، ليس فيهم إلّا حِمار[3] ، وضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا لما وصلوا إلى حيثُ تنفرد العقولُ[4] بنظرها ، والبصائر بفِكَرها ، فمنهم الدُّهرية أنكروا المعقول ، والعِلمَ المنقول ، والدّليلَ والمدلول ، وهم يُبصِرون تعاقب الأضداد وتعاوُرَ الكَون والفَساد ، ومنهم الطبيعيون وهم أيادى سبا[5] ، وفِرَقٌ شتّى ، قوم يقولون العالم من أصلين : هوائىّ وأرضىّ ، فجمعوا بين الرّاسب والطافى ،

---

(١) فى الأصل : « ووقفت » صوابه فى الذخيرة .

(٢) فى الذخيرة : « الانوطيق والطوميقا » . وانظر ما سبق فى ص ٢٥١ .

(٣) الذخيرة : « أنهم أعجاز ، ليس فيهم إلا عجاز »

(٤) الكلام بعده إلى « العقول » التالية ساقط من الذخيرة .

(٥) الذخيرة : « أيادى سبا » .

والكَدِر والصافى[1] . ومنهم من قال إنّ العناصر أربعة هى بسائط للمركّبات ، فقصوا بائتلاف المتضادّات ، وتركيب المُحاذَات[2] .

٥١ / ١

فإن قيل : كيف صارت متظافرة ، وهى متنافرة [وغدت متجاورة ، وهى متفاورة ، وإذا كانت تتهارج ، كيف تمازج[3]] ، أم كيف يمتزج الصاعد بالراكد ويلتبس الحارّ بالبارد ؟ قالوا : جمعها جامع ، وقسّمها قاسم ، بطبعه لا باختياره ، وفعله لا باقتداره ، وهذا غايةُ المحال ، ونهاية الاختلال ، لأنّه لا بد أن يكون الخامس مثلها أو مثلَ بعضها ، أو مخالفاً لكلّها . فإن كانَ مثلها أو مثلَ بعضها فلا حاجة بها إليه مع وجود مثله ، وإن كان مخالفاً لسائرها فلا بد من سادسٍ لتغايرها ، ثم كذلك إلى غير غاية .

قال صاحب الكتاب[4] : وبيّن أبو الطيب بطلانَ كلامهم[5] فى احتجاجٍ طويل ، تركته تخفيفاً للتثقيل[6] ثم قال

وأمّا أصحاب الطوالع ، وعُبّاد المطالع ، فاجتهدوا فى الهيئة أيضاً على جهات ، ووضعوها صفات ، لا سيّما المنجّمين ، وهم فنونٌ ، فى جنون ، يقولون فلكُ الأفلاك ، ودَرَكُ الأدراك ، والفَلَكُ الأثير ، وهذَيان كثير ، وعبدوا الشّمس ، وسَجَدوا للنّار والكواكب وهم يرون آثار النّقص فيها ، ودلائلَ الحدث تعتريها ، من طلوع وأفول ، ويزعمون أنّها تتغاير وتتمانع ، وتتكاسف

(١) بعده فى الذخيرة : « ذهب بقوله أبو الطيب :

تحن أبدينا أرواحنا على زمن هن من كسبه
فهذه الأرواح من جنده وهذه الأجسام من تربه » .

(٢) المحاذ : المخالف والمنازع

(٣) التكملة من الذخيرة ، وقد بيض لها فى الأصل . وفى نسخة الذخيرة « متضورة وإنما هى « متفاورة » أى متعادية يغير بعضها على بعض .

(٤) هو ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة . انظر التقديم ص ٢٣١ .

(٥) الذخيرة : « قولهم » .

(٦) فى الذخيرة : « أضربنا عنه تركا وتخفيفا للتطويل »

وتتخاسف، وكلٌ بصاعٍ هذا التخليط، من هذه الأغاليط، لا يعرفون رُشْدا، ولا يهتدون قصدا.

هذا مقدارُ عقول حكائك، ونهاية آراء علمائك، وهذا قليلٌ من كثيرِ هذيانهم، وأُوار من عُوار غليانهم. فإنْ قلت: فإنّ العرب أيضاً كانت تعبد الأصنام؟ فنحن ما أخذنا لك دينَها، ولا رضينا يقينَها، بل نعلم أنّ من قال منها بالإشراك، فقد قصّر في الإدراك. وهي على كلِّ حال تذكُر الله تعالى، كما قال عزّ وجل: ﴿ ولئن سألتَهم مَنْ خَلَقَهمْ ليقولُنّ اللهُ ﴾ وقالوا: ﴿ ما نَعْبُدُهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زُلْفَى ﴾. وكثيرٌ من يقرُّ بالبعث والجزاء، ويعترف بالحشر واللقاء، وكان منهم من رغب عن عبدة الأوثان، وتفرّقوا في الأديان، فكانت حِمْيَرُ على دين موسى، وكان بنو الدَّيّانِ وأهلُ نَجْرانَ وتغلب وغَسّان على دينِ عيسى، وكانت فيهم المِلّة الحنيفية الإسلامية، والشَّريعة الإبراهيمية، ومن أهلها كان قسُّ بن ساعدةَ الإياديّ، وورقَة بن نوفل الأسديّ، وزيد بن عمرو من بني عدي[1]، وقتلته الرُّومُ لذلك[2] وقد قيل، في خالد بن سِنان ما قيل[3].

[٥١ ب]

وكان أبو كَرِب الحِميريّ[4] أحدُ التبابعة قد آمن برسول الله عليه السلام، قبلَ مبعثه بسبع مائة عام، وقال:

---

(١) هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي. السيرة ١٤٣ جوتنجن.

(٢) الذي في السيرة ١٤٩ أن بني لخم هم الذين قتلوه. فقد يكون ذلك بإيعاز من الروم.

(٣) في الحيوان (٤ : ٤٧٦): «أحد بني مخزوم، من بني قطيعة بن عبس، ولم يكن في بني إسماعيل نبي قبله، وهو الذي أطفأ الله به نار الحرتين». وانظر بقية خبره في الحيوان وحواشيه ومروج الذهب (١ : ٦٧).

(٤) سماه في مروج الذهب «أسعد أبو كرب». وفي التيجان ٢٩٤ أنه «كان أسعد أبو كرب». ومثله في السيرة ١٢. وفي العمدة (٢ : ١٧٦) «تبع بن ملكيكرب، وهو أبو كرب تبع الأوسط».

شهدتُ على أحمدٍ أنّه ... رسولٌ من الله بارى النَّسَمْ[1]

فلو مُدَّ عُمرى إلى عمره ... لكنتُ وزيراً له وابن عم

وقد ذكر بعضُ أهلِ المقالاتِ أنّ عبد المطلب بن هاشم كان من المهديين فى الدِّين ، واستدلّ بأنه أجيب لمّا سأل[2] ، وسُقِىَ حين ابتهل ، وذكَرَ سيفَ ابنَ ذى يزَن ، وحزِنَ على موته أشدَّ الحزن ، وأكّد له العهود ، وحذّره عيبه اليهود[3] .

ولمّا دُعُوا دخلوا فى الدِّين أفواجا ، وأتوه أزواجا ، إلّا من أدركَتْه الشَّمَاسة ، وحبُّ الرياسة ، وسبَقَت عليه الشِّقوة ، وورِمَ أنفُه من النَّخوة ، كأبى جهل بن هشام ، وعامرِ بن الطُّفَيل ، وأُمَيَّةَ بن أبى الصلت وغيرهم .

وقال معاوية فى كلام له مشهور[4] : « فما كان إلا كمِرار القين حتّى جاء نبىٌّ لم يسمَع الأوّلون بمثله ، ولا يَسمع الآخرون » ، ولقد كنّا معشر نذكره على من يطرأ عليه[4] [ويطرأ علينا[5]] وإنا لنكذّبه ، ونتبجح بذكره وإنا لنحار به » .

هذه لُمَعٌ من أمور الجاهلية ، وطُرَف من مفاخر الأوثنيّة ، إن أنصفتَ نفسك ، أو صدقتَ حسّك ، عرفتَ أين يقع منها مُفاخِرُوها[6] ، وهل يشقّ غبارَها مُجارُوها[7]

---

(١) البيتان فى المراجع المتقدمة . وزاد المسعودى — فى نص نسخه

وأرى طاعته كل من ... على الأرض من عرب أو عجم

(٢) سأل الله حماية البيت من الحبشان . السيرة ٣٤ — ٣٧ .

(٣) يشير إلى قول سيف بن ذى يزن لعبد المطلب حين وفد عليه لتهنئته : « والبيت ذى الحجب ، والعلامات على النصب ، إنك يا عبد المطلب ، لجده غير الكذب ، فاحفظ ابنك واحذر عليه من اليهود فإنهم له عدى .. ولولا أن الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار مملكته » . التيجان ٣٠٩ .

(٤) فى الأصل . « يطرأ عليه » ، والصواب من الذخيرة .

(٥) التكملة من الذخيرة .

(٦) فى الأصل : « مفاخرها » ، صوابه فى الذخيرة .

(٧) فى الأصل : « مجاورها » ، صوابه فى الذخيرة .

(وفي فصل) : وما تصنع إذا نُشِرَت الكتائب ، ونُثِرت الكنائن ، وقَرعتك القوارع ، وقَرعتك الفوارع[1] ، وماست رايات السِّيادة ، وخفقت ألوية السَّعادة ، وطلعت عليك طوالع السوّة في أشِّة الجلال والجمال ، وشماخة[2] العزّ والكمال ، وقيل لك : هذا سيّد ولد آدم أوّلهم وآخرهم ، خاتم الأنبياء ، وفاتح الأنبياء . أشهدُ أنّ الله لم يجعل محمداً هاشمياً إلا وهاشم خير قريش ، ولا قرشياً إلا وهم خير مضر ، ولا مضرياً إلا وهم خير العرب ، ولا عربياً إلا وهم خير الأمم . لهم كعبةُ الله ، وولادةُ إسماعيل ، ودَعوة إبراهيم ، وإليهم مُهاجَر هود وصالح وشُعيب وأتباعهم من المؤمنين ، وأشياعهم من الموقنين . فيهم كان رِجامُهم ، وعندهم دُفِنت رِمامُهم ، لا كَكِسائك[3] الذي أسررت فيه حسواً في ارتغاء ، ودفناً في ابتغاء ، وكشفتَ فيه ضَبابك ، عن ضِبابك[4] ، وهتكت أستارك ، عن اقتسارك[5] ، وظننتَ أن تحاطك ، تمحو مَعالطك[6] ، وأنّ مدحك ، يستر قَدْحك حين مدحت مدحاً بجليّ[7] ، وأثبت ثناءً دَخَلياً[8] ، ولم يُمدح مَن دُمّت

(١) هذه الجملة ساقطة من الذخيرة .

(٢) في الأصل : « شماحة » ، وأثبت ما في الذخيرة

(٣) في الأصل « لا كسانك » ، وفي الذخيرة « لا كساءك » ، والوجه فيهما ما أثبت .

(٤) في الذخيرة « وكشفت فيه ضبابك » ، صوابه في الأصل . والضباب ، بالكسر : جمع ضب ، وهو الحقد والغضب . قال :

فما زالت رقاك تسل ضغني وتخرج من مكامنها ضبابي

وفي الأصل : « ضبابك » صوابه في الذخيرة

(٥) الاقتسار : أن تأخذ الشيء قهراً . في الأصل : « من اقتسارك » وفي الذخيرة « من انتسارك » ، ووجههما ما أثبت

(٦) المعالط : جمع معلط ، من العلطة ، وهو السمة يوسم بها .

(٧) إشارة إلى قول عوف بن القعقاع في مدح جرير بن عبد الله البجلي :

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبئست القبيلة

انظر الأغاني (١٤ : ١٠٧/١٦ ، ١٤)

(٨) الدخل ، بالتحريك : العيب والغش والفساد . وفي الأصل : « وخلياً » ، والذخيرة « وجلياً » ، صوابهما ما أثبت

قبائله[1] ، ولم يثبت من جُدّت حبائله . أجمعتَ ويلك تبره فى الرّغام ، بل الرّغام لأمك ، والرّغام لوجهك[2] . لقد أحللتَ نفسك ورلتَ ودمك ، وأحللت بمقدك وقد حلَّ دمُك ولو صح اعتقادُك ، لصحّ انتقادك ، ولو خلص ماطنُك ، لأقصرَ باطلك ، ولو اصطلِبت ، ما خلِفت ، ولو احترِمْت ، ما وفى عا اجترمت[3] .

٥ سمع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كاتبه ، وعيَّر نصرانية أبيه ، فضرب لنفسه مثلا يحل عنه ، ويرتفع عن قدره ، فقال له عمر : أوَ قد قلتَها ، والله لا تشرب البارد بعدها ! وأمر به فضربت عنقه .

فإنْ إذ أغفل ولاة الأمر تأديبَك ، وتأديبَ الكافة بك فأخلوا تأديبك ، وتأديب الله بدمثلك ، فتُبْ إلى الله توبة تَهديك ، وتُنجيك وعلى أنك حَسَبٌ ،

١٠ من ذلك التلف ، رأيك فيه رأى أمثالك ، وعرقك جارٍ على أصلك ، إلاّ أنّ السيفَ قهرك ، والدّين قسرك ، وأخذك حكم الدّار ، وخوفُ البدار ، فأنت تَشرَقُ بريقك ، وتَمصُّ رحيقك ، ولابدَّ للمصدور أن ينفث ، وللمهور أن يَمُوث[4] .

٥٢ ب

ولا بدَّ للمـــاء فى مرجل على النّـار موقدةً أن يفورا[5]

١٥ كمل التقييد والحمد لله كثيرا[6] .

---

(١) سبقه نحو هذه العبارة محمد بن سلام . الأغانى ١٩ : ١٤ .

(٢) الرغام بالضم : المخاط .

(٣) هذا ما فى الذخيرة . وفى الأصل : « لوفى بما اجترمت » .

(٤) موث تمويثا : قال : واموثاه .

٢٠ (٥) الذخيرة : « مسجرة » .

(٦) هذه صورة ما ورد فى ختام الأصل من مجموعة الإسكوريال .

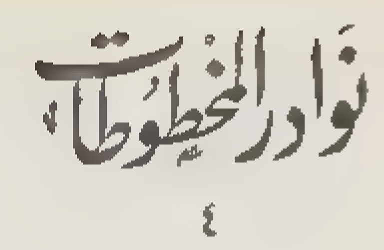

٤

تحقيق
عبد السلام هارون
الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

المجموعة الرابعة

وقد ألحق بها (الفهارس العامة) للمجلد الأول

١٥ — رسالة في شرى الرقيق وتقليب العبيد ، لابن بطلان .

١٦ — هداية المريد ، في شراء العبيد ، لمحمد الغزالي .

[الطبعة الأولى]

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

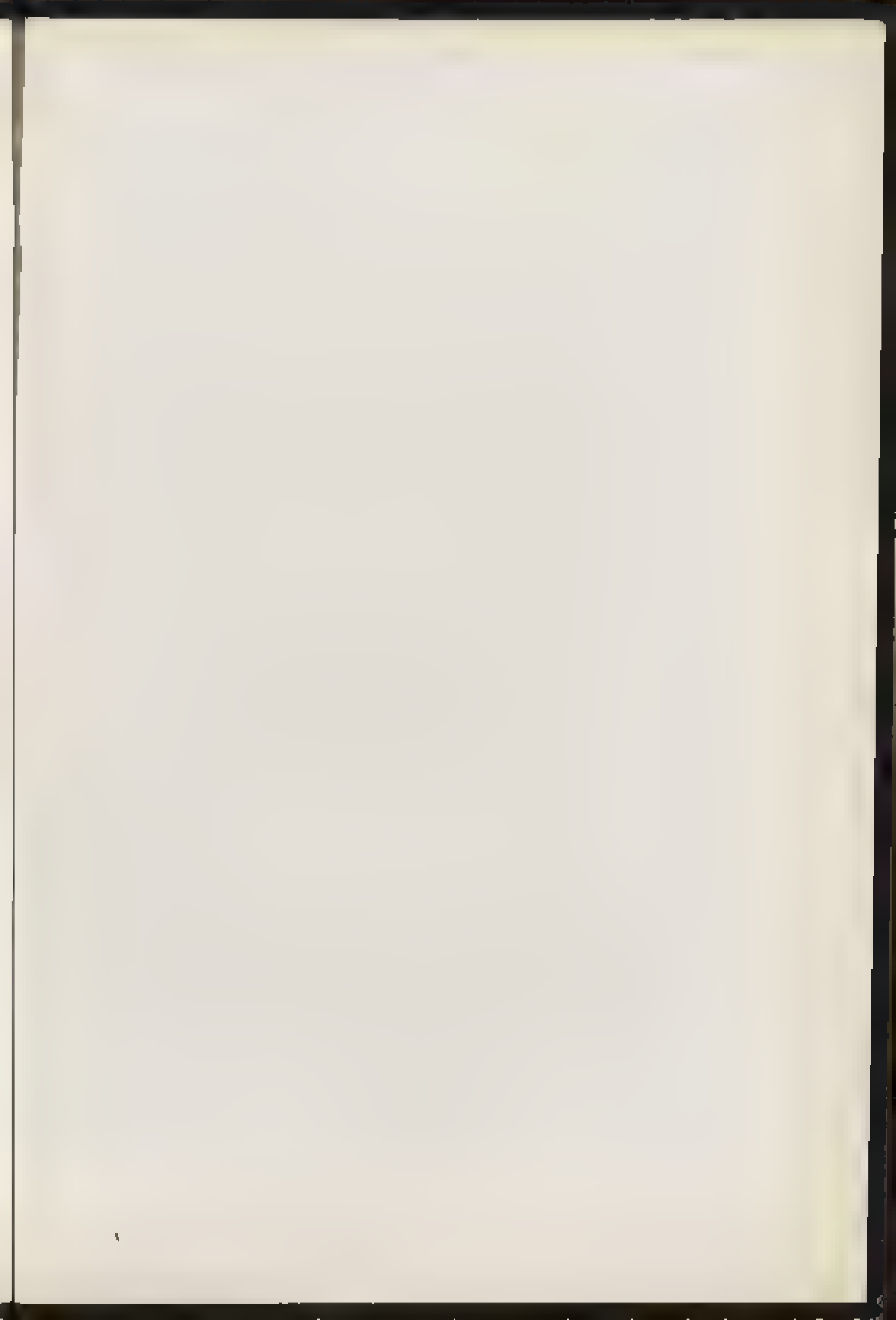

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

هذه هي المجموعة الرابعة من (نوادر المخطوطات) ، وهي تصور بيانا تاريخيا على ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية التي عاشتها أجيال شتى على جنبات هذه الدنيا . وهي وثيقة تاريخية للباحثين في حضارة أسلافنا العرب وأسلافنا المصريين ، ٥ عرضها مبسوطة في هذين الكتابين النادرين . وقد اقتضانا موضوعهما أن نمهد لها بكلمة في تاريخ الرق في العصور القديمة ، ثم في العصور الحديثة .

كلمة في الرق والرقيق

الرقيق كلمة مأخوذة من الرق ، وهو الملك والعبودية ، يقال رق العبدَ وأرقه واسترقه ، فهو مرقوق ومُرَقّ ورقيق ، ومرجع معناها إلى القدر المعنوي المشترك ١٠ في هذه المادة ، وهي الضعف والخفة . كما أن العبد مأخوذ من العبودية ، وهي الخضوع والطاعة . و « الرقيق » من الألفاظ التي تقال للواحد وللجميع ، فالعبد رقيق والعبيد رقيق أيضاً .

الرق عند قدماء المصريين :

لم يكن نظام الرق مما ابتدع الإسلام ، وإنما كان نظاما يسود الأمم القديمة ، ١٥ عرفه المصريون واستخدموا الرقيق ، ولا سيما في قصور ملوكهم وبيوت كهانهم ورجال الحرب . وكانت الأمَة ترتفع أحيانا عندهم إلى مقام الزوجة ، وكان من شريعتهم أن من قتل الرقيق يقتل فيه[1] .

---

(١) انظر الرق في الإسلام لأحمد شفيق باشا ترجمة أحمد زكي باشا ص ٩

عند الآسيويين :

وكان كذلك عند الهنود ، وكانوا يسومون الرقيق سوء العذاب ، ووضعت شريعتهم القديمة عقابا قاسياً للجرائم التي ترتكبها طبقة (السودرا) التي يؤخذ منها الرقيق (دارا)

وكذلك عرفه الأشوريون والإيرانيون والصينيون . وكان الصيني يضطر أحياناً لبيع نفسه أو أولاده لكي يعيش

عند الإسرائيليين :

وعرفه الإسرائيليون ، فكانوا يبيعون الفقراء ويملكونهم[1] . وكما كان الفقر من مبررات الرق كانت السرقة كذلك من مبرراته ، فمن ثبتت عليه السرقة بيع بسرقته[2] .

ودينهم يوصي بحسن معاملة الرقيق ، بل يضرب أجلا مقداره ست سنوات للعبد العبراني يقضيها في خدمة مولاه ثم يصبح بعدها حراً طليقاً[3] .

وإذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أمته يطلقه حراً عوضاً عن عينه ، وإن أسقط سن عبده أو سن أمته يطلقه حراً عوضاً عن سنه[4]

عند اليونان :

وأما اليونان فكانوا كذلك يقتنون العبيد والجواري ، وكان أرسطو يقول بأن الرق نظام مطابق للطبيعة[5] . وكان يعرف الرقيق بأنه آلة ذات روح أو متاع

---

(١) لاويين ٢٥ : ٣٩ ، ٤٠ و ٤٧ — ٥٥ .

(٢) خروج ٢٢ : ١ ، ٣

(٣) خروج ٢١ : ٢ وتثنية ١٥ : ١٢

(٤) خروج ٢١ : ٢٦ ، ٢٧

(٥) القانون الروماني للدكتور محمد عبد المنعم بدر ص ٩ .

قائمة به الحياة [١]. وأرسطو نفسه كان له غلمان وعبيد ، جاء في وصيته عند ما حضرته الوفاة [٢]:

« ... والعناية يجب أن ينبغي أن يعنوا به من أمر أهل بيتي ، وأرملتي خادمي ، وسائر جواريّ وعبيدي ».

وهو يأمر بعتق بعض جواريه بعد موته : « ... ولتعتق جاريتي أماريس ، وإن هي بعد العتق أقامت على الخدمة لابنتي إلى أن تتزوج فليدفع إليها خمسمائة درخمي [٣] وجاريتها ، ويدفع إلى ثاليس الصبية التي عندنا غلام من مماليكنا وألف درخمي ».

ويرى الاحتياط بعده فيقول في وصيته : « ولا يباع أحد من غلماني ولكن يقرون في الخدمة إلى أن يدركوا مدرك الرجال ، فإذا بلغوا فليعتقوا ».

عند الرومان

أما الرومان فكانوا كذلك يؤيدون نظام الرقيق ، بل يعتبره الخطيب الروماني شيشرون (Cicero) نظاماً ضرورياً . وكذلك يذهب سينيك (Senèque) أحد فلاسفة الرومان إلى أن لا غضاضة في الرق ، فإن الحرية إنما هي حالة نفسانية من حالات الضمير ، فالعبد إذا كان عاقلا يمكنه أن يعيش حراً في الواقع ، إذ العبد الحقيقي هو من كان طوع شهواته [٤].

---

(١) الرق في الإسلام لأحمد شفيق ١٨ .

(٢) إخبار العلماء للقفطي ٢٥ — ٢٦ .

(٣) هي الكلمة اليونانية التي حرفت في العربية « درهم » ، وقد اختلفت قيمة الدرهم باختلاف الأزمان والبلدان ، فكان يعادل ما يقرب من أربعين مليماً مصرياً وأربعين فلساً عراقياً ، وكلمة « دراخمة » معناها قبضة لأنها كانت مساوية لقبضة من النقود الحديدية والنحاسية التي كان يستعملها عامة الشعب . وكانت قيمة الدراخمة الشرائية عالية جداً ، حتى إن الرجل الذي يبلغ دخله خمسمائة درخمة كان يعد من الأغنياء . النقود العربية للأب أنستاس ٢٤ ، ٨٨ . هذا ، وقد جرى العرف عند فقهاء المحدثين أن يقدروا الدرهم بخمسة وعشرين مليماً أو فلساً عراقياً

(٤) انظر القانون الروماني ص ٩

وأصل نشأة الرق عندهم مبنى على المبدأ الذى كان متبعاً فى الحروب القديمة التى وقعت فى العصور البدائية ، إذ كان الناس فى أول الأمر يقتلون أعداءهم إن ظفروا بهم ، إذ لم يكونوا يستطيعون استخدامهم بطريقة مأمونة منظمة ، ولكن بتحضر الإنسان واستيطانه لأرض معينة يقوم بزراعتها ورعى ماشيتها شعر بحاجته إلى استخدام هؤلاء الأعداء فى الزراعة والرعى بدلا من قتلهم ، فكان الرق .

فالسبب الرئيسى للرق عند الرومان هو الأسر فى الحروب ، وكذلك الولادة من المرأة المملوكة ولو كان رجلها حراً .

والرومانى لا يمكن أن يصير رقيقاً فى نفس البلد التى عاش فيها حراً ، فالرومانى الذى يصير رقيقاً لا بد أن تكون سليمه خارج روما ، إما بحكم القاضى أو بوساطة الشخص الذى يخوله القانون حق بيعه . فللقاضى أن يبيع خارج روما الرومانى الذى لم يقيد اسمه فى قوائم التعداد ، أو الذى يهرب من الحرب أو التجنيد . وللأب أن يبيع أولاده خارج روما باعتبارهم أرقاء . وللدائن أن يبيع مدينه المعسر خارج روما . وللمسروق منه إذا ضبط السارق متلبساً بالجريمة أن يبيعه كذلك . وللقاضى أن يسلم الرومانى الذى اعتدى على دولة أجنبية موالية لروما .

هذا ما كان متبعاً فى العصر الجمهورى . أما فى العصر الإمبراطورى فقد ألغى نظام استرقاق الشخص الرومانى بالمسوغات السابقة إلا فى حال السرقة واستبدل بها مسوغات أخرى ، هى أن يتواطأ الشخص مع غيره أن يبيعه على أنه رقيق حتى إذا تمت الصفقة استرد حريته وقاسم شريكه الثمن ، فى هذه الحالة يحرم حريته ويصير رقيقاً حقاً . وكذلك المحكوم عليهم بالإعدام أو بالأشغال الشاقة أو بمنازلة الأسود ، يضرب عليهم الرق . وتظهر ثمرة ذلك بالنسبة لورثتهم فإنهم يحرمون من ميراثهم الذى أصبح ملكا للإمبراطورية . كما أجاز القانون أن يسترق العتيق معتوقه بعد عتقه ولا عبرة بجحود هذا الأخير .

ومع ذلك أوصت القوانين الرومانية بحماية الرقيق من سوء معاملة السيد[1] .

---

(١) انظر القانون الرومانى ص ١٦ .

وكان هناك ضرب من العبيد يسمى « عبيد الحراثة » وهم عبيد الأرض ، وهؤلاء يعدون أحسن العبيد حالا عندهم ، يتمتعون بحقوق لا يتمتع بها غيرهم[1] .

عند الأوربيين :

وكذلك كثر الرقيق فى أوربا القديمة عند الأمم المتبربرة وعند الغاليين والجرمانيين الذين بلغ من ولوعهم بالميسر أن يقامروا على نسائهم وأولادهم ، بل على حريتهم الشخصية[2] وكذا الفرنج واللومبارديون والأنجلوسكسون .

ومما يجدر ذكره أن من أوائل الدول الأوربية التى حرمت الرقيق الدنمرك إذ صدر بها قانون سنة ١٧٩٢ يحرم تجارة الرقيق منذ سنة ١٨٠٢ وأصدر الإنجليز قانون تحريمه سنة ١٨٠٧[3] . وفرنسا ألغت نظامه بعد ثورتها فى فبراير سنة ١٨٤٨[4] .

عند العرب :

وأما العرب فى جاهليتهم فكانوا فى أعقاب الغزو يستحوذ الغالب منهم على رجال المغلوب ونسائه وتتخذ منهم الرقيق . ونجد فى الشعر الجاهلى العبد والعبيد والعبدان ، والأمة والإماء والإموان ، والسباء .

وفى أسد الغابة[5] أن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من قضاعة وأمه من طيئ ، فأصابه فى الجاهلية سباء ، لأن أمه خرجت تزور قومها بنى معن فأغارت عليهم خيل بنى القين بن جسر فأخذوا زيداً فقدموا به سوق عكاظ ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد . وقد وهبته خديجة لرسول الله فأعتقه .

وكان للعرب كذلك رقيق من الأمم الأخرى ممن حرره الإسلام فيما بعد ، ومن أشهر هؤلاء الموالى بلال الحبشى ، وسلمان الفارسى .

وأجاز الإسلام فى أول الأمر استرقاق المسلمين للعرب الذين يؤسرون فى

---

(١) انظر « أعجب ما كان ، فى الرق عند الرومان » للزعيم مصطفى كامل ص ١٨ — ١٩

(٢) الرق فى الإسلام ص ٣١ .

(٣) انظر The great encyclopedia of universal Knowledges

(٤) الرق فى الإسلام ص ٤٨ . (٥) أسد الغابة ٢ : ٢٢٤ .

الغزوات ، كالذى كان فى غزوة بنى المصطلق — وهم عرب من خزاعة — روى ابن هشام[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب منهم سبياً كثيراً فشا قسمه بين المسلمين ، وأن جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار زوج رسول الله كانت فيمن قد سبى ، ووقعت فى القسمة فى سهم ثابت بن قيس بن الشماس أو ابن عم له ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسول الله تستعينه فى ذلك فقال لها : هل لك فى خير من ذلك ؟ أقضى عنك كتابتك وأتزوجك . قالت : نعم يا رسول الله . وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله قد تزوج جويرية . فقال الناس : أصهار رسول الله ! وأرسلوا ما بأيديهم . قالت عائشة : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

ولكن ذلك لم يدم طويلا ، إذ حتم الإسلام فيما بعد ألا يقبل من عربى إلا إحدى اثنتين : إما الإسلام وإما القتل[2] .

وبذلك انحصر أمر الرقيق فى الإسلام على وقوع الكفار من غير العرب أسرى فى أيدى المسلمين بعد الحرب ، أو عند سقوط بلادهم المفتوحة عنوة فى أيدى المسلمين فيجوز للإمام أن يسترقهم ، ويجوز له أن يضع الجزية على رءوسهم[3] ، يختار من ذلك ما يراه فى مصلحة المسلمين .

وهذا الرقيق يعد فى جملة المغانم الحربية ، شأنه شأنها ، ينقلها الإمام إلى دار الإسلام ويقسمها أخماساً ، خمس للفقراء والمساكين وسائر وجوه البر ، وسائر الأخماس تقسم على المقاتلة ، للفارس سهمان أو ثلاثة — على خلاف بين الفقهاء[4] — وللراجل سهم واحد .

وبانتشار الفتوح الإسلامية كثر الرقيق المجتلب من البلاد المفتوحة كثرة ظاهرة ، وصار من الميسور أن تجد الرقيق فى كل بيت ، حتى كان الزبير بن العوام

---

(١) السيرة ٧٢٩ جوتنجن

(٢) جاء فى حاشية ابن عابدين ٣ : ٣١٩ : « إلا مشركى العرب والمرتدين فإنهم لا يسترقون ، ولا يكونون ذمة لنا ، بل إما الإسلام أو السيف »

(٣) فتح القدير ٤ : ٣٠٥ ٣٠٦ والدر المختار بهامش ابن عابدين ٣ : ٣١٦

(٤) فتح القدير ٤ : ٣٢٠ .

من يروى المسعودى[1] مستولياً على ألف عبد وأمة . ويبدو أن كثيراً من هذه المماليك قد آلت إلى ولده عبد الله الذى طالبه أعداؤه بأن يعتقهم فقال[2] :
« وأما عتق مماليكي فوالله لوددت أنه قد استتب لى أمرى ثم لم أملك مملوكاً أبداً » .

وهذا يفسر لنا حرص كثير من الرؤساء على حيازة العبيد .

والرقيق متاع مملوك مثله مثل عروض التجارة ، لمالكه أن يبيعه وأن يهبه ، وللسيد أن يستمتع بأمته ويستولدها ، فإذا ولدت منه كان اسمها ولده ، وسميت هى أم ولد له ، وتبقى فى رقها ، ولكن لا يجوز له أن يبيعها ما دام حيا ، فإذا مات صارت حرة لا سلطان لأحد عليها ، وأبناؤها منه أحرار من يوم يولدون .

والسرارى حل للرجل علك اليمين يتسرى منهن من شاء ولو بلغن ألفا أو أكثر فى العدد ، ما كن صاحبات دين سماوى .

وللرجل أن يتزوج الجارية بعقد النكاح فى حدود الزوجات الأربع والدين السماوى ، إذا كانت مملوكة لغيره ، لا يمنع من ذلك العقد إلا أن يكون متزوجاً قبلها بحرة فى عصمته أو ما تزال فى عدة الطلاق ، فقد نهى الحديث أن تنكح الأمة على الحرة[3] .

وليس للسيد أن يتزوج أمته ، لأن ملك الرقبة يفيد ملك المنفعة وإباحة البضع فلا يجتمع معه عقد أضعف منه[4] .

فنظام الرق فى الإسلام نظام احتيارى يقابله نظام الحرية

وقد وضع بجانب نظام الرق نظام آخر فى مصلحة الرقيق ، هو نظام الكفارات التى من بينها عتق العبيد ، كما أوصى الإسلام فيما أوصى بحسن معاملة الرقيق .

فى صحيح البخارى[5] : « لا يقل أحدكم عبدى أمتى وليقل فتاى وفتاتى وغلامى »

(١) مروج الذهب ٢ : ٣٤٢
(٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٩٤
(٣) فتح القدير ٢ : ٣٧٧
(٤) المغنى لابن قدامة ٦ : ٦١٠ .
(٥) انظر فتح البارى ٥ : ١٣١

وفيه أيضاً عن المعرور (١) قال : « لقيت أبا ذر بالربذة — وعليه حلة وعلى غلامه حلة — فسألته عن ذلك فقال : إني ساببت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر ، أعيرته بأمه ! إنك امرؤ فيك جاهلية ، (إخوانكم خولكم) جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم »

٥ وقد زخرت كتب التشريع الإسلامي ببحث مسائل الرقيق ومشاكله الواقعية والافتراضية جميعاً .

الرقيق في العصر الحديث :

وقد وجد العصر الحديث أن أمر الرقيق قد أسرف فيه ، واعتراه كثير من الخلط والفوضى ، وأن أبصار النخاسين قد اتجهت إلى احتلابه بشتى الوسائل التي
١٠ لا تمت إلى الشرع بسبب ، فبيعت في أسواق النخاسة بنات الأسر المسلمات واختطفت كريمة قومها لتنالها يد السري القادر ، فأحفظ ذلك بعض الولاة في مصر وفي غيرها ، ووافق ذلك تكاتف الدول الأوربية على أن تقضي على تجارة الرقيق في بلادها ومستعمراتها الإفريقية والأسيوية ، وبذل بعضها في ذلك المال لتعويض ملاك الرقيق . يقول الرافعي (٢) : « اعتبر ذلك في أن الحكومة الإنجليزية حينما
١٥ قررت إبطال الرقيق في أملاكها خصصت عدة ملايين من الجنيهات لتعويض موالي الأرقاء المحررين » .

ويذكر الرافعي أن الاتجار بالرقيق منع من عهد محمد علي ، « ولكن هذا المنع لم يكن إلا اسميا ، وبقيت تجارة الرقيق في السودان قائمة إلى عهد سعيد باشا بعين الحكومة وبصرها وبتأييد موظفيها ، وكان يتولاها تجار أقوياء لهم بيوت
٢٠ تجارية كبيرة تتجر في محصولات السودان وفي الرقيق ، وتربح من كل ذلك الأرباح الطائلة وكان تجار الرقيق لما لهم من النفوذ والسطوة والمال يقيمون في مختلف

(١) انظر فتح الباري ١ : ٨٠ / ٥ : ١٢٦ .
(٢) عصر إسماعيل لعبد الرحمن الرافعي ١ : ١٣٦ .

الجهات معاقل حصينة اتخذوها مراكز للتجارة واصطياد الرقيق ، فلما تبوأ إسماعيل عرش مصر اعتزم أن ينضم إلى حركة العاملين على تحرير الأرقاء فى أنحاء العالم وأن يكسب ثناء الإنسانية فى مقاومة الرقيق ، وبذل جهوداً كبيرة فى هذا السبيل[1] » .

وكان لاهتمام الوالى أثره فى ضبط سبعين سفينة مشحونة بالأرقاء بين كاكا وفاشودة أطلق سراحهم ، واعتقل التجار الذين جلبوهم ولم يفرج عنهم إلا بعد تعهد بعدم العودة إلى ذلك . كما كان لاحتلال فاشودة سنة ١٨٦٥ أثر كبير فى سد طريق النيل فى وجه تجار الرقيق الذين كانوا يقتنصون الأرقاء فى جهات بحر الغزال وخط الاستواء ويشحنونهم فى السفن .

أما العبيد المملوكون قبل صدور هذا الأمر فقد وضع لهم تشريع يخولهم الحق فى التحرير إذا ثبت أن السيد أساء معاملتهم[2] .

ويأخذ الرافعى على إسماعيل بعض الأخطاء فى تنفيذ هذا الأمر : منها أنه لم يفكر فى تعويض تجار الرقيق ، وكانوا تجاراً أقوياء لهم أنصار لا يستهان بهم ، فضلا عن أن الأيدى العاملة فى الزراعة ورعى الماشية وغير ذلك كان معظمها من الرقيق . هذا إلى أن الخديوى قد حمل على رأس مقاومة الرقيق جماعة من الأجانب منهم السير صمويل بيكر ، وغردون الذى لم يقترن اسمه إلا بمحاربة الاتجار بالرقيق[3] فاستثار وجودهم عواطف الأهلين الدينية ، واستهدفت الحكومة لعداء طبقة كبيرة من أعيان السودان وتجاره ، مما ظهر أثره فى نجاح دعوة المهدى فى أوائل عهد توفيق ، إذ انضم إلى الثورة تجار الرقيق فى السودان[4] .

هذا هو الرقيق فى موجز تاريخه ، ومع ذلك فلا تزال تجارة الرقيق قائمة فى إفريقية . وفى العدد ١٥٣٠ من المصور الصادر فى أول جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣ خلاصة تقرير يقع فى ٣٠٠ صفحة لعالمين من علماء الاجتماع هما « جاك آلان » و « جورج هيرالد » قضيا فى تتبع عصابات الرقيق أربعة أعوام . وفيه من المآسى ما ينطق بقسوة الأوربيين من تجار الرقيق ومظالمهم التى يرتكبونها فى هذه القارة البائسة

---

(١) عصر إسماعيل ١ : ١٣٤ .
(٢) عصر إسماعيل ١ : ١٣٥
(٣) عصر إسماعيل ١ : ١٦٣ .
(٤) عصر إسماعيل ١ : ١٣٦

وهذه محاولة لم نستطع فيها أن نستقصي القول في الرقيق الذي كان في بعض العصور بعصب الدنيا ، وكان له في الحياة العربية أثر بالغ في النواحي الحضارية والعلمية والأدبية والفنية ، وحفظ لنا أبو الفرج الأصفهاني في تضاعيف أغانيه ونائي شتى فيما يتعلق بالرقيق ، كما زخرت كتب الأدب والتاريخ القديمة بذكر آثارهم وأخبارهم . وتناول الكتاب المحدثون في أبحاثهم هؤلاء الرقيق من جوانب شتى أذكر منها فجر الإسلام وضحاه للدكتور أحمد أمين ، والرقيق في الإسلام لأحمد شفيق (باشا) وضعه بالفرنسية وترجمه أحمد زكي (باشا) ، ومنها الفصول التي كتبها الرافعي في (عصر إسماعيل) ، وكتاب الدكتور محمد فؤاد شكري (الخديو إسماعيل والرقيق في السودان) وضعه باللغة الإنجليزية . وكتبت دائرة المعارف البريطانية فصلاً ضافياً في الرق (Slavery) . وللزعيم المغفور له مصطفى كامل كتيب في الرق ألفه عندما كان طالباً بمدرسة الحقوق ، سماه « أشعب ما كان ، في الرق عند الرومان » طبع بمطبعة الموسوعة سنة ١٣١٠ في عشرين صفحة .

ابن بطلان وكتابه

ابن بطلان :

هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون النصراني البغدادي المعروف بابن بطلان .

ويبدو أن اسمه الكنسي هو « يوانيس » كما ورد ذلك بخطه في نص نقله ابن أبي أصيبعة [١] .

ويذكر القفطي [٢] نظيراً لذلك في ترجمة صاعد بن هبة الله ، قال : « كان اسمه أيضاً ماري ، وهو من أسماء الكنيسة عند النصارى فإنهم يسمون أولادهم عند الولادة بأسماء فإذا عمدوهم سموهم عند المعمودية باسم من أسماء الصالحين » .

أخذ علمه في العراق عن أبي الفرج عبد الله بن الطيب المتوفى سنة ٤٣٥ ،

(١) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة .
(٢) إخبار العلماء ١٤٥ .

وكان عالماً بالمنطق والحكمة والطب ، وفيه يقول ابن بطلان[1] : « وشيخنا أبو الفرج عبد الله بن الطيب بقي عشرين سنة في تفسير ما بعد الطبيعة ، ومرض من الفكر فيه مرضة كاد يلفظ نفسه فيها » وكان أبو الفرج يجل تلميذه ابن بطلان ويعظمه ، ويقدمه على تلاميذه ويكرمه[2] .

٥ ولازم أيضاً أبا الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحراني الصابي المتوفى سنة ٣٦٩ وهو عم أبي إسحاق الصابي ، وكان من أكبر الأطباء الحاذقين في بغداد فانتفع به ابن بطلان في صناعة الطب ، وفي مزاولة أعمالها . وكانت صناعة الطب هي المهنة التي كان يرتزق منها ابن بطلان .

وعاش ابن بطلان حياته للعلم لم يتخذ امرأة ولا خلف ولداً . وفي ذلك يقول :

١٠ ولا أحد إن مت يبكي لميتتي سوى مجلسي في الطب والكتب باكيا

رحلة ابن بطلان للقاء ابن رضوان :

كان ابن بطلان معاصراً لعلي بن رضوان الطبيب المصري ، وكان بينهما — كما يقول ابن أصيبعة — مراسلات عجيبة وكتب بديعة غريبة ، ولم يكن أحد منهما يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً إلا ويرد عليه الآخر ويسفه رأيه . قال : وقد ١٥ رأيت أشياء من المراسلات التي كانت فيما بينهم ووقائع بعضهم في بعض .

فصح عزم ابن بطلان في مستهل رمضان سنة ٤٤٠ أن يخرج إلى لقائه في مصر استجابة لما أملته عليه المنافسة ، فخرج من بغداد إلى الجزيرة والموصل وديار بكر ، ودخل (حلب) وأقام بها مدة أحسن إليه فيها معز الدولة ثمال بن صالح وأكرمه إكراماً كثيراً .

٢٠ ويروي لنا القفطي حياته في حلب ، أنه لما دخل إليها تقدم عند المستولي عليها وسأله رد أمر النصارى في عبادتهم إليه ، فولاه ذلك وأخذ في إقامة القوانين

---

(١) القفطي في إخبار العلماء ١٩١ ، ١٩٨ .

(٢) القفطي ١٩٢

الدينية على أصولهم وشروطهم فكرهوه . وكان بحلب رجل كاتب طبيب نصرانى يعرف بالحكيم أبى الخير بن شرارة وكان إذا اجتمع به وناظره فى أمر الطب يستطيل عليه ابن بطلان بما عنده من التقاسيم المنطقية فينقطع فى يده ، وإذا خرج عنه حمله الغيظ على الوقيعة فيه ويحمل عليه نصارى حلب الذين هووه هناك اضطر معه إلى فراقهم .

خرج ابن بطلان عن حلب إلى (أنطاكية) ، ثم إلى (اللاذقية) وقد وصف هذه البلدان التى مر بها وصفاً ناقداً عجيباً فى كتاب كتبه إلى الرئيس هلال ابن المحسن[1] ثم أتم رحلته إلى مصر فدخل (الفسطاط) فى سنة ٤٤١ وأقام بها ثلاث سنين وذلك فى دولة المستنصر بالله من الخلفاء الفاطميين ، وجرت بين الرجلين وقائع كثيرة ونوادر ظريفة لا تخلو من فائدة . وقد ضمن ابن بطلان تلك الحوادث والمحاورات رسالة بعث بها إليه بعد خروجه من مصر وقد حفظ لنا القفطى هذه الرسالة فى كتابه[2] ، ونشرها يوسف شاخت وماكس مايرهوف سنة ١٩٣٧

وقد اتسع نطاق المناظرة بين الرجلين حينما خرج من حدود المناظرة العلمية إلى حد المهاترات الشخصية ، فيذكر ابن أبى أصيبعة أن ابن رضوان كان أسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة وكان يناضل عن نفسه من هذه الجهة حتى ألف مقالة يرد بها على من عيره بقبح الخلقة ، بين فيها « أن الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون وجهه جميلا » . فانتهزها ابن بطلان فرصة له موقع فيه ، وكان يلقبه « تمساح الجن » وقال فيه :

فلما تبدى للقوابل وجهه نكصن على أعقابهن من الندم
وقلن وأخفين الكلام تستراً ألا ليتنا كنا تركناه فى الرحم !

ويعقد ابن أبى أصيبعة مقايسة علمية بينهما فيقول :

« كان ابن بطلان أعذب ألفاظاً وأكثر ظرفاً وأميز فى الأدب وما يتعلق به ؛

(١) القفطى ١٩٢ — ١٩٥ .
(٢) القفطى ١٩٥ — ٢٠٧

ومما يدل على ذلك ما ذكره في رسالته التي وسمها بدعوة الأطباء . وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها » .

ويذكر صاحب النجوم الزاهرة[1] أن ابن رضوان « كان فيه سعة خلق عند بحثه » .

خاتمة ابن بطلان :

خرج ابن بطلان من مصر عاتباً على ابن رضوان ورجع إلى أنطاكية مرة أخرى فأقام بها ونزل بعض الديرة فيها وزهد منقطعاً إلى العبادة إلى أن توفى بها[2] ودفن في كنيستها .

فيذكر القفطى المتوفى سنة ٦٣٦ أنه توفى سنة ٤٤٤ وكذلك صنع ابن العبرى[3] المتوفى سنة ٦٥٨ على حين يذكر ابن أبي أصيبعة أنه قد أطلع على مخطوطات شتى لابن بطلان وفيها من التواريخ ما يشهد بأن حياته امتدت إلى سنة ٤٥٥ كما نقل عنه تسجيلات لوفيات أعيان العلماء الذين عاصروه ، منهم الشريف المرتضى (٤٣٦) والماوردى (٤٥٠) وأبو الطيب الطبرى (٤٥٠) ومهيار الديلمى (٤٢٨) وأبو العلاء المعرى (٤٤٩) . وهذا مما يحملنا نرجح أن وفاته كانت بعد التاريخ الذى ذكره القفطى بنحو عشر سنوات على الأقل .

آثاره العلمية :

يذكر المؤرخون له من الكتب غير كتابنا هذا :

١ — كناش الأديرة والرهبان ، ذكر فيه الأمراض العارضة لرهبان

---

(١) ابن تغرى بردى ٥ ، ٦٩ .

(٢) هذه رواية القفطى . ويذكر ابن أبي أصيبعة أنه سافر من مصر إلى القسطنطينية وأقام بها سنة . ويبدو أن رحلته إلى القسطنطينية كانت بعد ذلك ، أى فى أثناء إقامته بأنطاكية إذ يسجل ابن أبي أصيبعة أنه ألف كتاباً فى القسطنطينية سنة ٤٥٠ .

(٣) تاريخ مختصر الدول ٣٥٦ طبع ١٦٦٣ .

الأديرة ومن بعد من المدينة ، كما جاء في مقدمة كتاب الديارات للشابشتي تحقيق كوركيس عواد . ومنه نسخة بمكتبة الفاتيكان .

٢ — تقويم الصحة ، في قوى الأغذية ودفع مضارها . نشرت ترجمة لاتينية له في إستراسبورج سنة ١٩٣١ وترجمة ألمانية في استراسبورج أيضاً في السنة التي تليها كما ما ورد في دائرة المعارف الإسلامية ، ومنه نسخة بالمتحف البريطاني وأخرى بالفاتيكان .

٣ — مقالة في شرب الدواء المسهل .

٤ — مقالة في كيفية دخول الغذاء في البدن وهضمه وخروج فضلاته وسقي الأدوية المسهلة وتركيبها .

٥ — مقالة إلى علي بن رضوان عند وروده الفسطاط سنة ٤٤١ جواباً عما كتبه إليه ، وقد نشر في (خمس رسائل) تحقيق يوسف شاخت وماكس مايرهوف ، مطبوعات كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٧ م

٦ — مقالة في علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة إلى التدبير المبرد ، كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها ، ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء في الكنانيش والأقرباذينات ، وتدرجهم في ذلك بالعراق وما والاها على استقبال سنة ٣٧٧ إلى سنة ٤٥٥ صنعها بأنطاكية وكان قد أهل لبناء بيمارستان أنطاكية .

٧ — مقالة في الاعتراض على من قال إن الفرخ أحر من الفروج بطريق منطقية ، ألفها بالقاهرة سنة ٤٤١ وقد نشر في مجموع (خمس رسائل)

٨ — كتاب المدخل إلى الطب .

٩ — كتاب دعوة الأطباء ، صنعه على غرار (كليلة ودمنة) ألفه الأمير نصر الدولة أبي نصر أحمد بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر المتوفى سنة ٤٥٣ كما في النجوم الزاهرة .

قال ابن أبي أصيبعة : « ونقلت من خط ابن بطلان ، وهو يقول في آخرها : فرغت من نسخها أنا مصنفها يوانيس الطبيب المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون

بدير الملك المتيمح قسطنطين بظاهر القسطنطينية فى أواخر أيلول سنة ١٣٦٥ . هذا قوله ويكون ذلك بالتاريخ الإسلامى من سنة ٤٥٠ » .

وقد نشر هذا الكتاب الدكتور بشارة زلزل بالمطبعة الخديوية بالإسكندرية سنة ١٩٠١ من نسخة بمكتبته ، وقد تصرف فيها بعض التصرف بحذف « عبارات لا يألفها ذوق الأدباء من أبناء هذا العصر !! » كما ذكر ذلك فى مقدمته . ٥

١٠ — كتاب وقعة الأطباء

١١ — كتاب دعوة القسوس

١٢ — مقالة فى مداواة صبى عرضت له حصاة .

عن تأليفه لهذا الكتاب :

باتساع الرقعة الإسلامية واتساع جلب العبيد تبعاً لذلك قامت تجارة الرقيق ١٠ نافقة يتولاها النخاسون الذين سميت صناعتهم بالنخاسة [١] ويشرف على تجارتهم فيم يدعونه « قيم الرقيق »[٢] .

والرقيق كسائر السلع يرى المشترى أن يختار لنفسه منه ، وأن يأمن جانب الغش والخدعة فيه ، فى عالم غص بأجناس شتى من الأمم من الترك والأرمن والصقالبة والهند والزنج والبربر وغيرهم ، ولكن السوق قاسية ، والبائع يحاول ١٥ أن يتخلص مما فى يديه ولو سلك فى ذلك سبل الغش والخداع جميعاً ، لذلك قامت إلى جانب النخاسة مهنة أخرى هى مهنة « الدلالة » التى تكفى المشترى مؤونة الخبرة وتكفى البائع من جهة أخرى أن يبالغ فى ترييف سلعته [٣] . وقد ذكر ابن بطلان رجلاً اسمه « أبو عثمان » كان من هؤلاء الدلالين ، ولكن الدلالة أو « السمسرة » بعبارة أخرى كانت سلاحا ذا حدين نفاع وضرار . ٢٠

---

(١) النخاس يطلق فى الأصل على بائع الدواب ، سمى بذلك لنخسه إياها حتى تنشط . وقد يسمى بائع الرقيق نخاسا . اللسان (نخس) .

(٢) الأغانى ٢٠ : ٢٢ وضحى الإسلام ١ : ٨٧ .

(٣) يذكر أحمد شفيق (باشا) فى كتابه الرق فى الإسلام عند الكلام على رق الرومان : « وكانت العادة أن المشترى يطلب رؤية الأرقاء عراة تماما لأن بائعى الرقيق كانوا يستعملون ٢٥ وجوها كثيرة من المكر لإخفاء عيوب الرقيق الجثمانية » . ولا تزال تلك العادة شائعة إلى الآن كما أخبرنا بذلك من شهد أسواق الرقيق .

ثم إن الأعراض التى يقتنى لها العبيد والإماء مختلفة جداً ، وهذه الأعراض لا تتحقق جميعها فى جنس واحد من أجناس العبيد ، فالخدمة والسعى ، والقيام على الحرائر والحراسة والقتال ، وطلب الولد والإرضاع ، والغناء والطرب ، والاستمتاع والجمال ، كلها أعراض يتحقق بعضها متوفراً فى بعض الأجناس ولا يكون فى الأخرى .

ثم إن للعوامل النفسية كالرغبة العاجلة فى الشراء ، وهى رغبة تتجاوز عن كثير من السيئات ، والعوامل الاقتصادية ككثرة الرقيق فى المواسم واغتنام تلك الفرصة لاستعمال طرق الغش والخداع ، والعوامل الشخصية كأن يدس بين الرقيق من يتخذ من الأعداء عيناً على سيده المنتظر فيفسد عليه أمره فيما بعد ، وكذلك ما للعبد من ماض طيب أو سيئ ، أن لكل أولئك وأمثالها آثاراً شتى يجدر بالمشترى أن ينظر فيها طويلا وأن يحزم أمره بالتريث .

وهناك أخطاء كان يقع فيها السادة فيجنون مغباتها ، هى الأخطاء الصحية والنفسية التى لا يتبينها إلا طبيب حاذق ، عالم بالطب وعلم الفراسة التى تتأدى من النظر فى الظاهر إلى معرفة الباطن : الباطن البدنى والباطن النفسى أيضاً ، فقد يشترى عبداً معلول الجسم أو معلول النفس وظاهره لمن لا يعرف بارع خداع .

كل أولئك حفز صاحبنا الطبيب « ابن بطلان » أن يضع كتابه هذا فى ذلك الموضوع الخطير فى تلك العهود التى كان الرقيق فيها جماً هائلا له خطره وله ميزانه .

موارد الكتاب :

وأقصد بذلك المنابع التى استقى منها ابن بطلان معارفه فى هذا الكتاب . وهو قد صرح فى أول كتابه أنه اعتمد على رسائل معلم الإسكندر وغيره من العلماء والفلاسفة . وقد ظهر لى فى أثناء التحقيق أنه اعتمد فى باب الفراسة اعتماداً كلياً على ما ورد فى كتاب « جمل أحكام الفراسة » لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى المتوفى سنة ٣١١ يظهر ذلك من المطابقة التامة فى الألفاظ وفى نظام التأليف .

ولـكن صاحبنا لم يظهر اسمه اكتفاء بما ورد مبهماً فى قوله « من العلماء والفلاسفة » .

التحقيق فى شراء الرقيق :

هو مخطوط قديم فى المكتبة التيمورية رقم ٤٨ مسائل ورذائل ، مجهول المؤلف ، خدم به مؤلفه اسم « الملك الصالح أبى المظفر أحمد بن الملك الظاهر أبى المظفر غازى بن الملك الناصر أبى المظفر يوسف بن أيوب بن شادى » . ٥

وقد اعتمد هذا الـكتاب فى بيان خصائص الأجناس اعتماداً ظاهراً على ما ورد فى كتابنا هذا ، وصرح فى بعض المواضع بالنقل عنه ، كما فى ص ٢٤٣ ، ٢٥٢ باسم ابن بطلان ، وفى ص ٣٩ ، ٤٤ باسم ابن عبدون ، وكان بذلك سبباً فى تحقيق أو توضيح بعض ما ورد من نصوص كتابنا هذا محرفاً أو مبهماً . ١٠

نسخة الأصل

هى نسخة جامعة القاهرة رقم ٢٣٣٢٧ المصورة عن مخطوطة برلين رقم ٤٩٧٩ ومع أنها مجهولة التاريخ هى قديمة الخط ، ولم أعثر على نسخة أخرى من هـذا الـكتاب بعد بذل جهد طويل

وإليك الـكتاب فى ضوء التحقيق ١٥

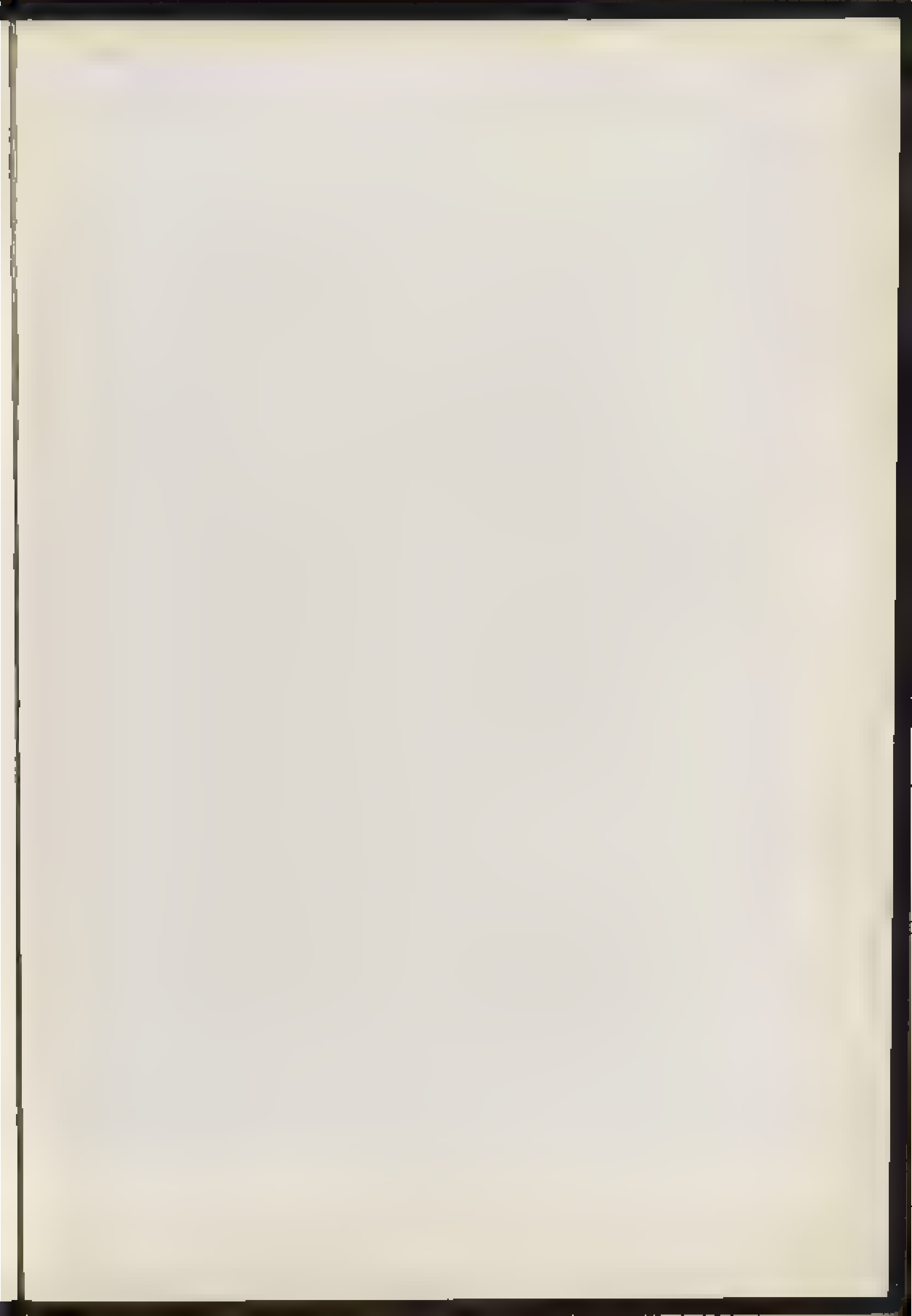

رسالة جامعة لفنون نافعة

فى شرى الرقيق وتقليب العبيد

تأليف الشيخ أبى الحسن المختار بن الحسن بن عبدون البغدادى المتطبب

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة جامعة لفنون نافعة فى شِرَى الرّقيق وتقليب العبيد

يعلم منها الراغبُ فى هذا الشأن الأعضاء السّليمة من المَؤُوفة ، والأخلاقَ الطاهرة من الرديّة ، وأىُّ الإماء يَصلُحن للخدمة ، وأيُّهن للمتعة ، وأىُّ الأجناسِ عبيدُ طاعة وولاء ، وأيُّهم ذَوِى أنفٍ وحمية ، وأيُّهم لا يُصلحه إلاَّ الكدّ والعصا

٥ فيختارُ من كلّ جنسٍ ما يوافق غرضَه ، وينال به أَرَبه ، فإنه يقال :

من أراد الجاريةَ للذة فليتّخذها بربرية ، ومن أرادها خازنةً وحافظة فروميّة ، ومن أرادها للولد ففارسية ، ومن أرادها للرضاع فزنجية ، ومن أرادها للغناء فمكّية .

ومن أراد العبيد لحفظ النفوس والأموال فالهند والنُّوبة ، ومن أرادهم

١٠ للكدّ والخدمة فالزّنج والأرمن ، ومن أرادهم للحرب والشجاعة فالتُّرك والصقالبة .

هذا كلامٌ جمعنا متشتّته ونظَمنا منثوره من رسائل معلّمِ الإسكندر[١] وغيره من العلماء والفلاسفة .

ومقالتنا هذه تشتمل على فنون خمسة :

الأول منها : فى وصايا ينتفع بها فى البيع والشِّرَى

١٥ الثانى منها . فيما يتفقّد من أعضاء الرقيق بحسب ما يراه الأطباء .

---

(١) يعنى أرسطو . قال القفطى فى إخبار العلماء : « وكان أرسطوطاليس معلّم الإسكندر بن فيلبس ملك مقدونيه ، وبآدابه عمل فى سياسة رعيته وسيرة ملكه ، وانقمع به الشرك فى بلاد اليونانيين ، وظهر الخير وفاض العدل . ولأرسطوطاليس إليه رسائل كثيرة معروفة مدونة » .

الثالث : فى معرفة أخلاق العبيد بقياس الفراسة على مذهب الفلاسفة .

الرابع : فى معرفة صور كلّ جنس وما يصلحون له من الأعمال بحسب خواصّ بلادهم والمنشأ .

الخامس فى كشف تدليسات يدلّس بها النّخّاسون الرقيق على المشترى ، يجرى مجرى الحِسْبة .

ومن بعد تعديدنا لهذه النُّوَب نعقد بها جلةً يخصّمها[1] تفصيلها ، ليسهل على القارئ مأخذها ويحيط علمه بها .

والله ولى المعونة والعصمة للقوّة البشرية ، من كل خطَل وزَلّة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(١) كذا وردت الكلمة مضبوطة فى الأصل ومعنى يخصها يليها .

مبلغ ما يحتاجه إلى معرفته من أحوال العبيد والإماء عند ابتياعهم وبيعهم، من وصايا يُنتفع بها في البيع والشرَى منتزعة من كلام الحكماء.

ومن تفقد أجسامهم وصحة أعضائهم بحسب ما يراه الأطباء.

ومن تعرف أخلاقهم بقياس الفراسة على مذهب الفلاسفة.

ومن معرفة صور كل جنس وما يصلحون له من الأعمال، بحسب خواص ملادهم والمنشأ.

ومن كشف تلبيسات يدلس بها النخاسون الرقيق على المشترى، يجرى مجرى الحسبة على ما بُيّن من أحوال ذلك.

وهى على خمسة أشياء ما[1]:

[١]

منها الوصايا التى ينتفع بها فى شرَى الرقيق على ما قاله الحكماء والفلاسفة، عشر وصايا، من ذلك ما يعم المماليك والإماء أربع وصايا:

شرحها: (الوصية الأوْلة[2]) ما أمروا أن يكون عليه[3] المستعرض عند التقليب للشرَى، وما نَهَوا عنه من التقلع مأوّل نَظْرة، قالوا: إنّ المستعرض لأمرٍ ما يجب الأ يكون ذا فاقةٍ إليه، فإن الجائع يستجيد كلّ طعامٍ يُشبعه[4]، والعُريان يستوفق كلّ طِمْرٍ بدنُه وبشره، وبحسب هذا قالوا: لا يستعرض

---

(١) كذا وردت هذه العبارة.

(٢) فى اللسان (وأل): «حكى ثعلب هن الأولات دخولا، والآخرات خروجا. واحدتها الأولة والآخرة. ثم قال: ليس هذا أصل الباب، وإنما أصل الباب الأول والأولى كالأطول والطولى». (٣) فى الأصل: «عليها».

(٤) فى كتاب التطفيل ص ١٣: «وقال الحكيم: الجائع مستجيد لكل طعام يشبعه»

جارية شبق ، فليس لمنحط[1] رأى ، لأنه يقطع بأول نظرة ، وأول نظرة سحر والجديد والغريب روعة ؛ فإذا صادف منه حاجة داعية قطع بما تكذبه الحواس عند الاستقصاء . ولهذا قيل : تكرير اللحظ يحقق كل حدة ، ومعاودة التقليب يظهر التصنع ، ويبهرج الدليس .

(الوصية الثانية) ما حذر منه القدماء عمل الشرى . قالوا : كن على حذر من شرى الرقيق فى المواسم ، فى مثل تلك الأسواق يتم للمحتالين الحيل ، فكم من دصيفة بيعت محضنة[2] ، وسمراء كمدة بيعت صفراء مذهبة ، وممسوح العجز ثقيل الروادف ، وبطين مجدول الحشا ، وأبخر الفم مطيب النكهة ، وكم صفروا البيض الحادث عن القروح فى العين ، والبرص والبهق فى الجلد ، وجعلوا العين الزرقاء كحلاء ، وكم من مرة حمروا الخدود المصفرة ، وحمموا الوجوه المقمقمة[3] ، وكبروا القامة المهزلة ، وأعدموا الخدود شعر اللحى ، واكسوا الشعور الشقر حالك السواد ، وجعدوا الشعور السبطة ، وبيضوا الوجوه المسمرة ، ودمنحوا السيقان المرقة[4] ، ورطلوا الشعور المرطة ، وأدهموا آثار الجدرى والوشم والنمش والحكة .

ولكل من هذه أسباب يعرفها الأطباء ، قد أوردناه فى مقالتنا فى الحسبة ، وسنورد منها فى الفن الخامس شذرة بحسب الحاجة .

وكم من مريض بيع بالصحيح ، وغلام بجارية ، هذا زائد على ما يوطئون

---

(١) فى الأصل : « لمتسط » . وما أثبت من الصواب يوافق ما فى المحقق ص ١٤ .
(٢) الصيفة : النعيمة . فى الأصل « قصيفة » .
(٣) لعلها « المتقعمة » .
(٤) المرقة : الضامرة القليلة اللحم . وفى اللسان : دملج جسمه دمجمة ، أى طوى طياً حتى أكثر لحمه .

به الجوارى من دَلّ وعَجانة[1] على مُشترين شُبّيب قد أحلّ لهم لحمُ الميتة ، سوى ما يفعلنه من زينتهن بالخضاب والحِنّاء ، والملابس المصنَّعة الناعمة .

سمعت بعض النخّاسين يقول : « ربع درهم حِنّاء يزيد فى ثمن الجارية مائة درهم فضة ! » .

والتحرز من هذا لا يكون فى موقف واحد ، ولهذا قيل : اتّهم نظرَك فيما استحسنته حتى يكون الاستحسان دائمًا على صُورةٍ لا ينقصها تكرار النظر ، وهذا لا يتمُّ إلا فى دفعات ، وعلى صفاتٍ مختلفات .

(الوصية الثالثة) ما نُهى عنه من القطع بأوّل سمعٍ من المماليك [و] الإماء قالوا : لا تقطعْ بأوّلِ لفظٍ من غلامٍ أو جارية ، فربّما جاءت بالاتفاق موافقت منك قبولاً لا يكون وراءها أمثالها فيدلّس عليك بذلك مدحُ مستورة ، وربّما جرى الأمر على خلاف ذلك ، فلتكن إلى الريبة أميلَ منك فى هذا الشأن إلى الثقة ، وخذ بسوء الظن تَسلمْ .

(الوصية الرابعة) ما حُذّر منه الرؤساء خاصّة . قالوا ليحذر الرؤساء — ممن له عدوٌّ يخشى منه غِيلة ، أو[2] يخاف أن يطلع له على سِرّ — شِرى خادمٍ أو جارية خاصةً إن كانت كانت خرجت من دار سلطان ، إلا بعد خبرته بها ، ولا شِرى جارية مولّدة من تاجرٍ أو جلّاب ، فإنّ هذه حيلةٌ قد هلك بها جماعةٌ من الملوك والرؤساء

* * *

ومن ذلك ما يختص بشِرى المماليك خاصّة ، ثلاث وصايا ، شرحها :

(الأولى) ما حُظِر على المشترى من ابتياع مملوكٍ قد مَرَن على الضرب

---

(١) فى الأصل : « ما يوصوا به الجوارى من دل وعانه » . والعجانة : مصدر عن يعجن عجونا وعجانة ، وهو ألا يبالى ما صنع .

(٢) فى الأصل : « أن » .

والخصومة . قالوا : لا تشتر مملوكاً كان مولاه يُكثِرُ ضربه ، ولا تترك المسألة

عن مالك المملوك ، وعن سبب بيعه . واستطلع ذلك قبل ابتياعه ، من المملوك وغيره ، فى هذا الفحص فوائد كثيرة ، فى ارتباطه ، أو تسريحه وتركه .

(الثانية) مأخوذة من حُرأة المملوك على ذمّ مولاه ، وتنقّصه له ، أو امتعاضه من ذمّه وقلة احتفاله به ، وهل سبب بيعه من جهته أو من جهة مالكه .

(الثالثة) ما وُصّى به قبل استخدامه . قالوا : المملوك على ما يراه منك أوّل دخوله دارك ... إن أطعمته طمع ، وإن هذّبته انقمع ، وإن خالطه مفسد من مماليكك وغيرهم فسد .

* * *

ومن ذلك ما يختص بشراء الإماء ، وصيان ، شرحهما :

(الأولى) فيما تعلم به براءة الجوارى من الحَبَل قبل الشراء . قالوا : تحرّز فى استبراء الإماء من الحمل قبل التملك لهن ، واحذر بهرجتهنّ بالسداد والدعاوى الكاذبة ، فإنّ كثيرا ما يجعلن فى فروجهن خرقاً بدماء غيرهن[1] . وليكن من يستبرى ذلك منها امرأة تكره أن تُلحِق بك ولدَ غيرك ، ومرها فتفقد ثدييها وجسّ حشاها

واعلمْ ذلك من شحوب لونها وشهوتها للطعام المالح ، فإن ذلك دالٌّ على توحمها ، واستبر ذلك بتقدير الحشا وبحورات تذكر أخيراً كما وعدنا .

(الثانية) ما يراعى بعد الشرى من الحِيلة فى الحمل من غير إرادة المولى . قالوا : راعِ أمراً ذا ركنين :

---

(١) فى الأصل : « ما يجعلن فى فرجهن خرق بدماء غيرهم » .

إذا اشتريتَ جاريةً غير طامثة فربما علقت في ملكك وأنت لا تعلم، وكتمتْ ذلك عنك رغبةً في الولد.

احذر الجواريَ اللواتي يوهمنَ أنهن عُقْم وهنّ كارهات الحبَل، فربما خدعتك بذلك.

ومن ذلك ما يختص بالبائع دون المشترى

وصيــــة

قالوا: لا تُخْرِجْ جاريةً من ملكك إلى نخّاس إلّا في دم، فربما تمّ عليها في الحجر أن تحبل فادّعت أنه منك

على أنّا قد شاهدنا في زماننا مَن حاضت مُدّةَ زمانِ حملها وهذا نادر.

[٢]

ومنها ما يتفقّد من أجسام الرقيق بحسب كلّ واحدٍ من الأعضاء على مذهب الأطباء ، ثمانية وثلاثون فصلا .

من ذلك ما يعم جميع البدن ، ثلاثة أشياء ، تفصيلها :

من اللون ، وهو ألّا يكون حائلا[1] إلى الصفرة الدّال على ضعف الكبد وغلبة الصفراء ، ولا إلى السّواد الدالّ على السّوداء وضعف الطّحال ، لكن إنْ كان أبيضَ فيكن مُشربا حمرة ، وإن كان أسمر فلتكن سمرته سمرةً صافية .

ومن البشرة بأن تكون لينة نقية خالية من بَهَق أو برص أو وشم أو قُوباء أو كيّ أو صبغ أو ثآليل أو خِيلان أو أثر قُرحة ، لا سيّما إنْ كانت عن عَضّة كلبٍ كَلِب .

ومن تناسب الأعضاء ، بأنْ تكون بعضها متناسبةً لبعض في الطول والقصر والعظم والصغَر ، فإنّ طول الأعضاء مع غير مناسبةٍ في العرض جيّد في مباشرة الأعمال العظيمة ، مع ضعف القوة . والقصرُ بالضدّ عن ذلك .

•••

ومن ذلك ما يختص كل واحد من الأعضاء ، ثلاثون فصلا .

منها (ما يختص بالرأس) أربعة أشياء ، وهى شكله ، بأن لا يكون مسفّطا[2]

---

(١) الحائل : المتغير اللون . وردت كذا بالمد . وفى كتاب التحقيق ٦٨ : « اللون إذا كان حائلا دل على علة فى الكبد » .

(٢) المسفط : الذى شكله شكل السفط . فى القاموس : « رجل مسفط الرأس : رأسه كالسفط » . والسفط محركة كالجوالق أو كالقفة .

ولا مشوّهًا ، ولكن يكون ككرة شمع قد عُجنت من جانب فصار لها سواءٌ من
خلف وقدام

وشعره بأن لا يكون خفيفًا أو متمرّقًا ، ولا به داء الثعلب والحيّة[1] ،
ولا بعضُه أبيض مجتمع كالبلَق فى البهائم

جلده بأن لا يكون مخلّلا ولا فيه سَعْفة[2] وبثور ، أو أثر جرح غائر يدل
على عظم .

فضلاته البارزة منه بأن لا يكون كثير المخاط والبصاق ، كثير النوم كدر
العين والحواس ، فإن ذلك من أسباب الصرع ، ولا سيّما إن ارتعشت
بعض أعضائه .

(ما يختص بالعين) خمسة أشياء ، وهى من حركتهما بأن لا تكونا
مضطربتين فإنهما من علامات الوسواس لا سيما إذا لم يكن الكلام منتظمًا ،
وهذا يعتبره العارف بلغة المملوك . ومن لونهما بأن لا يكون بهما زُرقة فى السواد
لم تكن من قبل ، لأنها من علامات الماء . ولا يكون بياضهما كدرًا أو أصفر
أو فيه عروق ، فإنه من مقدمات السّبَل[3] . ومن شكلهما بأن لا يكون شكل
العين مستديرًا ، لا سيما إن كان الوجه مصفرًّا فإن ذلك من علامات الجُذام .
ولا يكون ثقبا الحدقة سواداها [غير[4]] متساويين ، ولا أحدهما أكبر من
الآخر وكأنه مشقوق بالطول[5] . وهذا يعتبر بأن يغمض كلّ واحدة منهما ويُرى

---

(١) داء الثعلب : علة يتناثر منها الشعر ، والثعلب يصيبها ذلك الداء ، كما فى اللسان (ثعلب) . وجاء فى كتاب التحقيق ص ٨٤ : « وآفات الشعر الخاصة فإنها لثقله ، وداء الثعلب فإنه بحرقه ، وداء الحية فإنه بجرده » وانظر الحيوان ٤ : ١٠٨

(٢) السعفة : قروح تخرج برأس تورث القرع .

(٣) السبل : داء فى العين شبه غشاوة كأنها نسج العنكبوت بعروق حمر .

(٤) فى كتاب التحقيق ٩٦ — ٩٧ : « وإذا كان حرفا الصبى غير متساويين وسواداهما غير متماثلين » . (٥) فى التحقيق : « أو كان الحرفان قد شقا بالطول » .

أشكالا مختلفة . ومن المآق أن لا يكون فى المآق طَرَفة[1] ولا لحم زائد ولاناصور[2] . وعلامته أنك إذا عصرت المأق خرج منه مِدّة . ومن الأجفان أن لا يكون شعرها منتثراً ولا منقلباً ، ولا تكون الأجفان غليظة

(ما يختص بالشم والسمع) ، وهو شىء واحد : تنظرهما فى الضوء لئلا يكون فيهما لحم زائد ، وتعرض عليه الكلام والروائح بعد سدّ أحد ثقبيه .

(ما يختص باللسان) وهو شىء واحد ، أن يُستنطق لئلا تكون به لثغة ، وهذا يكون من صِغَر اللسان وعظمه ، أو سقوط جزء منه ، أو لآفة فى عصبه ، أو لسقوط بعض الأسنان ، أو لانتصابه من الجملة ، أو لأثر قرحة به ، فضل[3] عن جميع ذلك فإن لم يكن يستوى نطقك به ، فربما كان قد عضّ لسانه المصروع به وبخزامة ن اليمزى ، وأطعمه كبد تيس مشوى فإنه يصرع إن كان مصروعا .

(ما يختص بالأسنان) شيئان ، وهما : إن لم تكن موجودة بعد الثغر فإنها لا تعود[4] ، وإن وجدت تفقد ألوانها وصلابتها وسلامتها من الحفور ، وبعدها من الضرس بصبرها على الحامض ، واحتماله أجود من تعرّيها ، وإن كان الشَّغَى مذهباً محموداً عند العرب[5]

(ما يختص باللثة) شىء واحد وهو أن لا يكون فيها قروح . واستنكهه لكيلا يكون به بخر ، وهذا يكون من عفن اللثة ، أو تآكل ضرس ، أو بلغم عفن فى المعدة

---

(١) الطرفة : بالتحريك ، حدقة تعلو العين نابتة عن جانب الذى يلى الأنف على بياض العين إلى سوادها .

(٢) فى الصحاح : الناسور بالسين والصاد جميعاً : علة تحدث فى مآقى العين تسقى فلا ينقطع . قال : وقد تحدث أيضاً فى حوالى المقعدة وفى اللثة ، وهو معرب .

(٣) رسمت فى الأصل « فضل » مع إهمال النقط .

(٤) فى الأصل : « تعد » . وفى هداية المريد « وإن وجد سقوطها من بعد إثغاره فإنها لا تعود » .

(٥) الشغى : التفلج فى أحد منابته .

(ما يختص باللهاة) شيء واحد، وهو أن لا تكون مسترخية، فإن ذلك سبب اتصال السعال، ولا نزلة إلى أسفل، فإنه يتبع ذلك الخُنَّان[1]. فتأمَّل ذلك في الضوء.

(ما يختص بالنغانغ والأرنبتين[2]) شيء واحد، وهو أن لا يكون فيهما أثر خنازير.

(ما يختص بالصدر) شيء واحد، وهو ألا يكون ضيِّقاً أو معوجاً أو قليل اللحم، فإن ذلك [يكون] سبباً لنزلة والسُّعال والنزلات، ولا سيما إن كانت الأكتاف مجنحة.

(ما يختص باليدين) شيء واحد، وهو ألا تكون إذا قدرتهما وجدت إحداهما أقصر من الأخرى، أو هما قصيرتان، فإن ذلك رديء في الأصل.

(ما يختص بالسواعد) شيء واحد، وهو أن يكون تَثنِّي المرفق سهلاً بلا التواء ولا ورم ولا تشنُّج من جرح أو عرق مدنى[3]، واستجزه أن يقبض على يديك بقوة.

(ما يختص بالحشا) جميعه خمسة أشياء: منها ما يعم الحشا جميعها، شيء واحد، وهو أن لا تكون غليظة جميعها أو بعضها. وعد بأن تأمره أن يستلقي على ظهره وتجسَّ حشاه من فم المعدة إلى العانة، فإن رأيت ثم عظماً أو ألماً فاحص به، لا سيما إن وافق ذلك فساد لون وتهييج في المحاجر ويحقق ذلك انقطاع نفسه عند إحضاره وصياحه.

* * *

---

(١) الخنان: داء يأخذ في الأنف تسد منه الخياشيم.

(٢) كذا وردت هذه الكلمة والنغانغ. لحمات تكون في الحلق عند اللهاة

(٣) هو في حواشي هداية نرجد. « ابدى بتره يحدث في الساقين بعضا ثم يخرج منها شيء [كالدو] د، ولا يزال يطول، وربما كان له حد، لمدة مديدة، ومدة لو جمع، ووطئه حطار».

ما يختص بواحد واحد من أعضائه، أربعة أشياء. تفصيل ذلك:

(المعدة) بأن لا تكون جاسية[1]، ولا بها سوء استمراء من سوء مزاج حارّ أو بارد، ولا بها خلط داعٍ إلى أكل الطّين والفحم

(الكلى والمثانة) بأن لا يكون فيها قُرحة أو حَصاة أو رَخاوة، وهذا بأن ينبعث في البول رملاً أو مِدّة، ويراعى في ليالٍ كثيرة فلا يبول في الفراش.

(الأنثيين) بأن لا يكون فيهما دَوَالي[2]، أو بأحدهما قَيْلة الِمعا.

(القضيب) بأن لا يكون ثقب الكمرة ممسوخاً، وهذا يتأمّل عند البول.

ما يختصّ (بالرِّجلين) أربعة أشياء، منها ما يعم جميعها، شيء واحد، وهو أن لا يكون بهما عَوَج أو تشنّج أو عِرقُ نسا أو خلع ورك. وهذا يتبيّن إذا أمرته بالإحضار وإذا قدّرتهما لم ينقص إحداهما عن الأخرى.

ما يختص بواحدٍ واحدٍ من أجزائها، ثلاثة أشياء، تفصيل ذلك: الرُّكبة بأن لا يكون فيها ورم صُلب أو شوكة. الساقان أن لا يكون بهما تقويس أو حَنَف أو فَحَج، ولا في باطنهما دوالي[3]. القدم والكعب بأن لا يكون فيهما داء الفِيل.

(ما يختص بالرحم) شيئان، وهما ما يختصّ بجرمه بأن لا يكون ما بين الشُّرّة والعانة غليظاً أو صلبا، فإن ذلك دليلُ السَّرطان. وما يختص بأيام

---

(١) جاسية: صلبة. وفي الأصل «جاسية».

(٢) إثبات الياء في مثل هذا جائز، بل رجحه يونس. التصريح ٢: ٣٤٠. وكذا جاءت بإثبات الياء في كتاب التحقيق ص ١٤٧.

(٣) أي لحم زائد متدلٍ، وفي التحقيق ١٤٥: «ولا في بطنهما دوالي».

الحيض لئلا يعرض لهن الغشي الشبيه بالسكتة ، فإن ذلك دليل احتراق الرحم [1] الذي يتبعه موت الفُجاءة

ومن ذلك ما يُتأمل من الأعضاء في زمان النوم خمسة أشياء ، شرحها : بأن لا يكون ممن يتبرّز في الفراش ، أو يَهذي في نومه ، أو يمشي على غير علم منه أو يصرّ أسنانه ، أو ينام على وجهه ، فإن هذه أشياء إذا عمها الأطباء انتفعوا بها ١٤ عند امتحانهم صحة المرضى

(١) في التحقيق ١٤٨ « اختناق الرحم »

ومنها تعرُّف أخلاق العبيد والإماء بقياس الفراسة، أحدٌ وتسعون فصلا . فمن ذلك أصولٌ نقدّمها قبل الكلام فى الفراسة عددها أربعة، شرحها :

حدّ الخُلق . والخلق داعية للنفسِ للإنسانِ إلى أن يعمل أعمالا بلا رويّة، فإنّ الجبان إذا فاجأه الصّوتُ ارتاعَ بسرعة، والماجن يضحك من أيسر تعجُّب، والنّذل[1] يرغب فى أدنى جيفة، والحر بالضد . ولهذه الأخلاق دليل من الفراسة .

كيفية تعلم القياس الصحيح فى الفراسة يجرى بأن لا يتسرع الإنسان إلى الحكم فى الفراسة من دليلٍ واحد، لكن يجمع منها ما أمكن ثم تكون قضيته بحسب ذلك . ومتى اجتمعت الدلائل المتضادّة حكم بأقواها ورجّح أظهرها، بعد أن تعلم أنّ دلائل الوجه والعين خاصة أقوى الدلائل وأصحّها فى الحدّ الذى سمى إليه العلم بقياس الفراسة ، ويجرى هكذا من الإنصاف أن تعلم أن قياس الفراسة مقدّماته مأخوذةٌ من مشابهاتٍ موجودة بين أشخاص الناس ، أو من مشابهات موجودة بين الحيوان والإنسان وستورُد على ذلك مثالا من الشجاعة تراه مأخوذاً من صفات الأسد . فالاستدلال فى الفراسة على أعمال الصُّور من لازم الهيولى، فإذا عرف القياس ذلك د̃ قاس كالمطبوع[2] .

مثال من الشجاعة على قياس الفراسة، وهو أن يكون قوىّ الشعر خشِنَه،

(١) فى الأصل وكذا فى التحقيق ١٤٨ : « الندل » بالدال المهملة . والندب : الخسيس المحتقر فى جميع أحواله .

(٢) كذا وردت هذه العبارة على ما بها من نقص ينبه له فى الأصل وفى التحقيق ١٢ « فإذا عرف القائس ذلك قاس كالمطبوع » .

شديدَ العظام والأطراف والأصابع ، عظيم الصدر والأكتاف والرقبة ، عريض القَصّ ، صلب الورك معرَّق الجبهة[1] قوىّ المفاصل ، منتصب القامة ، ممسوح الأليتين ، بعيدَ ما بين المنكبين ، ممدودَ الحاجبين ، أزبَّ الصدر والكتف . والجبانُ بالضد

ومن ذلك ما يخص بأخلاق الذكور والإناث والخِصْيان شيئان . شرحها :

الأنثى من كل جنسٍ أموتُ نفساً ، وأقلُّ جلَدا ، وأسهلُ انخداعا ، وأسرع غروراً وسكونا ، وأشدُّ مكراً ، وأصغر رأسا ، وألطف وجها ، وأدقُّ عنقا ، وأضيق أكتافاً وصدرا ، وأعظم بطناً ووركا ، وألطف كفًّا وقدما ، وأسوأ أخلاقا من الذكر في كلّ جنس[2] .

أخلاق الخصيان كالمشابهة لأخلاق النساء ، ومن وُلِد بلا خُصيين أو كانتا فيه صغيرتين كان أشرّ

ومن ذلك دلائل الشعر سبعة أشياء . تفصيلها :

اللين منه يدل على الحمق[3] . الخشن دليل الشجاعة . كثرته على البطن دليل شَبَق[4] . كثرته على الصُّلب دليل الشجاعة أيضاً . كثرته على العنق والكتفين دليل حمقٍ أيضاً . كثرته على الصدر دليل قلة الفطنة . قيام الشعر دليل جبن[5] .

(١) المعرق : القليل اللحم .

(٢) انظر سائر الفروق بينهما فى كتاب الفراسة لأفليمون ١٧ — ١٨ . على أن العبارة تكاد تكون مطابقة لما ورد فى كتاب الرازى ٩ — ١٠ .

(٣) فى حل أحكام الفراسة لأبى بكر الرازى ص ٢ وكذا فى كتاب التحقيق ٨٣ : « على الجبن » .

(٤) فى الأصل . « سبق » تصحيف . وعند الرازى : « يدل على الشبق » . وعند أفليمون ٣٩ : « كثرة شعر جميع الجسد ولا سيما البطن والفخذين دليل الحمق » .

(٥) عند الرازى : « الشعر القائم فى الرأس وعلى جميع البدن دليل على الحمق » وعند أفليمون ٣٩ : « قيام شعر الجسد واستواؤه دليل على الحمق »

ومن ذلك دلائل اللون ، أربع دلائل ، تفصيلها :

الأشقر والأحمر يدلان على كثرة الدم والحرارة . اللون النارى دليلُ تأنٍ . والأحمر دليل حياء . اللون الذى بين البياض والحمرة يدلان على الاعتدال . والأخضر اللون دليل سوء الخلق[1]

ومن ذلك دلائل العين سبع عشرة دلالة :

عظمُهما دليل كسل . غورهما دهاء وحسد[2] ، جحوظهما دليل هدرٍ وقِحّة . زُرقة إحداهما يدل على بلادة . شدّة سوادهما دليل جبن . شبههما بعيون الأعنُز دليل جهل[3] . سرعة حركتهما وحدّة بصرهما دليلُ مكرٍ وحيلة ، بطء حركتهما دليلُ مكر . عِظَمهما وارتعادهما دليل كسل وشبق . حمرتهما دليل شر وإقدام . سوادهما دليل كسل وبلادة . الزُّرقة مع اصفرار دليل رداءة الأخلاق جداً فإن مالت إلى الصفرة كان صاحبها سفّاكا للدماء . الغربية تدل على الحق . النقط والشعب حوالى السواد يدل على غدر وحمق وحسد وشر . صغرهما وجحوظهما دليل على الميل إلى الشهوات ، إذا زاد السواد عن البياض دل على حمق

ومن ذلك دلائل الحاجب ، ثلاث ، شرحها

كثرة الشعر فيه دليلُ الهم . طوله إلى نحو الصدغ دليل التِّيه والصلف . طولُه إلى نحو الأنف دليل على البله

ومن ذلك دلائل الأنف ، أربعة دلائل ، تفصيلها :

دقة طرفه دليل محبة الخصومة ، فإن كان مع ذلك طول دل على الحمق . غلظه دليل على قلة الفهم . الفطَسه[4] دليل الشبق . عظم أرنبه دليل غضب

---

(١) عند الرازى « من كان لونه أخضر أسود فهو سيئ الخلق »

(٢) الرازى : « من كانت عيناه غائرتين فهو داه خبيث »

(٣) الرازى : « من كانت عيناه تشبه عيون البقر فى لونها فإنه جاهل »

(٤) الفطسة : اسم من الفطس ، وهو عرض قصبة الأنف وطمأنينتها . وهو هنا فى كتاب الحقيق ص ١٠٤ .

ومن ذلك دلائل الجبهة :

منها : المستطيلة التي لا غضون فيها دليل شغب وخصومة . كثرة غضونها دليل صلف . كبرها دليل كسل . صغرها دليل جهل .

ومن ذلك دلائل الفم والشفة واللسان والأسنان ، أربعة ، شرحها :

سعة الفم دليل شجاعة . غلظ الشفة دليل حمق . ضعف الأسنان دليل ضعف البنية . طول الأنياب دليل شره وشرّ .

ومن ذلك دلائل الوجه والصدر ، ثمانية ، تفصيلها :

من كان كأنه سكران أو غضبان أو حَيِيّ[1] فهو كذلك . قلة لحم الوجه دليل كسل . غلظ طبع . وصدّه بالصد . الوجه المستدير دليل جهل . الصغير دليل حول . الصغير دليل خفة وملق . العظيم دليل كسل . السمج الوجه رديء الخلق . طُوله دليل القِحَة . الأوداج الدارّة دليل غضب .

ومن ذلك دلائل الأذن واحدة : عظمها دليل جهل ودَهاء وطول عمر ، والصد .

ومن ذلك دلائل الصوت والنفس والكلام أربعة ، منها :

العظيم الصوت دليل شجاعة[2] . سرعة الكلام دليل محنة وتيه . خفض الصوت دليل رعونة . النفَس الطويل دليل رداءة الهمة .

ومن ذلك دلائل اللحم اثنتان ، وهما :

اللحم الكثير الصلب دليلُ غلظ حسٍّ ووهم . اللين ... .

ومن ذلك دلائل الضحك أربعة عشر شرحها :

---

(١) في الأصل : « حي » ، تحريف . وعند الرازي » : « وإذا كان صورة الإنسان كحال الخجل فهو حيي خجل » .

(٢) الرازي » : « من كان صوته غليظاً جهيراً فهو شجاع » .

كثرته دليل دماثة ومساعدة وقلة اهتمام بالأمور ، وبالضد . علوه دليل قحة . ومن عرض له عند الضحك سعال وربو فهو وقاح[1] . المنشم مستحي .

ومن ذلك دلائل الحركات دلالتان[2] وهما :

السريعة دلالة على الطيش البطيئة دليل البلادة

١٩ ومن ذلك دلائل العنق ، ثلاثة ، شرحها : ٥

صغرها دليل مكر طولها دليل حمق غلظها دليل شجاعة .

ومن ذلك دلائل البطن دلالتان[2] وهما :

كبرها دليل على البلادة . صغرها بالضد

ومن ذلك دلائل الظهر ، ثلاثة ، تفصيلها :

عرضه يدل على القوة والغضب . استواؤه علامة العقل . احديداؤه علامة رداءة الخلق . ١٠

ومن ذلك دلائل المنكبين ، ثلاثة ، شرحها :

العريض دليل جودة العقل . الدقيق ضده شخوص رأسيه دليل حمق .

ومن ذلك دلائل الذراع دلالتان[2] ، وهما :

إذا بلغ منه الكف الركبة دل على نبل النفس وحب الرياسة . قصره ضده . ١٥

ومن ذلك دلائل الكف دلالتان[2] ، وهما :

اللينة اللطيفة دليل سرعة العلم والفهم وبالضد . الطويلة الدقيقة تدل على زعارة الخلق

ومن ذلك دلائل الحقو والساق والقدم ، خمسة دلائل ، تفصيلها

القدم اللحيم الصلب دليل بلادة . الصغير الخشن دليل فجور ومرح . غلظ ٢٠

---

(١) الوقاح : القليل الحياء ، كالوقح وعند الرازى ٦ : « من كان يعرض عنده عند الضحك سعال فإنه سليط صخاب »

(٢) فى الأصل : « دلالتين » .

العَقِبِ دليلُ شِدَّة ، والضد [دليلُ[1]] حسّ السفاء .

ومن ذلك دلائل الخطى ، واحدة ، وهي :

الخُطى الواسعة البطيئة دليلُ تأنٍّ ، وبالصدّ[2] .

وتحصرُ النساء ، فِراسةً تدلُّ على أحوال من أخلاقهن وأعصابهن وشهواتهن ٢٠
أضربنا عن ذكرها تصوُّنا عن إثباتها ، لقباحة مخارج ألفاظها وإن كانت
علمًا نافعًا .

---

(١) مبيض لها في الأصل .

(٢) كذا وردت العبارة مبتورة ، لعلها « والضد بالضد » .

[٤]

ومنها ذكر أجناس الرقيق بحسب بلادهم ومنشئهم ؛ ونحن نذكر ما انتهى إلينا خبره واشتهر أمره وتلقطناه من الكتب، وسألنا السَّفَرة عنه من أجناس الرَّقيق على اختلافها في الخَلق والخُلق، لنكفيَ الطالبَ لهذا الشأن مؤونة التَّجارب والامتحان، خمسة وعشرين فصلا

من ذلك كشف ألفاظٍ يحتاج القارئ إلى معرفة دلالتها، فصل واحد :

إذا سمعتني أقول «فارسية» فاعلم أنها مولَّدة فارس. فإن اتفق أن يكون أبواها فارسيين، وإلا فيمكن أن يكون أبوها حبشيا. فولد الزنجية إذا تكرَّر في النَّسل مع البِيض ثلاثَ دَفعات صار بعد السَّواد أبيض، وبعد الفَطَس أقنى، ولانت أطرافه، وتطبَّعت أخلاقه.

ومثل ذلك افهَمْ في كلِّ الأجناس

وإذا سمعتني أقول جارية «خُماسية» فإنِّي أريد بذلك أن طولها خمسة أشبار.

وإذا قلت «شَهوارية» فليس بجنسٍ من الأجناس، لكنها لفظة فارسية مشتقة من الشهوة الكاملة(١).

وإذا قلت «منصورية» فأريد منصورة التي فيما وراء النهر، وهي المُلْتان، لا منصورة العرب.

---

(١) في معجم استينجاس أن معنى «شهوار» أحسن شيء في جنسه. فمعناها «من الشهوة الكاملة».

ومن ذلك ما يتعلّق بالجهات الأربعة[1] ، أربعة فصول ، شرحها :

الأول ما يختص بالبلاد الشرقية ، وهذه ألوان أهلها بيض مُشْرَبة حمرة وأجسامهم خَصْبة ، وأصواتهم صافية ، وأمراضهم قليلة ، وصورهم جميلة ، وأخلاقهم كريمة ، وأغنامهم كثيرة ، وأشجارهم عظيمة ، وما فيهم غضب ولا حدة لاعتدال كيفيتهم ، لكنهم أهل سكون ودعة ، كلّ هذا لاعتدال كون الشمس في هذه الجهة ، وأغذيتُهم معتدلة ، ومياههم صافية .

الثاني ما يختص بالبلاد الغربية ، وهؤلاء أحوالُهم تكاد تضادّ جميع ما ذكرنا في البلاد الشرقية ، لأن الشّمس لا تطلع عليهم بالغدوات .

الثالث ما يختص بالبلاد الشمالية ، وهي التي أهلُها يسكنون تحت بناتِ نَعْشٍ والجدي ، كالصّقالبة ، وهؤلاء عِراض الصّدور شُجعان ، وحشو[2] الأخلاق لسكون الحرّ ، دقاق الشوق لهربه من الأطراف ، طويلو الأعمار جودة الهضم ، نساؤهم عواقر لأنّهن لا ينقين من دم الحيض .

الرابع ما يختص بالبلاد الجنوبية ، وهي التي أهلها سكان تحت القطب[3] الجنوبي كالحبشة ، وأحوالهم ضدّ أحوال البلاد الشمالية ، وألوانهم سود ، ومياههم مالحة كدرة ، ومعادنهم باردة ، وفصولهم ردية ، وأخلاقهم هادية ، وأعمارهم قصيرة ، بطونهم لينة سوء الهضم .

ومن ذلك ما يختص بوجهٍ واحد من البلاد ، عشرون فصلا ، تفصيله :

الهنديات أول الحروف على سمت المشرق ، لهم حُسن القوام ، وحمرة الألوان،

(1) هذه عبارة صحيحة ، فإن المعدود إذا تقدم على عدده جاز فيه المطابقة وعدمها . حاشية الصبان على شرح الأشموني في أوائل باب العدد .

(2) كذا وردت الكلمة في الأصل . ولعل وجهه من الوحش ، وهو القفر الخالي .

(3) كذا في الأصل .

وحظٌّ وافر من الجمال، مع صفرة وصفاء بشرة[1] وطيب نكهة، ولين ونَعمة، لكنَّ الشيخوخة تسرع إليهم، وفيهم وفاء عهد ومودّة، وكثرة محافظة، وبعد غَور، وسلاطة، وعبوس عزيزة، لا يصبرون على الذلّ ولا يتألمون للقتل[2]، ركّابون للخطر ثم متى أحوجوا[3] واعتصموا. ونساؤهم يصلحن للولد، ورجالهم لحفظ النفوس والأموال وعمل الصنائع الدقيقة، غير أن الزّلات تسرع إليهم.

(السنديات) بين المشرق والجنوب، وهم قريبو الشبه بالهند ملاصقة بلادهم ببلادهم، غير أن نساءهم ينفردنَ بدقة الخصور وطول الشعر.

(المدنيات) سمر الألوان معتدلات القوام[4]، قد اجتمع فيهن حلاوة القول ونَعمة الجسم، وملاحةُ ودَلّ وحسن شكل ونشر، ونساؤهم لا غيرة فيهنّ على الرجال، قنوعات بالقليل، لا يغضبن ولا يصخبن، ويوجد فيهنّ الرُّبوخ، ويصلحن للقيان.

(الطائفيات) سُمر مذهبات مجدولات، أخفُّ خلق الله أرواحا، وأحسنهم مضاحكة ومزاحا، ليس بأمّهات أولاد، يكسلن في الحمل، ويهلكن عند الولادة، وهنّ أشدُّ الناس تحبّبًا وأدومهم عشرةً، وأحسنهم غناء.

(البربريات) من جزيرة بربرة[5]، وهي بين المغرب والجنوب، ألوانهم على الأكثر سُود، ويوجد فيهن الصُّفر، وإذا وجدت منهن الكُتامية الأم الصُّنهاجية الأب المصمودية المنشأ، فإنك تصادفها مطبوعةً على الطاعة والموافقة في كل

---

(١) في التحقيق ص ٤٢: «وصفاء بشر».

(٢) في التحقيق ٤٢: «ولا يألون القتل».

(٣) كذا جاءت «أحوجوا» بالواو بعد الحاء. وفي التحقيق: «متى أحنقوا».

(٤) في الأصل: «معتدلو القوام»، وجاء على الصواب في التحقيق ص ٣١.

(٥) جزيرة بربرة هذه من الجزائر التي تجاور سواحل اليمن، ذكرها ياقوت. وهذا وهم من ابن بطلان تبعه فيه صاحب كتاب التحقيق ص ٤٤، فإن البربريات منسوبات إلى بلاد البربر التي في جانب المغرب. وهي التي تنقسم إلى قبائل كتامة وصنهاجة ومصمودة التي سيجري لها ذكر فيما بعد.

أمورهن ، نشيطات الخدمة ، ويصلحن للتوليد واللذة ، لأنهن أحذق شيء على ولد .

وأبو عثمان — وهو من سماسرة هذا الشأن — يقول : إذا اجتمع للبربرية مع جودة الجنس أن تُجلب وهي بنت تسع حجج ثم كانت بالمدينة ثلاث حجج وبمكة ثلاث حجج ، ثم جاءت إلى العراق ابنة خمس عشرة فتكاملت بالعراق في الأدب ، ثم تُملكت بنت خمس وعشرين سنة فتلك التي جمعت إلى جودة الجنس شكل المدنيات[1] وخَنَث المكيات وآداب العراقيات ، واستحقت أن تُخبأ في الجفون ، وتوضع على العيون .

(اليمانيات) في جنس المصريات ، وخلق البربريات ، وشِكل المدنيات ، وخَنَث المكيات ، وهن أمهات أولادٍ حسان الوجوه أشبه شيء بالأعراب .

(الزَّنجيات) من بلد يقال له زَنج ، ذكر ابن خرداذبه أن من هذا البلد إلى مدينة المُلتان مسيرة شهرين — والملتان وسط الهند — وخاصةُ هذا الجنس إذا توشحن فعرقن بدا منهن عَرَق كالمسك ، لكنهن لا يصلحن للولد .

(الزنجيات) مساويهن كثيرة ، وكلما زاد سوادهن قبحت صورهن وتحددت أسنانهن وقل الانتفاع بهن ، وخيفت المضرة منهن . والغالب عليهن سوء الأخلاق وكثرة الهرب ، وليس في خُلقهن الغم[2] ، والرقص والإيقاع فطرة لهن وطبع فيهن ، ولعُجومة[3] ألفاظهن عُدِلَ بهن إلى الزمر والرقص ويقال لو وقع الزنجي من السماء إلى الأرض ما وقع إلا بالإيقاع وهم أنقى الناس ثغوراً لكثرة الريق ، وكثرة الريق لفساد الهضوم . وفيهن جلَد على الكد ، فالزنجي إذا شبع

(١) الشكل ، بالفتح والكسر : دل المرأة وغزلها

(٢) كذا . وفي المخصص ١ : ٤٦ : « والغموم فيهم مفقودة » ، وكذلك الصابئ المطبوعة »

(٣) المعروف « العجمة » . ولكن ابن بطلان يجيد استعمال هذه الكلمة في أواخر كتابه هذه ، فهي من لغته

فصبَّ العذابُ عليه صبًّا ، فإنه لا يتألم له . وليس فيهن مُتعة ، لصُنانهن وخُشونة أجسامهن .

(الحبشيات) الغالب عليهن نَعمة الأجسام ولينها وضعفها ، يعاودهن السِّلّ والدِّقّ ، ولا يصلحن للغناء ولا للرقص ، دِقاق ، لا يوافقهن غيرُ البلاد التي نشأن فيها ، وفيهن خَيرية ومُياسَرة ، وسلاسة انقياد ، يصلُحْن للائتمان على النفوس يجمعْن قوةَ النفوس وضعف الأجسام ، كما يجمع النوبة قوةَ الأجسام على دِقتها وضعف النفوس ، قصارُ الأعمار لسوء الهضم .

(المكيات) حسنات مؤنثات لينات الأرساغ ألوانهن البياض المشربُ بسمرة ، قُدُودهن حسنة ، وأجسامهن ملتفة ، وثُغورهن نقية باردة ، وشعورهن جَعدة ، وعيونهن مِراض فاترة .

(الزغاويات[1]) رديات الأخلاق ذوات دمدمة ، يحملهن غلظُ الأكباد وشرُّ الطباع على عمل عظيم الأعمال ، وهن شرٌّ من الزنج ومن جميع أجناس السُّودان ، نساؤهن لا يصلحن لمتعة ، والرجال لا يصلحون لخدمة . .

(البجاويات) بين الجنوب والغرب في الأرض التي فيما بين الحبشة والنُّوبة ، مُذهبات الألوان ، حسنات الوجوه ، مُلس الأجسام ناعمات البَشَر ، جوارى متعة إن جُلبت صغيرة وقد سلمت من أن ينكل بها ، فإنهن يقوّرن ويمسح بالموسى بأعلى فروجهن من اللحم كله حتى يبدوَ العظم فيصرن شُهرةً من الشهر ، وتُقطع أنداء الرجال ، وتسل الرضفة[2] من رُكبهن — زعم القائل — حتى

(١) زغاوة ، قال ياقوت : بلد في جنوبي أفريقية المغرب ، وهم جنس من السودان .

(٢) الرضفة ، بالفتح والتحريك : عظم مطبق على رأس الساق ورأس الفخذ . في الأصل : « وسمل الرضفة » .

لا يعيا السّاعى منهم . والشّجاعة والسرقة فيهم طبع وغريزة ، ولهذا لا يُؤتمنون على مال ولا يصلُح أن يكونوا خزّاناً[1] .

(النُّوبيات) من جملة أجناس السودان ، دون ترَف ولطف ونظف ، وأبدانهن يابسة مع لين بشرة ، وهواء مصر يوافقهن ، لأنّ ماء النيل شُربهن ، وإذا انتقلن عن غير مصر تسلّطت عليهن العلل الدموية والأمراض الحادة . ويسير الأذى يقدح فى أجسامهنّ ، وأخلاقهن طاهرة ، وصورهن مقبولة ، وفيهن دين وخَيرية وعفّة وتصوّن ، وإذعان للمولى ، كأنهنّ فُطِرن على العبودية .

(القُندُهاريات) فى معنى الهنديات ، ولهنّ فضيلة على كل النساء ، باب الثيّب منهن تعود كالبكر . الصّفراء المولّدة تُنتسب إلى أبيها وأمها ، وتمزج بينهما ، فأخلاقها مركّبة منهما[2] .

(التُّركيات) قد جَمعن الحسن والبياض والنّعمة ، ووجوههن مائلة إلى الجهامة ، وعيونهن مع صغرها ذات حلاوة ، وقد يوجد فيهن السمراء الأصيلة ، وقُدُودهن ما بين الرّبْع والقصير[3] ، والطُّولُ فيهن قليل ، ومليحتهن غاية ، وقبيحتهن آية . وهنّ كنوز الأولاد ، ومعادن النسل ، فلّ ما يتّفق فى أولادهن وحش ولا ردىّ التركيب ولا لحان[4] ، وفيهن نظافة ولباقة ، قدورهم متقدم[5] يعولون

---

(١) فى الأصل : « حزان » .
(٢) فى الأصل : « فيمزج بينها فأخلاقها مركّبة منها » .
(٣) فى التحقيق : « ما بين الربعة إلى القصير » .
(٤) كذا وردت فى الأصل .
(٥) فى الأصل : « قد ورم » وإنما المراد أن معدم ، عبارة القدور يصح فيها الطعام .

عليها في الطَّبخ والصبغ والهضم، لا يكاد يوجد فيهن سكينة متميِّزة، ولا مَن له مخبرة عظيمة، وفيهم أخلاقٌ سمحة وقلّة وفاء.

(المدنيات) حِسانُ المنظر، جميلات الخبر، غير أنهن أسوأ الناس أخلاقاً، وأغلظهن أكباداً، وفيهن صبر على الشِّدَّة، شبه الطَّبريات في كل حال.

(اللانيات[1]) ألوان بيض محمَّرة، ولحوم كثيرة[2]، وأمزجة يغلب عليها البرد، وهنّ للخدمة أصلح منهن للمتعة، لأن فيهن خيرية طبع، وثقةً واستقامةَ أخلاق، وحرصاً[3] على المحافظة والموافقة، وهن بعيداتٌ عن الشَّبَق.

(الروميات) بيض شُقر، سِباط الشعور، زُرق العيون، عبيدُ طاعةٍ وموافقة، وخدمةٍ ومناصحة، ووفاء وأمانة ومحافظة، يصلُحْن للخزن، لضبطهن وقلّة سماحتهن، لا يخلون أن يكون بأكفهن صنائع دقيقة.

(الأرمنيات) الملاحة للأرمن لولا ما خُصّوا به من وحشة الأرجل[4]، مع صحة بنية وشدّة أسرٍ وقوّة، والعفّة فيهن قليلةٌ أو مفقودة، والسرقة فيهن فاشية، وقلّ ما يوجد فيهن بخل، وفيهن غِلَظ طبع ولفظٍ، وليست النظافةُ في أمتهن، وهن عبيدُ كدٍّ وخدمة، متى تَهَيَّأت العبدَ ساعةٌ بغير شغل لم يدعُه خاطرُه إلى

---

(١) في الأصل: «الأبابه» تحريف. وفي التحقيق ٤١: «ذكر اللان. واعلم أن اللان جنس من الروم». وقال ياقوت: «بلاد واسعة في طرف ارمينية قرب باب الأبواب مجاورون للخزر. والعامة يغلطون فيهم فيقولون علان، وهم نصارى تجلب منهم عبيد».

(٢) في التحقيق ٤١: «ألوانهم بيض محمرة ولحومهم مكتنزة».

(٣) في الأصل: «وحرص».

(٤) في التحقيق ٣٨: «وحاشة الأرجل».

خير . لا يصلحون إلّا على العصا والمخافة ، وليس فيهم فضيلة غير تحمّل العناء[١] والأعمال الثقيلة ، والواحد منهم إذا رأيته كسلانا فذلك لِلَقَسٍ فيه[٢] ليس عن عجز قوة ، فدونك والعصا ، وكن مع ضَرْبه وانقياده لما تريده منه على حذَر ، فإنّ هذا الجنس غير مأمون عند الرضا فضلا عن الغضب ، فإنهم لا يصلحون لمتعة . وجملة الأمر أن الأرمن أشرّ البيضان ، كما أن الزنج أشرّ السودان ، وما أشبه بعضَهم ببعض في قوة الأجساد ، وكثرة الفساد ، وغلظ الأكباد .

(١) في الأصل : « عن محمل العناء » . وفي التحقيق . « وليس فيهم فضيلة غير الأعمال الثقيلة ولا يصلحون إلا على العناء » .

(٢) اللقس : خبث النفس . وفي الأصل : « لعبه فيه » .

ومنها التحرُّز من تدليسات النخاسين التي يدلِّسون بها في المواسم الرقيق على المشتري ، يجري مجرى الحِسبة ، ثمانية وعشرون فصلا .

من ذلك ما يعملونه في الألوان ، وتغيُّر البشرة تشينين ، ومنها : أمَّا السمراء فإنّها تصير ذهبية إذا وضعت في أَبْزَنٍ[1] فيه ماء السكراويا أربعَ ساعات[2] من النهار .

وأما الدُّرِّية اللون فتصير [بيضاء[3]] إذا غمر وجهها بدهن قد نقع في بطِّيخ سبعة أيام ، ونقل إلى لبن حليب سبعة أيام ، وغيِّر اللبن كل ليلة .

ومما يحمِّر الخدودَ المصفرة غَسولٌ صفته : دقيق الباقلي والكِرْسِنَّة خمسة أجزاء ، وعرق الزعفران و بُورَق ، من كل واحد ربع جزء .

---

(١) كلمة « الأبزن » معربة عن الفارسية : آبزن ، وهو حوض من نحاس أو حديد يستنقع فيه الرجل ، ويعرف في أيامنا الحاضرة باسم « البانيو » . وفسر في معجم استينجاس بأنه حوض للاستحمام من نحاس أو حديد حول جسم الإنسان يملأ بماء حار حتى يجلس فيه المريض أو يتمدد . وقد أهمل هذه اللفظ كثير من المعجميين ، منهم الليث والجواليقي وابن دريد والزمخشري . أما الليث فقد نص صاحب اللسان على إغفاله الكلمة ، وأما الجواليقي فلم يذكره في المعرب ، وكذا ابن دريد في الجمهرة ، والزمخشري في الفائق وأساس البلاغة ، هذا مع أن الكلمة مستعملة قديما كما في شعر أبي دؤاد يصف فرسا وصفه بانتفاخ جنبيه :

أجوف الجوف فهو منه هواء   مثل ما جاف أبزنا نجار

اللسان ١٦ : ١٩٦ . ويفهم من هذا الشعر أنه كان يصنع أحيانا من الخشب . ويؤيده قول ابن بري : « الأبزن شيء يعمله النجار مثل التابوت » . وروى البخاري أن أنس بن مالك قال : « إن لي أبزنا أتقحم فيه وأنا صائم » . وقد فسر الأبزن في هذا الحديث بأنه الحوض الصغير ، أو حجر منقور كالحوض ، أو شيء يتبرد فيه وهو صائم يستعين بذلك على صومه من الحر والعطش . عمدة القاري ١١ : ١٣ ومشارق الأنوار وشفاء الغليل ١٤

(٢) في التحقيق ٢٠٢ : « ثلاث ساعات » .

(٣) التكملة من كتاب التحقيق ص ٢٠٣ .

فأما السودان فمنهن مسح أطرافهن ووجوههن بالدهن الطيب [illegible] سمعنا بعض ربّات القصور تقول: كلكون[1] السودان دهن البنفسج.

ومن ذلك ما يتعلق بالشعر ثلاثة أشياء، شرحها:

ما يكسب الشعور الشقر السوادَ الحالك: دهن الآس، ودهن قشور الجوز وعفصه [illegible] لأسمخ[2]، ودهنه بدهن الشقائق وأشياء توجد في (الربعة) لأفريطن[3]، يطول شرحها.

ما يجرد الشعر من الوجه والأطراف، أخذه بالمنقاش، أو طلاؤه بالنورة ومن بعد ذلك [illegible] لحم، أو بالدهن قد طبخ فيه ضفادع خضر، أو عصابة[4] دم الأرنب، ودهنات كثيرة، ويغسل بالأشنان والبورق والعفص.

ما يجعّد الشعور السبطة: عفصه[5] [illegible] والأرادرخت[6] والآس.

ومن عادة النخاسين إذا أرادوا أن يطوّلوا الشعور أن يوصلوا في طرفه من جنسه[7]، وإذا أرادوا الوصيف من الإماء أن يلصقوا في الأصداغ شعراً أبيض ليحثّ البيعَ[8] على قبض الثمن.

ومن ذلك فنون مختلفة ستة عشر فصلا، شرحها:

---

(١) [illegible] «كلكون» [illegible] واسفيداج تحسن الوجه». في كتاب [illegible]: «أن تمسح أطرافهن ووجوههن [illegible] أو دهن البنفسج».
(٢) هو [illegible] في مصر [illegible] تذكرة داود.
(٣) في إخبار العلماء للقفطي [illegible] المعروف [illegible] كان زمانه قبل جالينوس وبعد بقراط، وله كتاب [illegible].
(٤) العصابة: [illegible] على [illegible] أبرص. في الأصل: «عصابة» تحريف. وفي [illegible] «[illegible]» تحريف أيضاً.
(٥) [illegible]: الطلاء والطبخ. في الأصل: «عقفه».
(٦) [illegible] ويسمى في مصر «[illegible]» تذكرة داود.
(٧) كذا [illegible]: «أن يوصلوا في [illegible] من جنسها».
(٨) في الأصل: «يحث» تحريف [illegible] وفي التحقيق: «[illegible] البائع على قبض الثمن».

ما يسمن الأعضاء المهزولة . لذلك [illegible] الخشنة والأدهان الحارة ، والطلى بالعاقرقرحا ، والخراطيم المحرقة

ما يليّن[1] الأطراف الخشنة : الدهن والشمع والمر[2] وخطمي[3] معمولة بماء الورد ودهن بنفسج ، ورك مباشرة لأجسام الخشنة كالخشب والحجارة ، وهو مما كل مولده[4] نمرة

وما يذهب آثار الجدرى والنمش والوشم : غسول معمول من ورق القصب واللوز المر[5] والكرسنة [illegible] وحب البطيخ معجون بعسل .

ما يغسل به [illegible] من البرص [illegible] [illegible] مُغلى [illegible] أو [illegible] [illegible]

ما يزيل السكلف من البشرة الشونيز[6] وأصل [illegible] وورق الحماري ونور [illegible] وأصل الكرم ، يُعجن بعسل ويطلى

ما يزيل [illegible] الأنف . التمسوط بدهن المرزنجوش[7] والبنفسج والنيلوفر والنرجس والياسمين .

ما يجلو الأسنان : السواك بالأشنان والسكر وسحيق الصيني ، أو الفحم والملح المدقوق .

ما يحمّر البرص القلقديس[8] والعفص والزنجار من كل واحد جزء

---

(١) في الأصل : « ما يعم » .
(٢) في الأصل : « والور والمر » صوابه من التحقيق ، وانظر ما يأتي في ص ٣٨٢ س ٦
(٣) في التحقيق « ومخلخله » ، ولم أهتد إلى صوابهما .
(٤) في الأصل . « لمودة »
(٥) في الأصل : « والور والمر » ، صوابه في التحقيق .
(٦) الشونيز : الحبة السوداء
(٧) هو المردقوش ، معرب مرزنكوش بالفارسية ، وعربيته سمسق .
(٨) هذا ما في التحقيق ، وفي الأصل : « القلقل بس » تحريف . [illegible] القلقديس هو الزاج ، كما في تذكرة داود في أول حرف القاف من المفردات ، وكما معجم استنجاس ٩٨٥ وذكر أنه من يوناني : Kalkitys

يعجن بماء [و[١]] لبن التين ، ويحرز مواصفه بإبرة ويطليه أربعة أيام في الشمس ٣١
يبقى أربعين يوما ، أو يطلى بمرّ وخلّ .

ما يقتل القمل والصئبان من الشعر والبدن ، بالبورق والميويزج[٢] وماء
السلق أو دُردىّ الشراب والصابون .

ما يزيل الشّعث الذى يكون فى أصول الأظفار : غَسْلها بالخل والعَسَل
والمرتك ، أو دهن الورد والورد لمرّ ، ويعالج البرص منها بالزرنيخ والكبريت .

ما يطيب الفم : مضغ العُود الرطب والكُسفرة والفوفل[٣] وقشور الأترجّ ،
والمضمضة بالخل والماورد والعود المنقوع فى الشراب ، وأكل اللبن بعد الطعام
وقليل الصَّحناء[٤] .

ما يطيب الجسد : الصّندل والورد والمرتك المربّى بماء الورد ، والبخورات
بالمثلثة الماحين[٥] وخلط الثياب بالعقبات والمعمولة من الرياحين على التفاح
والفواكه المبخرة بالكافور .

ما يستعمل فى الثيب لتصير كالبكر : قلوب الرمان الحامض وعَفْص أخضر
يُسحق بمرارة البقر ويتحمل فَرْزَجة[٦] .

---

(١) التكملة من التحقيق .

(٢) داود : ميويزج : زبيب الجبل ، ويطلق على عرس العجوز أيضاً وعرس العجوز
هو المسك .

(٣) الفوفل بضم فاء وفتحها . نخلة كنخل النارجيل تحمل كبائس فيها الفوفل
أمثال التمر .

(٤) الصحنا والصحناة وبمد ويكسران : إدام يتخذ من السمك الصغار والملح .
القاموس والمعتمد لابن رسولا ١٩٧ . وقال داود : « لا تعرف إلا بالعراق ، ويقرب منها
ما يعمل بمصر ويسمى : الملوحة » .

(٥) كذا فى أصله .

(٦) الفرزجة فارسية ، ومعناها ما تحمله المرأة من دواء .

٣٢ ما يصبغ البياض الذى فى سواد العين : لبن أتان حارّ .

ما يغير زُرقة العين لتصير كحلاء : يقطر فيها ماء قشر الرمان الحلو

ما يُخفى الحبل : وَصاة النخاس الجارية أن تعتمد الشَّداد وتُظهر الدم الكاذبَ المصنوع من ماء الصبغ ودم الأخوين . هذا إذا لم يمكنها إعداد دمٍ من حيوان .

٥

ومن ذلك ما يتعلق بالحل : شيئان ، وهما . تحقُّق الحل ليعلم صحته . ومعرفة ذلك يتم أن يوضع تحت المرأة بخورٌ كالعنبر ونحوه ويُمنع خروجه من أردانها أو فُرَج أثوابها فإن ظهرت الرائحةُ من فيها فليست حاملا ، و بالضد .

معرفة الحل هو ذكر أو أنثى ، وهذا يتبين فى الذكر من سرعة الحامل وإشراق لونها ، وأن يقدَّر خيط من وسط السّرة إلى وسط الفقارة المحاذية لها من أحد الجوانب وسمِّ المكان عداد وتديره إلى الجنب الأخر ، فإنْ نقص الخيطُ عن العلامة من الجانب الأيمن فهى حامل بذكر ، وإن طال فبأنثى

١٠

ومن ذلك ما يُوصى به النخاسون الجوارى ، ثلاثة أشياء ، نقصيها :

١٥ من وصاياهم لهنّ أن يصرفن الصبابة كلّها إلى النظافة والطِّيب ، والتبرج للمشترى تارةً والاحتشاء أخرى ، فإن هذا بابٌ من التحبب مالكِ القلوب .

ومن وصاياهم لهنّ أن يُظهرن أحلَ ما فيهنّ ، ويخفين أقبح ما فيهن .

٣٣ ومن وصاياهم أن يُدارين المشايخ والناظرين الطماع ويستميلوهم ، و يتجنَّون على الشباب و يمتنعون عليهم ، ليتمكنوا من قلوبهم

٢٠ ومن ذلك ما يأخذونهنّ به فى زينتهنّ شيئان ، وهما : ما يُلزمونهن من تحمير

حدودهن ، بالشاسج وعمل سواريهن بالحصر[١] ، وخضاب حواجبهن بالزامك ، وأطرافهن إن كانت الجارية بيضاء بالخضاب الأحمر ، وإن كانت سوداء بالذهبي والأحمر ، وإن كانت صفراء بالأسود .

ما يجعلونه في ملابسهن ، ومنهن يلبسن الأبدان البيض المخصبة[٢] الشفافة الثياب الخفيفة الكحلي والموردة ، والبرود الملائل الحمر والخضر ، ويجرون الصناعة مجرى الطبيعة في كشف نصف معصّد في أوان الزهر

(١) كذا في الأصل .
(٢) في الأصل : « الحصة » .

وأضيف إلى ذلك ما يتميز به أرباب الصنائع[١] من العبيد والإماء ، ثلاثة عشر فصلا ، ومن ذلك فصول ينتفع بها فيما عن سبيله وعددها ثلاثة فصول ، شرحها :

(الأول) : في فصل منته على ما تفضّل فيه النساء على الرجال ، ويجرى هكذا :

طُبِع الرجالُ على جميع الصنائع ، واختصّ النساء بالغناء والحداء ، فهنّ أطيب طبعاً منهم لتباينهنّ في العمل ، وأحسن غناء لأنهن مطبوعات على النغم ، لكن فيهم درٌّ ومُشَعْبِذ[٢] ، ولهذا يضحكن إلى حماقة يفقدونهنّ

(الثانى) : في الجيد من الغناء ، ويجرى هكذا :

إذا اجتمع للغناء أن يكون مطبوعاً سليماً من العروج والعور ، وكانت الجارية شُحروريّة الصوت ، جيدة الصنعة والضرب ، صحيحة التأدية للشعر ، قد أخذت عن الحُذّاق وتزيّدت من نفسها بجودة الطباع ، فهي الغاية القصوى في هذا الشأن ، إن اتّفق لها مستمعٌ عارف بالطرائق والضّرب واللحن ومجرى الأصابع ، وقائلِ الشعر وما فيه من العَروض والنحو ، وما في الصوت من ردّات وترجيعات وشذرات ونقَرات وتشبيهات ، كان أوفر في اللذّة وأعمق للصناعة .

---

(١) وردت الكلمة قديماً في التنبيه للمسعودي « وإماء نزواة المسعى ١ : ١٩٥ والدرر الكامنة لابن حجر ٣ : ٤٢٠ .

(٢) في اللسان (شعبذ) : « قال الليث : مشعبذ كلمة عراقية ليس على بنائها شيء في العربية ، وهي تعد من الخف والخزر أشبه بالحيل . قال : وعهدا حدث مثل في الناس : يا مشعبذة ، ماذا الحيلة ، روح حرملة ، مخمور أرملة . قال : ولقد تسمى الجارية مشعبذة بما يرى عليها من الخزر كالحيل » وانظر المعرب للجواليقى ٣١٥ وقد جاءت قديماً في قول الوليد بن يزيد :

قد راح نحو العراق مشعبذه   فصاره الشيخ بعده الخشبه

الأغانى ١ : ١٦٠ .

(الثالث) : فى الطيب من الطبيخ والمذيذ من الغذاء . اختلف الناس فى ذلك ثم اتفقوا على أنّ هذا أمر يقال بالقياس إلى السّمع والذوق ، وكلّ كانت هاتان الحاسّتان سليمتين فى جوهرهما ، معتدلين فى مزاجهما ذكيتين فى حسهما كان ما يدركانه لذيذا فى نفسه وعندهما[1] ، ومتى خرجت عن طباعها — وهذا بلانهاية عندنا — كان اللذيذ بقياسها لا فى نفسه . ولهذا بعض الناس يستفزه نقرة فيقول : الغناء ما أطرب . وآخر لاهٍ عن تلك النقرة ، وواحد يشتهى لوناً ، وآخر عنده ذلك اللون غير شهىّ .

* * *

ومن ذلك اعتبارات الصنائع على اختلافها فى العبيد والإماء ، أربعة فصول ، منها .

الطبّاخات : عمدة الطبيخ على طيب المرق وجودة المزاج ، فإن اتّفق للطبّاخة مع هذا جودةُ الصنعة وسرعةُ العمل فذلك غاية الأمل . وقلّ ما يتفق أن تكون كاملةً فى البوارد[2] والشّواء والطبيخ والحلواء على أصنافها الثلاثة ، فهذا مما يعجز عنه أكثر النساء . والذى يمتحنون[3] به الإسفيدباج[4] ، والدّيكبراكة[5]

---

(١) فى الأصل : « سليمه فى جوهرها معتدلة فى مزاجهما ذكية فى حسهما كان ما يدركه لذيذاً فى نفسه وعندها » .

(٢) فى حواشى كتاب الطبيخ لمحمد بن الحسن البغدادى بتحقيق الدكتور داود الچلبى ص ٥٦ : « هى البقول المطبوخة الموضوعة فى الأشياء الحامضة كالخل وماء الحصرم والسماق وماء التفاح والريباس والماست . كتاب الأغذية والأشربة من الخمسة المجتبية ، لنجيب الدين السمرقندى » .

(٣) فى الأصل : « يمتحنوا » .

(٤) ضرب من الطعام يصنع من اللحم والبصل والحمص والأبازير . انظر صفته فى كتاب الطبيخ للبغدادى ٣٢ . ويقال له أيضاً « إسفيدبا » . فى معجم استينجاس ٥٨ . ومعنى كلمة « إسفيد » فى الفارسية الأبيض ، واللامع .

(٥) جاءت فى كتاب الطبيخ ١٢ : « ديكبريكه » . ووجد الدكتور داود چلبى ضبطها فى أصل نسخته بفتح الكاف الأولى وسكون الباء وكسر الراء . قال : « وأظنها من الآرامية : « ديكاريكا » ، ومعناها الديك الدارك » وصفة هذا اللون قريبة من صفة سابقه .

أما الإسفيدباج فلأن الأبازير مطفئة لها، وكثرتها بسوء سرقتها، وأنقاها بياضها[1] فلهذا يتعذر سلامتها. وأما الديكبراكة فلأنها لون سهل يتبين في التلطف في منع سهوكتها

الخزان: يختار لحفظ الأموال الروم، لأن السخاء ليس في لغتهم[2].
واختبارهن يكون بإسراحهن[3] في مالٍ معلوم الوزن وإهمال مراعاتهن والتصفح له من بعد مدة.

الحواضن والدايات: يختار لتربية الأطفال النوبة لأنهن من جنس فيه رحمة وحنين على الولد، وليس يبقى الطفل لهن نسمة، ويختار لرضاع الظئر الصحيحة الجسم الحديثة السن المعتدلة المزاج، المائلة إلى البياض المشرب حمرة، الصحيحة الولد واللبن. واختبار اللبن أن تقطر على ظفرك منه فإذا صار كالعدسة لا غليظاً مقبباً ولا مائعاً سيالاً، وكان طيباً في رائحته، أبيض في لونه، كان جيداً.
وبعض الأطباء اختار الزنج للرضاع، لأن حرارتهن البارزة نحو الأثداء منضجة اللبن، ولأنهن لضيقه أكثر غذاء. وقال قوم: إن قياسه قياس لبن الأتن في اللطافة، لغلظ أجسامهن.

رجال الحرب والنجدة. يُختار لذلك الترك والصقالبة، لحرارة قلوبهم.
واختبارهم يكون بإيراد الأشياء المزعجة بغتة، كإلقاء الحيات لحرق[4] أو طرح الأشياء التي لها صوت عظيم من علو بين أيديهم

---

(١) في التحقيق ٢٥١ : «وحسنها بياضها».
(٢) في التحقيق ٢٥٢ : «ليس في طباعهم ولا أخلاقهم».
(٣) كذا. وفي التحقيق: «فمن أراد أن يجعل خازناً غلاماً أو جارية فليختبرها بإسراحهما» وفي الأصل «بإسراحهن» تحريف. يقال أسرح الماشية: تركها تذهب حيث شاءت.
(٤) في الأصل: «الحرب». وفي التحقيق ٢٥٢ : «كإلقاء حيات الحرق».

ومن ذلك ما يتحقق بالقيان ستة فصول ، شرحها :

المؤدّيات : يمتحن بالعشرة الأصوات المتّفق عليها من المائة المختارة ، وخاصة بالثاني ثقيل ، وعموده ثلاث عشرة نقرة

الرقّاصات : يحتاج الرقّاص أن يكون طرباً في طبعه ، مجوّداً في صنعته ، معتدلاً ٥ في جسمه وقامته ، عريض الصدر[1] ليجيد عمله ، مجدول الحشا لتخف حركته . وهذا يعرف من إحصاء وصياغة ، ويكون قيّماً بالدستبند[2] جميعها لا سيما الشيرازية منها .

الكرّاعات[3] يمتحن بالأرمال والأهزاج والنّصبي[4] والسكاكي[5] .

٣٧ الزوامر : يختار لهن الزمر لأنهن مطبوعات على الإيقاع ولما يعقمن محمومة[6]

١٠ ألفاظهن عن الغناء عدل بهن إلى الزمر والرقص

الطنبوريات : دونت لطنبور البغدادي ، يمتحن بالزرير والحمق وخفيف رمل ابن طرخان ومن آدابهن على الإجمال إصلاح آلاتهن قبل حضورهن

(١) في الأصل : « الصلب » ، صوابه في كتاب التحقيق ص ٢٤٩

(٢) الدستات : الوجوه والطرق في طرق الزمر . في الأصل : « بالدستات » ، صوابه ١٥ فيما أرى من كتاب التحقيق ٢٤٩

(٣) الكراعة : كلمة مولدة كما في اللسان (كرع) . وفي شفاء الغليل للخفاجي : « كراعة : مغنية تغني على طبل صغير . قال ابن الرومي :

أتى بها أدناً واسمع ... أرد ... صنعه كرعه »

(٤) في الأصل « لمصبي » وفي التحقيق « النصبي » بإهمال حروف ... ، ٢٠ وقد سبق الكلام على « النصبي » في حواشي ٣٢٤ من المجموعة الثالثة

(٥) كذا في الأصل

(٦) انظر ما سبق في ص ٣٧٤ س ١٥

الغناء ، واستصحابها إذا نهضن لا سيما إذا كن ماررات دون الستائر . الدف بالزفن (١) .

[صورة ما ورد في ختام الأصل]

تمت الرسالة في شرى الرقيق وتقليب العبيد ، تأليف الشيخ أبي الحسن المختار بن الحسن بن عبدون البغدادي المتطبب .

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

---

(١) كذا . وفي كتاب التطفيل ٢٤٩ : « والدفافة يجيئون بالزفن » . والدفافة : الضاربة بالدف . والزفن : الرقص .

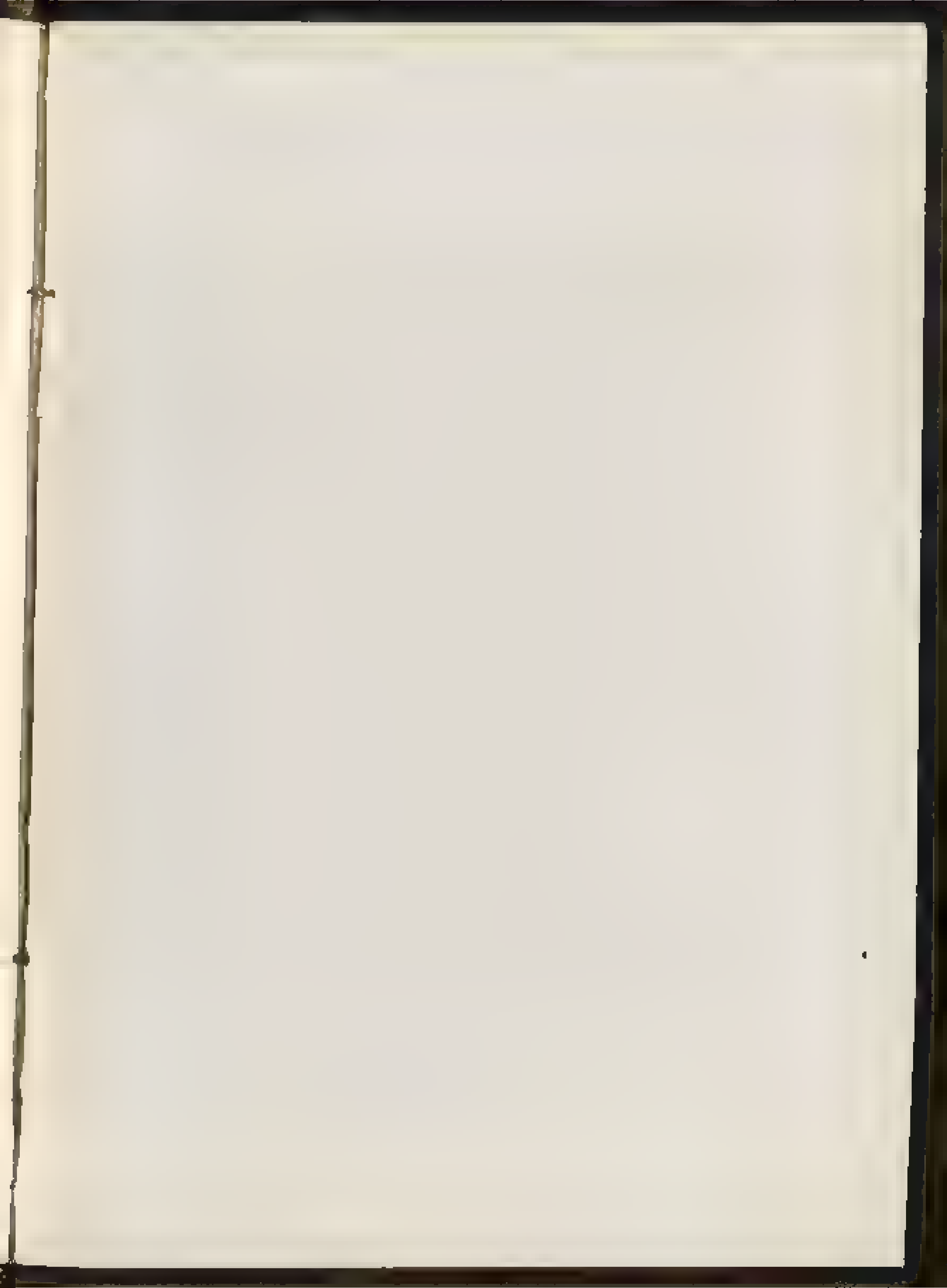

هـــداية المريد فى تقليب العبيد

صنيع حريق الذنوب ، غريق بحر العيوب

راجى عفو مولاه ، والمخول ساحة علاه

فقير ربه المتعال ، محمد الغزالى ، لطف الله به

مقدمة

وهذا كتاب آخر ، موضوعه مشابه لكتاب ابن علان ، يتناول الكلام على اختيار الرفيق ، وكأنه صدى لكتاب ابن علان .

ومؤلف هذا الكتاب رجل مغمور من رجال العصر العثماني في مصر الذي امتد ثلاثة قرون بين سنتي ٩٢٣ و ١٢١٣ ، هو « محمد الغزالي » الذي لم أستطع أن أعثر له على ترجمة ، ولكنه في مقدمة كتابه يهدي كتابه إلى أحد الرجال الرسميين في مصر ، هو « أحمد بن محمد ، أفندي الديار المصرية » يقول المؤلف في شأنه « فحتمني مولانا في حانة الأنس والمدام ، فاستخرته واستأذنته فأمر وأذن في الإقدام ، استعطافاً لخاطر الفقير ، وجبراً منه للقلب الكسير » .

ونسخة الكتاب لم أهتد إلى أخت لها فيما أداني إليه البحث ، وهي مودعة بدار الكتب المصرية رقم (٤٠ فراسة) كتب على الصفحة الأولى منها : « أمانة سيدي عبدالله شبراوي ولله الحمد في ٣ من صفر الخير سنة ١١٢٦ عند كاتبه حسن علي محفوظ » . وفي آخرها : « عند كاتبه حسن علي محفوظ لسيدي عبد الله شبراوي حفظه الله تعالى في ٣ من صفر الخير شهور سنة ١١٢٦ » .

ولعل هذا المالك هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين القاهري الشافعي الشهير بالشبراوي ، تلميذ الخرشي . وكان الشبراوي شيخاً للجامع الأزهر ولد سنة ١٠٩١ وتوفي سنة ١٠٧٢ وترجمته في سلك الدرر[1] .

وفي الصفحة الأولى من النسخة تمليك نصه « من نعم الله على عبده الفقير محمد الشربيني الجراح ، خادم الفقراء الضعفاء بدار الشفاء في سنة ٩٩ » ويحتمل أن يكون سنة ١١٩٩ ، أو ١٢٩٩ .

والنسخة في ١٢ ورقة صغيرة بهامشها حواش وتعليقات حرصت أن أنقل المهم منها ، لما له من قيمة علمية تاريخية لا لأنه ذو فائدة محققة ، ونحن إنما نعرض هذه المنشورات للتاريخ ولبسط الثقافات العربية القديمة وتقديمها لجمهرة الباحثين .

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، لمحمد خليل المرادي ٣ ٧ : ١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي وكفى

حمداً لك يا من أبدع نوع الإنسان في أحسن تقويم، وركّبه من أعصاب وشرايين وأوردة ولحم وعظام، وجعل هيكله معرضاً للصحّة والأسقام، وروحه مركزاً لكمال الإنعام، وصلاة وسلاماً على خلاصة العناصر، قطب دائرة الوجود محطّ المآثر، وعلى آله وصحبه ما دلّ الآسي على اعتدال المزاج، واستعمل قانون التدبير في كيفية العلاج.

وبعد فلمّا استولى على أرض الخلافة، خليفةُ الوضع موقعَ الاعتقاد والمدد، سقتها هامعة النعم من عدده، فأثمرت وربت من طرفه، وأينعت حبة المحبة بالتقطر الأمثل، وتروّدها نصّ الأفاضل (1)، فصارت غذاء الأشباح، وحياة روح الأرواح. وكيف وهي حبة محبّة من

دعا فأجابته الدنيا مطيعة — وقد كان منها منعةٌ وإباء

وشُرّفت الدنيا بأوصافه التي — تقصر عن إدراكها القدماء

وألقت له الدنيا زمام انقيادها — فمنها له ما يبتغي ويشاء

مولانا مالكِ زمام شريعة سيد المرسلين أحمد، أحمد بن محمد، أفندي الديار المصرية، صاحب الأخلاق المرضية، لا زال اقترانُ الأسعدين عائداً بصلة السرّ الرباني عليه، مشيراً بسوق تمثّلات السعادة لديه، ولا برحَ ابنُ نوحه البديعُ ناقةً لرفق أبكار المعاني، مشرباً نقصد السبق في مضمار حلِّ رموز المعاني،

---

(1) كذا وردت العبارة. ولعلها «فضلاء الأفاضل».

ما غرّدت بنات الأيك على غصون الأشجار ، وفاحت مِسكيّةُ عَرْفِ النّسيم فى غُصون الأسحار ؛ وكان الفقير المحول ممن له تردد على مجلس مولانا أفندى المومأ إليه ، لمزيد حبه للفقراء وحسن تودُّده إليهم ، وشدة اعتقاده فيهم — دعانى الخاطر أن أجمع رسالة فى العلامات الدالة على صحة أبدان الأعبُد ، والعلامات الدّالة على ضعفها ، وذلك لأنّه ممّا يحتاج إليه الإنسان عند شرائهم ، وأن أرتبها على سبعة فصول وخاتمة ، وأن أهدِيها لمولانا المشار إليه . فاتّهمت الخاطر أيّما فوجدته صحيحاً ، لصحّة عتبته الخادمة ، فاجتمعت بمولانا فى خلوة الأنس والمُدام ، فاستجزته وأستأذنته فأجاز وأذن فى الإقدام ، استعطافاً لخاطر الفقير ، وجبراً منه للقلب الكسير . وها أنا أشرع فى الترجمة ثم فى المقصود فأقول :

الفصل الأول : فى العلامات الدالة من جهة مزاج البدن ولونه وهيئة تركيبه وسطحه .

الفصل الثانى : فى العلامات الدالة من جهة الرأس والعنق .

الفصل الثالث : العلامات الدالة من جهة الصدر واليدين .

الفصل الرابع : فى العلامات الدالة من جهة الأحشاء والكليتين والمثانة والأنثيين والقضيب والمقعدة .

الفصل الخامس : فى العلامات الدالة من جهة الرجلين وخصوص الركبة والساقين .

الفصل السادس : فى العلامات الدالة من جهة السمن والهزال ، والطول والقصر .

الفصل السابع : فى العلامات الدالة من جهة كيفية مزاج مطلق البدن وطبعه .

الخاتمة : فيما يناسب العبد إذا اشتراه من الرياضة والراحة والدعة .

الفصل الأول

في العلامات الدالة من جهة مزاج البدن
ولونه وهيئة تركيبه وسطحه ، أي بشرته

ليعلمْ يا إنسانَ عين الزمان[1] أنه من أراد شراء عبد أبيضَ كان أو أسود ، ذكراً كان أو أنثى ، ينبغي له أن ينظر إلى لون بدنه ، فإن وجده حائلاً كالأصفر دلَّ ذلك على غلَبة الصفراء ، وعلى سوء مزاج حارٍّ مطلقاً ، أو على سوء مزاج حارٍّ في خُصوص الكبد . وإن وجده أبيضَ جصِّيًّا دلَّ على سوء مزاج بارد ، أو على برد الكبد ورطوبتها وغلبة البلغم . وإن وجده أسود كِمداً يشبه لونَ الرّصاص دلَّ على سوء مزاجٍ بارد يابس ، وعلى برد مزاج الكبد ويبسها ، وعلى غلبة السوداء وضعف الطِّحال . وإن وجده أبيضَ تعلوه حمرةٌ قليلة أو أسمر سمرتُه صافية ، أو أسود سوادُه حالك برّاق مع حمرة الشفتين دلَّ على حُسْنِ المِزاج وصحة البدن .

وأن ينظر إلى هيئة بدنه ، فإن وجد أعضاءه بعضها أكبر من بعض ، كأنْ وجدَ رأسَه كبيراً ، ورقبته دقيقة ، وصدره ضيقاً ؛ أو وجد رأسه صغيراً ، ورقبته غليظة ، وصدره مخالفاً لذلك ؛ أو وجد رأسَه صغيرا ، وبدنه كبيرا ، ورجليه قصيرتين ، دلَّ على رداءة الطبع وقبح المنظر . وإن وجدَها حسنةَ الشكل جيدةَ التركيب متناسبةً متشابهةً بعضها ببعض في العظم والصغر ، والسمن والهزال ، والطول والقصر ، دلَّ على جَودة الهيئة وصحة التركيب .

وأن ينظر إلى سطح بدنه ، أي بشرته ، فإن وجده قضيفاً جداً دلَّ على

---

(١) انظر ما سيأتي في أول « الخاتمة » .

شدة الحرارة واليبس ، والاستعداد لحدوث بعض الأمراض . وإن وجده سميناً جداً دلّ على كثرة البرودة والرطوبة والبلغم ، ولا يأمن صاحبه من موت الفجاءة وحدوث المرض البطيء البرء كالسكتة والفالج ، واللقوة والصّرع ، وما يجرى هذا المجرى . وإن وجد في بدنه موضعا مصبنا فقد يكون برصاً أو قوباء أو بهقاً أبيض أو أسود . وإن وجد فيه كيًّا أو صبْغا فيتفقد ذلك تفقداً جيداً ، لاحتمال أنه فعل ذلك بسبب برص ، وإن وجد موضعاً مغايراً للون البدن ، فينظره نظراً شافياً ، لاحتمال أنه برص صبغه بالشيطرج[1] أو غيره ، فيغسله المشترى بالأشنان والخل ، ويدلكه بخرقة خشنة دلكا جيداً ، فإن كان برصا ظهر واتضح . وإن وجد في بدنه آثار قروح فليسأل بائعه هل عضه كلب ؟ فإن قال نعم كان ذلك فلا يشتريه ، فإنه لا يأمن من أن يكون ذلك الكلب كلِباً فيؤول الأمرُ بصاحبه إلى الخوف من الماء ثم الموت ، وإن وجد البدن خاليا عن جميع ذلك سالما منه دلّ على صحته .

الفصل الثانى

فى العلامات الدالة من جهة الرأس والعنق

وينبغى أيضاً أن ينظر إلى رأسه ، فإن وجده جميما بمرخطا ، و باتاً متفرقاً متباعداً ، دلّ على فساد جلد الرأس ، ورداءة مزاج الدماغ . وإن وجده ليناً ، دل على الجبن ، وإن وجده متقصفا متساقطا بكثرة دلّ على يبس الدماغ . وإن وجد به داء الثعلب أو داء الحية[2] دلّ على أخلاط ردية مفسدة للشعر . وإن وجده سالماً من ذلك وحشنا دلّ على جودة مزاج الدّماغ والشجاعة .

(١) نبات ينبت كثيراً فى القبور والحيطان القديمة والمواضع التى لا تحرث ، له زهر أحمر يطول نحواً من ذراع

(٢) انظر ما سبق فى كتاب ابن بطلان ص ٣٨٦ .

وأن ينظر إلى جلدة الرأس فإنْ وجد بها حَزَازاً[1] ، أو شـطفة[2] ونتوءاً ، أو أثر قروح وجرح غائر ، دلّ على عظم قد سقط من القِحف ، وهذا ردئ لا يؤمن أن يقع بهذا الموضع صدمة أخرى من شيء حادّ فيبلغ الدماغ فيجرحه ، أو من شيء ثقيل يرضّه فيتلفه .

وأن ينظر إلى شكل القِحف ، فإن وجده مسفَّطاً جداً[3] دلّ على الرداءة من جهتين : أحدهما سرعة الصَّرْع ، وثانيهما قبح المنظر .

قال صاحب لقط المنافع[4] . أما صغر الرأس وكبره فسببه المادة النُّطْفية ؛ إن قلّت قلّ ، وإن كثرت عظم .

وإذا كان الرأس صغيراً حسن الشكل ، كان أقلّ رداءة من الصغير الرديء الشكل ، على أنه لا يخلو من رداءة هيئة الدماغ ، وضعف من قواه . ولهذا قال أصحاب الفراسة : يكون هذا الإنسان لجوجاً سريع الغضب متحيّراً في الأمور .

قال جالينوس : لا يخلو صغر الرأس البتة عن دلالةٍ على رداءة هيئة . وكبر الرأس ليس دليلاً في كلّ وقت على جودة الدماغ ما لم يقترن به جودةُ الشكل وغِلَظ العنق وسعةُ الصدر ، فإنها تابعة لعِظَم الصُّلب والأضلاع التابعين لعظم النخاع وقوّته التابعَين لقوة الدماغ .

وإذا كان الرأس مستديراً دلّ على بُعده عن الخير إذا كانت الجبهة مستديرة ، والوجه طويلاً والرقبة غليظة ، وفي العين بلادة .

---

(١) في حاشية الأصل : « الحزاز وهو النخالة التي تكون في الرأس ، سببها مادة حادة بورقية أو سوداوية أو دم سوداوي أو أبخرة حادة أو يبس » . وفي اللسان : « والحزاز : هبرية في الرأس كأنه نخالة ، واحده حزازة » .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة . ولعلها « السعفة » وهي قروح تخرج بالرأس .

(٣) انظر ما سبق في حواشي ٣٠٩ .

(٤) هو ابن الجوزي . ولقط المنافع ، كتاب له في الطب جعله على سبعين باباً ، ثم اختصره وسماه مختار المنافع . كشف الظنون .

وأن ينظر إلى عينه ، فإن وجدها عظُمت فهو قبيح كسلان ، وإن وجدها غارت فيه داء خبيث ، وإن جحظت فهو وقح مهذار ، وإن وجدها داهبةً فى طُولِ بدنِه فهو مكّار خبيث ، وإن وجدها كأنها ناتئة[1] وسائر العين لاطٍ[2] فهو أحمق . وإن وجدها صغيرةً غائرة فهو مكار حسود . وإن وجدها ناتئة[3] صغيرة كعين السرطان فهو جهولٌ ميّال إلى الشهوات . وإن وجدها كبيرة ترعد فهو شرّير إن صغرت حدقتها ، وإن وجدها عظيمة فهو قليل الشر عظيم الحُمق[4] .

وإن وجد حدقتها شديدة السّواد فهو جبان . وإن وجدها زرقاء صغيرةً فهو كسلانُ بطّالٌ كثير المحبة للنساء . وإن وجدها زرقاء مشوبةً بصُفرة كالزّعفران فهو ردىء الأخلاق جدًّا . وإن وجدها زرقاء وهو أشقر اللون فهو ردىء جداً .

وإن وجدها زرقاء مشوبةً بصُفرة وخضرة كالفيروزج فهو أردأ الناس . وإن وجد فيها نُقطاً حُمراً أو بيضاً فهو شر الناس وأردأهم . وإن وجدها بيضاء بياضُها كدر فهو غير جيِّد الحدقة . وإن وجدها مع ذلك مستديرة كعين الأسد ، والوجه مسجَّر ، فهو ممن حدث له الجُذَام . وإن وجدها شهلاء فهو جيِّد العين . وإذا لم يكن شَهَلها شديد البريق ، ولا مشوباً بصفرة ولا حمرةٍ فهو شديد جودة العين .

وإن وجد فى عينه عُروقاً حمراء دلّ على حصول السِّبَل له[5] ، وإن وجد حاجبَها

---

(١) فى الأصل : « ثانته » ، صوابه من كتاب جل أحكام الفراسة ص ٣ والناتئة : المرتفعة .

(٢) اللاطئ : اللازق .

(٣) فى الأصل : « ثانته » ، صوابه من كتاب جل أحكام الفراسة .

(٤) نص الرازى : « صاحب العين الكثيرة الرعدة شرير إن كانت صغيرة ، وإن كانت عظيمة نقص من الشر وزاد فى الحمق » .

(٥) جاء فى حواشى الأصل : « السبل : عروق تمتلئ دماً وتسودّ وتحمر ، وأ كثره مع سيلان دم وحرد وحكة . وهو ثلاثة أنواع : أحدها يعرف بالسبل الرطب ، كأنه نسيج العنكبوت عروق حمر دقاق ويكون معه رطوبة عظيمة فى العين . والثانى يعرف بالسبل اليابس وتكون معه لحمة ناشفة كأنها صحيحة غير أن المنا (؟) يكون سبلا . والثالث المستحكم الذى قد غلظ ومنع البصر وبيّض الحدقة » .

كثير الشعر فهو كثير الهم والحزن غث الكلام ، وإن وجد مأقها الذى يلى الأنف تسيل منه رطوبة فليبصره فإن خرج منه زيادة رطوبة دلّ على مرض الناصور[1] ، وإن وجد فى هذه المآق زيادة لحمية نابتة منبسطة نحو الحدقة فهى ظفرة[2] ، وإن وجد جفنها منقرة[3] ، دلّ على مادة حادة تصل إلى أصول الأجفان فتمنعها من جودة البصر وتسقطها ، وإن وجد الجفن ثقيلا مسلا دلّ على عنظ أو جرب أو شعرة . وإن وجده منكسراً أو مكبوتاً من غير علة فهو ماكر أحمق كذاب .

وينبغى له أن يمتحن بصره قوة وضعفاً ، بأن يريه أجساما مختلفة الأشكال فإن كان لا ينظرها نظراً جيداً ، أو كان ينظر إلى القريب منها نظراً جيداً دون البعيد أو بخلاف ذلك فبصره ردىء ، وذلك العلامة على آفة قد نالت الدماغ والروح الباصر .

وأن ينظر إلى سمعه ، فإن وجده ثقيلاً بأن يكلمه فلا يجيبه ، دلّ على أن بسمعه آفة ، إما من شدة عارضة فى ثقب الأذن ، والشدة إما من لحم نابت أو ثؤلول[4] ، أو من قبل شىء عارض . فإن كانت من شىء عارض ، كحصاة أو فولة أو شعيرة أو وسخ ، فإنه تزول بالآلة التى يخرج بها ما يسقط فى الأذن . وإن كانت من غير ذلك فبرؤه عسر ، وإن وجده كبير الأذن فاعلم أنه طويل العمر .

وأن ينظر إلى أنفه ، فإن وجد عِلَطاً [أو] جسّا[5] ، دلّ على أن هناك لحما

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٦١

(٢) انظر ما مضى فى حواشى ص ٣٦١

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) هذه لفظة عامية فى « ثؤلول » ص عنها ابن الجوزى فى تقويم اللسان والثؤلول : واحد الثآليل ، وهو الخراج يخرج فى الجلد .

(٥) فى الأصل : « فإن وجده عبيطا حشا » تحريف . انظر له ما سبق فى أول الفصل الرابع . والحشا : اليبس

زائداً وقروحاً في المنخرين ، فينبغى أن ينظرَ إليه في موضع مضىء مقابلِ الشمس ليظهرَ له ذلك

قال صاحب لقط المنافع[١] : من كان طرفُ أنفه دقيقاً فإنه يحب الخصومة ، ومن كان أنفه غليظ عملة فهو قليل الفهم ، ومن كان غليظَ الشَّفَة فهو أحمق غليظ الطبع ، ومن كان قليلَ صبغ الشَّفَة فهو ممراض ، ومن كان كثير لحم الفخذين فهو غليظ الطبع .

وأن ينظر إلى لسانه فإن وجـده ثقيلا أو ألثغ أو يبس بين الكلام دلَّ على صِغَر اللسان أو غِلَظه أو قصره ، أو قَطْعِ جزء منه ، أو آفة لعصب اللسان ، أو غير ذلك من الآفات ، أو من سنّ قد انقلعت . وإن وجد فيه آثارَ قروح قد اندملت ، فيسأل صاحبَه عن السبب ، فإن قال سببه قُرحة عرضت في لسانه ، أو ورمٌ انفجر واندمل ، فلا يشتريه حتى يفحص عن ذلك فحصاً جيداً ، لاحتمال أن انصرعَ فعضَّ لسانَه فتورَّم وتقرَّح ، وأن يسمع صوته فإن وجده أبحّ حاداً دلَّ على أنَّ هناك جُذاماً سيظهر .

وقال بعض الأفاضل من العلماء . حُسن الصوت دليلٌ على الحمق ورقة الفطنة .

وأن ينظرَ إلى أسنانه ، فإن وجدها سـاقطةً ، ولا سيما الثنايا والأنياب والأضراس ، دلَّ على القبح ، والمنع من بيان الكلام والمنع من جودة المضـغ ، وإن وجد سقوطها من قبـل أن يُثغر فإنه إذا ثُغِرت عادت أجود مما كانت ، وإن وجد سقوطها من بعـد إثغاره فإنها لا تعود وأن ينظر إلى لون أسنانه ، فإن وجده أبيضَ أو أسودَ فهو عيبٌ قبيح ، لأ [ن] يكونَ قبلَ إثغاره فإنَّ الإنسان إذا ثُغِر عادت أسنانه ولونُها إلى أحسنَ ما كانا وأجودَ وأقوى

---

(١) انظر ما سبق في حواشي ٣٩٢

قال أبو الفرج بن الجوزي[١] رحمه الله: وتفريق الأسنان وصغرها ورقتها دليل على ضعف الجسد[٢] وقصر العمر. واللحم الكثير الصلب دليل على غلظ الحس والفهم. ومن وقع عليه عند الضحك سعال أو ربو فإنه وقح سليط.

وقال في موضع آخر: وأن يتفقد أسنانه، فإن القوية طويلة البقاء، والرفيعة[٣] سريعة السقوط، والصحيفة المتفرقة تدل على قصر العمر.

وأن ينظر إلى لثة أسنانه، فإن وجدها متشممة أو مسترخية أو فيها قروح[٤] دل على الرداءة. وأن يشم نكهته، فإن وجدها متغيرة، فتغيرها إما من عفونة اللثة أو من ضرس متآكل أو من بلغم عفن في المعدة. فإن كان من الأول فيزول بتقوية اللثة بالأدوية القابضة، واستعمال الأدوية الحارة، وإن كان من الثاني فيزول بقلع الضرس المتآكل، أو بتنقيبه أو تكبيه، وإن كان من الثالث فلا يسهل زواله.

وأن ينظر إلى لهاته، فإن وجدها نازلة إلى السفل كثيراً دل على الرداءة، من جهة أنه متى عرض له ورم تبعه الخناق. وإن وجدها مسترخية دل على الرداءة من جهة أن صاحبه يعرض له السعال كثيراً.

وأن ينظر إلى حلقه من خارج، ويجس الغدد التي هناك، فإن وجدها ظاهرة

(١) يعني، في كتابه «لقط المنافع».
(٢) في حواشي الأصل: «قال السموأل: والحاجب أجود من عرقها، وإن كان الشعب ممدحاً محموداً عند العرب». قلت: السموأل هذا هو السموأل بن يحيى المغربي، من العلماء الذين قدموا إلى المشرق، وأقام بمدينة مراغة من أذربيجان، وأولد أولاداً سلكوا طريقته في الطب، وأسلم وحسن إسلامه، وصنف كتاباً في إظهار معايب اليهود وكذب دعاويهم في التوراة، ومات قريباً من سنة ٥٧٠. القفطي ١٤٢.
(٣) الرفيعة هي بمعنى الرقيقة، وهي مصحفة ... في شرح درة الغواص للحريري ص ١١٨: «والناس يقولون ثوب رفيع بمعنى رقيق، كذا في أدب الكاتب، وهو مجاز، ولذلك أهملوه في كتب اللغة».
(٤) في الأصل: «قروحاً».

تحت الملمس مع صلابة كان ذلك دليلاً على الخنازير[1] .

وأن ينظر إلى لون وجهه ، فإن وجده مثل لهب النّار فهو مجنون ، وإن وجده رقيقاً فهو مستحي ، وإن وجده أحمر أسود فهو سيّئ الخلق . وأن ينظر إلى استدارة وجهه ، وإلى سخافته ، وإلى صغره وطوله ، فإن وجده شديد الاستدارة فهو جاهل ، وإن وجده نحيفاً فهو مهتمّ بالأمور ، وإن وجده صغيراً فهو دنيء خبيث مُلاَّق ، وإن وجده طويلاً فهو وقح . وأن ينظر إلى عنقه ، فإن وجده قصيراً جداً فهو مكّار خبيث ، وإن وجده طويلاً دقيقاً فهو صيّاح أحمق جبان . وإن وجده كثير الشعر فهو أحمق شديد الحرارة

الفصل الثالث

في العلامات الدّالّة من جهة الصدر والإبطين واليدين

وينبغي له أيضاً أن ينظر إلى صدره ، فإن وجده ضيقاً والكتفان مرتفعان كأنّ له جناحين والظهر منحنياً دلّ على مرض السلّ ، لا سيّما إن كان في سنّ الحداثة والشباب وكانت النزلات تعرض له كثيراً[2] .

وأن ينظر إلى إبطه ، فإن وجد فيها غدداً دلّ على حدوث خنازير هناك .

وأن ينظر إلى يديه بعد أن يجمعهما ، ويقيس إحداهما بالأخرى ، فإن وجدهما

(١) في القاموس أن الخنازير قروح تحدث في الرقبة . وفي حواشي الأصل : « الخنازير ورم صلب شبيه بالغدد ، أما في اللحم الرخو الذي هو في العنق أو الذي في الأربيتين أو الذي تحت الإبطين ، وأكثر ما يكون هذا الورم في مقدم العنق وفي جوانبه . ويكون إما غدة أو غدتين أو ثلاثاً أو أكثر ، وكل واحدة لها صفاق خاصة كالسلع . وإنما سمي هذا الصنف خنازير لأن هذه الغدد تكون في أرقاب الخنازير [وقال] قوم لأن الخنازير [تعرض به أيضاً] » .

(٢) في حواشي الأصل : « النزلة هي تحلّب فضول رطبة من بطني الدماغ المقدمين إلى المنخرين » .

قصيرين ، أو إحداهما قصيرة والأخرى طويلة دلّ على الرداءة والقبح ، والمنع من جودة الأعمال .

وأن ينظر إلى ساعده فإن وجده مدوياً لعلة عرضت فهو عيب رديء ،
وإن وجده ينقبض عند ليّه عما يحتاج إليه دلّ على آفة عرضت للزند لأعلى
وإن وجد مفصل مرفقه ينقبض عند الوراية عما يحتاج إليـه دل على آفة عرضت ٥
للزند الأسفل

وأن ينظر إلى معصميه ، فإن وجد بهما شبه ورم صغير وإذا لمسه وجد تحت
اللمس ما يشبه العرق أو الدود ، فإن ذلك يدل على وجود العرق المديني[(١)] .

وأن ينظر إلى كفه ، فإن وجده عسير الحركة عند قبضها أو بسطها فهي ردىئة .
والدّليل على قوّة يده وضعفها أن يأمره المشترى أن يقبض على بعض أعضائه ١٠
قبضاً شديداً ، فيظهر بذلك قوة اليد وضعفها[(٢)]

الفصل الرابع

في العلامات الدالة من جهة الأحشاء والكُليتين والمثانة والأنثيين والقضيب والمقعدة

وينبغي له أيضاً أن يتفقد أحشاءه[(٣)] ، فإن وجد في الناحية اليمنى أو اليسرى ١٥
غلظاً أو جسأ[(٤)] بعد أن يأمره أن يستلقى[(٥)] على ظهره ، ويكون رأسه غير

---

(١) في حواشي النسخة : « للمديني بثرة تحدث في الساقين تتنفط ، ثم يخرج منها شيء [كالدود] ، ولا يزال يطول ، وربما كان له عند لمسة مدة ومده توجع ، [illegible] »
(٢) في حواشي النسخة : « قال [illegible] : وينبغي أن ينظر إلى كل الجارية وعملها للأشغال وربما كانت الجارية تأكل بيدها اليسرى وتعمل بها أكثر أعمالها ، وذلك من العيوب » .
(٣) في حواشي الأصل : « [illegible] عدلنا في هذا الفصل عن [illegible] بالنظر إلى التعبير بالتفقد لأن هذه المواضع لا يجوز النظر إليها »
(٤) الجسا : اليبس ، يقال جسيت اليد وغيرها جسواً وجسا : يبست
(٥) في الأصل : « يلتق »

مرتفع ، ويبسط يديه نحو رجليه ويشيل ركبتيه إلى فوق ، ويصف قدميه ،
ويجس مَرَاقّ بطنه[1] من موضع ثم المعدة وما دون الشُّرسوف إلى أن ينتهي
إلى العانة ، ويمرّ يده على ذلك مرورًا شديدًا — دلّ ذلك الغمط أو الحسّ[2]
على أن في الكبد أو الطحال ورمًا رديئًا يؤدي إلى الاستسقاء ، لا سيما إن رأى
مع ذلك لون البدن رديئًا مائلا إلى البياض ، وأسفل الجفن الأسفل منهيّجًا .

ويبقى له إذا أراد شراء جارية أن يتفقدها ، وربما تجد منها فيما بين السُّرة
إلى العانة نتوءًا أو صلابة ، فإن وجد ذلك دلّ على سرطان في رحمها[3] ،
وليتفقّدها أيضًا إذا هي حاضت ، لاحتمال أن يعرض لها الغشي الشّبيه بالسكتة ،
فإن وجد بها ذلك ، دلّ على أن بها اختناق الرحم ، وهذا ربّما أوجد موت
الفُجاءة .

وأن يتفقد كُليتيه ومثانته ، فإن وجد فيهما أو في أحدهما حصاة ، دلّ على
العيب الرديء ، ويعرف ذلك من وجود رمل في بوله

قال بعض الحكماء : لطافة البطن تدلّ على جودة العقل ، ودقة الأضلاع
ورقّتها تدلّ على ضعف القلب .

وأن يتفقد أنثييه فإن وجد عروقهما أحدث في الاتّساع ، دلّ على حدوث
العرق المسمّى بالقيلة ، وهو لا يظهر في أوّل الأمر ، بل يبدو شيئًا فشيئًا على
طول المدّة ، ثم يعقبه أدرة قويّة شديدة . وأن يتفقد قضيبه ، فإن وجد الثقب[4]
الذي في جانب الكمرة الموجب لعدم استقامة البول مع جريانه إلى أسفل ، دلّ

(١) مراق البطن : أسفله وما حوله مما استرق منه ، وهي المواضع التي ترق جلودها ، قال الهروي : واحدها مرقّ ، وقال الجوهري : لا واحد لها

(٢) في الأصل : « الحس » محرف . انظر ما سبق في الحاشية (٤) من الصفحة السابقة

(٣) في حواشي الأصل : « السرطان ورم سوداوي علامته أن يكون صلبًا شديدًا الصلابة بمنزلة الحجارة متمددًا ، ويكون شكله شبيهًا بالسرطان » .

(٤) كذا في الأصل

على الرداءة في الولد ، لأن المنيّ يحتاج إلى الاستقامة عند مروره في الرحم كي يصل لأقصاه

وأن يتفقّد مقعدته ، فإن وجد بها بواسير أو ثؤنا(١) أو نواصير ، دلّ على الرداءة

الفصل الخامس

في العلامات الدالة من جهة الرجلين مطلقا ، وخصوص الركبة والساقين

وينبغي له أيضا أن ينظر إلى رجليه بعد أن يأمره المشتري أن يجمع رجليه ، ويضع قدميه في موضع مستوٍ ، فإن وجد إحداهما أقصر من الأخرى فذلك عيب رديء ، دل على تشنج أو عرج بالفعل من قبل عرق النسا ويأمره بالمشي فإن يكن في خطاه تقصير دلّ على قوة العصب ، وسلامة المفاصل ، وإن كان الأمر بخلاف ذلك دلّ على آفة قد نالت العصب أو مفصل الورك أو غيره من مفاصل الرجل .

وأن ينظر إلى خصوص الركبة ، فإن وجد بها ورما صلبا ، أو الورم المعروف بالشوكة(٢) ، فإنه ربما لم يبرأ ، ويؤدي بصاحبه إلى دقة الساقين والزمانة ، وإن وجد فيها اعوجاجا أو ميلا فهو داء قبيح

وأن ينظر إلى خصوص الساقين ، فإن وجدهما منقوسين أو منقلبين(٣) إلى خارج ، فهو عَرَض رديء يضر بالمشي مضرة قوية . وإن وجد عروق باطن الساقين أحدث في الاتساع فهو سبب حدوث العروق المسماة بالدوالي . وإن وجد في الساقين غلظا وصلابة وامتلاء في موضع الكعبين إلى فوق فذلك يدل على حدوث العلة المسماة بداء الفيل

(١) كذا في الأصل . (٢) في اللسان : « الشوكة : داء كالطاعون » .
(٣) كذا . والساق مؤنثة

الفصل السادس

فى العلامات الدالة من جهة السّمن والهزال ، والطول والقصر

وينبغى له أيضاً أن ينظر إلى جسمه ، فإن وجده سميناً فلا يشتريه ، لأنّ الشمنة[1] رديئة جداً ، لاسيّما الشمنة بالطبع ، فإنها مستعدة لحدوث أمراض رديئة لأن الحرارة الغريزية تكون فيها ضعيفة لضيق عروقها ، وضيقُ العروق فيها لشيئين : أحدهما برد المزاج . ثانيهما ضغط الأعضاء السمينة لها ، فأصحابها لذلك أقل أعماراً ، لأن ضيق العروق يتبعه ضعف الحرارة الغريزية ونقصانها ، وهذان يتبعان نقصان الروح ، وهم معرضون للسكتة والفالج وعسر النفس

ومن أفرط سمنه وكان مراضاً ، فهو على خطر . وإن وجده نحيفاً مهزولا نحيفاً فلا يشتريه ، لأن النحيف ردىء لِمَا يغلب على مزاجه من اليبس ، فهو لا يقدر على الرياضة والأعمال الكثيرة ، لأن ذلك مما يسخّنه ويجفّفه فيزداد نحافة . وصاحب النحافة لا يقدر على الحرّ والبرد ، لأنهما يصلان إلى أعضائه الباطنة بسرعة فيمرّيانها من الهيجان وإسهال النحيف خطر

وإن وجده معتدلا ليس بالسمين ولا بالهزيل ، فليشتريه[2] فإنه من أحسن العبيد بدناً ، وأدومهم صحة ، وأصبرهم على الأعمال ، وأبعدهم عن الأمراض ، لأن الحرارة الغريزية متوفرة فيه ، والهضم جيّد ، والأعضاء قوية لذلك

وإن وجده طويلا دلّ ذلك على عداوته وعدمه وقلة عقله . وإن وجده قصيراً دل ذلك على خُبثه وخداعه ومكره

---

(١) هذه الكلمة على سمنى مما لم يذكر فى المعاجم المتداولة . وقد وردت بهذا اللفظ أيضاً فى شرح الحماسة للمرزوقى ١٢٦٢ ، ١٤٣٦ .

(٢) كذا جاءت بالأصل . وإثبات حرف العلة مع الجازم لغة بعض العرب ، كقوله :

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

قال الجاحظ : الصدق والغفلة فى الطِّوال أكثر ، والخُبث والخداع فى القصار أبيَن ، واللُّطف فى النِّحاف والقِضاف أظهر ، والبِطنة والجفاء فى السِّمان أكثر ، وما سوى ذلك نادر .

قال صاحب لقط المنافع : قالوا : والطُّوال من الناس فى الشبيبة أحسن ، وفى الكبر أقبح ، لسرعة الانحناء إليهم . والمعتدلون فى الطُّول صالحو الحال . ٥

قال الجاحظ : أجمعَ الناسُ على أنْ ليس فى الدنيا أثقلُ من أعمى ، ولا أنغص من أعوَر ، ولا أخفُّ روحاً من أحوَل ، ولا أقوَدُ من أحدَب .

قال بعض الحكماء : لا تبتاعنَّ مملوكاً قوىَّ الشهوة فإنَّ له مولًى غيرك ، ولا قوىَّ الرأى فيستعمل الحيلةَ عليك . لكن الطلبُ من العبيد مَن كان حسن الانقياد ، قوىَّ الجسم ، شديد الحياء . واعلم أنه ما من شىء تنتفع به إلَّا وفيه ١٠ مضرَّة ، فإن الخادم الذكىَّ الفطن الذى يُريحك من كدِّ الإفهام ويُغنيك عن الإشارةُ فى تبليغ الأغراض ، لا تقدر أن تستر عنه شيئاً من أمرك ، فسرُّك معه شائع ، وهو قادر لفطنته على الاحتيال عليك فى كل ما تريد . وإن كان الخادم غبيًّا وقفت أمورك ، وانكسرت أغراضك ، ولا يفى كتمانُ سرِّك بوقوف أغراضك . فينبغى أن تستخدم الفطناء فى الأمور الخارجة عن المنزل ، وتستخدم ١٥ البُلْه فى الأمور الداخلة . وكذلك الأصدقاء فى معاملتهم والمعاقلون

الفصل السابع

فى العلامات الدالة من جهة كيفية مزاج مطلق البدن وطبعه

علامات رطوبة مزاج بدنه كثرة الشحم ، ، واعتدال اللحم ، ولين الجسد ، ٢٠ ورخاوة الجلد ، وضعف العصب ، واسترخاء المفاصل ، وعدم الشَّعر ، وكثرة النوم وعلامات يبس مزاجه ، صلابة البدن ، وصلابة العصب ، وقلَّة الشحم .

وعلامات حرارة مزاجه سخونة الملمس ، وحمرة اللون ، وسرعة نبات الشعر وكثرته وخشونته وسواده ، ويكون صاحبه ذكيًا فهمًا سريع الحركة والغضب ، عجولًا مبادرًا ، غير متثبت ، شجاعًا علا مقدامًا متهوّرًا[١] قليل التهيب للأمور العظام ، ويكون نبضه سريعًا متواترًا ، ويكون هو سريع النموّ والنشوّ ، قويّ الشهوة ، جيّد الهضم ، كثير الباه ، كثير اللحم ، قليل الشحم ، جهش الصوت[٢] .

وعلامات برودة مزاجه برودة الملمس ، وبياض اللون ، وقلّة الشعر وبطء إنباته ، ويكون صاحبه بطيء المشي ، بليدًا قليل الفهم ، ثقيل اللسان ، بطيئًا في الحركات ، متوقفًا في الأمور ، جبانًا فزعًا خائفًا قليل الغضب

١٠ وعلامات حرارة ورطوبة[٣] مزاجه كون الشعر أسود رَجِلًا سبطا ، وكثرة اللحم وقلة الشحم وحرارة الملمس ولينه ، فإن غلبت الرطوبة كان البدن مراضًا لحصول النعمن ، وإن غلبت الحرارة كان البدن أصحّ وإن كانا معتدلين كان اللون مختلطًا في الحمرة والبياض

وعلامات حرارة ويبوسة مزاجه : كثرةُ الشعر وجعودته وسواده — لأنّ ١٥ مادة الشعر هو البخار الحارّ اليابس الذي يخرج من مسامّ البدن ، ويدفع بعضه بعضا إلى خارج ولا ينقطع خروجه — وقضافة البدن ، وحرارة الملمس ، وأدمة اللون ، والذّكاء والفطن والشجاعة وقوّة الشهوة ، وجودة هضم الأغذية الغليظة ، والحرص على الباه .

وعلامات برودة ورطوبة مزاجه سبُوطَة الشعر[٤] وشُقرته وبياض اللون ،

٢٠ (١) في الأصل : « مهوراً » .
(٢) كذا وإنما يقال أجش الصوت ، أي غليظ .
(٣) في الأصل : « وبرودة » .
(٤) سبوطة الشعر ، أي انبساطه واسترساله . وفي الأصل « شوطة لشعر » .

وسمن البدن من كثرة الشحم ، ويكون صاحبه بليداً كثير النسيان ، قليل الفهم ، جبانا ، ضعيف الشهوة ، بطيء الهضم ، قليل الباه .

وعلامات برودة ويبوسة مزاجه بياض اللون الذى يضرب إلى الكمودة ، وقضافته ، وبرودة الملمس وشقرة الشعر الذى يضرب إلى الصُّهرة ، مع قلته ، وامتناع الباه

وعلامات مزاج البدن المعتدل ، أن يكون متوسّطا فى الهزال والسِّمَن ، وأن يكون لونه مختلطا ببياض وحمرة ، أشقر إلى الحمرة ما دام صبيٌّ ، فإذا صار إلى سنِّ الشباب صار الشَّعر أسود ، ويكون ملمسه معتدلا فى الحرارة والبرودة ، والصَّلابة واللِّين ، بمنزلة جلد بطن الراحة ، ويكون فهمًا فطنا عاقلا ، شجاعًا غير أهوج ولا جبان ، بَيْنَ الرحيم والقسى ، عفيفًا متوسطا فى العلامات .

الخاتمـــة

فيما يناسب العبد إذا اشتراه ، من الرياضة والراحة والدعة

ذَكَر بقسطيس النؤود (1) ، أنَّ من اشترى عبـداً ينبغى له أن يستعمله فى الرياضة ، وهى عند الأطباء عبارة عن الحركات البدنية ، ولها وقتٌ وفوائدُ وغاية تنتهى إليها

فوقتها قبل الغداء ، حين يكون البدنُ نقيًا ويكون طعامُ أمسِ قد انحدر وانهضم ، وحضر وقتُ طعام آخر . ولا تجوز الرياضة فى وقت الجوع . واستعمالُها قبل انحدار الطعام مولِّد للسُّدَد فى العروق التى بين الكبد والمعا

قال جالينوس : رياضة قبل الطعام خير عظيم ، وسببٌ وكيدٌ فى حفظ الصحة

(1) انظر ما سبق فى مبدأ الفصل الأول ص ٣٩٥

ومن فوائدها: تنبيه الحرارة الغريزية التي في البدن ليتقوى بذلك على جذب الغذاء وسرعة هضمه وقبول الأعضاء له، وتلطيفُ فضُول البدن وتحليلها، وتنقية المنافذ، وتوسيع المسام، وتصليب أعضاء البدن[1]، وتصحيح الطعام الغير النضيج.

والرِّياضة بعد الغذاء خطأ، لأنها توجب انحدار الطعام وهو غير منهضم، فإنْ كان لزِجًا وصادف مجاريَ ضيِّقةً أحدث سُدَدًا، وإلَّا أوجب أمراضًا مختلفة.

وغايتها أن يحس الإنسانُ بالعِيّ والتَّعب.

ومن أنواع الرياضة الرُّكوب لمن اعتاده، والمَشْي السريع، والقراءةُ بصوتٍ عالٍ، والرَّمي بالنَّبل، والثِّقاف والصِّراع، واللعب بالأُكرة[3]، والصعود والقعود في المراجيح، والمباطشة، وشَيل الأحجارِ والأعمدة، والتَّصفيق والشِّباك، وتحريك أوتار العيدان، وضرب الطبول، وتحريك الرِّجلين نسمة الخُطَى وغيرها، والإعياء والاستلقاء، وبَسط القامة[4]، والدَّلك بالأيدي والمناديل.

وأما الراحة والدعة، فهي ضدُّ الرياضة، ويخشى منهما إذا داما أن تطفئ البرودة والحرارة الغريزية، فإنهما يحدثان في البدن البرودة والرطوبة، وكثرة البلغم والفضول، ويُفسدان المزاج، وقد يُحدثان حرارةً لاحتقان البخار الحارّ.

قال جالينوس: السكون الدائم يخاف منه أن يُطفئ الحرارةَ الغريزية.

فينبغي لمن أراد حفظ صحته أن يتجنب الدَّعة، إلا أن يكون البدن متحللا.

وليتعهَّد صاحبُ الدَّعة نفسه كلَّ قليلٍ بالتنقية.

نقّى الله قلوبنا من درَن الذنوب، وغفر لنا العيوب،

بجاه ترجمان لسان الغيوب. آمين

---

(١) في الأصل: «توسع» و«تصب» «بدن» «توسيع» و«تصليب».
(٢) الثقاف والثقافة بالكسر فيهما: المجالدة بالسيوف.
(٣) في اللسان (أكر): «ومن العرب من يقول الكرة التي يلعب بها أُكرة» واللغة الجيدة الكرة». وفي القاموس: «الأُكرة بالضم: لغة في الكرة».
(٤) سابقة سافحة لما يسمى اليوم «الألعاب السويدية».

الفهارس العامـــة

للمجلد الأول

من نوادر المخطوطات

١ – فهرس الأعلام(*)

(*) ما قرن من الأعلام بنجم فهو مما ورد في الشعر فقط

٢ – فهرس القبائل والطوائف ونحوها

٣ فهرس البلدان والمواضع ونحوها

٤ – فهرس الأشعار

(١) وغيره أيضاً.

شطر بيت

مخمس

٥ فهرس الأرجاز

٦ فهرس الأمثال

٧ – فهرس الكتب

التي وردت في أثناء نصوص النوادر

مراجع الشرح والتحقيق

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، المقريزي، تحقيق الدكتور الشيال. دار الفكر ١٣٦٧

الإحاطة، في أخبار غرناطة. مطبعة الموسوعات ١٣١٩

أخبار عبيد بن شرية الجرهمي ، حيدر أباد ١٣٤٧ .

إخبار العلماء بأخبار الحكماء، للقفطي. السعادة ١٣٢٦

أدبيات اللغة العربية، لجنة من رجال نظارة المعارف. بولاق ١٩٠٦

أساس البلاغة، للزمخشري. دار الكتب ١٣٤١

أسد الغابة، لابن الأثير. الوهبية ١٢٨٦

الاشتقاق، لابن دريد. تحقيق وستنفلد. جوتنجن ١٨٥٣

الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر. السعادة ١٣٢٣

الأصمعيات، اختيار الأصمعي. ليبسك ١٩٠٢ م

الاعتبار، لأسامة بن منقذ. نشرة فيليب حتي. جامعة برنستون ١٩٣

إعجاز القرآن، للباقلاني. السلفية ١٣٤٩

[illegible] المحروسة ١٣١

الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني. ساسي ١٣٢٣

ألف باء، للبلوي. الوهبية ١٢٨٧

الألفاظ الفارسية المعربة، لأدي شير. بيروت ١٩٠٨ م

الأمالي، لأبي علي القالي. دار الكتب ١٣٤٤

[illegible]

إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. دار الكتب ١٣٦٩

الأنساب، للسمعاني. ليدن ١٩١٢ م

الإنصاف والتحري، لابن العديم. ضمن تعريف القدماء. دار الكتب ١٣٦٤

بدائع البدائه، لابن ظافر الأزدي. بولاق ١٢٧٨

بغية الوعاة، للسيوطي. السعادة ١٣٢٨ .

البيان والتبيين، للجاحظ، بتحقيق عبد السلام هارون. لجنة التأليف ١٣٦٩

تاج العروس، للزبيدي. الخيرية ١٣٠٦

تاريخ الإسلام، للذهبي. مخطوط دار الكتب رقم ٤٢ تاريخ .

» » ، للذهبي. القدسي من سنة ١٣٦٧

» الأمة القبطية، [illegible] ١٩٢٥ م .

» بغداد، للخطيب البغدادي. القاهرة ١٣٤٩ .

» دمشق، لابن عساكر. مخطوطة المكتبة التيمورية رقم ١٠٤١ تاريخ .

» الطبري. الحسينية ١٣٢٦ .

تاريخ طرابلس الغرب، لابن غلبون. السلفية ١٣٤٩.
تاريخ قضاة الأندلس، للنباهي. تحقيق بروفنسال. دار الكاتب المصري ١٩٤٨ م
تاريخ مختصر الدول، لابن العبري. أكسفورد ١٦٦٣
التبصر بالتجارة، للجاحظ. تحقيق حسن حسني عبد الوهاب. الرحمانية ١٣٥٤.
التحقيق في شرح [illegible]، [illegible]. مخطوطة بمكتبة التيمورية رقم ٤٨ قصائد ودواوين
تذكرة أولي الألباب، لداود الأنطاكي. الشرفية ١٣١٧
تذكرة الحفاظ، للحافظ الذهبي. حيدر آباد ١٣٤٤
تذكرة [illegible]، [illegible] لأحمد بن خليل اللبودي. مخطوطة بالتيمورية رقم ١٤٠٧ تاريخ
التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد الأزهري. الأزهرية ١٣٤٤.
تعريف القدماء بأبي العلاء، لجماعة من [illegible] وزارة المعارف. دار الكتب ١٣٦٣
تفسير أبي حيان، وهو البحر المحيط. السعادة ١٣٢٨
تفسير الطبري. بولاق ١٣٢
تكملة [illegible] ١٩١٥ م
تكملة الصلة، لابن الأبار، تحقيق كوديرا. مجريط ١٨٨٧ م.
تهذيب التهذيب، لابن حجر. حيدر آباد ١٣٢٥
التنبيه والإشراف، للمسعودي. الصاوي ١٣٥٧.
التنبيه على أمالي القالي، لأبي عبيد البكري. دار الكتب ١٣٤٤
التيجان في ملوك حمير، لوهب بن منبه. حيدر آباد ١٣٤٧
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي. مصر ١٣٢٦
جذوة المقتبس، للحميدي. تحقيق محمد بن تاويت. السعادة ١٩٥٣ م
[illegible] أحكام [illegible]، لأبي بكر [illegible] ١٣٤٧ م
جمهرة أنساب العرب، لابن حزم. تحقيق بروفنسال. دار المعارف ١٩٤٨ م.
جمهرة خطب العرب، لأحمد زكي صفوت. الحلبي ١٣٥٢
حاشية ابن عابدين. بولاق ١٢٩٩
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، للسيوطي. السعادة ١٣٢٤.
[illegible]، لابن [illegible]. ليدن ١٨٥١ م
[illegible]، [illegible] تحقيق محمد [illegible]. دار المعارف ١٣٦٩.
الحماسة، لأبي تمام. السعادة ١٣٣١
الحماسة، للبحتري. بيروت ١٩٢٩ م
الحماسة، لابن الشجري. حيدر آباد ١٣٤٥
الحيوان، للجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. الحلبي ١٣٥٧ — ١٣٦٤.
خاص الخاص، للثعالبي. السعادة ١٣٢٦
خريدة القصر، للعماد الأصفهاني. تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس. لجنة التأليف ١٩٥١ م.
خزانة الأدب، للبغدادي. بولاق ١٢٩٩.
خطط المقريزي، وهو المواعظ والاعتبار. مطبعة النيل ١٣٢٤

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، الوهبية ١٢٨٤
الخيل، لابن الأعرابي، ليدن ١٩٢٨ م
» ، لابن الكلبي، ليدن ١٩٢٨ م
دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية
» » [illegible]
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر، حيدر آباد ١٣٥٠
درة الغواص، للحريري، الجوائب ١٢٩٩
الدارس في المدارس، دمشق [illegible] ١٩٥١ م
ديوان الأخطل، بيروت ١٨٩١
» الأرجاني، بيروت
» أسامة بن منقذ، [illegible] ١٨٧٧ م
» الأعشى، [illegible] ١٩٢٧ م.
» امرئ القيس، هندية ١٣٢٤
» البحتري، هندية ١٣٢٩
» بشار، بشرح ابن عاشور، لجنة التأليف ١٣٦٩
» أبي تمام، [illegible]، بيروت ١٣٢٣
» تميم بن مقبل، مخطوط دار الكتب رقم ١٦٠٢٥ ز.
» جرير، الصاوي ١٣٤٠.
» [illegible]
» حسان بن ثابت، [illegible] ١٣٤٧ ه.
» الحطيئة، التقدم، [illegible]
» الخنساء، بيروت ١٨٨٨ م
» ابن الدمينة، المنار ١٣٣٠
» زهير، بشرح ثعلب، دار الكتب ١٣٦٣
» سلامة بن جندل، بيروت ١٩١٠ م
» أبي طالب، مخطوطة الشنقيطي بدار الكتب رقم ٣٨ ش.
» طرفة بن العبد، [illegible] ١٩٠٩ م
» [illegible] بن [illegible] ١٢٩٨
» عمر بن أبي ربيعة، [illegible] ١٣١١
» الفرزدق، الصاوي ١٣٥٤
» ابن قيس الرقيات، [illegible] ١٩٠٢ م
» لبيد، فينا ١٨٨٠، ١٨٨١ م.
» المتنبي، بشرح العكبري، الشرفية ١٣٠٨.
» أبي محجن، الأزهار
المعاني، لأبي هلال العسكري، القاهرة ١٣٥٢.
» ابن المعتز، المحروسة ١٨٩١ م.
» معن بن أوس، ليبسك ١٩٠٣ م.

ديوان مهيار الديلمي . دار الكتب ١٣٤٥
« النابغة . من مجموع خمسة دواوين
« أبي نواس . العمومية ١٨٩٨ م
« الهذليين . دار الكتب ١٣٦٩

الذخيرة ، لابن بسام . مخطوطة جامعة القاهرة رقم ٢٢ ٢٦
الرق في الإسلام ، لأحمد شفيق ، ترجمة أحمد زكي . بولاق ١٣٠٩
روضات الجنات ، في أحوال العلماء والسادات ، لمحمد باقر الموسوي . العجم ١٣٠٤
الروضتين ، في أخبار الدولتين ، لأبي شامة . وادي النيل ١٢٨٨
زهر الآداب ، للحصري . الرحمانية ١٩٢٥ .
سفر السكون
سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، لمحمد خليل المرادي . بولاق ١٣٠١
سمط اللآلي ، للراجكوتي . لجنة التأليف ١٣٥٤
سير النبلاء ، للذهبي . مصورة دار الكتب رقم ١٢١٩٥ ح
السيرة ، لابن هشام . جوتنجن ١٨٥٩ م
شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي . القدسي ١٣٥١

شرح الحماسة ، للتبريزي . [illegible] . بون ١٨٢٨ م
« « للمرزوقي تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون [illegible] ١٣٧٢
« شواهد شروح الألفية ، للعيني . بهامش خزانة الأدب
« « المغني ، للسيوطي . البهية ١٣٢٢
« المضنون به على غير أهله ، لعبيد الله بن عبد الكافي [illegible] السعادة ١٣٣١
« المفصل ، لابن يعيش ، المنيرية
شرح المعلقات للزوزني [illegible] بيروت ١٩٢
« نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد [illegible] ١٣٢٩
شروح سقط الزند ، للتبريزي والبطليوسي والخوارزمي . دار الكتب ١٣٦٨
الشعر والشعراء ، لابن قتيبة . تحقيق أحمد محمد شاكر . الحلبي ١٣٧٧
شفاء الغليل ، للخفاجي . السعادة ١٣٢٥ .
الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، بهامش وفيات الأعيان
صبح الأعشى ، للقلقشندي . دار الكتب ١٣٤٠ .
الصلة ، لابن بشكوال . مدريد ١٨٨٢ م
الطالع السعيد ، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، للأدفوي . الجمالية ١٣٣٢
طبقات الأطباء ، لابن أبي أصيبعة ، وهو عيون الأنباء . الوهبية ١٢٩٩
طبقات الشعراء ، لابن سلام [illegible]
الطبيخ ، للبغدادي . الموصل ١٣٥٣
عصر إسماعيل (من تاريخ الحركة القومية) للرافعي . مطبعة النهضة ١٩٣٢ م
العقد الفريد ، لابن عبد ربه . لجنة التأليف ١٣٧٢
العمدة ، لابن رشيق . هندية ١٣٤٤

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني. ط. محمد منير ١٣٤٨
عيون الأخبار، لابن قتيبة. دار الكتب ١٣٤٣.
عيون التواريخ، لابن شاكر الكتبي. مخطوطة دار الكتب رقم ١٤٩٧ تاريخ
غرر الخصائص، للوطواط. بولاق ١٢٨٤
الفائق، للزمخشري. حيدر آباد ١٣١٤.
فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر. بولاق ١٣[illegible]
فتح القدير، للكمال بن الهمام. بولاق ١٣١٨
[illegible] ١٣٤٧
الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم. الأدبية ١٣١٧.
[illegible] المصري ١٣٠٦.
الفهرست، لابن النديم. [illegible]
فوات الوفيات، لابن شاكر. بولاق ١٢٨٣
فيض الخاطر، للدكتور أحمد أمين. [illegible]
[illegible]، للدكتور [illegible] ١٩٣٧ م.
[illegible] بولاق ١٢٨٢
الكامل في التاريخ، لابن الأثير. ط. محمد منير ١٣٤٨
الكامل، للمبرد. ليبسك ١٨٦٤ م.
« « [illegible] بولاق ١٣[illegible]
[illegible] ١٣٠٥
[illegible] أمريكا ١٩[illegible]
كشف الظنون، لحاجي خليفة. تركيا ١٣١[illegible]
الكليات، لأبي البقاء. [illegible] ١٣١٦
« ، [illegible] ١٣[illegible]
كنى الشعراء، لابن حبيب. [illegible] مخطوطة دار الكتب ٢٦٠٩ تاريخ.
لباب الآداب، لأسامة بن منقذ. تحقيق أحمد شاكر. الرحمانية ١٣٥٤.
لسان العرب، لابن منظور. بولاق ١٣[illegible]
مجالس ثعلب. تحقيق عبد السلام هارون. دار المعارف ١٣٦[illegible]
مجلة الجمعية الألمانية الشرقية (Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft)
مجمع الأمثال، للميداني. [illegible] ١٣٤٢
مجموع خمسة دواوين. الوهبية ١٢٩٣
مجموعة المعاني. مطبعة الجوائب ١٣٠١
محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني. الشرفية ١٣٢٦
المختار من شعر بشار، للخالديين. الاعتماد ١٣٥٣
مختارات ابن الشجري. العامرة ١٣٠٦.
مختصر تاريخ دمشق، لابن بدران. روضة الشام ١٣٣٢.

المخصص، لابن سيده، بولاق ١٣١٨
مخطوطات الموصل، للدكتور داود جلبي. الفرات بغداد ١٩٢٧ م.
مروج الذهب، للمسعودي. السعادة ١٣٦٧
مسالك الأبصار، لابن فضل الله العمري. مصورة دار الكتب ٢٥٦٨ او ع
مشارق الأنوار، للقاضي عياض. السعادة ١٣٣٢
المعارف، لابن قتيبة. الإسلامية ١٣٥٣
معاهد التنصيص، للعباسي. البهية ١٣١٦
المعتمد في الأدوية المفردة، لابن رسولا. الحلبي ١٣٢٧
المعجب، للمراكشي. السعادة ١٣٢٤.
معجم الأدباء، لياقوت. دار المأمون ١٣٢٣ ومرجليوث
معجم البلدان، لياقوت. السعادة ١٣٢٣
معجم الشعراء، للمرزباني. القدسي ١٣٥٤
معجم فارسي إنجليزي (Persian English Dictionary by F. Steingass)
معجم المجمع العلمي الإسباني: (Diccionario de La Lengua Española)
المعرب، للجواليقي، بتحقيق أحمد شاكر. دار الكتب ١٣٦١
المعلمة البريطانية للمعارف العامة (The Great encyclopedia of universal knowledge)
المغرب، للمطرزي. السعادة ١٣٢٣
المغرب لابن سعيد. مخطوطة دار الكتب ٢٧١٢ تاريخ و ١٠٣ تاريخ م
« « « بتحقيق الدكتور شوقي ضيف. دار المعارف ١٩٥٣ م
المغني، لابن قدامة. دار المنار ١٣٦٧
مفاتيح العلوم، للخوارزمي. المنيرية ١٣٤٢
مفتاح الأفكار، في النثر المختار، للشيخ أحمد مفتاح. مطبعة جريدة الإسلام ١٣١٤
مفرج الكروب، لابن واصل. مخطوطة مكتبة باريس رقم ١٧٠٢
المفضليات، بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون. دار المعارف ١٣٦١
مقاييس اللغة، لابن فارس، بتحقيق عبد السلام هارون. الحلبي ١٣٦٦ - ١٣٧١
مقدمة ابن خلدون. البهية ١٩٢٨ م
المؤتلف والمختلف للآمدي. القدسي ١٣٥٤
النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي. دار الكتب من سنة ١٣٤٨
نزهة الألباء، لابن الأنباري. القاهرة ١٢٩٤
نفح الطيب، للمقري. نشر محمد محيي الدين. السعادة ١٣٦٩
النقائض، رواية أبي عبيدة. ليدن ١٩٠٥
النقود العربية وعلم النميات، للأب أنستاس ماري الكرملي. العصرية ١٩٣٩ م
النهاية، لابن الأثير. العثمانية ١٣١١
نهاية الأرب، للنويري. دار الكتب ١٣٤٢
الوزراء والكتاب، للجهشياري. الحلبي ١٣٥٧.
الوساطة بين المتنبي وخصومه، للجرجاني. صبيح ١٣٣١
وفيات الأعيان، لابن خلكان. الميمنية ١٣١٠
يتيمة الدهر، للثعالبي. دمشق ١٣٠٢.

استدراك وتذييل

١ — ص ٢٢ س ٥ العبارة بكمالها كما ورد في الخريدة . « وقد تناول الشعراء وصف وقوع الشمع على صفحات الماء »

٢ — ص ٢٣ س ٢ – ٣ البيتان كما في الخريدة .

مشتعلٌ ... كأنّ الزجاج وصفو اللجين به ذوبا

إذا جمشته الصبا بالضحى توهمتــه زرداً مذهبا

انظر ص ١١٦ من نوادر المخطوطات

٣ — ص ٥٤ س ٧ – ٨ البيتان رواهما العماد في الخريدة ٢ . ١٣٠ منسوبين إلى الأمير عمري ... « ووجدت هذين البيتين في رسالة أبي الصلت منسوبين إلى ظافر الحداد » .

٤ — ص ٣٧ س ١٢ إلى ص ٤١ س ١٢ هذا الكلام ورد في إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطي ص ١٥٩

٥ — ص ١٤١ س ١٢ انظر لهذا البيت نهاية الأرب ٤ : ٢٧١

٦ — ص ١٤٢ س ١٦ وقع في الحاشية سقط ، وتمامها كما في الكامل :
« وقد فضل نصيب على الفرزدق في موقفه عند سليمان بن عبد الملك ، وذلك أنهما حضرا فقال سليمان للفرزدق : أنشدني » . إلخ

٧ — ص ١٤٧ س ٨ نسب ابن خلكان في ترجمة (يزيد بن المهلب) هذا البيت إلى بشر بن قطنة الأسدي

٨ — ص ١٦٨ س ٢ البيت لزيد بن الجهم الهلالي ، كما في الحماسة ٧٣٠ : ص ١ بشرح المرزوقي

٩ — ص ٢٨٨ س ٦ « أبي عبيد المختار » ، كذا في الأصل ، وصوابه « ابن أبي عبيد المختار » . وهو المختار بن أبي عبيد

١٠ — ص ٢٣٤ س ٤ « الأحوزي » جاء في مروج الذهب ٤ : ٢٢٤ :

« وخفيف الثقيل منهم يسمى الماخوري . وإنما سمي بذلك لأن إبراهيم [illegible] الموصلي [illegible] من [illegible] ومن سكن الموصل – كان كثير [illegible] في هذا [illegible] [illegible] » .

١١ ص ٣٢٤ س ٥ « [illegible] » [illegible] في مروج الذهب ٤ : ٢٢١ : « والسلبان [illegible] [illegible] [illegible] صوت »

١٢ ص ٣٢٤ س ٥ « [illegible] » وهي في الأصل « الصنج » بدون إعجام ، وورد في مروج الذهب [illegible] ٢٢ « [illegible] الصنج وهو من جلود العجاجيل »

١٣ ص ٣٢٤ س ٥ « [illegible] » في مروج الذهب [illegible] « والهند الكنكلة ، وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج » .

١٤ ص ٣٨١ س ٣ [illegible] [illegible] فارسية ، ومعناها ضرب من الطيوب مركب من العود والعنبر والمسك واللادن والكافور [illegible] [illegible] ص ١٤١ والسيوطي ص ١١٢

١٥ [illegible] (الفهرس العام) [illegible] إلى نهاية المجلد الثاني ليكون الفهرس [illegible] [illegible] الله

فهرس مضامين المجلد

الفهارس العامة

صواب أخطاء الطبع

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٢٦	٢٤،٢٨	بدفع البداهة	٢٣٣	٢٣	Universal Knowlages
٢٧	٣٠	ه ه	٢٦٥	١١	بل دسة
٧٧	١٢	وهي بدنة	٢٨١	١	أوحنة
٧٨	٥	إحدى الآلس	٢٨٥	١٣	عبد الرحمن بن عمن
١٣٤	١٣	[illegible]	٢٨٧		وكنوح الجيش
١٦٩	٢	مستقنع	٢٩٥	٢٦	أسهم الخيل
١٩١	١٤	الأماكن المظلمة	٢٩٦	١٤	المدابيع والمرص
١٩٣	٢٥	الدوران من الأرض لأنه كون يبعض لا غرض فيه	[illegible]	١٤-١٥	بعض ... الآية
			٣٠٤	١٦	بكسر الهمزة وضمها
١٩٤	٨	أن	[illegible]	٤	أهدوره الملف
٢١٠	٢٣	وأن أبي صقر	٣٥٤	٧	ادب سون

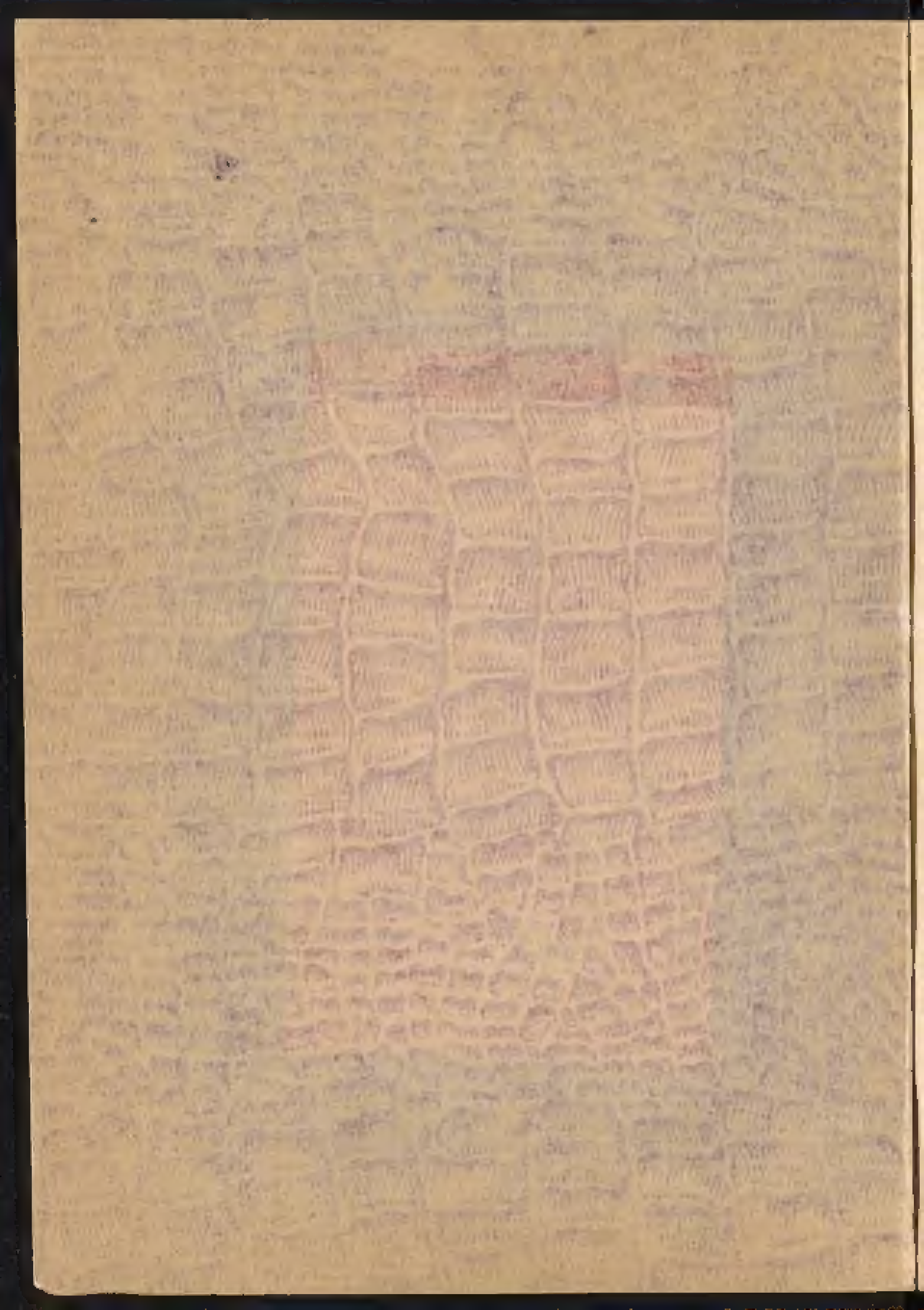

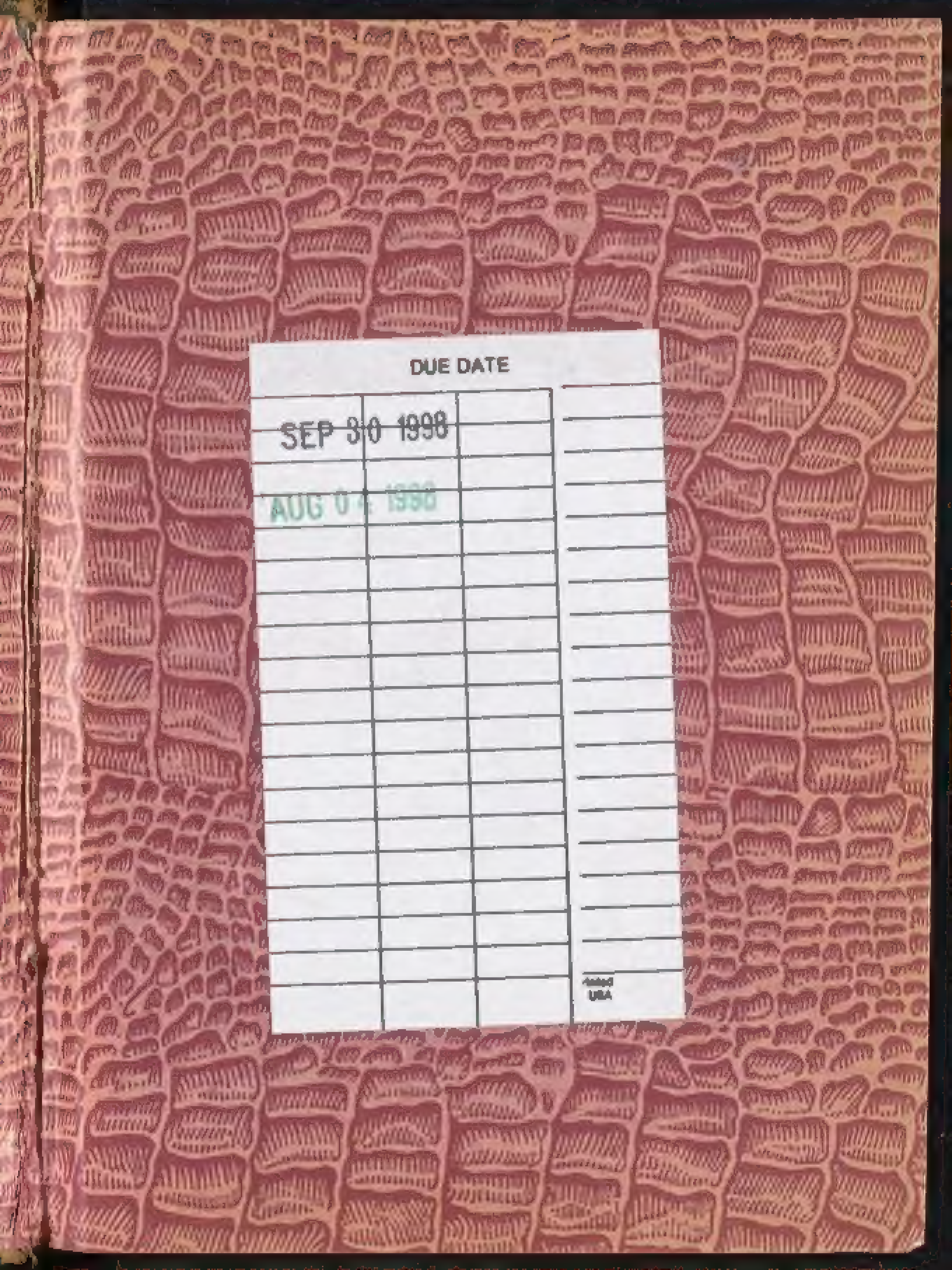
DUE DATE
SEP 30 1998
AUG 04 1998

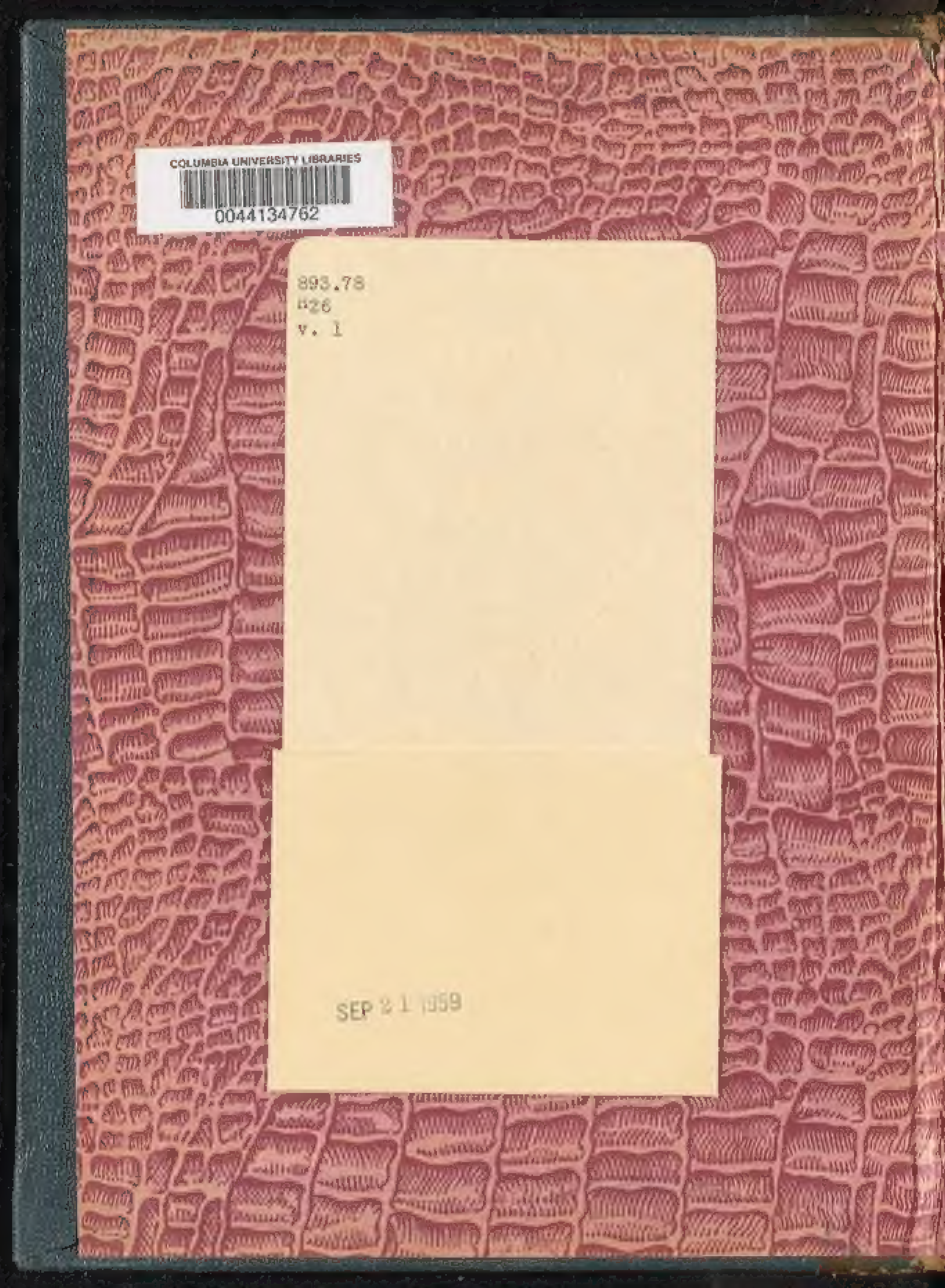
COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0044134762
893.78
B26
v. 1
SEP 2 1 1959